




		191	
			
			

مَقَالَاتُ

لبعض مشاهير كتّاب الـ

في الانشاء

نُظُمَاتُ

فصل في حقيقة علم الادب واقسامه واركانه

— — — — —

البحث الاول

في حد علم الادب

(عن رمحيري و لرحبي و ملح خضا تصرف)

(راجع الخز الاول من علم الادب صفحة ١ من التمهيد)

علم الادب علم يختص به عن جميع انواع الخطا في كلام
العرب لفظا وكتابة . وذات ان فائدة الخطاب والتجارات في فدة
العلوم واستفادتها لما لم تتبين لطفاين الا بالالفاظ والكتابة
واحوالهما كالضبط احوالهما مما اعتنى به العلماء . فاستخرجوا من
احوالهما علوما سموها بالعلوم الادبية لتوقف ادب الدرس عليها
بالذات ودب النفس بالواسطة يتعرفون بها انفسهم عما في الضمان

البحث الثاني

في تقسيم الأدب وأنواع العلوم الأدبية

(عن الوطواط والجرجاني)

(راجع صفحة ٢ و ٣ من تمهيد علم الأدب)

الْأَدَبُ نَوْعَانِ نَفْسِيٌّ وَكَسْبِيٌّ . فَأَلْفَنَفْسِيٌّ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُ لِمَنْ يَرِيدُ
وَهُوَ مَا كَانَ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَفْعَالِ الدَّالَّةِ عَلَى كَرَمِ الطَّبْعِ . وَكَسْبِيٌّ
مَا اسْتَفَادَتْهُ الْأَنْفُسُ مِنْ أَحَاسِنِ الْأَقْوَالِ الْإِخَادَةِ بِأَعْنَةِ تَقْوَابِ
وَالْأَسْمَاعِ وَهُوَ الَّذِي تَرَجَّتْ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْوَضْعِ بَقَعُ ذِكْرِهِ فِي
الْأَنْفُسِ أَحْسَنَ مَوْجِعٍ لَتَرْمُقَهُ لِأَجْلِ الْعُيُونِ بِالْإِجْلَالِ وَتَحْمِلِ
الْأَنْفُسُ بِهِ لِمَلِيهَا إِلَيْهِ بِتَتَابُعِ الْإِذْلَالِ

وَأَمَّا تَقْسِيمُ الْأَدَبِ الْكَسْبِيِّ فَإِنَّهُ اخْتَلَفُوا فِي أَقْسَمِهِ فَذَكَرَ أَنَّ
الْأَنْبَارِيَّ أَنَّهَا ثَمَانِيَةٌ وَقَسَمَهُ الْعَلَامَةُ الْجَرْجَانِيُّ إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ فَمِنْهُ قَوْلُ :
لِعِلْمِ الْأَدَبِ أَصُولٌ وَفُرُوعٌ . أَمَّا الْأُصُولُ فَأَتَّبَعْتُ فِيهَا : (١) . (٢) . (٣) . (٤) .
الْمُفْرَدَاتِ (٥) مِنْ حَيْثُ جَوَاهِرُهَا وَمَوَادُّهَا وَهَيْئَاتُهَا فَعِلْمُ نَفْعَةٍ . وَ مِنْ
حَيْثُ صُورِهَا وَهَيْئَاتُهَا فَقَطُّ فَعِلْمُ الصَّرْفِ . أَوْ مِنْ حَيْثُ نَسَبِ
بَعْضِهَا بِبَعْضٍ بِالْأَصَالَةِ وَالْفَرْعِيَّةِ فَعِلْمُ الْإِسْتِقْلَالِ . (٦) . وَ (٧) . (٨) .
الْمُرَكَّبَاتِ عَلَى الْإِطْلَاقِ . فَإِذَا بَاغْتَبَارَ هَيْئَاتُهَا الْتَزَكِّيَّةِ وَتَأْدِيَةِ لِعِلْمِ
الْأَصْلِيَّةِ فَعِلْمُ النُّحْوِ . وَإِذَا بَاغْتَبَارَ أَفَادَتِهَا لِعِلْمِ مُعَايَرَةِ الْأَصْلِ فَعِلْمُ
الْمَعَانِي . وَإِذَا بَاغْتَبَارَ كَيْفِيَّةِ تِلْكَ الْأَفَادَةِ فِي مَرَاتِبِ تَوَسُّعٍ مَعَهُ

البيان. وعلم البديع ذيلٌ لِعِلْمِي الْعَالِي وَالْبَيَانِ دَاخِلٌ تَحْتَهُمَا. (٣) وَأَمَّا
(عَنِ الْمَرْكَبَاتِ الْمَوْزُونَةِ). فَلَا مَا مِنْ حَيْثُ وَزْنُهَا فَعِلْمُ الْعَرُوضِ أَوْ مِنْ
حَيْثُ أَوَاخِرُهَا فَعِلْمُ الْقَوَافِي

وَأَمَّا الْقُرُوعُ فَالْجُثُ فِيهَا إِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِنُقُوشِ الْكِتَابَةِ فَعِلْمُ
الْخَطِّ أَوْ يَخْتَصُّ بِالْمَنْظُومِ فَالْعِلْمُ الْمَسْمُوعُ بِقَرَضِ الشِّعْرِ. أَوْ بِالْمَثَرِ
فَعِلْمُ الْإِنْشَاءِ. أَوْ لَا يَخْتَصُّ بِشَيْءٍ فَعِلْمُ الْمُحَاضَرَاتِ وَمِنْهُ الْقَوَارِخُ

البحث الثالث

في موضوع علم الادب وادراكه

(مقدمة اس خلدون)

(راجع صفحة ٣ من تمهيد علم الادب)

هَذَا الْعِلْمُ لَا مَوْضُوعَ لَهُ يُنْظَرُ فِي إِثْبَاتِ عَوَارِضِهِ أَوْ نَفْيِهَا وَأَمَّا
الْمَقْصُودُ مِنْهُ عِنْدَ أَهْلِ اللِّسَانِ تَمَرُّنُهُ وَهِيَ الْإِجَادَةُ فِي فَنِّي الْمَنْظُومِ
وَالْمَثُورِ عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ وَمَنَاجِيهِمْ . فَيَجْمَعُونَ لِذَلِكَ مِنْ كَلَامِ
الْعَرَبِ مَا عَسَاهُ تَحْصُلُ بِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ شِعْرِ عَالِي الطَّبَقَةِ وَتَتَجَمَّعُ
مَتَسَاوٍ فِي الْإِجَادَةِ وَمَسَائِلَ مِنَ اللُّغَةِ وَالْحَوِ مَبْثُوتَةٌ أَتْنَاءَ ذَلِكَ
مُتَفَرِّقَةٌ يَسْتَفْرِى مِنْهَا النَّاطِرُ فِي أَغْلَابِ مُعْظَمِ قَوَائِنِ الْعَرَبِيَّةِ مَعَ ذِكْرِ
بَعْضٍ مِنَ أَيَّامِ الْعَرَبِ لِيُفْهَمَ بِهِ مَا يَقَعُ فِي أَسْعَادِهِمْ وَمِنْهَا وَكَذَلِكَ
ذِكْرُ الْمَثَلِ مِنَ الْأَنْسَابِ الشَّيْخَةِ وَالْأَخْبَارِ الْعَامَّةِ . وَالْمَقْصُودُ بِذَلِكَ
كَلَامُ أَنْ لَا يَخْفَى عَلَى النَّاطِرِ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ وَأَسَالِيبِهِ

وَمَنَاجِي بَلَاعِهِمْ إِذَا تَصَفَّحُوا . لِأَنَّهُ لَا تَحْصُلُ الْمَلَكَةُ مِنْ حِفْظِهِ إِلَّا
 بَعْدَ فَهْمِهِ فَيُجْتَاجُ إِلَى تَقْدِيمِ جَمِيعِ مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ فَهْمُهُ . ثُمَّ أَنَّهُ
 إِذَا أَرَادُوا حَدَّ هَذَا الْقَنْ قَالَوا : الْأَدَبُ هُوَ حِفْظُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ
 وَأَخْبَارِهَا وَالْأَخْذُ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ بِطَرَفٍ يُرِيدُونَ مِنْ عُلُومِ الْإِنْسَانِ
 أَوِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ حَيْثُ مُتَوْنِهَا فَقَطْ إِذْ لَا مَدْخَلَ بغيرِ ذَلِكَ
 مِنَ الْعُلُومِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُتَأَخَّرُونَ عِنْدَ كَفِّهِ
 بِصِنَاعَةِ الْبَدِيعِ مِنَ التَّوْزِيَةِ فِي أَشْعَارِهِمْ وَتَرْسُلِهِمْ بِالْأَصْطِلَاحَاتِ
 الْعِلْمِيَّةِ . فَاجْتِنَاجُ صَاحِبِ هَذَا الْقَنْ إِلَى أَصْطِلَاحَاتِ الْعُلُومِ لِيَكُونَ قَائِمًا
 عَلَى فَهْمِهَا . وَسَمِعْنَا مِنْ شَيْخِنَا فِي مَجَالِسِ التَّعْلِيمِ أَنَّ أَصُولَ هَذَا الْقَنْ
 وَارْتِكَائَهُ أَرْبَعَةُ دَوَائِنَ وَهِيَ : أَدَبُ الْكُتَّابِ لِأَبْنِ قُتَيْبَةَ وَكِتَابُ
 الْكَامِلِ لِلْمُبَدِّ وَكِتَابُ الْبَيَانِ وَالتَّيْنِينَ لِلْجَاحِظِ وَكِتَابُ نَوَادِرِ
 لِأَبِي عَلِيٍّ الْقَلَّيْلِ الْبَغْدَادِيِّ وَمَا سِوَى هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ قَسِبَ لَهُ وَفُوعُ
 عَنْهَا وَكُتِبُ الْمُخَدَّثِينَ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ . وَكَانَ الْغِنَاءُ فِي الْعَدَدِ الْأَوَّلِ
 مِنْ أَجْزَاءِ هَذَا الْقَنْ لِمَا هُوَ تَابِعٌ لِلشَّعْرِ إِذَا الْغِنَاءُ . إِنَّمَا هُوَ تَحْيِينُهُ .
 وَكَانَ الْكُتَّابُ وَالْفُضَّلَاءُ مِنَ الْخَوَاصِّ فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ يَخْصُونَ
 أَنْفُسَهُمْ بِهِ جِزْصًا عَلَى تَحْصِيلِ آسَالِيْبِ الشَّعْرِ وَفُتُوهِ فَلَمْ يَكُنْ تَحِيَّةً
 قَادِحًا فِي الْعَدَاةِ وَالْمُرُوءَةِ وَقَدْ أَلْفَ الْقَاضِي أَبُو الْقُرْجِ الْأَنْدَلُسِيُّ فِي
 كِتَابِهِ فِي الْأَغْنِي جَمَعَ فِيهِ أَحْبَارَ الْعَرَبِ وَأَشْعَارَهُمْ وَنَسَبَهُمْ
 وَأَيَّامَهُمْ وَدَوْلَهُمْ . وَجَعَلَ مَبْتَدَأَهُ عَلَى الْغِنَاءِ فِي الْمَلَأَةِ صَوْتُ أَبِي خُثَيْمَةَ
 الْمُغْنُونِ لِلرَّشِيدِ فَاسْتَوْعَبَ فِيهِ ذَلِكَ أَمْ اسْتَيْعَابَ وَ دَوْدَهُ . وَوَعَدِي

إِنَّهُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ وَجَامِعُ أَشْتَاتِ الْحَاسِنِ وَالْتَّارِيخِ وَالْغِنَاءِ وَسَائِرِ
الْأَحْوَالِ . وَلَا يُعَدَّلُ بِهِ كِتَابٌ فِي ذَلِكَ فِيمَا تَعْلَمُهُ وَهُوَ الْغَايَةُ الَّتِي
يَنْسُو إِلَيْهَا الْأَدَبُ وَيَقِفُ عِنْدَهَا

المبحث الرابع

في شرف الادب ومنافعه

(عن التعالي وابن عبد ربّه والوطواط)

(راجع صفحة ٢ من تمهيد علم الادب)

قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْغِيٍّ : الرَّجُلُ بِلَا آدَبٍ شَخْصٌ يَغْيِرُ آلَهُ وَجَسَدٌ
بِلَا رُوحٍ . وَقِيلَ : الْأَدَبُ أَكْرَمُ الْجَوَاهِرِ طَبِيعَةٌ وَأَنْفُسُهَا قِيَمَةٌ
فَاطْلُبُوهُ فَإِنَّهُ زِيَادَةٌ فِي الْفَضْلِ وَالنَّبَاةِ وَمَادَّةٌ لِلْعَقْلِ وَدَلِيلٌ عَلَى
الْمُرُوءَةِ وَمَنْبَهَةٌ لِلرَّأْيِ وَالصَّوَابِ وَصَلَابَةٌ فِي الْعُرْبَةِ وَآيِسٌ فِي
الْوَحْدَةِ وَجَمَالٌ فِي الْحَافِلِ وَصَلَةٌ فِي الْجَبَاسِ . وَإِذَا أَكْرَمَكَ النَّاسُ
لِمَالٍ أَوْ سُلْطَانٍ فَلَا يُحِبُّكَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْكِرَامَةَ تَزُولُ بِزَوَالِهَا
وَيُنْفِخُكَ إِذَا أَكْرَمُوكَ لِدِينٍ أَوْ آدَبٍ . قَالَ أَشْعَرُ :

إِذَا أَلْقَى قَاتَهُ مَالٌ يُجِمُّهُ فَنِي التَّادِبِ بِمَا قَاتَهُ خَافُ
هُوَ اللَّيَاسُ الَّذِي لَا شَيْءَ يُعْدِلُهُ وَالْمُفْخَرُ الدِّينُ فِيهِ الْفَضْلُ وَالشَّرَفُ
قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَبْنِيَّةً : تَادَبُوا فَإِنْ كُنْتُمْ مُلُوكًا بَرَزْتُمْ وَإِنْ
كُنْتُمْ أَوْسَاطًا فُتِمْتُمْ وَإِنْ أَعْوَرَكُمُ الْمَعَاشُ عَشِمْتُمْ . وَقِيلَ : إِنَّ
الْأَدَبَ يَفِيدُ الرِّغَابَ أَجْلِيَّةً وَيُعِزُّ بِالْعَشِيرَةِ وَيُنْجِي الْأَنْصَارَ غَيْرَ

رَزِيَّةً . قَالَ بَرِّحْمَهُ : مَنْ كَثُرَ آدَبُهُ كَثُرَ شَرَفُهُ وَإِنْ كَانَ وَضِعًا .
وَبَعْدَ صِبْيَتِهِ وَإِنْ كَانَ حَامِلًا . وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيًّا وَكَثُرَتْ حَوَائِجُ
النَّاسِ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا . وَقَالُوا : مَنْ دَابَّ فِي طَرِيقِ الْآدَبِ أَذْرَكَ
حَاجَتَهُ وَمَلَكَ تَأْصِيتَهُ وَبَلَ قَدْرَهُ وَنَبَهَ ذِكْرَهُ . يُتَوُّبُ الْآدَبُ عَنْ
الْتَسَبُّ وَلَا يَنْفَعُ تَسَبُّ بِلَا آدَبٍ وَقَالَ الشَّاعِرُ :

كَمْ مِنْ خَسِيسٍ وَضِعَ الْقَدْرَ لَيْسَ لَهُ فِي الْعِرِّيَّةِ وَلَا يُنْعَى إِلَى نَسَبِ
قَدْ صَارَ بِالْآدَبِ الْخُجُودُ ذَا شَرَفٍ غَالٍ وَذَا حَسَبٍ تَحْضُ وَذَا نَسَبٍ
يُعْلَى التَّأْدَبُ أَقْوَامًا وَيَرْفَعُهُمْ حَتَّى يُسَاوُوا ذَوِي أَعْلِيَاءَ فِي الرُّتَبِ
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِ الْأَعَاجِمِ يَتَخَرُّ وَيَعْتَذِرُ :

مَهْلِي عَقْلِي وَهَيْتِي حَسْبِي مَا أَنَا مَوْلَى وَلَا أَنَا عَرَبِي
وَإِذَا أَنْتَنِي مُنْتَمٍ إِلَى أَحَدٍ فَلَانِي مُنْتَمٍ إِلَى آدَبِي
فَالْبَسُوا إِذَا الْآدَبَ حُلَّةً وَتَرَيُّوهُ جِلْبَةً فَإِنَّهُ أَنْفَقَ مَعَاشَ وَأَجْمَلَ
رِيَاشٍ إِنْ اخْتَجْتُمْ إِلَيْهِ كَانَ لَكُمْ مَالًا وَإِنْ اسْتَفْتَيْتُمْ عَنْهُ كَانَ لَكُمْ
جَمَالًا

فصل في قوى العقل الغريزية

البحث الاول

في العقل وشرفه واصل تسميته وتقسيه

(عن الماوردي باختصار وتصرف)

(راجع صفحة ٣ من توطئة علم الادب)

إِعْلَمَ أَنَّ لِكُلِّ فَضِيلَةٍ أَسَا وَلِكُلِّ آدَبٍ يَتَّبِعُهَا. وَأَسُّ أَلْفَضَائِلِ
وَيَذْبُوحِ الْأَدَابِ هُوَ الْعَقْلُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلدِّينِ أَصْلًا وَلِلدُّنْيَا
عِمَادًا فَأَوْجَبَ الدِّينَ بِكَمَالِهِ وَجَعَلَ الدُّنْيَا مُدَبَّرَةً بِأَحْكَامِهِ وَأَلْفَ بِهِ
بَيْنَ خَلْقِهِ مَعَ اخْتِلَافِ هِمَمِهِمْ وَمَأْرِيهِمْ . قَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ : الْعَقْلُ
خَيْرُ الْمَوَاهِبِ وَالْجَهْلُ شَرُّ الْمَصَائِبِ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَسَّانَ :
يَزِينُ الْفَتَى فِي النَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ وَإِنْ كَانَ مَحْظُورًا عَلَيْهِ مَكَاسِبُهُ
يُشِينُ الْفَتَى فِي النَّاسِ قِلَّةُ عَقْلِهِ وَإِنْ كُرِمَتْ أَعْرَاقُهُ وَمَنَاسِبُهُ
يَعِيشُ الْفَتَى بِالْعَقْلِ فِي النَّاسِ إِنَّهُ عَلَى الْعَقْلِ يَجْرِي عِلْمُهُ وَتَجَارِبُهُ
وَأَفْضَلُ قَسَمِ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ قَلِيلٌ مِنْ الْأَشْيَاءِ شَيْءٌ يُقَارِبُهُ
إِذَا اكْتَمَلَ الرَّحْمَانُ الْمَرْءَ عَقْلُهُ فَقَدْ كَمَلَتْ أَخْلَاقُهُ وَمَأْرِبُهُ
وَقَالَ مُطَرِّفٌ : مَا أَوْقَى الْعَبْدُ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى أَفْضَلَ
مِنَ الْعَقْلِ . وَيُقَالُ : مَا تَمَّ دِينُ أَمْرِي حَتَّى يَتِمَّ عَقْلِي . قَالَ بَرْزَجَمُورُ :
الْعَقْلُ كَالْمِسْكِ إِنْ خَبَأَتْهُ عَبَقٌ وَإِنْ بَعَثَتْهُ نَفَقٌ . وَقَالُوا : الْعَقْلُ
كَنُورٍ وَضَعَهُ اللَّهُ طَبْعًا وَغَرَزَهُ فِي الْقَلْبِ كَالنُّورِ فِي الْأَعْيُنِ وَهُوَ الْبَصَرُ .

وَكَمَا يُدْرِكُ بِالْبَصَرِ شَوَاهِدُ الْأُمُورِ كَذَلِكَ يُدْرِكُ بِنُورِ الْعَقْلِ كَثِيرٌ
مِنَ الْمُخْجُوبِ وَالْمُسْتَوْرٍ. وَنَحْنُ الْقَلْبُ كَعَمَى الْبَصَرِ. قَالَ بَرْزَجِيرٌ :
الْإِنْسَانُ صُورَةٌ فِيهَا عَقْلٌ فَإِنْ أَخْطَاهُ الْعَقْلُ وَلَزِمَتْهُ الْحُدُودَةُ فَيَسِ
بِإِنْسَانِهِ . قَالَ الْمُتَشَبِّهُ :

لَوْلَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَذَى ضَيِّعٍ أَذَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ
وَسَيِّئَ الْعَقْلُ عَقْلًا تَشْبِيهًُا بِعَقْلِ النَّاقَةِ (١) لِأَنَّ الْعَقْلَ يَنْبَغُ
لِلْإِنْسَانِ مِنَ الْإِقْدَامِ عَلَى شَهْوَاتِهِ إِذَا قُبِحَتْ كَمَا يَنْبَغُ الْعَقْلُ لِلنَّاقَةِ
مِنَ الشُّرُودِ إِذَا نَفَرَتْ . وَلِذَلِكَ قَالَ عَامِرُ بْنُ قَيْسٍ : إِذَا عَثَلَتْ
عَقْلُكَ عَمَّا لَا يَنْبَغِي فَأَنْتَ عَاقِلٌ

البحث الثاني

في تقسيم العقل الى غريزي ومكتسب

(عن الطوطا والملاوردي)

إِعْلَمُ أَنَّ بِالْعَقْلِ تُعْرَفُ حَقَائِقُ الْأُمُورِ وَيُفْصَلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالزَّالِمَاتِ
وَقَدْ يُقْسَمُ قِسْمَيْنِ غَرِيزِيٌّ وَمَكْتَسَبٌ . قَالَ الْمُتَشَبِّهُ :
الْعَقْلُ عَقْلَانِ عَقْلٌ تَفَرَّدَ اللَّهُ بِصُنْعِهِ وَهُوَ الْأَوَّلُ . وَعَقْلٌ يَسْتَعِينُ بِهِ
الْمَرْءُ بِهِ وَهُوَ الْفَرْعُ فَإِذَا اجْتَمَعَا قَوِيَ كُلُّ وَاحِدٍ وَنَهْمَا صَاحِبُهُ تَقْوِيَةُ
النَّارِ فِي الظُّلْمَةِ . وَلِذَلِكَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :
رَأَيْتُ الْعَقْلَ عَقْلَيْنِ فُطُبُوعٌ وَهَسْمُوعٌ

١ يُقَالُ عَقَلَ النَّاقَةُ عَقْلًا إِذَا رُبَّطَ فِي وَسْطِ ذِرَاعَيْهَا بِحَبْلٍ وَيُسَمَّى الْحَبْلُ عَقْلًا .

فَلَا يَنْفَعُ مَسْمُوعٌ إِذَا لَمْ يَكُ مَطْبُوعٌ
كَمَا لَا تَنْفَعُ الشَّمْسُ وَضَوْءُ أَعْيُنٍ مُّثْنُوعٌ *

البحث الثالث

في العقل الفرزي وتعريفه

(عن الماوردي باختصار)

إِنَّ الْعَقْلَ الْفَرَزِيَّ هُوَ الْعَقْلُ الْحَقِيقِيُّ وَلَهُ حَدٌّ يَتَعَلَّقُ بِهِ
التَّكْلِيفُ لَا يَجَاوِزُهُ إِلَى زِيَادَةٍ وَلَا يَقْصُرُ عَنْهُ إِلَى نُقْصَانٍ . وَبِهِ

* قد قسم الفرزي القوي العقلية الى اربعة اقسام مرجعها الى هذين القسمين
قال: القوي العقلية اربعة اقسام. (الاول) القوة التي جما يفارق الانسان البهائم وهي
التي جما استعد لقبول العلوم النظرية وتدير الصناعات الفكرية فيقال انها القوة
الفرزية جما يستعد الانسان لادراك العلوم النظرية. فكما ان الحياة هي الجسم للحركات
الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك هذه القوة الفرزية هي الحياة للانسان للعلوم
النظرية والصناعات الفكرية والحكماء يقولون لها العقل الحيواني وهي مجرد
الاستعداد الذي هو موجود في الطفل وغير موحود في ولد البهيمة. (الثاني) القوة التي
تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز جواز الجائزات واستحالة المستحيلات كما علم
بأن الاثنين أكثر من الواحد والشخص الواحد لا يكون في مكانين فيقال: **أ**
التصورات والتصديقات الحاصلة للنفس بالفطرة والحكماء يسمونه العقل بالملكة .
(والثالث) قوة تحصل جما العلوم المستفادة من التجارب مجاري الاحوال فمن اتصف بها
يقال انه عاقل في العادة ومن لم يتصف بها يقال انه غي غمر . فيقال لها معان مجتمعة
في الذهن من مقدمات تستنبط جما المصالح في الاعراض . (والرابع) قوة جما تعرف
حقائق الامور وعواقبها فتقمع الشهوة الداعية الى الذة العاجلة وتحتمل المكروه
العاجل اسلامة الآجل . فاذا حصلت هذه القوة يسمى صاحبها عاقلا من حيث ان
اقدامه واجبامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة . والأولان
بالطبع والأخيران بالاكْتِسَاب

يَتَّزَارُ الْإِنْسَانُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانِ فَإِذَا رَتَمَ فِي الْإِنْسَانِ نَسِيْبَ عَاقِلَا
وَوَجَرَ بِهِ إِلَى حَدِّ الْكَمَالِ كَمَا قَالَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ :
إِذَا تَمَّ عَقْلُ الْمَرْءِ تَمَّتْ أُمُورُهُ وَتَمَّتْ أَمَانِيهِ وَتَمَّ بِنْدُهُ
وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي حَدِّ الْعَقْلِ وَفِي صِفَتِهِ عَلَى مَذَاهِبَ سَتِي فَقُلِ
قَوْمٌ : هُوَ جَوْهَرٌ لَطِيفٌ يُفَصَّلُ بِهِ بَيْنَ الْحَقَائِقِ الْعُلُومَاتِ . . وَهَذَا
أَقُولُ فِي الْعَقْلِ بِأَنَّهُ جَوْهَرٌ لَطِيفٌ قَاسِدٌ مِنْ وَجْهَيْنِ : (أَحَدُهُمَا)
أَنَّ الْجَوَاهِرَ مُتَمَّاثٌ فَلَا يَصِحُّ أَنْ يُوجِبَ بَعْضُهَا مَا لَا يُوجِبُ سَائِرُهَا
وَلَوْ أَوْجَبَ سَائِرُهَا مَا يُوجِبُ بَعْضُهَا لَأَسْتَفْنَى الْعَقْلُ بِوُجُودِ نَفْسِهِ عَنْ
وُجُودِ عَقْلِهِ (١) . (وَالثَّانِي) أَنَّ الْجَوَاهِرَ يَصِحُّ قِيَامُهُ بِدَأْتِهِ فَالْوَكَلُ أَلْعَقْلُ
جَوْهَرًا لَجَزَّ أَنْ يَكُونَ عَقْلٌ بِغَيْرِ عَاقِلٍ كَمَا جَازَ أَنْ يَكُونَ جِسْمٌ بِغَيْرِ
عَقْلٍ . قَامَتِ سَعِيدَيْنِ أَنْ يَكُونَ الْعَقْلُ جَوْهَرًا . وَقَالَ آخَرُونَ : الْعَقْلُ
هُوَ الْمَذْرُوكُ لِلْأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ حَقَائِقِ الْعَقْلِ . وَهَذَا الْقَوْلُ
وَرَأْيُ سَكَانَ أَقْرَبُ مِمَّا قَبْلَهُ قَبِيحٌ مِنَ الصَّوَابِ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ وَهُوَ :
أَنَّ الْإِدْرَاكَ مِنْ صِفَاتِ الْحَيِّ (٢) وَالْعَقْلُ عَرَضٌ يَسْتَحِيلُ ذَلِكَ وَمَا كَانَ
يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ مُتَلَدِّذَا أَوْ أَلْمًا أَوْ مُشْتَبِهًا (٣) . وَقَالَ آخَرُونَ مِنْ

(١) يُرِيدُ أَنَّهُ لَوْ كَانِ الْعَقْلُ جَوْهَرًا مُخْتَلَفًا عَنْ جَوْهَرِ الْعَقْلِ مِلَّارًا ، هَذَا لَا يُمْكِنُ فِي
جَمِيعِ أَجْزَائِهِمَا لِأَنَّ الْعَقْلَ وَالْعَقْلَ سَيِّطَانِ مُتَمَاثِلَيْنِ فِي ذَلِكَ وَإِذَا تَمَّ الْإِتْفَاقُ كَمَا حَوَّسَ
الْعَقْلَ وَجَوْهَرِ الْعَقْلِ وَاحِدًا فَيَسْتَعْنِي الْإِنْسَانُ عَنْ عَقْلِهِ بِوُجُودِ نَفْسِهِ وَهَذَا بَاسِلٌ
(٢) يُرِيدُ هَاهُنَا الْإِدْرَاكَ عَلَى مَا حَدَّهُ الْحُكْمَاءُ تَمَثُّلَ حَقِيقَةِ شَيْءٍ وَحْدَهُ مِنْ غَيْرِ
حُكْمٍ عَلَيْهِ أَوْ اثْبَاتٍ وَيُسَمَّى إِصْبًا التَّصَوُّرُ وَهَذَا يَحْتَاجُ كُلَّ حَيٍّ لَا يَحْتَضِرُ إِلَّا الْإِنْسَانَ مُنْقَضٍ
(٣) أَيِ أَنَّ الْعَقْلَ لَا يُمْكِنُ إِدْرَاكَ هَذِهِ الْخَرِئَاتِ كَمَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُتَلَدِّذَا
أَوْ أَلْمًا أَوْ مُشْتَبِهًا . لِأَنَّ اللَّدَّةَ وَالْأَلْمَ وَالتَّهْوَةَ مِنَ الْأَعْيَالِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْمَرْكَبِ

الْمُسْكَلِينَ : الْعَقْلُ هُوَ حَقَّةٌ مُلُومٌ ضَرُورِيَّةٌ . وَهَذَا لَحْدٌ غَيْرُ مَحْضُورٍ
لَمَّا تَقَضَّيْنَاهُ مِنَ الْإِجْمَالِ وَيَتَأَوَّلُهُ مِنَ الْإِحْتِمَالِ . وَالْحَدُّ إِنَّمَا هُوَ بَيَانُ
الْمَحْذُودِ بِمَا يَنْفِي عَنْهُ الْإِجْمَالُ وَالْإِحْتِمَالُ . وَقَالَ آخَرُونَ وَهُوَ الْقَوْلُ
الصَّحِيحُ : إِنَّ الْعَقْلَ هُوَ الْعِلْمُ بِالْمَذْرُكَاتِ الضَّرُورِيَّةِ . وَذَلِكَ نَوْعَانِ :
أَحَدُهُمَا مَا وَقَعَ عَنْ ذَلِكَ الْخَوَاسِ وَالثَّانِي مَا كَانَ مُبْتَدَأًا فِي النَّفْسِ .
فَأَمَّا مَا كَانَ وَاقِعًا عَنْ ذَلِكَ الْخَوَاسِ فَقَسْلُ الْمُرَيَّاتِ الْمَذْرُكَةِ بِالنَّظَرِ
وَالْأَصْوَاتِ الْمَذْرُكَةِ بِالسَّمْعِ وَالطَّعُومِ الْمَذْرُكَةِ بِالدَّوْقِ وَالرَّوَائِحِ
الْمَذْرُكَةِ بِالشَّمِّ وَالْأَجْسَامِ الْمَذْرُكَةِ بِاللَّمْسِ . فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ
يَمُنُّ لَوْ أَدْرَكَ بِحَوَاسِهِ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ تَبَتَّ لَهُ هَذَا النَّوعُ مِنَ الْعِلْمِ .
لِأَنَّهُ خَرُوجُهُ فِي حَالِ تَغْيِيضِ عَيْنَيْهِ مِنْ أَنْ يَذْرَكَ بِهِمَا وَيَعْلَمَ لَا يَخْرُجُهُ
مِنْ أَنْ يَكُونَ كَامِلَ الْعَقْلِ مِنْ حَيْثُ عِلْمٌ مِنْ حَالِهِ أَنْ لَوْ أَدْرَكَ
لَعِلِمَ . وَأَمَّا مَا كَانَ مُبْتَدَأًا فِي النَّفْسِ فَكَأَنَّ الْعِلْمَ بِأَنَّ الشَّيْءَ لَا يَخْلُو
مِنْ وُجُودٍ أَوْ عَدَمٍ . وَأَنَّ الْمَوْجُودَ لَا يَخْلُو مِنْ حُدُوثٍ أَوْ قَدَمٍ .
وَأَنَّ مِنَ الْحَالِ اجْتِمَاعَ الصِّدْقَيْنِ . وَأَنَّ الْوَاحِدَ أَقْلٌ مِنَ الْإِنْتَيْنِ .
وَهَذَا النَّوعُ مِنَ الْعِلْمِ لَا يَخْرُجُ أَنْ يَنْتَفِي عَنِ الْعَاقِلِ مَعَ سَلَامَةِ حَالِهِ
وَكَمَالِ عَقْلِهِ . فَإِذَا صَارَ عَالِمًا بِالْمَذْرُكَاتِ الضَّرُورِيَّةِ مِنْ هَذَيْنِ النَّوعَيْنِ
فَهُوَ كَامِلُ الْعَقْلِ

الانساني . ولإدراك العقل ينتهي ان تحدد مادته عن المحسوسات وهذا ما يصعب
العقل بالعمل فتنتقل المردات بذلك الى حالة اكليات

البحث الرابع في العقل المكتسب (عن الماوردي)

إِنَّ الْعَقْلَ الْمَكْتَسَبَ هُوَ نَتِيجَةُ الْعَقْلِ الْفَرِيزِيِّ وَهُوَ نَهَايَةُ
الْمَعْرِفَةِ وَصِحَّةِ السِّيَاسَةِ وَإِصَابَةِ الْفِكْرِ وَلَيْسَ بِهَذَا حَدٌّ لِأَنَّهُ يُنْسَى
إِنْ اسْتَعْمِلَ وَيَنْقُصُ إِنْ أَهْمِلَ . وَغَاوُهُ يَكُونُ بِأَحَدِ وَجْهَيْنِ :
(أَوَّلُهُ الْأَوَّلُ) بِكَثْرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ إِذَا لَمْ يُعَارِضْهُ مَانِعٌ مِنْ هَوَى
وَلَا صَادٌّ مِنْ شَهْوَةٍ كَالَّذِي يَحْصُلُ لِلذَّوِي الْأَنْسَانِ مِنَ الْخُنْكَ وَصِحَّةِ
الرَّوْيَةِ لِكَثْرَةِ التَّجَارِبِ وَمُمَارَسَةِ الْأُمُورِ . وَلِذَلِكَ جَمَدَتْ أَعْرَابُ
آرَاءِ الشُّيُوخِ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ : الْمَشَايِخُ أَشْجَارُ الْوَقَرِ . وَمُنَاجِعُ
الْأَخْبَارِ . لَا يَطْلِيشُ لَهُمْ سَهْمٌ . وَلَا يَسْقُطُ لَهُمْ وَهْمٌ . إِنْ رَأَوْكَ فِي
قَبِيحٍ صَدُّوكَ . وَإِنْ أَبْصَرُوكَ عَلَى حِمِيلٍ أَمَدُّوكَ . وَقِيلَ : عَالِمُكُمْ
بِأَرَاءِ الشُّيُوخِ فَإِنَّهُمْ إِنْ فَقَدُوا ذِكَاءَ الطَّبَعِ فَقَدْ مَرَّتْ عَلَى عُيُونِهِمْ
وُجُوهُ الْعِبَرِ . وَتَصَدَّتْ لِأَسْمَائِهِمْ آثَارُ الْغَيْرِ . وَقِيلَ فِي مَثَلِهِ
الْحِكْمِ : مَنْ طَالَ عُمُرُهُ نَقَصَتْ قُوَّةُ بَدَنِهِ وَزَادَتْ قُوَّةُ عَيْنِهِ . وَقَالَ
فِيهِ : لَا تَدْعُ الْأَيَّامُ جَاهِلًا إِلَّا أَدَبْتَهُ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ :
كَفَى بِالْتَّجَارِبِ تَأْدِيبًا وَتَقْلُبُ الْأَيَّامِ عِظَةً . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ :
التَّجْرِبَةُ مِرَاةُ الْعَقْلِ . وَالْغُرَّةُ ثَمَرَةُ الْجَهْلِ . وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ :
كَفَى مُخْجِرًا عَمَّا بَقِيَ مَا مَضَى وَكَفَى عِبْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا جَرُّوا . وَبِإِنْ
بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعَقْلَ زَيْنٌ لِأَهْلِهِ وَلَكِنَّ تَأَمَّلِ طُولَ الْجَوَابِ
وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا طَالَ عُمُرُ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ آفَةٍ أَفَادَتْ لَهُ الْآيَامُ فِي كَرِّهَا عَقْلًا
(وَأَمَّا أَلَوْجُهُ الثَّلَاثِي) فَقَدْ يَكُونُ يَفْرُطُ الذِّكَاءَ وَحُسْنَ الْفِطْنَةِ
وَبِذَلِكَ جُودَةُ الْحَدْسِ فِي زَمَانٍ غَيْرِ مُهْلٍ لِلْحَدْسِ . فَإِذَا أَمْتَرَجَ بِالْعَقْلِ
الْعَرِيزِي صَارَتْ نَتِيجَتُهُمَا تَوَالُفُ الْعَقْلِ الْمَكْتَسَبِ . كَالَّذِي يَكُونُ فِي
الْأَحْدَاثِ مِنْ دُفُورِ الْعَقْلِ وَجُودَةِ الرَّأْيِ حَتَّى قَالَ هَرِمٌ بْنُ قُطَيْبَةَ حِينَ
تَنَافَرَا إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِيِّ وَعَلَقْمَةُ بْنُ عَلَاتَةَ : عَلَيْكُمْ بِالْحَدِيثِ
الْسَّنَنِ . الْحَدِيثِ الذِّهْنِ . وَلَعَلَّ هَرِمًا أَرَادَ أَنْ يَذْفَعَهُمَا عَنْ نَفْسِهِ
فَأَعْتَدَرَ بِمَا قَالَ . لَكِنْ لَمْ يُنْكَرَا قَوْلَهُ إِذْعَانًا لِلْحَقِّ قَصَارًا إِلَى آيِي
جَهْلٍ لِحِدَاثَةِ سِنِّهِ وَجِدَّةِ ذَهْنِهِ . فَأَبَى أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَهُمَا فَوَجَّعَا إِلَى
هَرِمٍ فَحَكَمَ بَيْنَهُمَا . وَفِيهِ قَالَ لَبِيدٌ :

يَاهِرُمُ ابْنَ الْأَكْرَمِينَ مَنْصِبًا إِنَّكَ قَدْ أُوتِيتَ حُكْمًا مُخْبِيًا
وَقَدْ قَالَتِ الْعَرَبُ : عَلَيْكُمْ بِمُشَاوَرَةِ الشَّبَابِ فَإِنَّهُمْ يَنْتِجُونَ
رَأْيًا لَمْ يَنَاهَ طُولُ الْقِدَمِ . وَلَا أَسْتَوَلَتْ عَلَيْهِ رُطُوبَةُ الْهَرَمِ . وَقَدْ
قَالَ الشَّاعِرُ :

رَأَيْتُ الْعَقْلَ لَمْ يَكُنْ أُنْتَهَابًا وَلَمْ يُقَسَّمْ عَلَى عَدَدِ السِّنِينَ
وَلَوْ أَنَّ السِّنِينَ تَقَاسَمَتْهُ حَوَى الْأَنْهَاءُ أَنْصَبَةَ الْبَنِينَا
وَحَكَى الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : قَالَتْ لِفُلَانٍ حَدَّثَ مِنْ أَوْلَادِ الْعَرَبِ
كَانَ يُجَادِثُنِي فَاثْمَعَنِي بِفَصَاحَةٍ وَمَلَاحَةٍ : أَيْسُرُكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ

مِئَةُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ. وَأَنْتَ أَحَقُّ. قَالَ: لَا. قَالَ: فَقُلْتُ: وَلَمْ. قَالَ:
 أَخَافُ أَنْ يَخْبِي عَلَيَّ حَقِّي جَنَائَةً تَذْهَبُ عَنِّي وَيَقْبِي عَلَيَّ حَقِّي. فَأَنْصُرُ
 إِلَى هَذَا الصَّبِيِّ كَيْفَ اسْتَحْجَجَ بِفَرْطِ ذِكَايِهِ وَأَسْتَنْبِطَ بِجُودَةِ قَرِينَتِهِ مَا
 لَعَلَّهُ يَدِقُّ عَلَى مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ سِنًا وَأَكْثَرُ تَجَرُّبَةً. وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا
 الذِّكَااءِ وَالْفِطْنَةِ مَا حَكَى ابْنُ قُتَيْبَةَ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مَرَّ بِصُيَّانٍ
 يَلْعَبُونَ وَفِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَهَرَّبُوا مِنْهُ إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ:
 مَا لَكَ لَا تَهْرُبُ مَعَ أَصْحَابِكَ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ أَكُنْ عَلَى
 رِيَّةٍ فَأَخَافُكَ وَلَمْ يَكُنْ الطَّرِيقُ ضَيِّقًا فَأُدْوَغَ لَكَ. فَأَقْلَرُ مَا تَضَعُهُ
 هَذَا الْجَوَابُ مِنَ الْفِطْنَةِ وَقُوَّةِ الْمَنَّةِ وَحُسْنِ الْإِبْدِيَّةِ كَيْفَ نَفَى عَنْهُ
 اللَّوْمَ وَأَثَبَتْ لَهُ أَلْحِجَّةَ فَلَيْسَ الذِّكَااءُ غَايَةً. وَلَا جُودَةُ أَقْرَبِيَّةَ نَهَايَةً.

البحث الخامس

في التصور والتمثل

(من كتاب زجر النفس لهرمس)

يَا نَفْسُ إِنَّ مُبْدِعَ الْأَشْيَاءِ وَمُنْشِئَهَا جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَعْيَادُهُ
 أَبَدَكَ وَجَعَلَكَ ذَاتَ التَّصَوُّرِ وَالتَّمَثُّلِ. قَامًا مَا اتَّصَوَّرُ فَتَصَوَّرُكَ الْأَشْيَاءُ
 عَلَى حَقِيقَةِ مَا أَبَدَهُ مُبْدِعُهُ. وَأَمَّا التَّمَثُّلُ فَتَمَثُّلُكَ مَا خَفِيَ عَنْكَ وَنِ
 عَالَمِ الْفَعْلِ بِمَا شَهِدْتَهُ فِي عَالَمِ الْحِسِّ وَثَلَا بِمَثَلٍ وَمَعْنَى بِدَعْنَى كَمَا
 أَنْ تَكُنْ ذَاتُ الصُّورَةِ الْمَطْبُوعَةِ فِي السَّمْعِ عَلَى مَتَاهِ وَحَقِيقَتِكَ فِي
 الطَّائِعِ وَكَمَا تَكُنْ الصُّورَةُ الْمُمَثَّلَةُ فِي الطَّائِعِ عَلَى مَعْنَى حَقِيقَتِكَ فِي
 نَفْسٍ مُثَمِّلَةٍ وَمُصَوِّرَةٍ وَكَمَا يُؤَثِّرُ أَلَا: فِي الرُّؤْيَا عَالَمِي حَرَكَاتِهِ وَتَوَجُّهِ

البعث السادس

الخيال والخيالي

(عن الحاج خلعا بتصرف)

(راجع صفحة ٥ من توطئة عالم الادب)

الْخَيَالُ فِي اللَّغَةِ بِمَعْنَى الشَّخْصِ وَعِنْدَ الْحُكَمَاءِ يُطْلَقُ عَلَى أَحَدَى
أَلْحَوَاسِ أَلْبَاطِنَةِ . وَهُوَ قُوَّةٌ تَحْفَظُ الصُّورَ الْمُرْتَبِصَةَ فِي الْحِسِّ الْمَشْتَرِكِ
إِذَا غَابَتْ تِلْكَ الصُّورُ عَنِ الْحَوَاسِ أَلْبَاطِنَةِ . وَتَحُلُّهُ مَرَحُ التَّجْوِيفِ
أَوَّلًا وَنَ التَّجْوِيفِ الثَّلَاثَةِ لِلدَّاعِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ (١) . وَاسْتَدَلُّوا عَلَى
وُجُودِ الْخَيَالِ بِأَنَّا إِذَا شَاهَدْنَا صُورَةً ثُمَّ ذَهَبَتْ عَنْهَا زَمَانًا ثُمَّ نَشَاهِدُ
مَرَّةً أُخْرَى نَحْكُمُ عَلَيْهَا بِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي شَاهَدْنَاهَا قَبْلَ ذَلِكَ . فَلَوْ لَمْ
تَكُنْ تِلْكَ الصُّورَةُ مُحْفُوظَةً فِينَا زَمَانَ الذُّهُولِ لَأَمْتَنَعَ الْحُكْمُ بِأَنَّهَا
هِيَ الَّتِي شَاهَدْنَاهَا قَبْلَ ذَلِكَ . (وَالْخَيَالِيُّ) يُطْلَقُ عَلَى الصُّورَةِ الْمُرْتَبِصَةِ
فِي الْخَيَالِ الْمَتَّاعِيَةِ إِلَيْهِ مِنْ طَرَفِ الْحَوَاسِ . وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى الْمَعْدُومِ
الَّذِي اخْتَرَعَتْهُ الْخَيَالَةُ وَرَكَّبَتْهُ مِنَ الْأَهْوِاءِ الْمُحْسُوسَةِ أَيْ الْمُدْرَكَةِ
بِالْحَوَاسِ الظَّاهِرَةِ . وَيقُولُونَ مِنَ الْأَهْوِاءِ الْمُحْسُوسَةِ خَرَجَ الْوَهْمِيُّ بِمَعْنَى
مَا اخْتَرَعَتْهُ الْقُوَّةُ الْخَيَالِيَّةُ اخْتِرَاعًا صَرَفًا عَلَى تَحْوِيلِ الْمُحْسُوسَاتِ وَبِهَذَا الْمَعْنَى
يُسْتَعْمَلُ فِي بَابِ التَّشْبِيهِ كَمَا فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَكَانَ فَخْمَرُ الشَّقِيقِ مِ إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدَ
أَعْلَامُ يَاقُوتٍ نُشِرَ نَ عَلَى رِيَّاحٍ مِنْ ذَرْبِ جَدِّ

(١) ليس هذا الرأي بمقرر

فَإِنَّ الْأَعْلَامَ الْيَاقُوتِيَّةَ الْمُنْشُورَةَ عَلَى الرِّمَاحِ الزَّيْجَدِيَّةِ . مِمَّا لَا
يُذَرِّكُهُ الْحَسُّ لِأَنَّ الْحَسَّ إِنَّمَا يُذَرِّكُ مَا هُوَ مُوجُودٌ فِي الْمَادَّةِ حَاضِرَةٌ
عِنْدَ الْمُذَرِّكِ عَلَى هَيْئَاتٍ مُحْسُوسَةٍ نَخْصُوصَةٍ بِهِ . لَكِنَّ مَا أَتَتْهُ أَلْتِي
يَتَرَكَّبُ هُوَ مِنْهَا كَالْأَعْلَامِ وَالْيَاقُوتِ وَالرِّمَاحِ وَالزَّيْجَدِ كُلِّ وَنَهَا
مُحْسُوسٌ بِالْبَصَرِ

البحث السابع

في الحافظة

(عن الماوردي باختصار)

(راجع صفحة ٦٥٥ من توطئة علم الادب)

رُبَّمَا اسْتَفْتَلَ الْمُتَعَلِّمُ الدَّرْسَ وَالْحِفْظَ وَاتَّكَلَ بَعْدَ فَهْمِ الْمَعَانِي
عَلَى الرَّجُوعِ إِلَى الْكُتُبِ وَالطَّلَاقَةِ فِيهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ فَلَا يَكُونُ إِلَّا
كَمَنْ أَطْلَقَ مَا صَادَهُ ثِقَةً بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ بَعْدَ الْإِلَهْتِنَاعِ مِنْهُ فَلَا تُعْقِبُهُ
الْبَقِيَّةُ إِلَّا خَجَلًا وَالتَّفْرِيطُ إِلَّا نَدَمًا . وَهَذِهِ حَالٌ قَدْ يَدْعُو إِلَيْهَا أَحَدُ
ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : الصَّغِيرُ مِنْ مُعَانَاةِ الْحِفْظِ وَمُرَاعَاةِ وَطُولِ الْأَسْرِ
فِي التَّوَقُّفِ عَلَيْهِ عِنْدَ تَشَاطُرِهِ وَفَسَادِ الرَّأْيِ فِي عَزِيمَتِهِ وَلَيْسَ يَعْلَمُ أَنَّ
الصَّغِيرَ خَائِبٌ وَأَنَّ الطَّوِيلَ الْأَمَلَ مَعْرُودٌ وَأَنَّ الْقَاسِدَ الرَّأْيَ مُصَابٌ .
وَأَنْتَرَبُ تَقُولُ فِي أَمَثِلِهَا : حَرَفٌ فِي قَلْبِكَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ فِي كَتِّكَ .
وَقَالُوا : لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَعْبُرُ مَعَكَ الْوَادِي وَلَا يَعْبُرُ بِكَ الْأَدْيَا .
وَأَنْشَدْتُ عَنْ الرَّبِيعِ الشَّافِعِيِّ :

عَلِمِي مَعِيَ حَيْثُ مَا يَمِيتُ يَنْفَعُنِي
قَلْبِي وَعَاءُ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدُوقِي

إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِيَ
أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ

وَرَبَّمَا اعْتَقَى الْتَعْلَمُ بِالْحِفْظِ مِنْ غَيْرِ تَصَوُّرٍ وَلَا فَهْمٍ حَتَّى يَصِيرَ
حَافِظًا لَا لَفَظًا أَلْمَاعِي قِيمًا بِتَلَاوتِهَا وَهُوَ لَا يَتَصَوَّرُهَا وَلَا يَفْهَمُ مَا
تَضَمَّنَهَا يَرْوِي بِغَيْرِ رَوِيَّةٍ وَيُخْبِرُ عَنْ غَيْرِ خَبَرَةٍ فَهُوَ كَالْكِتَابِ الَّذِي
لَا يَدْفَعُ شُبُهَةً وَلَا يُؤَيِّدُ حُجَّةً وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: هَمَّةُ الشَّفَاءِ الرِّوَايَةُ .
وَهَمَّةُ الْعُلَمَاءِ الرِّعَايَةُ . وَرَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ: كُونُوا لِلْعِلْمِ رِعَاةً . وَلَا
تَكُونُوا لَهُ رَوَاةً . فَقَدْ يَرْعَوِي مَنْ لَا يَرْوِي . وَيَرْوِي مَنْ لَا يَرْعَوِي .
وَحَدَّثَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ بِحَدِيثٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا سَعِيدٍ عَمَّنْ .
قَالَ: مَا تَصْنَعُ بَعَمَّنْ . أَمَا أَنْتَ فَقَدْ نَأْتِكَ عِظَتُهُ وَقَامَتْ عَلَيْكَ
حُجَّتُهُ

وَرَبَّمَا اعْتَمَدَ عَلَى حِفْظِهِ وَتَصَوُّرِهِ وَأَغْفَلَ تَقْسِيدَ الْعِلْمِ فِي كُتُبِهِ
شَقَّةً بِمَا اسْتَقَرَّ فِي ذَهْنِهِ وَهَذَا خَطَأٌ مِنْهُ لِأَنَّ الشَّكْلَ مُغْتَرَضٌ
وَالنِّسْيَانُ طَارِقٌ . وَقَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ: أَجْعَلْ مَا فِي الْكُتُبِ رَأْسَ
أَمَالٍ وَمَا فِي الْقُلُوبِ النِّفَقَةَ . وَقَالَ مَهْبُورٌ: لَوْ لَا مَا عَقَدَتْهُ الْكُتُبُ
مِنْ تَجَارِبِ الْأَوَّلِينَ لَا تَحُلُثُ مَعَ النِّسْيَانِ عُقُودَ الْآخِرِينَ

البحث الثامن

في تفسير الذوق في مصطلح اهل البيان

(مقدمة ابن خلدون)

(راجع صفحة ٦ من توطئة علم الادب)

اعلم ان لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون الآتيان . وهما
حصول ملكة البلاغة للسان الآتي هي مطابقة الكلام للمعنى من
جميع وجوهه بخواص تقم للتركيب في إفادة ذلك . فالتمت كنه
لسان العرب وأبلغ فيه يتحرى الهيئة الفريدة . ذلك على اسباب
العرب واتخاذ مخاطباتهم وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده .
فإذا اتصلت مقاماته بخاططة كلام العرب حصلت الملكة في
نظم الكلام على ذلك الوجه وسهل عليه أمر التركيب حتى لا يجد
يخفى فيه غير معنى البلاغة الآتي للعرب . وإن سمع تركيباً غير حار
على ذلك المعنى حبه ونبا عنه سمعه بأذى ففكر بل وببر فكر الاء
استفاده من حصول هذه الملكة . فإن الملكات اذا استشر
ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلت لذلك حيل . وان
يظن كثير من الغفيلين ممن لم يعرف شأن الملكات ان الحبوب
للعرب في لغتهم اغراباً وبلاغة أمر طبيعي ويقول : كانت العرب تلاقى
بالطبع . وليس كذلك . وإنما هي ملكة لسانية في نظم كلام
تمكنت ورسخت فظهرت في بادي الرأي أنها جبة . وطعم وهذه

الملكة كما تقدم إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه . وليست تحصل بعرقه القوائين العلمية في ذلك التي استنبطها أهل صناعة اللسان . فإن هذه القوائين إنما تفيدها علماً بذلك اللسان ولا تفيده حصول الملكة بالفعل في محاتها . وإذا تقرر ذلك فملكة البلاغة في اللسان تهدي البليغ إلى وجوه الظلم وحسن التزكيب المتوافق لتراكيب العرب في لغتهم وظلم كلامهم . ولو رام صاحب هذه الملكة حيداً عن هذه السبيل العينة والتراكيب المخصوصة لما قدر عليه ولا واقعة عليه لسانه لأنه لا يعتاده ولا تهديه إليه ملكته الراسخة عنده . وإذا عرض عليه الكلام حائداً عن أسلوب العرب وبلاغتهم في ظلم كلامهم أغرض عنه ومجه وعلم أنه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم . وربما يعجز عن الاختجاج بذلك كما تصنع أهل القوائين النحوية والبيانية . فإن ذلك استدلال بما حصل من القوائين المفاخرة بالاستقراء وهذا أمر وجدائي حاصل بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم . ومثاله لو فرضنا صيائون صيائهم نشأ ورى في جيلهم فإنه يتعلم لغتهم ويحكيه شأن الأعراب والبلاغة فيها حتى يستولي على غايتها ويس من العلم القواني في سني . وإنما هو بحصول هذه الملكة في لسانه ونطقه . وكذلك تحصل هذه الملكة لمن بعد ذلك الحيل يحفظ كلامهم وأشعارهم وخطيبهم والداوغة على ذلك بحيث يحصل الملكة ويصير كواحد ممن نشأ في جيلهم ورى بين

أَحْيَاهُمْ. وَالْقَوَائِنُ يَمْزِلُ عَنْ هَذَا. وَأَسْتَعِيرَ لَهُذِهِ الْمَلَكَةُ عِنْدَمَا تَرْتُخُ
وَتَسْتَقِرُّ أَسْمُ الذَّوْقِ الَّذِي أَضْطَحَّ عَلَيْهِ أَهْلُ صِنَاعَةِ أَلْيَانِ. وَالذَّوْقُ
إِنَّمَا هُوَ مَوْضِعٌ لِذَرَاكِ الطُّعُومِ لَكِنْ لَمَّا كَانَ مَحَلُّ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فِي
أَلْسَانٍ مِنْ حَيْثُ انْطَقَ بِالْكَلَامِ كَمَا هُوَ مَحَلُّ لِذَرَاكِ الطُّعُومِ اسْتَعِيرَ
لَهَا أَسْمُهُ وَآيُضًا فَهُوَ وَجَدَانِي لِلسَّانِ كَمَا أَنَّ الطُّعُومَ تَحْسُوسُهُ لَهُ فَقِيلَ
لَهُ ذَوْقٌ. وَإِذَا تَبَيَّنَ لَكَ ذَلِكَ عَلِمْتَ مِنْهُ أَنَّ الْأَعَاجِمَ الدَّاهِلِينَ فِي
أَلْسَانِ الْعَرَبِيِّ الطَّارِئِينَ عَلَيْهِ الْمُضْطَرِّينَ إِلَى انْطِقَ بِهِ لِحَاطَةِ أَهْلِهِ
كَأَلْفَرَسٍ وَالرُّومِ وَالْأَثَرِ بِالشَّرْقِ وَكَأَلْبَزِيرِ بِالْمَغْرِبِ فَإِنَّهُ لَا يَحْصُلُ
لَهُمْ هَذَا الذَّوْقُ لِقُصُورِ حَظِّهِمْ فِي هَذِهِ الْمَلَكَةِ الَّتِي قُورِنًا أَمْرُهَا.
لِأَنَّ قُصَارَاهُمْ بَعْدَ طَائِفَةٍ مِنَ الْعُمَرِ وَسَبَقَ مَلَكَةُ أُخْرَى إِلَى أَلْسَانِ
وَهِيَ لُغَاتُهُمْ أَنْ يَعْتَمِدُوا بِمَا يَتَدَاوَلُهُ أَهْلُ الْمَضَرِّ (١) بَيْنَهُمْ فِي الْحَاوِرَةِ وَنَ
مُفْرَدٍ وَمُرَكَّبٍ لِمَا يَضْطَرُّونَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَهَذِهِ الْمَلَكَةُ فَذْ ذَهَبَتْ
لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ وَبَعْدُوا عَنْهَا كَمَا تَقَدَّمَ. وَإِنَّمَا لَهُمْ فِي ذَلِكَ مَلَكَةٌ
أُخْرَى وَلَيْسَتْ هِيَ مَلَكَةُ أَلْسَانِ الْمَطْلُوبَةِ. وَمَنْ عَرَفَ تِلْكَ الْمَلَكَةَ
مِنَ الْقَوَائِنِ الْمُسْطَرَّةِ فِي الْكُتُبِ فَلَيْسَ مِنْ تَحْصِيلِ الْمَلَكَةِ فِي شَيْءٍ.
إِنَّمَا حُصِّلَ أَحْكَامُهَا كَمَا عَرَفْتَ وَإِنَّمَا تَحْصُلُ هَذِهِ الْمَلَكَةُ بِالْمَسَارَسَةِ
وَالْإِعْتِيَادِ وَالتَّكْرُرِ لِكَلَامِ الْعَرَبِ. فَإِنْ عَرَضَ لَكَ مَا تَسْعُهُ مِنْ
أَنَّ سِبْيَوِيَّهَ وَالْفَارِسِيَّ وَالزُّخْمَشَرِيَّ وَأَمَّا لَهُمْ مِنْ فُرْسَانِ الْكَلَامِ
كَأَنَّهُمْ أَنْجَمًا مَعَ حُصُولِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ لَهُمْ فَأَعْلَمُ أَنَّ أَوْلَيْكَ قَوْمَ

الَّذِينَ تَسْمَعُ عَنْهُمْ إِذَا كَانُوا عَجَمًا فِي نَسَبِهِمْ فَقَطَّ وَآمَّا الْمَرْبَى وَالنَّشَاءَ
فَكَانَتْ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ مِنَ الْعَرَبِ وَمَنْ تَعَاهَا مِنْهُمْ
فَأَسْتَوُوا بِذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى غَايَةِ لَا وَرَاءَهَا . وَكَانَتْهُمْ فِي أَوَّلِ
نَشَاتِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ الَّذِينَ نَشَأُوا فِي أَحْيَائِهِمْ (١) حَتَّى أَدْرَكُوا كُنْهَ اللُّغَةِ
وَصَارُوا مِنْ أَهْلِهَا . فَهُمْ وَإِنْ كَانُوا عَجَمًا فِي النَّسَبِ فَلَيْسُوا بِعَجَمٍ فِي
اللُّغَةِ وَالْكَلَامِ لِأَنَّهُمْ أَدْرَكُوا أَلِلَّةَ فِي عُقُوبَاتِهَا وَاللُّغَةَ فِي شَبَابِهَا وَلَمْ
تَذْهَبْ أَتَارُ الْمَلَكَةِ وَلَا مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ . ثُمَّ عَكَفُوا عَلَى الْمُمَارَسَةِ
وَالْمُدْرَاسَةِ لِكَلَامِ الْعَرَبِ حَتَّى اسْتَوَلُوا عَلَى غَايَتِهِ . وَالْوَلَدُ أَيُّومَ وَنِ
أَتَجَمُّ إِذَا خَالَطَ أَهْلَ أَلْسَانِ الْعَرَبِيِّ بِالْأَمْصَارِ فَأَوَّلُ مَا يَجِدُ تَاكَ
أَلِلَّةَ الْمُتَوَدِّدَةِ مِنَ أَلْسَانِ الْعَرَبِيِّ مُسْتَحِيَّةَ الْآثَارِ وَيَجِدُ مَلِكْتَهُمْ
لِخَاصَّةِ بِهِمْ مَلِكَةً أُخْرَى مُخَالَفَةً لِمَلَكَةِ أَلْسَانِ الْعَرَبِيِّ . ثُمَّ إِذَا وَضَعْنَا
أَنَّهُ أَقْبَلَ عَلَى الْمُمَارَسَةِ لِكَلَامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارَهُمْ بِالْمُدْرَاسَةِ وَالْحِفْظِ
يَسْتَفِيدُ نَحْصِلَهَا فَقَدْ أَنْ يَحْضُرَ لَهُ مَا قَدَّمَاهُ . وَإِنْ أَلِلَّةَ إِذَا
سَبَقَتْهَا مَلِكَةً أُخْرَى فِي التَّحَلُّلِ فَلَا تَحْضُرُ إِلَّا نَاقِصَةً مُخْدُوتَةً . وَإِنْ
فَرَضْنَا عَجَمِيًّا فِي النَّسَبِ سَامٍ مِنْ مُخَالَفَةِ لِّلْسَانِ الْعَجَمِيِّ بِالْكَلِمَةِ
وَذَهَبَ إِلَى تَعَلُّمِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ بِالْحِفْظِ وَالْمُدْرَاسَةِ قَرَبًا يَحْضُرُ لَهُ ذَلِكَ
لِكُنْهِ مِنَ التَّدْوِيرِ بَحِثَ لَا يَحْفَظُ عَلَيْكَ بِمَا تَقَرَّرَ . وَرَبَّمَا يَدْعِي كَثِيرٌ مَنْ
يَنْظُرُ فِي هَذِهِ الْقَوَائِنِ أَلِيلِيَّةً حُضُولَ هَذَا الذَّوْقِ لَهُ بِهَا وَهُوَ غَلَطٌ أَوْ
مُغَالِطَةٌ وَإِنَّمَا حَصَلَتْ لَهُ الْمَلَكَةُ إِنْ حَصَلَتْ فِي تِلْكَ الْقَوَائِنِ أَلِيلِيَّةً

وَلَيْسَتْ مِنْ مَلَكَوَةِ الْعِبَارَةِ فِي شَيْءٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

البحث التاسع

في المطالعة

(المثل السائر لابي الفتح بن الاتير الموصلي)

(راجع صفحة ٨ من توطئة علم الادب)

إِنَّ فِي الْإِطْلَاعِ عَلَى كَلَامِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَنَ الْمَنْظُومِ وَتَنْشُودِ
فَوَائِدِ حَمَّةٍ لَا تَعْلَمُ وَنُهُ أَغْرَاضِ النَّاسِ وَنَتَائِجِ أَفْكَارِهِمْ وَيَعْرِفُ
بِهِ مَقَاصِدُ كُلِّ فَرِيقٍ وَنُهُمْ وَإِلَى أَيْنَ تَرَامَتْ بِهِ صَنْعَتُهُ فِي ذَلِكَ . قَالِ
هَذِهِ الْأَشْيَاءُ بِمَا تَشْتَحِدُ الْقَرِيحَةَ وَتُرَكِّي الْفِطْنَةَ . وَإِذَا كَانَ ذَا حُبِّ
هَذِهِ الصَّنَاعَةِ عَارِفًا بِهَا تَصِيرُ الْمَعَانِي الَّتِي ذَكَرْتُ وَتَعَبَ فِي أَسْتَمْرِ جِوَا
كَأَشْيِ الْمُنْتَمَى بَيْنَ يَدَيْهِ يَأْخُذُ مِنْهُ مَا أَرَادَ . وَإِضَافَتُهُ إِذَا كَانَ
مُطْلِعًا عَلَى الْمَعَانِي الْمَسْبُوقِ إِلَيْهَا قَدْ يَنْقَادُ لَهُ مِنْ بَيْنِهَا مَعْنَى غَرِيبٌ
لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ . وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ خَوَاطِرَ النَّاسِ وَإِنْ كَانَتْ مُتَفَارِقَةً
فِي الْجُودَةِ وَالرَّدَاءَةِ فَإِنَّ بَعْضَهَا لَا يَكُونُ عَالِيًا عَلَى بَعْضٍ أَوْ مُخْطِئًا
عَنْهُ إِلَّا بِشَيْءٍ يَسِيرٍ . وَكَثِيرًا مَا تَتَسَاوَى الْأَقْرَانُجُ وَالْأَفْكَارُ فِي
الْإِثْنَانِ بِالْمَعَانِي حَتَّى إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ يَأْتِي بِمَعْنَى مَوْضُوعٍ بِالْفِظِ
ثُمَّ يَأْتِي الْآخَرُ بَعْدَهُ بِذَلِكَ الْمَعْنَى وَاللَّفْظِ بِعَيْنِهَا وَنَ غَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُ
بِمَا جَاءَ بِهِ الْأَوَّلُ وَهَذَا الَّذِي يُسَمِّيهِ أَرْبَابُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَقَوْسَ الْخَافِرِ
عَلَى الْخَافِرِ

البحث العاشر

في الارتياض والممارسة

(المثل السائر والوثي المرقوم لابن الاتير)

(راجع صفحة ٩ و ١٠ من توطئة علم الادب)

اعلم ايها الناظر في كتابي ان مدار علم البيان على حاكم
الذوق السليم الذي هو اتق من ذوق التعليم. وهذا الكتاب وإن
كان فيما ياقبه اليك استاذاً أو اذا سألت عما ينتفع به في فقه قليل
لك هذا فإن الدربة والأدمان أجدي عليك شغاً وهدى بصراً
وسمعا. وهما يراك الخبر عياناً ويجعلان عسرك من أقول إمكانا
وكل جارية منك قلباً ولساناً. تحذون هذا الكتاب ما أعطاك
وأستنط مادامك ما أخطاك. وما متلي فيما مهدته لك من هذا
الطريق الاكن طبع سيفاً ووضع في يمينك لنقاتل به ونيس عليه
أن يخاق لك قلباً فإن حمل ابحال غير مبشرة القتال
وإنما يأن الإنسان غابته ما نكل ماشية بالرحل شلال
وإن صاحب الكتابة لا يرى في أمره إلا ضغوبة ووغورة
وطريقاً مستكة المذاهب كندرة السحاب. فإذا أكره خاطره على
سلوكها وشجعه على توردها فما دنى به هنية حتى يستير به الصريق
ويتضح لديه. والتعب على منازل علياء إماره

البحث الحادي عشر

في طرائق مختلفة من الممارسة والتمرين

(المثل السائر باختصار)

(راجع صفحة ١٠ من توطئة علم الادب)

هَذَا الْفَصْلُ هُوَ كَثَرُ الْكِتَابَةِ وَنَبْعُهَا وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَتَكَلَّمُ فِيهِ بِشَيْءٍ وَلَمَّْا حُبَّتْ إِلَيَّ هَذِهِ الْفَضِيلَةُ وَبَانَتْ لِي أَنَّ اللَّهَ مِنْهَا مَا بَانِي وَجَدْتُ الطَّرِيقَ يَنْقَسِمُ فِيهَا إِلَى ثَلَاثِ شُعَبٍ : (الْأُولَى) أَنْ يَتَصَفَّحَ الْكَاتِبُ كِتَابَةَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَيَطَّلِعَ عَلَى أَوْسَاعِهِمْ فِي اسْتِعْمَالِ الْأَلْفَاظِ وَالْعَلَايِ ثُمَّ يَخْذُو حَذْوَهُمْ . وَهَذِهِ أَذْنَى الطَّبَقَاتِ عِنْدِي . (الثَّانِيَّةُ) أَنْ يَمِزْجَ كِتَابَةَ الْمُتَقَدِّمِينَ بِمَا يَسْتَحْسِنُهُ لِنَفْسِهِ مِنْ زِيَادَةِ حَسَنَةِ أَمْرِ فِي تَحْسِينِ الْأَلْفَاظِ أَوْ فِي تَحْسِينِ الْعَلَايِ . وَهَذِهِ الطَّبَقَةُ الْوَسْطَى وَهِيَ أَعْلَى مِنْ أَلَّتِي قَبْلَهَا . (الثَّالِثَةُ) أَنْ لَا يَتَصَفَّحَ كِتَابَةَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَلَا يَطَّلِعَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا بَلْ يَصْرِفَ هَمَّهُ إِلَى حِفْظِ الْحَدِيثِ وَالْأَخْبَارِ وَعِدَّةٍ مِنْ دَوَائِينَ قَوْلِ الشُّعْرَاءِ يَمِّنُ غَلَبَ عَلَى شِعْرِهِ الْإِجَادَةُ فِي الْعَلَايِ وَالْأَلْفَاظِ . ثُمَّ يَأْخُذُ فِي الْإِقْتِنَاسِ مِنْ هَذِهِ فَيَقُومُ وَيَقَعُ وَيُخْطِئُ وَيُصِيبُ وَيَضِلُّ وَيَهْتَدِي حَتَّى يَسْتَقِيمَ عَلَى طَرِيقَةٍ يَفْتَحِيهَا لِنَفْسِهِ . وَأَخْلُقُ بِتِلْكَ الطَّرِيقِ أَنْ تَكُونَ مُبْتَدَعَةً غَرِيبَةً لَا شَرَكَةَ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ فِيهَا . وَهَذِهِ الطَّرِيقُ هِيَ طَرِيقُ الْإِجْتِهَادِ وَصَاحِبُهَا يُعِدُّ أَمْرًا فِي قَرْنِ الْكِتَابَةِ . إِلَّا أَنَّهَا مُسْتَوْعَرَةٌ جِدًّا وَلَا يَسْتَطِيعُهَا إِلَّا مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ

تَعَالَى إِسَانًا هَجَامًا وَخَاطَرًا رَقَامًا وَإِنَّمَا تَكُونُ نَفَاسَةُ الْأَشْيَاءِ بِعِزَّةِ حُصُولِهَا
وَمَشَقَّةِ وُضُوعِهَا :

لَيْسَ خَلَوْا وَجُودُكَ الشَّيْءَ تَبِعِهِ م طَلَابًا حَتَّى يَعَزَّ طِلَابُهُ
وَهَذِهِ الطَّرِيقُ يَبْهَلُهَا كَثِيرٌ مِنْ مُتَعَاظِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَالَّذِي
يَعْلَمُهَا . نَهْمُ يَرْضَى بِالْحَوَاشِي وَالْأَطْرَافِ وَيَقْنَعُ وَنَ لَا لِيَهَا بِمَعْرِفَةِ مَا
فِي الْأَصْدَافِ . وَلَا أُرِيدُ بِهِذِهِ الطَّرِيقَةَ أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ مُرْتَبِطًا
فِي كِتَابَتِهِ بِمَا يَسْتَخْرِجُهُ بَحِثُ أَنَّهُ لَا يَنْشِئُ كِتَابًا إِلَّا وَنَ ذَلِكَ بَلْ
أُرِيدُ أَنَّهُ إِذَا حَفِظَ بِمَا قَدَمْنَا شَيْئًا ثُمَّ نَقَّبَ عَنْ ذَلِكَ تَنْقِيبَ مُطَّلِعٍ
عَلَى مَعَانِيهِ مُفْتِشٌ عَنْ دِفَائِنِهِ وَقَلْبُهُ ظَهْرًا لِبَطْنِ عَرَفٍ جَيِّدٌ وَنَ آيَنَ
نُوكُلُ الْكَتِفِ فِيمَا يَنْشِئُهُ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ وَأَسْتَعَانَ بِالْمَحْفُوظِ عَلَى
الْعَرِيزَةِ الطَّبِيعِيَّةِ . أَلَا تَرَى صَاحِبَ الْأَجْتِهَادِ مِنَ الْأَفْقَهَاءِ يَنْفَتِرُ إِلَى
مَعْرِفَةِ أَخْبَارِ الْأَحْكَامِ وَإِلَى مَعْرِفَةِ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَفْرَاضِ وَالْحِسَابِ
مِنْ الْمَعْلُومِ وَالْمَجْهُولِ . وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْحُكْمُ فِي الْكَاتِبِ إِذَا
أَحَبَّ التَّرَقِّيَ إِلَى دَرَجَةِ الْأَجْتِهَادِ فِي الْكِتَابَةِ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى أَدَوَاتٍ
كَثِيرَةٍ سَنَذْكُرُهَا

فصل في صفة الكاتب وما يحتاج اليه من المعارف

البحث الاول

في صفة الكاتب الظاهرة

(عن ابراهيم الشيباني وآثار الاول الحسن بن عبدالله)

قِيلَ إِنَّهُمْ قَدْ اسْتَحْسَنُوا فِي الْكَاتِبِ اَعْتِدَالَ الْقَامَةِ وَصَغَرَ اَلْهَامَةِ
وَخَفَةَ اَللِّهَازِمِ وَصَدَقَ اَلْحَسْرَ وَلُطْفَ اَلْمَذْهَبِ وَحَلَاوَةَ اَلشَّمَائِلِ وَحُسْنَ
اَلْاِشَارَةِ وَمَلَامَةَ اَلرَّيِّ حَتَّى قَالَ بَعْضُ اَلْمُهَاجِرَةِ لَوْلَا بَرِي : تَرْتَبُوا بَرِي
اَلْكِتَابَ قَانَ فِيهِمْ اَدَبَ اَلْمُلُوكِ وَتَوَاضَعَ اَلسُّوقَةِ . وَقِيلَ : اِنْ
مِنْ كَمَالِ اَلْاَلَةِ اَلْكِتَابَةِ اَنْ يَكُونَ اَلْكَاتِبُ تَقِيَّ اَلْمَلْبَسِ تَظْلِفَ
اَلْجِلْسِ ظَاهِرَ اَلْمُرُوءَةِ دَقِيقَ اَلذِّهْنِ حَسَنَ اَلْفَهْمِ وَافِرَ اَلْعِلْمِ وَاعْقِلَ
صَادِقَ اَلْحَسَنِ حَسَنَ اَلْبَيَانِ صَحِيحَ اَلرَّأْيِ وَاَلْعِبَادَةِ مَلِيحَ اَلتَّائِي فِي نَظْمِ
اَلْمَعَانِي وَنَثَرِهَا دَقِيقَ حَوَاشِي اَللِّسَانِ حُلُوَ اَلْاِشَارَةِ مَلِيحَ اَلْاِسْتِعَارَةِ
لَطِيفَ اَلْمَسَالِكِ مُسْتَقِرَّ اَلتَّرَكِيبِ . وَلَا يَكُونُ مَعَ ذَلِكَ قَدَمُ اَلْمُنْظَرِ
مُتَفَاوِتَ اَلْاَجْزَاءِ مُضْطَرِبَ اَلخَافِي . فَإِنَّهُمْ زَعَمُوا اَنْ هَذِهِ اَلصُّورَةُ
لَا يَلِيْقُ بِصَاحِبِهَا اَلذِّكَاءُ وَاَلْفِطْنَةُ . وَاِنْ اَتَّفَقَ اَنْ يَكُونَ حَسَنَ اَلخَطِّ
فَهُوَ كَمَالُهُ وَآلَا فَيَكُونُ هُوَ اَلْمُنْشِئُ وَغَيْرُهُ اَلْكَاتِبُ . وَنَظَرَ اَحْمَدُ
اَبْنُ خَصِيبٍ اِلَى رَجُلٍ وَنَ اَلْكِتَابِ عَلَى هَذِهِ اَلْهَيْئَةِ فَقَالَ : لَآنَ
يَكُونُ هَذَا فِطَاسَ مَرْكَبٍ اَشْبَهُ مِنْ اَنْ يَكُونَ كَاتِبًا . قَالَ بَعْضُهُمْ :
عَلَيْكَ يَكَاتِبُ لِقِي رَشِيقٍ دَكِيٍّ فِي شَمَائِلِهِ حَدَارَةٌ

تُتَاجِه بِطَرَفِكَ وَنَ بَعِيدَ فَيَفْهَمُ رَجَعَ لِحُطِّكَ بِالْإِشَارَةِ
فَإِذَا أَجْتَمَعَتِ لِلْكَاتِبِ هَذِهِ الْخِلَالُ وَانْتِظَمَتْ فِيهِ هَذِهِ الْخِصَالُ
فَهُوَ الْكَاتِبُ الْبَلِيعُ وَالْأَدِيبُ الْخَرِيدُ وَإِنْ قَصُرَتْ بِهِ آتَةٌ مِنْ هَذِهِ
الْآلَاتِ وَقَعَدَتْ بِهِ آدَاةٌ مِنْ هَذِهِ الْأَدَوَاتِ فَهُوَ مَنْقُوصُ الْجَمَالِ
مُتَكَسِفُ الْحُسْنِ مَخْجُونُ النَّصِيبِ

البحث الثاني

في ادوات علم الكتابة

(عن المثل السائر لابن الاثير الموصلي باختصار)

إِعْلَمْ أَنَّ صِنَاعَةَ تَأْلِيفِ الْكَلَامِ مِنَ الْإِنْظُومِ وَالْمِنْشُورِ تَفْتَقِرُ
إِلَى آلَاتٍ كَثِيرَةٍ . وَقَدْ قِيلَ : يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِكُلِّ عِلْمٍ
حَتَّى قِيلَ : كُلُّ ذِي عِلْمٍ يَسُوعُ لَهُ أَنْ يَنْسَبَ نَفْسُهُ إِلَيْهِ فَيَقُولَ : فُلَانُ
الْخَوْرِيُّ وَفُلَانُ الْفَقِيهُ وَلَا يَسُوعُ لَهُ أَنْ يَنْسَبَ نَفْسُهُ إِلَى الْكِتَابَةِ فَيَقُولَ :
فُلَانُ الْكَاتِبُ وَذَلِكَ لِمَا يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ مِنَ الْخَوْضِ فِي كُلِّ فَنٍّ . وَمِمَّا لَكَ هَذَا
كُلِّهِ الطَّبَعُ فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ ثُمَّ طَبِعَ فَإِنَّهُ لَا تُغْنِي تِلْكَ الْآلَاتُ
شَيْئًا . وَمِثَالُ ذَلِكَ كَمَثَلِ النَّارِ الْكَامِنَةِ فِي الزَّرَادِ وَآخِذِيْدَةِ الْيَتِي
يُقَدِّحُ بِهَا . أَلَا تَرَى أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الزَّرَادِ نَارٌ لَا تُقَدِّحُ تِلْكَ
الْحَدِيدَةُ شَيْئًا . وَكَثِيرًا مَا رَأَيْنَا مِنْ غَرَائِبِ أَطْبَاعٍ فِي تَعَلُّمِ الْعُلُومِ
حَتَّى إِنْ بَعْضُ النَّاسِ يَكُونُ لَهُ نَقَازٌ فِي تَعَلُّمِ عِلْمٍ مُشْكِلٍ أَلَسَلَكِ
صَغْبٍ أَلَاخَذِ فَإِذَا كَلِيفَ تَعَلَّمَهُ مَا هُوَ دُوْنَهُ مِنْ سَهْلِ الْعُلُومِ نَكَسَ

عَلَى عَقِبِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِ نَفَاذٌ . وَأَغْرَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ
الطَّبْعِ فِي الْمَنْظُومِ يُجِيدُ فِي الْمَدِيحِ دُونَ الْهَجَاءِ . أَوْ فِي الْهَجَاءِ دُونَ
الْمَدِيحِ أَوْ يُجِيدُ فِي الْمَرَاثِي دُونَ التَّهَانِي أَوْ فِي التَّهَانِي دُونَ الْمَرَاثِي .
وَكَذَلِكَ صَاحِبُ الطَّبْعِ فِي الْمَنْشُورِ . هَذَا ابْنُ الْحَرِيرِيِّ صَاحِبُ الْمَقَامَاتِ
قَدْ كَانَ عَلَى مَا طَهَّرَ عَنْهُ مِنْ تَشَبِيهِ الْمَقَامَاتِ وَاجِدًا فِي فَنِّهِ فَلَمَّا
حَضَرَ بَغْدَادَ وَوَقَفَ عَلَى مَقَامَاتِهِ قِيلَ هَذَا يَنْسُطِلُ لِكِتَابَةِ الْأَنْشَاءِ
فِي دِيوَانِ الْخِلَافَةِ وَيَحْسُنُ أَرْثُهُ فِيهِ . فَأَحْضَرَ وَكَلَّفَ كِتَابَةَ كِتَابِ
فَاتِحِهِ وَلَمْ يَجِرْ لِسَانُهُ فِي طَوِيلَةٍ وَلَا قَصِيرَةٍ وَبَلَغَنِي عَنْ
السَّخْرِجِيِّ أَبِي مُحَمَّدٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحَشَّابِ التَّحَوِّيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : ابْنُ
الْحَرِيرِيِّ رَجُلٌ مَقَامَاتٍ أَيْ إِنَّهُ لَمْ يُحْسِنْ مِنَ الْكَلَامِ الْمَنْشُورِ
سِوَاهَا وَإِنْ أَتَى بِغَيْرِهَا لَا يَقُولُ شَيْئًا . فَأَظَرُ أَيُّهَا الْمُلَامُ إِلَى هَذَا
الْتِفَافُوتِ فِي الصَّنَاعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْكَلَامِ الْمَنْشُورِ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ
قِيلَ : شَيْئَانِ لَا نِهَايَةَ لَهُمَا أَلْبَيَانُ وَالْجَمَالُ

المبحث الثالث

فيما يجب على الكاتب معرفته

(عن صناعة التمرسل لشهاب الدين الحلبي باختصار)

وَمِمَّا يَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يَنْتَسِحَ بِهِ لِلْكِتَابَةِ قِرَاءَةً بَاتِفَقَ مِنْ
(كُتُبِ الْخَوَالِئِ) الَّتِي يَحْضُلُ بِهَا الْمَقْصُودُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِحَيْثُ يَجْمَعُ
بَيْنَ طَرَفَيْ الْكِتَابِ الَّذِي يَقْرَأُهُ وَيَسْتَكْبِلُ اسْتِشْرَاحَهُ وَيَكِبُّ عَلَى

الْأَعْرَابِ وَيَلَاذِمُهُ وَيَجْعَلُهُ دَأْبَهُ لِيَرْتَسِمَ فِي فِكْرِهِ وَيَدُورَ عَلَى لِسَانِهِ
وَيَنْتَلِقَ بِهِ عِقَالُ قَلْبِهِ وَكَلِمَةُ وَيَزُولُ بِهِ أَلْوَهُمْ عَنْ سَجِيَّتِهِ وَيَكُونُ عَلَى
بَصِيرَةٍ مِنْ عِبَارَتِهِ . فَإِنَّهُ لَوْ آتَى مِنْ أَلْبَلَاغِهِ بِأَتَمِّ مَا يَكُونُ وَلَحَنَ
ذَهَبَتْ مُحَاسِنُ مَا آتَى بِهِ وَأَنْهَدَتْ طَبَقَةُ كَلَامِهِ وَأَلْقَى جَمِيعُ مَا
يُحْسِنُهُ وَوَقَفَ بِهِ عِنْدَ مَا جَهِلَهُ . وَيَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ قِرَاءَةً مَا يَتَّبِعُهَا مِنْ
مُخْتَصَرَاتِ (كُتُبِ أَلُغَةِ) كَالْفَصِيحِ لِتَعْلُبَ وَكَيْفَايَةِ التَّحْقِظِ وَغَيْرِ ذَلِكَ
مِنْ كُتُبِ أَلْفَاظٍ لِيَتَسَعَ عَلَيْهِ نِطَاقُ النُّطْقِ وَيَنْفَسِحَ لَهُ مَجَالُ الْعِبَارَةِ
وَيَنْفَتَحَ لَهُ بَابُ الْأَوْصَافِ فِيمَا يَخْتَاجُ إِلَى وَصْفِهِ مِنْ خَيْلٍ أَوْ سِلَاحٍ أَوْ
حَرْبٍ أَوْ سَيْرٍ أَوْ قِتَالٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ فِيمَا يَخْتَاجُ إِلَى وَصْفِهِ وَيَضْطَرُّ إِلَى
تَعْنِيهِ . وَيَتَّصِلُ بِذَلِكَ حِفْظُ (خُطَبِ أَلْبَاغَاءِ) مِنْ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ
وَمُخَاطَبَتِهِمْ وَمُحَادَرَتِهِمْ وَمُرَاجَعَاتِهِمْ وَمَا أَدْعَاهُ كُلُّ مِنْهُمْ لِنَفْسِهِ أَوْ
لِقَوْمِهِ وَمَا يَقْضِيهِ عَلَيْهِ خَصْمُهُ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ مَعْرِفَةِ أَلْوَقَاعِ بِظَاهِرِهَا
وَتَلَقِّيِ الْخَوَادِثِ بِمَا شَاكَهَا وَالْإِقْتِدَاءُ بِطَرِيقَةٍ مَنْ فَلَاحَ عَلَى خَصْمِهِ
وَأَقْتِنَاءُ آثَارِ مَنْ أَضْطَرَّ إِلَى عُذْرٍ أَوْ إِبْطَالِ دَعْوَى أَوْ إِبْتِهَاجٍ فَحَنَ
بِحُجَّتِهِ وَتَحَاضَّرَ بِأُطْفَافٍ مَأْخُذِهِ وَدَقَّةِ مَسَلِكِهِ وَحُسْنِ عِبَارَتِهِ . . .
فَإَنْظُرْ فِي هَذَا وَأَمْثَالِهِ وَالْحِفْظُ وَنَهْ وَالْإِكْثَارُ مِنْ مُطَالَعَتِهِ فِيمَا يَشْتَدُّ
الْقِرَاجُ وَيَفْتَقُ الْأَذْهَانُ وَيَرْتَسِمُ فِي الْخَوَاطِرِ وَيَكُونُ فِي الْأَفْكَارِ
حَتَّى يَفِيضَ مَا غَاضَ مِنْهُ عَلَى لِسَانِ الْقَلَمِ وَيَبْدُو مِنْهُ لِكُلِّ رَاقِعَةٍ
وَنَوَالٍ يُنْسَجُ عَلَيْهِ وَمِثَالٌ يُنْظَرُ فِي ظَاهِرِ الْأُمُورِ إِلَيْهِ
ثُمَّ انْظُرْ فِي (أَيَّامِ أَعْرَابِ) وَوَقَائِعِهِمْ وَحُرُوبِهِمْ وَتَسْمِيَةِ الْأَيَّامِ

أَتَى كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَمَعْرِفَةٍ يَوْمَ كُلِّ قَبِيلَةٍ عَلَى الْأُخْرَى وَمَا جَرَى
بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَشْعَارِ وَالْمُنَاقَضَاتِ . لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْعِلْمِ بِمَا
يُسْتَشْهَدُ بِهِ مِنْ وَاقِعَةٍ قَدِيمَةٍ أَوْ يَرُدُّ عَلَيْهِ فِي مَكَاتِبَةٍ مِنْ ذِكْرِ أَيَّامٍ
مَشْهُورَةٍ أَوْ ذِكْرِ فَارِسٍ مُعَيَّنٍ وَأَمثالُ ذَلِكَ فِي نَظَائِرِهِ كَثِيرَةٌ
فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ صَاحِبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ عَارِفًا بِكُلِّ يَوْمٍ مِنْ
هَذِهِ الْأَيَّامِ عَالِمًا بِمَا جَرَى فِيهَا لَمْ يَدْرِ كَيْفَ يَجِيبُ عَمَّا يَرُدُّ إِلَيْهِ مِنْ
مِثْلِهَا وَلَا مَا يَقُولُ إِذَا سُئِلَ عَنْهَا وَحَسْبُهُ ذَلِكَ نَقْصًا فِي صِنَاعَتِهِ وَتَضُّورًا
عَمَّا يَحْتَمُّ عَلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَحُسْنِ الْجَوَابِ فِيهِ عِنْدَ أَسْئَالِ عَنْهُ

ثُمَّ (الْتَمَطُ فِي التَّوَارِيخِ) وَمَعْرِفَةُ أَخْبَارِ الدُّوَلِ مِنَ الْإِطْلَاعِ عَلَى
سِيرِ الْمُلُوكِ وَسِيَاسَتِهِمْ وَذِكْرِ وَقَائِعِهِمْ وَمَكَائِلِهِمْ فِي خُرُوبِهِمْ وَمَا اتَّفَقَ
لَهُمْ مِنَ التَّجَارِبِ الَّتِي بَلَّغُوا بِهَا أَقْصَى الْمَآرِبِ وَغَدَتْ لِمَنْ بَعْدَهُمْ كَالْمِرَاقَةِ
الَّتِي تُصَوِّرُ لَهُمْ وُجُودَ التَّدْبِيرِ وَتُرِيهِمْ مَا اسْتَتَرَ سِتْرُهُمْ مِنْ صَغِيرِ أحوالِهِمْ
وَالْكَبِيرِ . فَإِنَّهُ قَدْ يُضْطَرُّ إِلَى السُّرَالِ عَنْ أَحْوَالِ دَنٍ سَافٍ مِنْ
أَوَّلِ الْعَصْرِ وَإِلَى الْآنَ وَيُسْتَحْبَرُ كَيْفَ كَانَ الْأَمْرُ بَيْنَ زَبَدٍ وَتَحَمُّرٍ
وَكَيْفَ انْتَصَرَ مُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ . أَوْ يَرُدُّ عَلَيْهِ فِي كِتَابٍ ذَكَرَ وَافِقَةً
بَعْضُهَا أَوْ يُخْتَمُّ عَلَيْهِ بِصُورَةٍ قَدِيمَةٍ فَلَا يَعْرِفُ حَقِيقَتَهَا وَمِنْ مَجَازِهَا وَلَا
صِدْقَهَا مِنْ مِثْلِهَا

ثُمَّ (حِفْظُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ) وَمَطَالَعَةُ شُرُوحِهَا وَاسْتِكْشَافُ
غَوَامِضِهَا وَالتَّوَقُّفُ عَلَى مَا اخْتَارَهُ الْعُلَمَاءُ وَنَهَكَ كَاخْمَاةَ
وَالْمُفْضِيَّاتِ وَالْأَصْمَعِيَّاتِ وَدِيَوَانِ الْمُتَدَلِّينَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ لِمَا فِي

ذَلِكَ مِنْ غَزَاةِ الْمَوَادِّ وَصِحَّةِ الْأَسْتِشْهَادِ وَكَثْرَةِ الْأَثَرِ وَصَلِّ
 مَرَاةِ الْعَمَلِ وَاتِّبَاعِ الْأَمْتَالِ وَالْأَخْذِ فِي أَخْتِرَاعِ الْمَعَانِي عَلَى أَصَحِّ
 مَثَالٍ وَالْإِطْلَاعِ عَلَى أَصُولِ الْأَعْيَانِ وَشَوَاهِدِهَا وَالْإِضْطِلَاعِ مِنْ نَوَادِرِ
 الْأَعْرِيَةِ وَسَوَارِدِهَا . وَقَدْ كَانَ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ يَعْتَنُونَ بِذَلِكَ غَايَةً
 الْإِتِّبَاعِ . فَذَكَرَ أَنَّ عَمَرَ كَانَ يُقَدِّمُ زُهَيْرَ بْنِ أَبِي سَلَمَى فِي الشَّعْرِ
 قِيلَ لَهُ : بِمِ اسْتَحَقَّ ذَلِكَ عِنْدَكَ . فَقَالَ : كَانَ لَا يُعَاظِلُ بَيْنَ الْقَوْلِ
 وَلَا يَتَّبِعُ حَوَاشِي الْكَلَامِ وَلَا يَحِيفُ الرَّجُلَ إِلَّا بِمَا يَكُونُ فِي الرَّجَالِ .
 فَإِذَا اكْتَرَأَ الْمُتَرْشِّحُ لِلْكِتَابَةِ مِنْ حِفْظِ خِيَارِ الشَّعْرِ وَكَدَّرَ مَعَانِيَهُ يَسْهَلُ
 عَلَيْهِ حَتَّى وَظَهَرَتْ لَهُ مَوَاضِعُ الْأَسْتِشْهَادِ بِهِ وَسَاقَهُ الْكَلَامُ إِلَى إِبْرَازِ
 مَا فِي ذَخِيرَةِ حِفْظِهِ وَوَضَعِهِ فِي مَكَانِهِ وَقَلَّهِ فِي الْأَسْتِشْهَادِ أَوْ التَّضْمِينِ
 إِلَى مَا كَانَتْهُ وَضَعَهُ لَهُ

وَكَذَلِكَ حِفْظُ جَانِبٍ جَيِّدٍ مِنْ شَعْرِ الْمُخْدَعِينَ سَكَايِي تَمَامٍ وَمُسْلِمٍ
 ابْنِ الْوَلِيدِ وَالْجُثْرِيِّ وَأَبْنِ الرُّومِيِّ وَالْمُسْتَبْنِي لِلطُّفِّ مَأْخُذِهِ
 وَدَوْرَانِ الصَّنَاعَةِ فِي كَلَامِهِمْ وَدَقَّةِ تَوَلِيدِ الْمَعَانِي فِي أَشْعَارِهِمْ وَقُرْبِ
 أَسْلُوبِهِمْ مِنْ أُنْسَابِ أخطَابَةِ وَالْكِتَابَةِ وَخُصُوصًا الْمُسْتَبْنِي الَّذِي
 كَانَتْهُ يَنْطَوُّ عَنْ أَلْسِنَةِ النَّاسِ فِي مَحَاوِرَاتِهِمْ . وَكَثُرَ الْأَسْتِشْهَادُ لِشَعْرِهِ
 حَتَّى قَلَّ مَنْ يَجْهَلُهُ وَحَتَّى أَكُنْتُ فِي بَالِيَتِ الْوَلِيدِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى
 الْقَصْدِ وَبُلُوغِ الْقَرَضِ فِي الْجَوَابِ كَمَا كَتَبَ بَعْضُ مُلُوكِ الْعَرَبِ
 إِلَى مَنْ كَرَّرَ كُتْبَهُ وَارْسَلَهُ إِلَيْهِ يَقُولُ الْمُسْتَبْنِي :
 وَلَا كُتِبَ إِلَّا الْمُسْرِفِيَّةُ عِنْدَهُ وَلَا رُسُلٌ إِلَّا الْخَيْسُ الْعَرَمَرَمُ

وَكَذَلِكَ النَّظَرُ فِي رَسَائِلِ الْمُتَقَدِّمِينَ دُونَ حِفْظِهَا لِمَا فِي النَّظَرِ فِيهَا
مِنْ تَتَبُّعِ الْقَرِيحَةِ وَإِشَادِ الْخَاطِرِ وَتَسْهِيلِ الطَّرِيقِ وَالسَّجْعِ عَلَى مَنَوَالِ
الْحُجْدِ وَالْإِقْتِدَاءِ بِطَرِيقَةِ الْحُسْنِ وَاسْتِجْلَاءِ مَا أَنْتَجَتْهُ الْقَرَائِحُ مِنْ
أَبْكَارِ الْأَفْكَارِ وَاسْتِجْلَاءِ مَا رَوَّقَتْهُ الْخَوَاطِرُ مِنْ حِيَاضِ الْأَلْفَاظِ
وَأَسْتِدْرَاكِ مَا فَاتَ الْقَاصِرَ وَالْإِحْذَارِ بِمَا أَظْهَرَهُ النَّقْدُ وَرَدَّ مَا بَهَرَجَهُ
السَّبْكُ . فَأَمَّا النَّهْيُ عَنْ حِفْظِ ذَلِكَ فَلَيْلًا يَكِلُ الْخَاطِرُ غَمًّا فِي حَاصِلِهِ
وَيَسْتَنْدِ الْفِكْرُ إِلَى مَا فِي مُودَعِهِ وَيَكْتَنِي بِمَا لَيْسَ لَهُ وَيَتَلَبَّسُ بِمَا لَمْ
يُعْطِ كَلَابِسَ ثَوْبِي ذُوهِرٍ

وَكَذَلِكَ (النَّظَرُ فِي كُتُبِ الْأَمْثَالِ) الْوَارِدَةِ عَنِ الْعَرَبِ نَظْمًا
وَنَثْرًا كَأَمْثَالِ الْيَمِينِي وَالْفَضْلِ بْنِ سَلَمَةَ الصَّنِي وَحَمَزَةَ الْأَضْبَهَانِي
وغيرِهِمْ وَأَمْثَالِ الْمُحَدِّثِينَ الْوَارِدَةِ فِي أَشْعَارِهِمْ كَأَبِي الْعَتَاهِيَةِ وَأَبِي تَمَّامٍ
وَالْمُتَنَّبِيِّ وَأَمْثَالِ الْمُؤَلِّدِينَ وَالْأَمْثَالِ الْمَوْضُوعَةِ عَلَى السَّنَنِ الْحَيَوَانِ
لِلْعَرَبِ وَغيرِهِمْ لِيَسْتَشْهَدَ بِالْمَثَلِ فِي مَوْضِعِهِ وَيُورِدَهُ فِي مَكَانِهِ وَيَكُونَ
مِنْ وَرَاءِ الْمَعْرِفَةِ بِأَصْلِهِ وَأَوَّلِ مَنْ أَرْسَلَهُ مَثَلًا وَمَنْ اسْتَشْهَدَ بِهِ
وَذَكَرَ سَيِّئِهِ

وَأَمَّا (التَّمَثُّلُ بِالشَّعْرِ) فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ تَمَثَّلَ يَوْمًا يَقُولُ
الْبَاقِيَةَ :

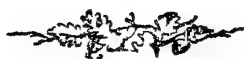
وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَأْتُهُ عَلَى شَعْرِ أَيِّ الرَّجُلِ لِيَهْدَبَ
ثُمَّ قَالَ : لِمَنْ هَذَا . فَقِيلَ لَهُ : الدَّيَّانَةُ . فَقَالَ : ذَاكَ أَشْعَرُ شَعْرِكَ .
وَسَأَلَ عُمَرُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ بَنِي فَاجَابَهُ عَنْهُ وَنَجَّبَ : جَوَابُهُ فَقَالَ :

سُنْشَنَةُ أَعْرِفَهَا مِنْ أَخْرَمَ . وَأَمثالُ ذَلِكَ بِمَا تَمَثَّلَ بِهِ الصَّحَابَةُ كَثِيرٌ .
وَكَذَلِكَ النَّظَرُ فِي (الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ) فَإِنَّهُ قَدْ يُؤْمَرُ بِأَمْرٍ
فَيَعْرِفُ بِهَا كَيْفَ يُخْلَصُ قَلَمُهُ عَلَى تَحْكُمِ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ مِنْ وَلَايَةِ
الْقَضَا . وَالْحَسْبَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . فَهَذِهِ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ لَا بَدَّ لِلْمُتَرَشِّحِ لِهَذِهِ
الصَّنَاعَةِ . مَنْ اتَّصَدَى الْإِطْلَاعَ عَلَيْهَا وَالْإِكْتِبَابَ عَلَى مُطَالَعَتِهَا
وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهَا . يَنْفَعُ مِنْ تِلْكَ الْمَوَادِّ وَيَسْلُكُ فِي الْوُصُولِ إِلَى تِلْكَ
الصَّنَاعَةِ بِذَلِكَ الْجَوَادِ وَالْأَقْلِيَعْلَمِ أَنَّهُ فِي وَادٍ وَالْكِتَابَةِ فِي وَادٍ
وَأَمَّا الْأُمُورُ الْخَاصَّةُ الَّتِي تَرِيدُ مَعْرِفَتَهَا قَدْرَهُ وَيَزِينُ الْعِلْمَ بِهَا
نَظْمُهُ وَتَثْرُهُ فَإِنَّهَا مِنْ أَلْكَمَلَاتِ لِهَذَا الْقَفْنِ وَإِنْ لَمْ يُضْطَرَّ إِلَيْهَا ذُو
الذِّهْنِ الثَّاقِبِ وَالطَّعْبِ السَّامِ وَالْقَرِيحَةِ الْمَطَاوِعَةِ وَالْفِكْرَةِ الْمُنْتَحِجَةِ
وَالْبَدِيعَةِ الْخَبِيَّةِ وَالرُّوْيَةِ الْمُتَصَرِّقَةِ . لَكِنَّ الْعَالِمَ بِهَا مُتَسَكِّنٌ مِنْ
أَزْمَةِ الْمَعَانِي يَقُولُ عَنْ عِلْمِهِ وَيَتَصَرَّفُ عَنْ مَعْرِقَةٍ وَيَتَقَدُّ بِحُجَّةٍ وَيَخْتَارُ
بِدَلِيلٍ وَيَسْتَحْسِنُ بَبْرَهَانٍ وَيَصُوغُ الْكَلَامَ بِتَرْتِيبٍ

فَمِنْ ذَلِكَ (عِلْمُ الْمَعَانِي وَالْبَيَانُ وَالْبَدِيعُ) وَمَا يَلْتَقِي بِهَا وَأَنَا
أُشِيرُ الْآنَ إِلَى نَكْتٍ وَنَهَا تَمَثَّلُ عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِ هَذَا الْعِلْمِ وَعِظَمِ
أَقْلَانِدِهِ بِهِ وَأَنَّ الْأَدِيبَ وَالْكَاتِبَ أَعَارِيضِينَ مِنْهُ قَاصِرَانِ عَنْ أَدْنَى
رُتَبِ الْكَمَالِ يُجِيدَانِ وَلَا يَذِرِيَانِ كَيْفَ يُجِيبَانِ . فَلَوْ سُئِلَ عَنْ
عِلَّةٍ مَعْنَى اسْتَحْسَنَةٍ أَوْ لَفْظِ اسْتَحْلَاهُ أَوْ تَرْكِيْبِ اسْتِجَادِهِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى
الْإِتْيَانِ بِإِثْبَاتٍ عَلَى ذَلِكَ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا أَبَا جَعْفَرٍ اتَّحَكَّمْ فِي الشَّعْرِ مَ وَمَا فِيكَ آتَهُ الْحُكَّامُ

إِنَّ قَدْ الدِّينَارِ إِلَّا عَلَى الصَّرِّ فِي صَعْبٍ فَكَيْفَ تَقْدُ الْكَلَامِ
 قَدْ رَأَيْتَكَ لَنْتَ تَفْرُقُ فِي أَلَا مِ شَعَارٍ بَيْنَ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَامِ
 وَحَكِي الْإِمَامُ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيُّ قَالَ : رَكِبَ الْكِدِّيُّ
 الْمُتَفَلِّسُ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ وَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَجِدُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ
 حَشْوًا . فَقَالَ لَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ : فِي أَيِّ مَوْضِعٍ وَجَدْتَ ذَلِكَ . قَالَ :
 وَجَدْتُ الْعَرَبَ يَقُولُ : عَبْدُ اللَّهِ قَائِمٌ . ثُمَّ يَقُولُونَ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَائِمٌ .
 ثُمَّ يَقُولُونَ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَقَائِمٌ . قَالَا لَقَاطُ مُتَكَرِّرَةٌ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ .
 فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : بَلَرِ الْمَعْنَى مُخْتَلِفَةٌ لِاخْتِلَافِ الْأَلْقَاطِ . فَقَوْلُهُمْ :
 عَبْدُ اللَّهِ قَائِمٌ إِجْبَادٌ عَنْ قِيَامِهِ . وَقَوْلُهُمْ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَائِمٌ جَوَابٌ
 عَنْ سُوءِ السَّائِلِ . وَقَوْلُهُمْ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَقَائِمٌ جَوَابٌ عَنْ انْكَارِ
 مُنْكَرِ قِيَامِهِ . فَمَا أَحَارَ الْمُتَفَلِّسُ جَوَابًا . فَإِذَا ذَهَبَ وَشَلَّ هَذَا عَلَى
 الْكِدِّيِّ فَمَا الظَّنُّ بِغَيْرِهِ . وَإِنْ كَانَ مِنْ تَحَاسِنِ الْكَلَامِ مَا لَا
 يَحْكُمُ فِي أَمْرٍ أَجِهَ بِالْقُلُوبِ غَيْرِ الدَّوْقِ السَّلِيمِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :
 شَيْءٌ بِهِ فَتَنَ الْوَرَى غَيْرَ الَّذِي يُدْعَى الْجَمَالَ وَأَنْتَ ادْرِي مَا هُوَ
 لَكِنَّ الْقَالِبَ فِي الْكَلَامِ يَعْلَمُ سَبَبَ تَحْسِينِهِ وَتَعَارُ مَوَادِّ
 تَمْكِينِهِ وَيُجَابُ عَنْ الْعِلَّةِ فِي انْحِطَاطِهِ وَأَرْتِقَاعِهِ وَيَذْكُرُ الْمَعْنَى فِي
 أَرْتِقَاعِهِ مِنْ حَضِيضِ الْقَوْلِ إِلَى آيَقَاعِهِ



الجزء الأول

في علم الانشاء

بحث في تعريف الانشاء

(عن ابي الخير وعن آداب المنشي لابن صدر الدين)

(راجع الجزء الاول من علم الادب صفحة ١)

إِنَّ الْإِنشَاءَ عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيهِ عَنِ الشُّرُوفِ حَيْثُ إِنَّهُ يَلِيغُ وَفَصِيحٌ
وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْأَدَابِ الْمُتَّبَعَةِ عِنْدَهُمْ فِي الْعِبَارَاتِ الْمُسْتَحْسَنَةِ
وَاللَّائِقَةِ بِالْمَقَامِ . وَمَوْضُوعُهُ وَغَرَضُهُ وَغَايَتُهُ ظَاهِرَةٌ بِمَا ذَكَرَ وَمَبَادِيهِ
مَأْخُودَةٌ مِنْ تَتَبُّعِ الْخُطْبِ وَالرَّسَائِلِ بَلْ لَهُ اسْتِنْدَادٌ مِنْ جَمِيعِ الْعُلُومِ
سِيمَا الْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ وَالْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَسِرِّ الْمُلُوكِ وَوَصَايَا الْعُقَلَاءِ
وغير ذلك مِنَ الْأُمُورِ الْغَيْرِ الْمُنْتَهِيَةِ . هَذَا مَا ذَكَرَهُ أَبُو الْخَيْرِ .
وَيَنْدَرِجُ فِيهِ مَا أوردَهُ فِي عِلْمِ مَبَادِي الْإِنشَاءِ وَأَدْوَاتِهِ فَلَا وَجْهَ
لِجَلِّهِ عِلْمًا آخَرَ . وَأَمَّا ابْنُ صَدْرِ الدِّينِ فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ سِوَى مَعْرِفَةِ
الْحَاسِنِ وَالْعَلَايِبِ وَنُبْذَةِ وَنَادِي الْمُنَشِيِّ . وَزُبْدَةُ كَلَامِهِ أَنَّ
لِلنَّثْرِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ نَثْرٌ مُحَاسِنٌ وَمَعَايِبٌ يُجِبُّ عَلَى الْمُنَشِيِّ أَنْ يَفْرُقَ
بَيْنَهُمَا فَيَتَخَرَّجَ عَنِ الْعَلَايِبِ . وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَعْلَى كَعَمًا فِي الْعَرَبِيَّةِ
مُخْتَرِزًا عَنِ اسْتِعْمَالِ الْأَلْفَاظِ الْعَرَبِيَّةِ وَمَا يُخِلُّ لَهُ فِيهِمُ الْمُرَادُ وَيُوجِبُ

صُعُوبَتُهُ وَأَنْ يَتَّخِذَ عَنِ التَّكْرَارِ وَأَنْ يَجْعَلَ أَلْفَاظَ تَابِعَةً لِلْمَعَانِي
 دُونَ الْعَكْسِ . إِذَا أَلَمَعَانِي إِذَا تَرَكَّبتُ عَلَى سَجَّيْتَهَا طَلَبْتُ لِأَنْفُسِهَا
 أَلْفَاظًا تَلِيْقُ بِهَا فَيَحْسُنُ الَّلَفْظُ وَالْمَعْنَى جَمِيعًا . وَأَمَّا جَعْلُ أَلْفَاظٍ
 مُتَكَلِّفَةٍ وَالْمَعَانِي تَابِعَةً لَهَا فَهُوَ كَلْبَاسٌ مَلْبِجٌ عَلَى مَنْظَرٍ قَبِيحٍ فَيَجِبُ
 أَنْ يَجْتَنِبَ عَمَّا يَفْعَلُهُ بَعْضُ مَنْ لَّهُمْ شَعْفٌ بِإِرَادَتِهِ . مِنَ الْمُحْسِنَاتِ
 الَّلَفْظِيَّةِ فَيَضْرِبُونَ الْعِنَايَةَ إِلَى الْمُحْسِنَاتِ وَيَجْعَلُونَ الْكَلَامَ كَأَنَّهُ غَيْرُ
 سَوْقٍ لِإِقَادَةِ الْمَعْنَى فَلَا يُيَالُونَ بِجِنَاءِ الدَّلَالَاتِ وَرَكَكَةِ الْمَعْنَى .
 وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يَلِيْقُ لَنْ يَتَعَاطَى الْإِنْشَاءُ أَنْ يَكْتُبَ مَا يُرَادُ لَا مَا
 يُرِيدُ . كَمَا قِيلَ فِي الصَّاحِبِ وَالصَّالِحِي : إِنْ الصَّالِحِي يَكْتُبُ مَا يُرَادُ
 وَالصَّاحِبُ يَكْتُبُ مَا يُرِيدُ . وَلَا بُدَّ أَنْ يُلَاحَظَ فِي كِتَابِ اثْنَتَيْ حَالٍ
 الْمُرْسَلِ وَالْمُرْسَلِ إِلَيْهِ وَيُعْنَوْنَ الْكِتَابُ بِمَا يُنَاسِبُ الْمَقَامَ

الفصل الاول

في الفصاحة

البحث الاول

في تحديد الفصاحة

(عن الفصاحة والبلاغة للامام السيوطي باختصار)

(راجع صفحة ٣ من الجزء الاول من علم الادب)

أَلْفَصَاحَةُ لُغَةٌ تُبَيَّنُ عَنِ الْإِبَانَةِ وَالظُّهُورِ يُقَالُ : فَصَحَ الْأَعْجَمِيُّ
وَأَفْصَحَ إِذَا أُنْطَلِقَ لِسَانُهُ وَخَلَصَتْ لُغَتُهُ مِنَ الْكُنْثَةِ وَجَادَتْ فَلَمْ
يَلْنِ . وَأَفْصَحَ بِهِ أَيَّ صَرَحَ . وَعِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي تَطْلُقِ عَلَى مَعَانٍ
مِنْهَا : وَصَفُ فِي الْكَلَامِ بِهِ يَقَعُ التَّفَاضُلُ وَيَثْبُتُ الْإِعْجَازُ . قَالَ
الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ : أَعْلَمُ أَنَّ أَلْفَصَاحَةَ خُلُوصُ الْكَلَامِ وَنَ
التَّعْقِيدِ . وَأَصْلُهَا مِنْ قَوْلِهِمْ : أَفْصَحَ اللَّبَنُ إِذَا ذَهَبَتْ عَنْهُ الرَّغْوَةُ .
وَهِيَ بِالْأَضْطِلَاحِ : عِبَارَةٌ عَنِ الْأَلْفَاطِ الْبَيِّنَةِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَبَادِرَةِ إِلَى
أَلْقَاهُمْ وَالْمَأْنُوسَةِ الْأَسْتِعْمَالِ لِمَكَانٍ حُسْنِهَا

البحث الثاني

في الفرق بين الفصاحة والبلاغة وموضوعهما

(عن كتاب الصناعتين للكتابة والانشاء لابي ملال العسكري باختصار)

أَلْبَلَاغَةُ مِنْ قَوْلِهِمْ : بَلَّغْتُ أَلْعَايَةَ إِذَا أَنْتَهَيْتُ إِلَيْهَا وَبَلَّغْتُهَا

غَيْرِي. وَمَبْلَغُ الشَّيْءِ مُنْتَهَاهُ . وَالْمَبْلَغَةُ فِي الشَّيْءِ الْإِنْتِهَاءُ إِلَى غَايَتِهِ .
 فَسُمِّيَتْ الْمَبْلَغَةُ بِلَاغَةٍ لِأَنَّهَا تُنْهِي الْمَعْنَى إِلَى قَلْبِ السَّمْعِ فِيهِفُضُهُ
 وَسُمِّيَتْ الْمَبْلَغَةُ بِلَغَةً لِأَنَّكَ تَبْلُغُ بِهَا فَتَنْتَهِي بِكَ إِلَى مَا قَوْفُهَا وَهِيَ
 الْمَبْلَغُ أَيْضًا . وَيُقَالُ : الدُّنْيَا بِلَاغٌ لِأَنَّهَا تُؤْذِيكَ إِلَى الْآخِرَةِ . وَالْبَلَاغُ
 أَيْضًا التَّبْلِيغُ . وَمِثْلُهُ : هَذَا بِلَاغٌ لِلنَّاسِ أَيْ تَبْلِيغٌ . وَيُقَالُ : بَلَغَ الرَّجُلُ
 بِلَاغَةً إِذَا صَارَ بَلِيغًا كَمَا يُقَالُ بَلَّ بِلَالٌ إِذَا صَارَ بَدِيلًا . وَكَلَامٌ بَالِيغٌ
 وَبَلِغٌ (بِالْفَتْحِ) كَمَا يُقَالُ وَجِيزٌ وَوَجُزٌ . وَرَجُلٌ بَلِغٌ (بِالْكَسْرِ) بَالِيغٌ مَا
 يُرِيدُ وَفِي مِثْلِ لَهُمْ : أَحَقُّ بَلِغٌ . وَيُقَالُ : أَبْلَغْتُ فِي كَلَامٍ إِذَا
 أَتَيْتُ بِالْبَلَاغَةِ فِيهِ كَمَا تَقُولُ : أَبْرَحْتُ إِذَا أَتَيْتُ الْبَرَاءَةَ وَهُوَ
 الْأَمْرُ الْجَسِيمُ . وَالْبَلَاغَةُ مِنْ صِفَةِ الْمُتَكَلِّمِ فَلِهَذَا لَا يُبْرَأُ مَنْ يَسْمَى
 اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّهُ بَلِيغٌ إِذْ لَا يُجُوزُ أَنْ يُوَصَفَ بِصِفَةٍ كَمَا وَضَعَهَا
 لِلْكَلامِ وَتَسْمِيَتُنَا الْمُتَكَلِّمَ أَنَّهُ أَمْلَأُ تَسْمِيَةً وَحَدَّثَنِي أَنَّ كَلَامَهُ
 بَلِيغٌ كَمَا تَقُولُ : فُلَانٌ رَجُلٌ مُحْكَمٌ وَتَعْنِي أَنَّ قَوْلَهُ مُحْكَمٌ .
 وَكَذَلِكَ كَثْرَةُ الْأَسْتِعْمَالِ جَعَلَتْ تَسْمِيَةَ تَبْلِيغٍ تَبْلِيغًا
 كَالْحَقِيقَةِ

أَمَّا الْفَصَاحَةُ فَقَدْ قَالَ قَوْلُهُ : هَذَا مِنْ قَوْلِهِ : فَصَحَّ قَوْلُهُ
 فِي نَفْسِهِ إِذَا أَظْهَرَهُ . وَالشَّاهِدُ عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَاهُ النَّعْبُ
 أَفْصَحُ أَفْصَحُ إِذَا أَضَاءَ وَفَصَحَّ يَفْ . وَهَذَا مِنْ قَوْلِهِ : فَصَحَّ
 بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ يَبِينُ وَفَصَحَّ يَفْ . وَهَذَا مِنْ قَوْلِهِ : فَصَحَّ
 عَلَى جِهَةِ الصَّوَابِ ذُو أَحْطَا . وَهَذَا مِنْ قَوْلِهِ : فَصَحَّ

وَالْبَلَاغَةُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ إِذَا كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِنَّمَا هُوَ الْإِبَانَةُ عَنْ
الْمَعْنَى وَالْإِظْهَارُ لَهُ . وَقَالَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا : الْقَصَاحَةُ تَمَامُ آلَةِ الْبَيَانِ .
فَلِهَذَا لَا يُجُوزُ أَنْ يُسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى فَصِيحًا إِذَا كَانَتْ الْقَصَاحَةُ تَتَضَمَّنُ
مَعْنَى آلَةٍ وَلَا يُجُوزُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى آلَةٌ . وَيُوصَفُ كَلَامُهُ بِالْقَصَاحَةِ
لَمَّا يَتَضَمَّنُ مِنْ تَمَامِ الْبَيَانِ . وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْأَلْفَ وَاللَّامَ
لَا يُسَمَّيَانِ فَصِيحَيْنِ لِنُقْصَانِ آتِيَهُمَا عَنْ إِقَامَةِ الْحُرُوفِ . وَقِيلَ : زِيَادُ
الْأَنْجَمِ . لِنُقْصَانِ آلَةٍ تُطْبِقُ عَنْ إِقَامَةِ الْحُرُوفِ وَكَانَ يُعْبَرُ عَنْ الْحِمَارِ
بِالْهَمَارِ فَهُوَ أَنْجَمٌ وَشَعْرُهُ فَصِيحٌ لِتَمَامِ بَيَانِهِ . فَعَلَى هَذَا تَكُونُ
الْقَصَاحَةُ وَالْبَلَاغَةُ مُخْتَلِفَتَيْنِ وَذَلِكَ أَنَّ الْقَصَاحَةَ تَمَامُ آلَةِ الْبَيَانِ فَهِيَ
مَقْصُودَةٌ عَلَى اللَّفْظِ لِأَنَّ آلَةَ تَتَعَلَّقُ بِاللَّفْظِ دُونَ الْمَعْنَى . وَالْبَلَاغَةُ
إِنَّمَا هِيَ انْتِهَاءُ الْمَعْنَى فِي الْقَلْبِ فَكَأَنَّهُمَا مَقْصُودَةٌ عَلَى الْمَعْنَى . وَمِنْ
الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْقَصَاحَةَ تَتَضَمَّنُ اللَّفْظَ وَالْبَلَاغَةَ تَتَنَاوَلُ الْمَعْنَى
أَنَّ الْبَيْعَاءَ يُسَمَّى فَصِيحًا وَلَا يُسَمَّى بَلِيغًا إِذْ هُوَ مُقِيمٌ الْحُرُوفِ وَلَيْسَ
لَهُ قَصْدٌ إِلَى الْمَعْنَى الَّذِي يُؤَدِّيهِ . وَقَدْ جُوزَ مَعَ هَذَا أَنْ يُسَمَّى الْكَلَامُ
أَلْوَاحِدُ فَصِيحًا بَلِيغًا إِذَا كَانَ وَاضِحَ الْمَعْنَى سَهْلَ اللَّفْظِ وَجَيِّدَ السَّبْكِ
غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ فَحِجٍّ وَلَا مُتْكَلِّفٍ وَخَمٍ وَلَا يَنْعُهُ مِنْ أَحَدِ الْأَسْمَانِ
شَيْءٌ . لَمَّا فِيهِ مِنْ إِضَاحِ الْمَعْنَى وَتَقْوِيمِ الْحُرُوفِ . وَشَهِدَتْ قَوْمًا
يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ لَا يُسَمَّى فَصِيحًا حَتَّى يَجْمَعَ مَعَ هَذِهِ الثُّلُوعِ
خَمَامَةً وَسَدَّةَ جِرَالَةٍ فَيَكُونُ مِثْلَ كَلَامِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ : إِنَّ النَّاسَ عَيْدُ
الْأَمْوَالِ وَالَّذِينَ أَغْوَوْهُ عَلَى السَّيِّئَةِ يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ بِهِ مَعَالِيهِمْ فَإِذَا

تَحْصُوا بِالْإِتِّلَاءِ قَلَّ الدَّيَّانُونَ . وَمَثَلُ الْمَنْظُومِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :
تَرَى غَابَةَ الْخَطِيئِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ كَمَا أَشْرَقَتْ فَوْقَ الصُّوَارِ قُرُونُهَا
(قَالُوا) وَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ يَجْمَعُ نُفُوتَ الْجُودَةِ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ
فَخَامَةٌ وَقَضْلُ جَزَالَةٍ سُتَيَّ بَلِيغًا ثُمَّ فَصِيحًا كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ وَقَدْ سُئِلَ
عَنْ حَالِهِ عِنْدَ الْوَفَاةِ فَقَالَ : مَا حَالُ مَنْ يُرِيدُ سَفَرًا بَعِيدًا بِلا زَادٍ
وَيُقَدِّمُ عَلَى مَلِكٍ حَادِلٍ بِغَيْرِ حُجَّةٍ وَيَسْكُنُ قَبْرًا مُوجِشًا بِلا أُنْسٍ .
وَقَوْلِ آخَرَ لِأَخٍ لَهُ : مَدَدْتُ إِلَى الْمَوَدَّةِ يَدًا فَشَكَرْتَاكَ وَشَفَعْتَ
ذَلِكَ بِشَيْءٍ مِنْ أَجْلَاءِ فَعَدَرْتَاكَ وَالرُّجُوعُ إِلَى مُحَمَّدٍ أَوْلَى بِكَ
مِنَ الْمَقَامِ عَلَى مَكْرُوهِ الصَّدِّ . وَأَسْتَدْلُوا عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْمَذْهَبِ بِقَوْلِ
الْعَاصِمِيِّ بْنِ عَدِيٍّ : الشَّجَاعَةُ قَلْبُ رَكِيذٍ وَالْفَصَاحَةُ لِسَانُ رَزِيذٍ .
وَاللِّسَانُ هَاهُنَا الْكَلَامُ . وَالرَّزِيذُ الَّذِي فِيهِ فَخَامَةٌ وَجَزَالَةٌ وَأُنْسٌ
الْغَرَضُ فِي هَذَا الْكِتَابِ سُؤْلُكَ مَذْهَبَ الْمُتَكَلِّمِينَ . وَأَمَّا قَصْدُ
فِيهِ مَقْصَدُ صُنَاعِ الْكَلَامِ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَالْكِتَابِ فَلِهَذَا أُلْطِ
الْكَلَامُ فِي هَذَا الْفَصْلِ

البحث الثالث

في حقيقة الفصاحة

(عن المثل السائر)

(راجع صفحة ٣ من عام الادب)

إِعْلَمَنَّ أَنَّ هَذَا بَابٌ مُتَعَدِّرٌ عَلَى الْوَالِجِ وَمَسَلَتْهُ تَوَعَّرٌ عَلَى

النَّاهِجِ وَلَمْ يَزَلِ الْعُلَمَاءُ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ وَحَدِيثِهِ يُكْثِرُونَ الْقَوْلَ فِيهِ
وَالْجُحْثَ عَنْهُ وَلَمْ أَجِدْ مِنْ ذَلِكَ مَا يَعُولُ عَلَيْهِ إِلَّا الْقَلِيلَ . وَغَايَةُ
مَا يُقَالُ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ الْفَصَاحَةَ هِيَ الظُّهُورُ وَالْبَيَانُ فِي أَصْلِ
الْوَضْعِ اللَّغَوِيِّ يُقَالُ : أَفْصَحَ الصُّبْحُ إِذَا ظَهَرَ ثُمَّ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ عِنْدَ
ذَلِكَ وَلَا يَكْشِفُونَ عَنِ السِّرِّ فِيهِ . وَهَذَا الْقَوْلُ لَا تَتَبَّنُ حَقِيقَةُ
الْفَصَاحَةِ لِأَنَّهُ يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ بِوُجُوهِ مِنَ الْأَعْتَزَاضَاتِ . (أَحَدُهَا) : أَنَّهُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ الْأَنْظَرُ ظَاهِرًا بَيْنًا لَمْ يَكُنْ فَصِيحًا ثُمَّ إِذَا ظَهَرَ وَتَبَيَّنَ
صَارَ فَصِيحًا . (الْوَجْهُ الثَّانِي) : أَنَّهُ إِذَا كَانَ اللَّفْظُ الْفَصِيحُ هُوَ الظَّاهِرُ
الْبَيِّنُ فَقَدْ صَارَ ذَلِكَ بِالسَّبَبِ وَالْإِضْمَاتِ إِلَى الْأَشْخَاصِ فَإِنَّ اللَّفْظَ
قَدْ يَكُونُ ظَاهِرًا لِزَيْدٍ وَلَا يَكُونُ ظَاهِرًا لِعَمْرٍو فَهُوَ أَذَنْ فَصِيحٌ عِنْدَ
هَذَا وَغَيْرُ فَصِيحٍ عِنْدَ هَذَا . وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلِ الْفَصِيحُ هُوَ فَصِيحٌ
عِنْدَ الْجَمِيعِ لَا خِلَافَ فِيهِ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ لِأَنَّهُ إِذَا تَحَقَّقَ حَدُّ
الْفَصَاحَةِ وَعُرفَ مَا هِيَ لَمْ يَبْقَ فِي اللَّفْظِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهِ خِلَافٌ .
(الْوَجْهُ الثَّلَاثُ) : أَنَّهُ إِذَا جِيءَ بِالْفَظِ قَبِيحٍ يَتْبَعُهُ السَّمْعُ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ
ظَاهِرٌ بَيِّنٌ يَتَّبِعِي أَنْ يَكُونَ فَصِيحًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَصَاحَةَ
وَصْفٌ حَسَنٌ لِلْفَظِ لَا وَصْفٌ قُبِيحٌ . فَهَذِهِ الْأَعْتَزَاضَاتُ الثَّلَاثَةُ وَارِدَةٌ
عَلَى قَوْلِ الْقَائِلِ إِنَّ اللَّفْظَ الْفَصِيحَ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ .
وَلَمَّا وَقَفْتُ عَلَى أَقْوَالِ النَّاسِ فِي هَذَا الْبَابِ مَلَكَتْنِي الْحَيْرَةُ فِيهَا وَلَمْ
يَنْتِ عِنْدِي مِنْهَا مَا أَعُولُ عَلَيْهِ وَلِكثُرَةِ مَلَابَسَتِي هَذَا الْقَنْ
وَمُعَارَكَتِي إِيَّاهُ أَنْ كَشَفَ لِي السِّرُّ فِيهِ وَسَأَرْضُخُهُ فِي كِتَابِي هَذَا

وَأَحَقُّ الْقَوْلَ فِيهِ فَأَقُولُ : إِنَّ الْكَلَامَ الْقَصِيحَ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ
وَأَعْيَنِي بِالظَّاهِرِ الْبَيِّنِ أَنْ تَكُونَ أَلْفَاظُهُ مَفْهُومَةً لَا يَحْتَاجُ فِي فَهْمِهَا
إِلَى اسْتِخْرَاجٍ مِنْ كِتَابٍ لُغَةٍ . وَإِنَّمَا كَانَتْ يَهْدِيهِ الصِّفَةُ لِأَنَّهَا تَكُونُ
مَأْلُوفَةً إِلَى اسْتِعْمَالِ بَيْنِ أَرْبَابِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ دَائِرَةً فِي كَلَامِهِمْ . وَإِنَّمَا
كَانَتْ مَأْلُوفَةً إِلَى اسْتِعْمَالِ دَائِرَةٍ فِي الْكَلَامِ دُونَ غَيْرِهَا مِنْ أَلْفَاظِ
لِمَكَانٍ حُسْنِهَا . وَذَلِكَ أَنَّ أَرْبَابَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ غَرَّبُوا أَلْفَاظَهُ بِإِغْتِيَابِ
أَلْفَاظِهَا وَسَبَرُوا وَقَسَمُوا فَاخْتَارُوا الْحَسَنَ مِنَ أَلْفَاظِهَا فَاسْتَعْمَلُوهُ
وَقَفُوا الْقَبِيحَ مِنْهَا فَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ فَحَسُنُ إِلَى اسْتِعْمَالِ سَبَبِ اسْتِعْمَالِهَا
دُونَ غَيْرِهَا وَاسْتِعْمَالُهَا سَبَبُ ظُهُورِهَا وَبَيَانِهَا . فَأَلْفَصِحُّ إِذَنْ مِنْ
أَلْفَاظِ هُوَ الْحَسَنُ . فَإِنْ قِيلَ : مِنْ أَيِّ وَجْهِ عِلْمِ أَرْبَابِ النَّظْمِ
وَالنَّثْرِ الْحَسَنَ مِنْ أَلْفَاظِهَا حَتَّى اسْتَعْمَلُوهُ وَعَلِمُوا الْقَبِيحَ مِنْهَا حَتَّى تَقُوهُ
وَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ . قُلْتُ فِي الْجَوَابِ : إِنَّ هَذَا مِنَ الْأُمُورِ الْخُفْيَةِ
الَّتِي شَاهِدُهَا مِنْ نَفْسِهَا لِأَنَّ أَلْفَاظَ دَاخِلَةً فِي حَيْثُ الْأَصْوَاتِ فَأَلَّذِي
يَسْتَلِذُّهُ السَّمْعُ مِنْهَا وَيَعْمَلُ إِلَيْهِ هُوَ الْحَسَنُ وَالَّذِي يَكْرَهُهُ وَيَنْفِرُ عَنْهُ
الْقَبِيحُ . أَلَا تَرَى أَنَّ السَّمْعَ يَسْتَلِذُّ صَوْتَ الْبَلْبَلِ مِنَ الطَّيْرِ وَصَوْتَ الشَّجَرِ
وَيَعْمَلُ إِلَيْهِمَا وَيَكْرَهُ صَوْتَ الْغُرَابِ وَيَنْفِرُ عَنْهُ وَكَذَلِكَ يَكْرَهُ نَبِيحَ
الْحِمَارِ وَلَا يَجِدُ ذَلِكَ فِي صَهِيلِ الْفَرَسِ . وَأَلْفَاظُ جَارِيَةٌ هَذَا النِّجْرَى
فَأَنَّهُ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ لَفْظَةَ الْمَرْزَةِ وَالْدَيْمَةِ حَسَنَةٌ يَسْتَلِذُّهَا السَّمْعُ . وَأَنَّ
لَفْظَةَ الْبَعَاقِ قَبِيحَةٌ يَكْرَهُهَا السَّمْعُ . وَهَذِهِ أَلْفَاظَاتُ الثَّلَاثِ مِنْ صِفَةِ
الطَّرِ وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ . وَمَعَ هَذَا فَإِنَّكَ تَرَى لَفْظَتِي الْمَرْزَةَ

وَالَّذِي وَمَا جَرَى نَجْرَاهُمَا، أَلَوْفِي الْأَسْتِعْمَالِ وَتَرَى لَفْظَ الْبَعَاءِ وَمَا
جَرَى نَجْرَاهُ، تَرْوُكًا لَا يَسْتَعْمَلُ. وَإِنْ اسْتَعْمِلَ فَإِنَّمَا يَسْتَعْمَلُهُ جَاهِلٌ
بِحَقِيقَةِ الْفَصَاحَةِ أَوْ ذَوْقُهُ غَيْرُ ذَوْقِ سَلِيمٍ وَإِنْ كَانَ عَرَبِيًّا مُحَضًّا مِنْ
أَجَاهِلِيَةِ الْأَقْدَمِينَ فَإِنَّ حَقِيقَةَ الشَّيْءِ، إِذَا عَلِمْتَ وَجِبَ الْأَوْقُوفُ
عَسَدًا وَلَمْ يَمُوجْ عَلَى مَا خَرَجَ تَشَابُهًا، وَإِذَنْ بَيَّنْتَ أَنَّ الْقَصِيحَ مِنْ
أَلْفَاظِهِ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ وَإِنَّمَا كَانَ ظَاهِرًا بَيِّنًا لِأَنَّهُ مَأْلُوفٌ الْأَسْتِعْمَالِ
وَإِنَّمَا كَانَ، أَلُوفٌ الْأَسْتِعْمَالِ لِمَكَانِ حُسْنِهِ وَحُسْنُهُ مُدْرِكٌ بِالسَّمْعِ.
وَالَّذِي يُدْرِكُ بِالسَّمْعِ، إِنَّمَا هُوَ الْفُظُّ لِأَنَّهُ صَوْتُ يَأْتِي عَنْ مَخْرَجِ
الْحُرُوفِ فَمَا اسْتَأْذَنَ السَّمْعُ، نَهْ فَهُوَ أَحْسَنُ وَمَا كَرِهَهُ فَهُوَ الْقَبِيحُ
وَالْحَسَنُ هُوَ الْمَوْضُوفُ بِالْفَصَاحَةِ وَالْقَبِيحُ غَيْرُ مَوْضُوفٍ بِفَصَاحَةٍ لِأَنَّهُ
ضِدُّهَا لِمَكَانِ قُبْحِهِ. وَقَدْ مَثَلَتْ أَلِفَاتُ الْأَتَّقِيْمِ بِلَفْظَةِ الْمَرْتَةِ
وَالَّذِي وَلَفْظَةُ الْعَلَقِ وَلَوْ كَانَتْ لَفَصَاحَةً لِأَمْرٍ يَرْجِعُ إِلَى الْعَلَقِ
لَكَانَتْ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ سَوَاءً أَيْسَ وَنَهَا حَسَنٌ وَوَنَهَا
قَبِيحٌ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ عَلِمْنَا أَنَّهَا تَخُصُّ الْفُظَّ ذَوْنَ الْعَلَقِ.
وَلَيْسَ إِتِمَانٌ هُنَا أَنْ يَقُولَ لَا لَفْظَ إِلَّا بِمَعْنَى فَكَيْفَ فَصَلَتْ أَنْتَ
بَيْنَ الْفُظِّ وَالْمَعْنَى. ثَابِتٌ: لَمْ أَفْصَحْ بَيْنَهُمَا وَإِنَّمَا أَخَصَصْتُ الْفُظَّ
بِحَقِيقَةِ هِيَ لَهُ وَالْمَعْنَى بِحَقِيقَةِ فِيهِ ضَمِنَا وَتَبَعَا

البحث الرابع

في احكام القصاحة وشروطها

(عن المثل السائر)

(راجع صفحة ٤٣ من علم الادب)

اعلم أَنَّهُ يَحْتَاجُ صَاحِبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فِي تَأْلِيفِهِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : (الْأَوَّلُ) وَهِيَ اخْتِيَارُ الْأَلْفَاظِ الْمَفْرَدَةِ . وَحُكْمُ ذَلِكَ حُكْمُ اللَّائِي الْمُبَدَّدَةِ فَإِنَّهَا تُخَيَّرُ وَتُنْتَقَى قَبْلَ النَّظْمِ . (الثَّانِي) نَظْمُ كُلِّ كَلِمَةٍ مَعَ اخْتِيَارِهَا فِي الْمَشَاكِلِ لَهَا لِئَلَّا يَجِيءَ الْكَلَامُ قَلْبًا نَافِرًا عَنْ مَوَاضِعِهِ وَحُكْمُ ذَلِكَ حُكْمُ الْعِقْدِ الْمَنْظُومِ فِي أَقْتِرَانِ كُلِّ لُؤْلُؤَةٍ مِنْهُ بِأُخْتِيَارِ الْمَشَاكِلِ لَهَا . (الثَّالِثُ) الْعَرَضُ الْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ وَحُكْمُ ذَلِكَ حُكْمُ الْمَوْضِعِ الَّذِي يُوضَعُ فِيهِ الْعِقْدُ الْمَنْظُومُ فَتَارَةً يُجْعَلُ اكْتِلَافًا عَلَى الرَّأْسِ وَتَارَةً يُجْعَلُ قِلَادَةً فِي الْعُنُقِ وَتَارَةً يُجْعَلُ شَنْفًا فِي الْأُذُنِ وَلِكُلِّ مَوْضِعٍ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ هَيْئَةٌ مِنْ أَحْسَنِ تَخَصُّصٍ . فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ لَا بُدَّ لِلْخَطِيبِ وَالشَّاعِرِ مِنَ الْعِنَايَةِ بِهَا وَهِيَ الْأَصْلُ الْمَعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي تَأْلِيفِ الْكَلَامِ وَنَظْمِهِ وَالتَّنْظِيرُ . فَالْأَوَّلُ وَالثَّانِي مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورَةِ هُمَا الْمُرَادُ بِالْقَصَاحَةِ . وَالثَّلَاثَةُ بِجُمْلَتِهَا هِيَ الْمُرَادُ بِأَبْلَانَةِ . وَهَذَا الْمَوْضِعُ يَضِلُّ فِي سُلُوكِ طَرِيقَةِ الْعُلَمَاءِ بِصَنَاعَةِ صَوْنِ الْكَلَامِ مِنْ النَّظْمِ وَالتَّنْظِيرِ فَكَيْفَ الْجَهَالُ الَّذِينَ لَمْ تَنْفَعَهُمْ رَاحَتُهُ . وَهَنْ

الَّذِي يُؤْتِيهِ اللَّهُ فِطْرَةَ نَاصِعَةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضْفَى وَلَوْ لَمْ تُنْمَسْ نَارًا
حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى مَا يَسْتَعْمِلُهُ مِنَ الْأَلْقَاطِ فَيَضَعُهَا فِي مَوَاضِعِهَا
وَقَدْ ذَكَرَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنِّي مِنْ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ لِلْأَلْقَاطِ الْمَفْرُودَةِ خَصَائِصَ
وَهَيْئَاتٍ تَتَصِفُ بِهَا وَتُخْتَلَفُ فِي ذَلِكَ وَاسْتَحْسَنَ أَحَدُهُمْ شَيْئًا فَخَوَّفَ
فِيهِ وَكَذَلِكَ اسْتَمْتَحَجَّ الْآخَرُ شَيْئًا فَخَوَّفَ فِيهِ . وَلَوْ حَقَّقُوا النَّظَرَ وَرَقَّقُوا
عَلَى السِّرِّ فِي اتِّصَافِ بَعْضِ الْأَلْقَاطِ بِالْحُسْنِ وَبَعْضِهَا بِالْقُبْحِ لَمَا كَانَ
بَيْنَهُمْ خِلَافٌ فِي شَيْءٍ مِنْهَا

وَقَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنَ الْجُهَالِ إِذَا قِيلَ لِأَحَدِهِمْ إِنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةُ
حَسَنَةٌ وَهَذِهِ قَبِيحَةٌ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ : كُلُّ الْأَلْقَاطِ حَسَنٌ وَالْوَاضِعُ لَمْ
يَضَعْ إِلَّا حَسَنًا . وَمَنْ يَبْلُغُ جَهْلَهُ إِلَى أَنْ لَا يَفْرُقَ بَيْنَ لَفْظَةِ الْغَضَنِ
وَلَفْظَةِ السُّلُوحِ وَبَيْنَ لَفْظَةِ الدَّمَاءِ وَلَفْظَةِ الْإِسْفِنِطِ وَبَيْنَ لَفْظَةِ
السَّيْفِ وَلَفْظَةِ الْخَشَائِلِ وَبَيْنَ لَفْظَةِ الْأَسَدِ وَلَفْظَةِ الْفَدْوْكَسِ فَلَا
يَتَّبِعِي أَنْ يُخَاطَبَ بِخُطَابٍ وَنِجَابٍ بِجَوَابٍ

وَقَدْ بَقِيََتْ هُنَاكَ أَوْصَافٌ أُخَرُ يَتَّبِعِي أَنْ يُنَبَّهَ عَلَيْهَا . فَمِنْهَا أَنْ
لَا تَكُونَ الْكَلِمَةُ وَحْشِيَّةً . وَقَدْ خَفِيَ الْوَحْشِيُّ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُتَتَمِّينَ
إِلَى صِنَاعَةِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَظَنُّوهُ الْمُسْتَمْتَحَجَّ مِنَ الْأَلْقَاطِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ
بَلِ الْوَحْشِيُّ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا غَرِيبٌ حَسَنٌ وَالْآخَرُ غَرِيبٌ
قَبِيحٌ . وَذَلِكَ أَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَى أَسْمِ الْوَحْشِ الَّذِي يَسْكُنُ الْقِفَارَ وَلَيْسَ
بِأَنْيَسٍ . وَكَذَلِكَ الْأَلْقَاطُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَأْتُوسَةً لِإِسْتِعْمَالِ . وَلَيْسَ
مِنْ شَرْطِ الْوَحْشِ أَنْ يَكُونَ مُسْتَمْتَحَجًّا بَلِ أَنْ يَكُونَ نَافِرًا لَا يَأْلَفُ

الْأَنْسَ قَتَارَةً يَكُونُ حَسَنًا وَكَارَةً يَكُونُ قَبِيحًا . وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ أَحَدَ
قِسْمَيْ الْوَحْشِيِّ وَهُوَ الْغَرِيبُ الْحَسَنُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ اللَّسْبِ
وَالِإِضَافَاتِ . وَأَمَّا الْقِسْمُ الْآخَرُ مِنَ الْوَحْشِيِّ الْأَسَدِيُّ هُوَ قَبِيحٌ فَإِنَّ
النَّاسَ فِي اسْتِقْبَاحِهِ سَوَاءٌ وَلَا يَخْتَلِفُ بِهِ عَرَبِيٌّ بَادٍ وَلَا قُرَوِيٌّ مُخَضَّرٌ .
وَأَحْسَنُ الْأَلْفَاطِ مَا سَكَنَ مَأْلُوقًا مُتَدَاوِلًا لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَأْلُوقًا مُتَدَاوِلًا
إِلَّا لِمَكَانٍ حُسْنِهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ فِي بَابِ الْقَصَاحَةِ .
فَإِنَّ أَرْبَابَ الْخَطَابَةِ وَالشَّعْرِ نَظَرُوا إِلَى الْأَلْفَاطِ وَنَقَّبُوا عَنْهَا ثُمَّ عَدَلُوا
إِلَى الْأَحْسَنِ مِنْهَا فَاسْتَعْمَلُوهُ وَتَرَكَوا مَا سِوَاهُ وَهُوَ أَيْضًا يَتَفَاوَتُ فِي
دَرَجَاتٍ حُسْنِهِ فَأَلْفَاطٌ إِذَنْ تَنْقَسِمُ ثَلَاثَةً أَقْسَامٍ : قِسْمَانِ حَسَنَانِ
وَقِسْمٌ قَبِيحٌ . فَالْقِسْمَانِ الْحَسَنَانِ أَحَدُهُمَا مَا تَدَاوَلَّ اسْتِعْمَالُهُ الْأَوَّلُ
وَالْآخَرُ مِنَ الزَّمَنِ الْقَدِيمِ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا وَلَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ وَحْشِيٌّ .
وَالْآخَرُ مَا تَدَاوَلَّ اسْتِعْمَالُهُ الْأَوَّلُ دُونَ الْآخِرِ وَيَخْتَفِئُ فِي اسْتِعْمَالِهِ
بِالنِّسْبَةِ إِلَى الزَّمَنِ وَآهْلِهِ وَهَذَا هُوَ الَّذِي لَا يُعَابَ اسْتِعْمَالُهُ عِنْدَ
الْأَعْرَبِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ وَحْشِيًّا وَهُوَ عِنْدَنَا وَحْشِيٌّ
وَلَا يَسْبِقُ وَهُمْ كَيْفَا الْمُتَأَمِّلُ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ الَّذِي غَابَ عَلَيْهِ
غِلْظُ الطَّبَعِ وَحَاجَةُ الذِّهْنِ بِأَنَّ الْأَعْرَبَ كَانَتْ تَسْتَعْمِلُ مِنَ الْأَلْفَاطِ
كَذَا وَكَذَا فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ حَسَنٌ . بَلْ يَلْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ
الَّذِي تَسْتَحْسِنُهُ نَحْنُ فِي زَمَانِنَا هَذَا هُوَ الَّذِي كَانَ عِنْدَ الْأَعْرَبِ
مُسْتَحْسَنًا وَالَّذِي تَسْتَقْبِهُ هُوَ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُمْ مُسْتَقْبِحًا . وَلَا تَسْتَعْمِلُ
لَيْسَ بِدَلِيلٍ عَلَى الْحُسْنِ فَإِنَّا نَحْنُ نَسْتَعْمِلُ الْآنَ مِنَ الْكَلَامِ مَا

نيس بحسن وإنما تستعمله لضرورة فليس استعمال الحسن بمنكن في
كل الأحوال . وهذا طريق يضل بغير المعارف بمسالكه ومن لم
يعرف صناعة النظم والذثر وما يحده صاحبها من الكلفة في صوغ
الالفاظ واختيارها فإنه مذكور في أن يقول ما قال :

لا يعرف الحزن الأمن يكابده ولا الصباة إلا من يعانيها
ومع هذا فإن قول القائل : بأن العرب كانت تستعمل من
الالفاظ كذا وكذا وهذا دليل على أنه حسن قول فاسد لا يصدر
إلا عن جاهل فإن استحسان الالفاظ واستباحها لا يؤخذ بالتقليد من
العرب لأنه شيء ليس التقليد فيه محال وإنما هو شيء له خصائص
وهيئات وعلامات إذا وجدت علم حسنه من قبحه . وأما الذي نقاد
العرب فيه من الالفاظ قائما هو الاستشهاد بأشعارها على ما ينقل من
لغتها والآخذ بأقوالها في الأوضاع الخفية في رفع الفعل ونصب
المفعول وجز المضاف إليه وجزم الشرط وأسباب ذلك وما عداه
فلا . وحسن الالفاظ وقبحها ليس إضافيا إلى زيد دون عمرو أو إلى
عمرو دون زيد لأنه وصف ذووي لا يتغير إلا بالإضافة . ألا ترى
أن لفظة الزنة متلاحسة عند أنس كافة من العرب وغيرهم
وهلم جرا لا يختلف أحد في حسنها . وكذلك لفظة البعاق قائمتها
قبيحة عند أنس كافة من العرب وغيرهم فإذا استعملتها العرب
لا يكون استعمالهم إياها مخرجا لها عن التبحر ولا يلتفت إذن إلى
استعمالهم إياها بل يعاب استعمالها ويغاط له التكبر حيث تستعمله

فَلَا تَنْظُرَنَّ أَنَّ الْوَحْشِيَّ مِنَ الْأَلْفَاظِ مَا يَكْرَهُهُ سَمْعُكَ وَيَثْقُلُ
عَلَيْكَ التَّنْقُطُ بِهِ وَأَنَّهُ هُوَ الْغَرِيبُ الَّذِي يَقِلُّ اسْتِعْمَالُهُ فَتَارَةً يَخِفُّ
عَلَى سَمْعِكَ وَلَا تَجِدُ بِهِ كِرَاهَةً وَتَارَةً يَثْقُلُ عَلَى سَمْعِكَ وَتَجِدُ مِنْهُ
الْكِرَاهَةَ. وَذَلِكَ فِي الْلفْظِ عَيَّانٍ : (أَحَدُهُمَا) أَنَّهُ غَرِيبٌ اِلِسْتِعْمَالِ
(وَالْآخَرُ) أَنَّهُ ثَقِيلٌ عَلَى السَّمْعِ كَرِيهٌ عَلَى الذَّوْقِ. وَإِذَا كَانَ الْلفْظُ
يَهْدُوهُ الصِّقَّةُ فَلَا مَزِيدَ عَلَى فَظَاطِيهِ وَغَلَاظِيهِ وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى
الْوَحْشِيَّ الْغَلِيظَ وَيُسَمَّى أَيْضًا الْمُتَوَعَّرَ وَلَيْسَ وَرَاءَهُ فِي الْفَيْحِ دَرَجَةٌ
أُخْرَى وَلَا يَسْتَعْمَلُهُ إِلَّا أَجْهَلُ النَّاسِ مِمَّنْ لَمْ يَخْطُرْ بِأَلِهَ شَيْءٌ مِنْ
مَعْرِفَةِ هَذَا الْقَنْ- أَصْلًا. فَإِنْ قِيلَ : فَمَا هَذَا النَّوعُ مِنَ الْأَلْفَاظِ . قَالَتْ :
قَدْ ثَبَتَ لَكَ أَنَّهُ تَاكِرُهُ سَمْعُكَ وَثَقُلَ عَلَى لِسَانِكَ التَّنْقُطُ بِهِ .
وَسَأَضْرِبُ لَكَ فِي ذَلِكَ وَمَثَلًا فَنَنْهَ مَا وَرَدَ إِيَّائِ بَطْ شَرَاهُ فِي كِتَابِ
الْحَاسَةِ :

يَظَلُّ بِمَوَاةٍ وَيَمِي بِغَيْرِهَا جَحِيشًا وَيَعْرُورِي ظُهُورَ نَسَائِكَ
فَإِنَّ لَفْظَةَ (جَحِيشٍ) مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُنْكَرَةِ الْقَبِيحَةِ . وَيَا لِهَذَا الْعَجَبِ
أَلَيْسَ أَنَّهَا بِمَعْنَى (فَرِيدٍ) وَفَرِيدٌ أَنْظَةُ حَسَنَةٌ رَائِقَةٌ وَلَوْ وَضِعَتْ فِي هَذَا
الْبَيْتِ مَوْضِعَ جَحِيشٍ لَمَا اخْتَلَفَ شَيْئًا مِنْ وَرَنِهِ . فَتَابَطَ شَرَاهُ وَمِنْ
وَجْهَيْنِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ الْفَيْحَ . وَالْآخَرُ أَنَّهُ كَانَتْ
لَهُ مَنَدُوحَةٌ عَنْ اسْتِعْمَالِهِ فَلَمْ يَعْدِلْ عَنْهُ . وَمِمَّا هُوَ أَقْبَحُ مِنْهَا مَا وَرَدَ
لَا فِي تَمَامِ قَوْلِهِ :

قَدْ قَالَتْ لَمَّا أَطْلَعْتُمُ الْأَمْرَ وَانْبَعَثَتْ عَشَوَاءَ تَالِيَةً غَبَسَا دَهَارِيهَ

فَالْفُظَّةُ (أُظْلِمَ) مِنْ أَلْفَاظِ التَّنْكِيرِ الَّتِي جَمَعَتِ الْوَصْفَيْنِ الْقَبِيحَيْنِ
فِي أَنَّهَا غَرِيبَةٌ وَأَنَّهَا غَلِيظَةٌ فِي السَّمْعِ كَرِيهَةٌ عَلَى الذَّوْقِ وَكَذَلِكَ لَفْظَةٌ
(دَهَارِيس) أَيْضًا . وَعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُهُ مِنْ آيَاتِ يَصِفُ قُرْسًا مِنْ
جَمَلَتِهَا :

نَعَمْ مَتَاعُ الدُّنْيَا حَبَاكَ بِهِ أَرَوْعُ لَا جِيدَرُّ وَلَا جِنْسُ
وَلَفْظَةٌ (جِيدَر) غَلِيظَةٌ . وَأَغْلَظُ مِنْهَا قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ أَلْتَشْتَبِي :
جَحَّتْ وَهُمْ لَا يَجْفَحُونَ بِهَا بِهِمْ شِمٌّ عَلَى الْحَسْبِ الْأَغَرِ دَلَالٌ
فَإِنَّ لَفْظَةَ (جَحْف) دَرَّةُ الطَّعْمِ وَإِذَا مَرَّتْ عَلَى السَّمْعِ أَقْشَعَتْ مِنْهَا
وَأَبُو الطَّيِّبِ فِي اسْتِعْمَالِهَا كَأَسْتِعْمَالِ تَابِطٍ شَرًّا لَفْظَةً بِجَحِيش . فَإِنَّ
تَابِطَ شَرًّا كَانَتْ لَهُ مَبْدُوحَةٌ عَنْ اسْتِعْمَالِ تِلْكَ اللَّفْظَةِ كَمَا أَسْرَنَا
فِيمَا تَقَدَّمَ . وَكَذَلِكَ أَبُو الطَّيِّبِ فِي اسْتِعْمَالِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ الَّتِي هِيَ
جَحَّتْ فَإِنَّ مَعْنَاهَا فَحَرَتْ وَالْجَحْفُ الْفَحْرُ يُقَالُ : جَحَفَ فُلَانٌ إِذَا فَحَرَ . وَلَوْ
اسْتَعْمَلَ عَوْضًا عَنْ جَحَّتْ فَحَرَتْ لَأَسْتَقَامَ الْبَيْتُ وَحَظِيَ فِي اسْتِعْمَالِهِ
بِالْأَحْسَنِ . وَمَا أَعْلَمَ كَيْفَ يَذْهَبُ هَذَا وَامْتِثَالُهُ عَلَى وَثَلٍ هَوْلَاءُ
أَفْهُولٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ . وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْتَهُ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ مِنَ الْأَلْفَاظِ
هُوَ الْوَحْشِيُّ أَفْهَيْطُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مَا يُدَارِيهِ فِي فَجْهِهِ وَكَرَاهَتِهِ . وَهَذِهِ
الْأَمْثَلَةُ دَلِيلٌ عَلَى مَا أوردناه . وَالْعَرَبُ إِذَنْ لَا تُتْلَمُ عَلَى اسْتِعْمَالِ
الْعَرِيبِ الْحَسَنِ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَإِنَّمَا تُتْلَمُ عَلَى الْعَرِيبِ الْقَبِيحِ . وَإِنَّمَا
الْحَضَرِيُّ فَإِنَّهُ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْقِسْمَيْنِ مَعًا وَهُوَ فِي أَحَدِهِمَا أَشَدُّ مَلَامَةً
مِنْهُ فِي الْآخَرِ

البحث الخامس

في الالفاظ المترادفة والاسماء المشتركة

(عن المثل السائر لابن الاثير)

(راجع صفحة ٦ من علم الادب)

وَيَقْتَرُ مُؤَلَّفُ الْكَلَامِ إِلَى مَعْرِقَةِ عِدَّةٍ أَسْمَاءٍ لَمَّا يَفْعُ اسْتِعْمَالُهُ
فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ لِيَجِدَ إِذَا ضَاقَ بِهِ مَوْضِعٌ فِي كَلَامِهِ بِإِيرَادِ بَعْضِ
الْأَلْفَاظِ فِيهِ الْعُدُولَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ بِمَا هُوَ فِي مَعْنَاهُ . وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ
تُسَمَّى الْمُتَرَادِفَةَ وَهِيَ اتِّحَادُ الْمُسَمَّى وَاخْتِلَافُ أَسْمَاءِهِ كَقَوْلِنَا : الْحُمْرُ
وَالرَّاحُ وَالْمَدَامُ . فَإِنَّ الْمُسَمَّى بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَأَسْمَاؤُهُ
كَثِيرَةٌ . وَكَذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِقَةِ الْأَسْمَاءِ الْمُشْتَرِكَةِ لِاسْتِعْمَالِهَا عَلَى
اسْتِعْمَالِ الْفَخْرِيسِ فِي كَلَامِهِ وَهِيَ اتِّحَادُ الْأَسْمَاءِ وَاخْتِلَافُ الْمُسَمَّيَاتِ .
كَالْعَيْنِ فَإِنَّهَا تُطْلَقُ عَلَى الْعَيْنِ النَّاطِرَةِ وَعَلَى يَتْبُوعِ الْمَاءِ وَعَلَى الْمَطَرِ
وغيرِهِ . إِلَّا أَنَّ الْمُشْتَرِكَةَ تَفْتَقِرُ فِي الْأَسْتِعْمَالِ إِلَى قَرِينَةٍ تَخْصُصُهَا
كَمَا لَا تَكُونُ مُبْهَمَةً . لِأَنَّ إِذَا قُلْنَا : عَيْنٌ . ثُمَّ سَكْنَا وَقَعَ ذَلِكَ عَلَى
مُحْتَمَلَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ الْعَيْنِ النَّاطِرَةِ وَالْعَيْنِ النَّابِعَةِ وَالْمَطَرِ وَغيرِهِ
بِمَا هُوَ مَوْضُوعٌ بِإِرَاءِ هَذَا الْأَسْمِ . وَإِذَا قُرِنَ إِلَيْهِ قَرِينَةٌ تَخْصُصُهُ
زَالَ ذَلِكَ الْإِبْهَامُ بِأَن تَقُولَ : عَيْنٌ حَسَنَاءُ أَوْ عَيْنٌ ضَاخَةٌ أَوْ
غَيْرَ ذَلِكَ . وَهَذَا مَوْضِعٌ لِلْعُلَمَاءِ فِيهِ مُجَادَابَاتٌ جَدَلِيَّةٌ . فَفِيهِ مَنْ
يُسَكِّرُ أَنْ يَكُونَ الْفَلْظُ الْمُشْتَرِكُ حَقِيقَةً فِي الْعَيْنَيْنِ جَمِيعًا وَيَقُولُ

إِنَّ ذَلِكَ يُجِلُّ بِفَائِدَةٍ وَضَعِ اللَّغَةَ لِأَنَّ اللَّغَةَ إِنَّمَا هِيَ وَضَعُ الْأَلْفَاظِ فِي دَلَالَتِهَا عَلَى أَلْمَاعِي أَيْ وَضَعُ الْأَسْمَاءِ عَلَى الْمُسَمَّيَاتِ لِتَكُونُ مُنْبَتَةً عَنْهَا عِنْدَ إِطْلَاقِ اللَّفْظِ وَالْإِشْتِرَاكِ لَا يَبَانَ فِيهِ وَإِنَّمَا هُوَ ضِدُّ الْبَيَانِ. لَكِنْ طَرِيقَ الْبَيَانِ أَنْ يُجْمَلَ أَحَدُ الْمَعْنِيَيْنِ فِي اللَّفْظِ الْمَشْتَرَكِ حَقِيقَةً وَالْآخَرُ مُجَازِيًا. فَإِذَا قُلْنَا: هَذِهِ كَلِمَةٌ. وَأَطْلَقْنَا الْقَوْلَ فُهِمَ مِنْهُ اللَّفْظَةُ الْوَاحِدَةُ. وَإِذَا قَيَّدْنَا اللَّفْظَ فَقُلْنَا: هَذِهِ كَلِمَةٌ شَاعِرَةٌ. فُهِمَ مِنْهُ الْقَصِيدَةُ الْقَصْدَةُ مِنَ الشَّعْرِ وَهِيَ مَجْمُوعُ كَلِمَاتٍ كَثِيرَةٍ. وَلَوْ أَطْلَقْنَا مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ وَارَدْنَا الْقَصِيدَةَ مِنَ الشَّعْرِ لَمَا فُهِمَ مُرَادُنَا الْبَيَّةُ. هَذَا خِلَافُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مَنْ يَنْكُرُ وَقُوعَ اللَّفْظِ الْمَشْتَرَكِ فِي الْمَعْنِيَيْنِ حَقِيقَةً. وَفِي ذَلِكَ مَا فِيهِ. وَسَائِينَ مَا يَدْخُلُهُ مِنَ الْحُلُلِ فَأَقُولُ فِي الْجَوَابِ عَنْ ذَلِكَ مَا اسْتَخْرَجْتُهُ بِفِكْرِي وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيهِ قَوْلٌ مِنْ قَبْلِي وَهُوَ: أَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ فَائِدَةَ وَضَعِ اللَّغَةَ إِنَّمَا هُوَ الْبَيَانُ عِنْدَ إِطْلَاقِ اللَّفْظِ وَاللَّفْظُ الْمَشْتَرَكُ يُجِلُّ بِهِذِهِ الْفَائِدَةُ. فَهَذَا غَيْرُ مُسَلَّمٍ بَلْ فَائِدَةُ وَضَعِ اللَّغَةَ هُوَ الْبَيَانُ وَالْمُخَسِّنُ

(أَمَّا الْبَيَانُ) فَقَدْ وَفَى الْأَسْمَاءُ الْمُبَيِّنَةُ الَّتِي كُلُّ أَسْمٍ وَاحِدٍ دَلَّ عَلَى مُسَمًى وَاحِدٍ. فَإِذَا أُطْلِقَ اللَّفْظُ فِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ كَانَ بَيْنَنَا مَفْهُومًا لَا يَحْتَاجُ إِلَى قَرِينَةٍ وَلَوْ لَمْ يَضَعِ الْوَضْعُ مِنَ الْأَسْمَاءِ شَيْئًا غَيْرَهَا لَكَانَ كَافِيًا فِي الْبَيَانِ

(وَأَمَّا الْمُخَسِّنُ) فَإِنَّ الْوَضْعَ لِهَذِهِ اللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ اللَّغَاتِ نَظْرًا إِلَى مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَرْبَابُ الْقَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ فِيمَا يَصُوغُونَهُ

مِنْ ظَنَمٍ وَذَرَّ وَرَأَى أَنَّ مِنْ مُهِمَّاتِ ذَلِكَ التَّحْنِيسَ وَلَا يَقُومُ بِهِ إِلَّا
الْأَسْمَاءُ الْمُشْتَرَكَةُ الَّتِي هِيَ كُلُّ أَسْمٍ وَاحِدٍ دَلَّ عَلَى مُسَمَّيْنِ قَصَاعِدَا
قَوَّضَعَهَا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ . وَهَذَا الْمَوْضِعُ يَجَادُّهُ جَانِبَانِ يَتَرَدَّدُ أَحَدُهُمَا
عَلَى الْآخَرِ . وَيَبَاهُ أَنَّ التَّحْنِيسَ يَقْضِي بَوَضعِ الْأَسْمَاءِ الْمُشْتَرَكَةِ
وَوَضْعَهَا يَذْهَبُ بِفَائِدَةِ الْبَيَانِ عِنْدَ إِطْلَاقِ الْإِفْظِ . وَعَلَى هَذَا فَإِنْ
وَضَعَهَا الْوَاضِعُ ذَهَبَ بِفَائِدَةِ الْبَيَانِ وَإِنْ لَمْ يَضَعْ ذَهَبَ بِفَائِدَةِ
التَّحْنِيسِ . لَكِنَّهُ إِنْ وَضَعَ اسْتَذْرَكَ مَا ذَهَبَ مِنْ فَائِدَةِ الْبَيَانِ بِالْقَرِينَةِ
وَإِنْ لَمْ يَضَعْ لَمْ يَسْتَذْرَكَ مَا ذَهَبَ مِنْ فَائِدَةِ التَّحْنِيسِ فَتَرْتَبِعُ جَمِيعُهُ
جَانِبُ الْوَضْعِ فَوَضَعَ

البحث السادس

في فصاحة المفرد وفصاحة المربك

(من شرح بديعة العميان لابن جابر الاندلسي باختصار)

(راجع صفحة ٤٠ وه من علم الادب)

الْفَصَاحَةُ فِي الْفُرْدِ هِيَ أَنْ تَكُونَ مِمَّا اسْتَمْسَلَتْ أَعْرَبُ الْمُصْحَفِ
كَثِيرًا وَدَارَ عَلَى السِّلْبِ قَسِيمٌ مِنْ سِتَّةِ أَشْيَاءَ . (لاول) : أَنْ
لَا يَتَرَكَ مِنْ حُرُوفٍ مُتَنَافِرَةٍ كَلَفْظَةٍ (الْعَجْجُ) وَهُوَ نَبْثٌ . سَلْ اِعْرَاجِي
عَنْ نَاقَتِهِ فَقَالَ : تَرَكْتُهَا تَرعى الْعَجْجَ . وَإِنَّمَا تَنَافَرَتْ حُرُوفُ هـ . هـ
الْكَلِمَةُ لِكُونِهَا مِنْ تَحْجِجٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الْخَلْقُ . (لثاني) : أَنْ
لَا تَتَوَالَى فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ حَرَكَتَيْنِ يَحْدُثُ بِسَبَبِهِمَا نَقْصٌ . (لثالث) :

أَنْ لَا يَكُونَ مُتَبَاهِيًا فِي كَثْرَةِ الْحُرُوفِ بِلَا زِيَادَةٍ مَعْنَى نَحْوُ :
 خَنْدَرِيْس . وَلَا فِي قِلَّتِهَا نَحْوُ : جَدَّ عَنْ ذَا الْمَرْءِ . وَخَيْرُ الْأَوْدِ أَوْسَطُهَا
 وَهُوَ التَّلَاثِيُّ إِذَا لَا فَضْلَةَ فِيهِ شَأْمًا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ حَرْفٍ إِلَّا بَدْءًا
 وَحَرْفٍ أَلْوَقْفِ وَحَرْفٍ فَاصِلٍ بَيْنَ أَلْوَقْفِ وَالْإِبْتِدَاءِ . أَمَّا لَوْ كَانَتْ
 زِيَادَةُ الْحُرُوفِ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى زَائِدَةٍ لَكَانَتْ أَلْفَظَةُ فَصِيحَةٍ نَحْوُ :
 أَخْشَوْسَنَ . مَعْنَاهُ أَزِيدُ مِنْ خَشَنَ . (الرَّابِعُ) : أَنْ لَا يَكُونَ وَحْشِيًّا
 غَيْرَ أَلُوفٍ نَحْوُ : الْإِسْفِنْطُ لِلْحَمْرِ وَالْخَنْشَائِلُ لِلسَّيْفِ وَأَلْفَدَوْكْسُ
 لِلْإِسْدِ . فَهَذِهِ أَلْفَظَاتٌ غَرِيبَةٌ يَجِبُهَا الطَّبْعُ وَلَا يُطْلَعُ عَلَى مَعْنَاهَا إِلَّا
 بَعْدَ بَحْثٍ فِي كِتَابِ اللَّغَةِ . (الخَامِسُ) : أَنْ لَا يَكُونَ مَبْذُولًا وَذَلِكَ
 نَحْوُ أَنْ يُخْرَجَ أَلْفَظٌ عَنْ أَصْلٍ وَضَعِهِ وَيَسْتَعْمَلُ فِي شَيْءٍ مُسْتَشْبِهٍ .
 (الْسَّادِسُ) : أَنْ لَا يَكُونَ مُشْتَرَكًا بَيْنَ مَعْنَيْنِ أَحَدُهُمَا مَكْرُوهٌ كَمَا لَوْ
 قَالَتْ : لَقِيتُ فُلَانًا فَعَزَزْتُهُ . فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ الْإِكْرَامَ وَالْإِهَانَةَ . فَلَوْ كَانَ فِي
 الْكَلَامِ قَرِينَةٌ تَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى الْحَسَنِ لَكَانَ أَلْفَظُ فَصِيحًا كَقَوْلِكَ :
 لَقِيتُ فُلَانًا فَعَزَزْتُهُ وَنَصَرْتُهُ . فَافْظُ (نَصَرْتُهُ) يَعْنِي فِيهِ الْمَعْنَى الْحَسَنَ .
 وَعَلَيْهِ يَكُونُ أَلْفَظُ حَسَنًا فِي نَفْسِهِ فَيَعْدُ قَبِيحًا بِسَبَبِ مُحَاوَلَةِ الْكَلَامِ
 وَمَوْقِعِهِ مِنْهُ

وَأَمَّا الْفَصَاحَةُ فِي التَّرْكِيْبِ فَهِيَ أَنْ يَسْلَمَ مِنْ حُمْسَةِ أَشْيَاءَ .
 (الْأَوَّلُ) : سَلَامَةٌ مُفْرَدَاتِهِ وَنَ السِّتَةِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَقَدِّمَةِ الَّتِي تُخْرِفُ فِي
 الْفُرْدِ لِأَنَّ لِلْمَرْكَبِ حُكْمًا مَا تَرَكَبَ مِنْهُ . (الثَّانِي) : أَنْ يَسْلَمَ مِنْ
 ضَمْفِ التَّلَايِفِ وَهُوَ خُرُوجُهُ عَنْ قَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ كَقَوْلِهِ :

جَزَا رَبُّهُ عَنِّي عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ جَزَاءَ الْكِلَابِ أَعَاوِيَاتٍ وَقَدْ فَعَلَ
فَاتَهُ خَالَفَ الْقِيَّاسَ فِي إِعَادَةِ الضَّمِيرِ فِي (رَبِّهِ) إِلَى عَدِيٍّ
وَهُوَ مُتَأَخَّرٌ لَفْظًا وَمَعْنَى . وَالْقَاعِدَةُ الْعَرَبِيَّةُ أَنَّ يَعُودَ الضَّمِيرُ عَلَى مَا
قَبْلَهُ أَوْ عَلَى مَا بَعْدَهُ لَفْظًا لَا مَعْنَى . (الثَّالِثُ) : أَنْ يَسْلَمَ مِنْ
تَنَافُرِ الْكَلِمَةِ وَذَلِكَ أَنْ تَكُونَ الْكَلِمَةُ حَالِ الْإِفْرَادِ غَيْرِ مُتَنَافِرَةٍ
فَإِذَا رُكِبَتْ حَصَلَ التَّنَافُرُ نَحْوُ قَوْلِهِ :

وَقَبْرُ حَرْبٍ (١) بِمَكَانٍ قَفْرٍ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ فَبُزِ
قِيلَ : إِنَّ هَذَا أَلَيَّتْ لَا يُمَكِّنُ إِنْشَادُهُ فِي أَعْلَابِ نَلَاتِ
مَرَّاتٍ مُتَوَالِيَةٍ إِلَّا وَيَغْلُطُ الْمُنْشِدُ فِيهِ لِأَنَّهُ تَجَمُّعُ الْكَلَامِ
وَالْقُرْبُ فِي الْخَارِجِ يُخَدِّثَانِ ثَقَلًا . وَإِذَا كَانَ التَّنَافُرُ فِي حُرُوفِ
الْكَلِمَةِ فَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى عَدَمِ فَصَاحَةِ الْفَرْدِ وَلَا يَسْلَمُ الْمُرْكَبُ مِنَ
التَّنَافُرِ مَتَى تَسْلَمَ مُفْرَدَاتُهُ كَقَوْلِي لِي تَمَّامَ :

كَرِيمٌ مَتَى أَمَدَحُهُ أَمَدَحُهُ وَالْوَرَى مَعِي وَإِذَا مَا شِئْتُ لَشِئْتُ وَهَبِي
فَالْتَّنَافُرُ فِيهِ مِنْ وَجْهِ تَكَرُّارِ (أَمَدَحُهُ) لِأَنَّ وَجْهَ أَلِ حُرُوفِ
(أَمَدَحُهُ) مُتَنَافِرَةٌ لِاجْتِمَاعِ حَرْفِي الْخَلْقِ . (الرَّابِعُ) : أَنْ يَسْلَمَ
مِنَ التَّنَقِيدِ وَهُوَ إِيرَادُ كَلَامٍ خَفِيَ الدَّلَالَةُ عَلَى مَعْنَاهُ وَهُوَ مِنْ جِهَةِ
الْلَفْظِ وَمِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى . فَمِنْ جِهَةِ الْلَفْظِ كِتَابُ خَيْرِ الْأَلْفَاظِ وَهُوَ :
عَلَى مَوَاضِعِهَا وَحُصُولِ الْفَضْلِ إِذَا ذَاكَ بَيْنَ الْأَسْيَاءِ مُسْتَلَامٌ
الْفَرْدَ ذِي عَيْدٍ إِبْرَاهِيمَ خَالَ هَشَامٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :

وَمَا مِثْلَهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مَمْلَكًا أَبَوَاهُ حَتَّى أَبَوْهُ يَقَارِبُهُ (١)
 التَّقْدِيرُ: وَمَا مِثْلَهُ فِي النَّاسِ حَتَّى يَقَارِبُهُ فِي الشَّرَفِ إِلَّا مَمْلَكٌ أَبُو
 أَمَ ذَلِكَ الْمَلِكُ أَبُو هَذَا الْمُدُوحِ. فَتَأَمَّلْ مَا فِيهِ مِنَ التَّقْدِيمِ وَالتَّأخِيرِ
 الْمَوْذُونِ بِالتَّعْقِيدِ الَّلَفْظِيِّ . وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى فَهُوَ أَنْ يُرِيدَ
 أَنْتَ كَلِمَةُ الدَّلَالَةِ فِي الَّلَفْظِ عَلَى لَازِمِ مَعْنَاهُ فِي اعْتِقَادِهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ
 فِي أَشْهُوَرٍ مِنْ كَلَامِ الْفَصَحَاءِ كَقَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَخْنَفِ :
 سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِقَرُوبًا وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ تَحْمَدًا (٢)
 فَجَعَلَ سَكْبَ الدَّمُوعِ كِنَايَةً عَمَّا يَلْزَمُ فِرَاقَ الْأَحِبَّةِ مِنَ الْكِنَايَةِ
 وَالْحُزْنَ وَأَصَابَ . لَكِنَّهُ أَخْطَأَ فِي جَعْلِ حُجُودِ الْعَيْنِ كِنَايَةً عَمَّا يُوجِبُهُ
 دَوَامُ التَّلَاقِ مِنَ الْفَرَحِ وَالشُّرُورِ لِاعْتِقَادِهِ أَنَّ الشُّرُورَ بِمَعْنَى الْجُمُودِ .
 لِأَنَّ جُمُودَ الْعَيْنِ عِنْدَ الْفَصَحَاءِ إِنَّمَا يَلْزَمُ بُحْبُوحًا بِالدَّمُوعِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ
 لَا الشُّرُورَ . وَأَعْلَمَ أَنَّ شَرَفَ الدِّينِ الطَّيِّبِيِّ جَعَلَ بَيْتَ الْعَبَّاسِ
 (سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ) مِنَ الْمُطَابَقَةِ الْحَسَنَةِ وَلَيْسَ فِيهِ عِنْدَهُ تَعْقِيدٌ
 مَعْنَوِيٌّ لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّ سَكْبَ الدَّمُوعِ فِي الْبَيْتِ عِبَارَةٌ عَنِ الْحُزَنِ .
 وَالْجُمُودُ عِبَارَةٌ عَنِ الشُّرُورِ فَحَصَلَتْ بَيْنَهُمَا مُطَابَقَةٌ بِهَذَا الَّلَفْظِ . وَجَعَلَ
 التَّعْقِيدَ الَّلَفْظِيَّ فِيمَا يَحْدُثُ مِنْ التَّثَلُّسِ مِنْ تَوَالِي الْمَضَافَاتِ وَالضَّائِرِ
 وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ مِنْ غَيْرِ عَطْفٍ وَتَكَرُّرِ الْأَلْفَافِ وَمَا جَرَى مَجْرَى

(١) أي ليس في الناس مثل المدوح حتى يقاربه إلا أناس وهو هشام
 الملك أي المعطى الملك

(٢) المعنى أي أطلب معاً بالمدح والعراق وأوطها على مقاساة الحر
 واتبرع عصفاً تميز لاحتيا الدموع من عني إلى أن يأتي عد العسر يسر

ذَلِكَ . (الْخَامِسُ) أَنْ يَسْلَمَ مِنَ التَّكَرَّارِ الْمَوْجِبِ فِي الْبَقْلِ كَتَّكَرَّارِ
الْفِظَةِ ذَاتِهَا وَتَوَالِي الْأَضَافَاتِ وَالْصِّفَاتِ وَلَا يُجْلِبُ بِالْقَعْدَةِ قَطْعًا تَكَرَّارُ
الْفِظَةِ لِلتَّوَكِيدِ وَأَمَّا يُعَابُ فَبِحِجِّ التَّكَرَّارِ بِلا فائدة كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ :
كُنْتُ كُنْتُ كُنْتُ أَلَسَرْتُ كُنْتُ كَمَا

كُنَّا وَكُنْتُ وَلَكِنْ ذَاكَ لَمْ يَكُنْ
نَجَّاتِ الْحُرُوفُ قَلِيلَةٌ مَكْدُودَةٌ غَيْرُ مَتَمَكِّنَةٍ فِي وَاقِعِهَا . (وَتَتَابَعُ
الْإِضَافَاتِ) مِثْلُ قَوْلِ أَبِي قَائِدٍ :

حَمَامَةٌ جَرَعًا حَوْمَةً الْجَنْدَلِ أَسْجَبِي فَأَنْتِ بَرَأَى مِنْ سَعَادٍ وَهَسْبَعِ (١)
فَفِيهِ إِضَافَةٌ حَمَامَةٍ إِلَى جَرَعًا وَجَرَعًا إِلَى حَوْمَةٍ وَحَوْمَةٍ إِلَى الْجَنْدَلِ .
وَلَيْسَ هَذَا بِفَصِيحٍ مَا نُسِ

(وَتَوَالِي الصِّفَاتِ) ذِكْرُهُ الطَّيِّبِ ذَاكَ بِمَا يُخَدُّ فِي الْكَلَامِ
ثِقَلًا وَأَسْتَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِ الْمُتَنَبِّي :

دَانٍ بَعِيدٌ مَحَبٌّ مُبْغِضٌ بِهِ أَغْرُ حُلُومُ لَيْلٍ نَسْرُ

(١) الْحَرَامُ تَخْفِيفُ الْحَرَامِ وَمَوْنَتُ الْأَحْرَجِ وَهِيَ أَرْضُ دَاتٍ رَمَلٍ لَا تَمُتُ
شَيْئًا . وَالْحَوْمَةُ مَعْطَمُ الشَّيْءِ . وَالْجَنْدَلُ أَرْضُ دَاتٍ حَجَارَةٍ يَقُولُ : اسْتَبَعِ بِأَحْمَامَةِ أَرْضِ
قَفَرَةٍ سَبِينَةٍ فَانْ سَعَادُ تَرَكَ وَتَسْمَعُكَ

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل في كل شيء
دلالة على قدرته وجلاله
وآياته العجيبة

الفصل الثاني

في البلاغة

البحث الأول

في الإبانة عن حدّ البلاغة

(من كتاب الصاعتين للعسكري)

(راجع صفحة ٩ من علم الادب)

أَلْبَلَاغَةُ كُلُّ مَا تُبْلَغُ بِهِ الْمَعْنَى قَابَ السَّامِعِ فَتُسَكِّنُهُ فِي نَفْسِهِ
كَتَسَكِّنُهُ فِي نَفْسِكَ مَعَ صُورَةٍ مَقْبُولَةٍ وَمَعْرِضٍ حَسَنٍ . وَإِنَّمَا جَعَلْنَا
حُسْنَ الْمَعْرِضِ وَقَبُولَ الصُّورَةِ شَرْطًا فِي أَلْبَلَاغَةٍ لِأَنَّ الْكَلَامَ إِذَا
كَانَتْ عِبَارَتُهُ رَثَّةً وَمَعْرِضُهُ خَلَقًا لَمْ يُسَمَّ بَلِيغًا وَإِنْ كَانَ مَفْهُومَ الْمَعْنَى
مَكْشُوفَ الْمَعْرِضِ . أَلَا تَرَى إِلَى مَعْنَى الْكَاتِبِ الَّذِي كَتَبَ إِلَى
بَعْضِ مُعَاوَلِيهِ : (قَدْ تَأَخَّرَ الْأَمْرُ فِيمَا وَعَدْتُ حَمَلَهُ ضُحْوَةَ النَّهَارِ
وَأَلْقَوْهُمْ غَيْرَ مُقِيمِينَ لَيْسَ لَهُمْ صَبْرٌ . فَإِنْ رَأَيْتَ فِي إِزَاحَةِ أَلْعَلَّةِ مَعَ
أَلْجَهْدِ فَعَلْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ) . فَمَتَاهُ مَفْهُومٌ وَمَعْرِضُهُ مَعَاوِمٌ وَلَيْسَ كَلَامُهُ
بِلَيِّغٍ فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مِنْ شَرْطِ أَلْبَلَاغَةٍ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى مَفْهُومًا
وَاللَّفْظُ مَقْبُولًا عَلَى مَا قَدَّمَاهُ . وَمَنْ قَالَ إِنَّ أَلْبَلَاغَةَ إِنَّمَا هِيَ إِفْهَامُ
الْمَعْنَى فَقَطْ فَقَدْ جَعَلَ الْقَصَاةَ وَالْكُنْهَ وَالْخَطَأَ وَالصَّوَابَ وَالْإِغْلَاقَ

وَالْإِبَاطَةُ سَوَاءٌ . وَآيضًا فَلَوْ كَانَ الْكَلَامُ الْوَاضِحَ السَّهْلَ وَالْقَرِيبَ
السَّلسَ لَطُفُوا بِلَيْعًا وَمَا خَالَفَهُ مِنَ الْكَلَامِ الْمُسْتَهْجِمِ الْمُسْتَغْلِقِ
وَالْمُتَكَفِّفِ الْمُنْتَعِدِ آيضًا بِلَيْعًا لَكَانَ كُلُّ ذَلِكَ مَحْمُودًا وَمَمْدُوحًا
مَقْبُولًا لِأَنَّ الْبَلَاغَةَ أَمُّهُ يُمدِّحُ بِهِ الْكَلَامَ . فَلَمَّا رَأَيْنَا أَحَدَهُمَا
مُسْتَحْسِنًا وَالْآخَرَ مُسْتَهْجِنًا عَلِمْنَا أَنَّ الَّذِي يُسْتَحْسِنُ هُوَ الْبَلِيعُ وَالَّذِي
يُسْتَهْجَنُ لَيْسَ بِلَيْعٍ . وَقَالَ الْعِتَابِيُّ : كُلُّ مَنْ أَفْهَمَكَ حَاجَتَهُ فَهُوَ
بَلِيعٌ . وَآثَمًا عَنَى أَنَّ مَنْ أَفْهَمَكَ حَاجَتَهُ بِالْأَلْفَافِ الْحَسَنَةِ وَالْعِبَارَةِ
الْقَلِيلَةِ فَهُوَ بَلِيعٌ . وَلَوْ حَمَلْنَا هَذَا الْكَلَامَ عَلَى ظَاهِرِهِ لَزِمَ أَنْ
يَكُونَ الْأَلَكَنُ بَلِيعًا لِأَنَّهُ يُفْهَمُنَا حَاجَتَهُ بَلَّ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ
الْأَنَاسِ بُلْعَاءً حَتَّى الْأَطْفَالُ لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ لَا يَعْدَمُ أَنْ يَدُلَّ عَلَى غَرَضِهِ
بِفَحْمَتِهِ وَلَكِنَّتِهِ وَإِيمَانِهِ وَإِشَارَتِهِ بَلَّ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ الْأَنْسُورُ بَلِيعًا
لِأَنَّا نَسْتَدِلُّ بِضَعَائِهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ إِرَادَتِهِ وَهَذَا ظَاهِرُ الْأَحَالَةِ .
وَنَحْنُ نَفْهَمُ رَطَانَةَ السُّوقِ وَجَهْمَةَ الْأَعْجَمِيِّ الْعَادَةِ الَّتِي جَرَتْ لَنَا فِي
سَمَاعِهَا لِأَنَّ تِلْكَ بَلَاغَةٌ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَعْرَابِيَّ إِذَا سَمِعَ ذَلِكَ لَمْ
يَفْهَمْهُ إِذَا لَاعَادَتَهُ لَهُ بِسَمَاعِهِ . وَآرَادَ رَجُلٌ أَنْ يَسْأَلَ بَعْضَ الْأَعْرَابِ
عَنْ أَهْلِهِ فَقَالَ : كَيْفَ أَهْلُكَ (بِالْكَسْرِ) . فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ :
صَابَأَ . إِذَا لَمْ يَشْكُ أَنَّهُ . إِنَّمَا يَسْأَلُهُ عَنِ السَّبَبِ الَّذِي يَمْلِكُ بِهِ . وَسَمِعَ
أَعْرَابِيٌّ قَصِيدَةَ أَبِي تَمَّامٍ فِي خَالِدِ بْنِ يَرِيدٍ :

طَلَّ الْجَمِيعُ لَقَدْ عَفَرَتْ حَمِيدًا

فَقَالَ : إِنَّ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ أَشْيَاءَ أَفْهَمِيهَا وَأَشْيَاءَ لَا أَفْهَمِيهَا

فَمَا أَنْ يَكُونَ قَائِلَهَا أَشْعَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ
النَّاسِ أَشْعَرَ مِنْهُ . وَنَحْنُ نَفْهَمُ مَعَانِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بِأَسْرِهِا إِعَادَتَنَا
إِسْمَاعِيلَ بِمِثْلِهَا لَا لِأَنَّا أَعْرَفُ بِالْكَلَامِ مِنَ الْأَعْرَابِ . وَمِمَّا يُؤَيِّدُ مَا
قُلْنَا مِنْ أَنَّ الْبَلَاغَةَ إِنَّمَا هِيَ إِيضَاحُ الْمَعْنَى وَتَحْسِينُ اللَّفْظِ قَوْلُ بَعْضِ
الْحُكَمَاءِ : الْبَلَاغَةُ تَصْحِيحُ الْأَقْسَامِ وَاخْتِيَارُ الْكَلَامِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ : الْبَلَاغَةُ قَوْلٌ يَضْطَرُّ الْعُقُولَ إِلَى فَهْمِهِ بِأَسْهَلِ
الْعِبَارَةِ . فَقَوْلُهُ : (يَضْطَرُّ الْعُقُولَ إِلَى فَهْمِهِ) عِبَارَةٌ عَنْ إِيضَاحِ الْمَعْنَى .
وَقَوْلُهُ : (بِأَسْهَلِ الْعِبَارَةِ) تَنْبِيهُ عَلَى تَسْلِيسِ اللَّفْظِ وَتَرْكِ تَنْقِيحِهِ

البحث الثاني

اقوال في تحديد البلاغة

(ملخص عن زهر الاداب للحصري وكتاب الصناعتين للمصري)

قَالَ أَعْرَابِيٌّ : الْبَلَاغَةُ التَّقَرُّبُ مِنَ الْبَعِيدِ وَالتَّبَاعُدُ مِنَ الْكَافَةِ
وَالدَّلَالَةُ بِقَلِيلٍ عَلَى كَثِيرٍ . قَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ يَحْيَى : الْبَلَاغَةُ تَقْرِيرُ
الْمَعْنَى فِي الْأَفْهَامِ مِنْ أَقْرَبِ وَجْهِ الْكَلَامِ . قَالَ ابْنُ الْأَثَرِ :
الْبَلَاغَةُ التَّلْوُّغُ إِلَى الْمَعْنَى وَلَمْ يَطْلُ سَفَرُ الْكَلَامِ . قَالَ سَهْلُ بْنُ
هَارُونَ : أَلْيَانُ تَرْجُمَانِ الْعُقُولِ وَرَوْضُ الْقُلُوبِ . وَقَالَ أَيْضًا : أَلْعُقُولُ
رَأَيْدُ الرُّوحِ وَالْعِلْمِ رَأَيْدُ الْعَقْلِ وَأَلْيَانُ تَرْجُمَانِ الْعِلْمِ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ
الْأَمَامُ : يَكْفِي وَنَ أَبْلَاغَةً أَنْ لَا يُؤْتَى السَّارِعُ مِنْ سُرِّ فَهْمِ النَّاطِقِ
وَلَا يُؤْتَى النَّاطِقُ مِنْ سُوءِ فَهْمِ السَّامِعِ . قَالَ الْهَيْثَابِيُّ : الْبَلَاغَةُ مَثَدُ

الْكَلَامَ بِمَعَانِيهِ إِذَا قُصِرَ وَحُسِنُ التَّأْلِيفِ إِذَا طَالَ . قَالَ أَعْرَابِيٌّ :
 أَلْبَلَاغَةُ إِيجَازٌ فِي غَيْرِ عَجْزٍ وَإِطْنَابٌ فِي غَيْرِ خَطَلٍ . وَقَدْ قِيلَ لِلْيُونَانِيِّ :
 مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : تَضَحِيجُ الْأَقْسَامِ وَاتِّخَاذُ الْكَلَامِ . وَقِيلَ لِلرُّومِيِّ :
 مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : حُسْنُ الْأَقْتِصَابِ عِنْدَ الْبِدَآءِ وَالْفَرَاقَةِ يَوْمَ
 الْإِطْلَاقِ . وَقِيلَ لِلْهِنْدِيِّ : مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : وَضُوحُ الدَّلَالَةِ وَأَنْتَهَازُ
 الْفُرْصَةِ وَحُسْنُ الْأَشَارَةِ . وَقِيلَ لِلْفَارِسِيِّ : مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : مَعْرِفَةُ
 الْفَصْلِ مِنَ الْوَصْلِ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرُّمَانِيُّ : أَلْبَلَاغَةُ إِيْصَالُ
 الْمَعْنَى إِلَى الْقَلْبِ فِي حُسْنِ صُورَةٍ مِنَ اللفظ . وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ
 أَلْبَلَاغَةٍ . قَالَ : أَبْلَغُ الْكَلَامِ مَا حَسَنَ إِيجَازُهُ . وَقِيلَ بَعْضُهُ : وَكَثُرَ
 عَجَازُهُ . وَتَنَاسَبَتْ صُدُورُهُ وَعَجَازُهُ . وَقِيلَ لِبُجَيْرِ بْنِ خَالِدٍ : مَا
 أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : التَّقَرُّبُ مِنَ الْمَعْنَى الْبَعِيدِ وَالْإِقْدَالُ عَلَى
 الْكَثِيرِ . وَقِيلَ لِأَخَرٍ : مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : تَطْوِيلُ أَتَصْيِيرُ وَقَصْصُ
 الطَّوِيلِ . وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : حَذْفُ الْغُضُولِ
 وَتَقْرِيبُ الْبَعِيدِ وَحُسْنُ الْأَسْنَعَادَةِ . وَقِيلَ لِحَالِ بْنِ سُلَيْمٍ : مَا
 قَالَ : إِضْخَاحُ الْمُعْضِلِ وَفَكُّ الْمَشْكِلِ . وَقِيلَ لِلْحَافِظِ بْنِ حَمْدٍ : مَا
 أَلْبَلَاغَةُ . فَقَالَ : مَا قَرَّبَ طَرَفَاهُ وَبَعَدَ مَنْتَهَاهُ . وَقِيلَ لِأَخَرٍ : مَا
 أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : إِصَابَةُ الْمَعْنَى وَالتَّصَدُّقُ عَلَى الْحُجَّةِ . وَقِيلَ لِأَخَرٍ :
 مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : تَصْوِيرُ الْحَقِّ فِي صُورَةٍ أَلْفَاطِيٍّ وَتَمْيِيزُهَا بِطَرَفِيٍّ فِي
 صُورَةٍ الْحَقِّ (١) . وَقِيلَ لِأَبِي إِسْحَاقَ : مَا أَلْبَلَاغَةُ . قَالَ : أَخْزَاؤُهَا وَاصْطِنَافُهَا

قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ حَسَّانَ : لَمْ يَفْسِّرْ أَحَدُ الْبَلَاغَةِ تَفْسِيرَ ابْنِ الْمَقْفَعِ
إِذْ قَالَ : الْبَلَاغَةُ لِمَا نَجْرِي فِي وَجْهِهِ كَثِيرَةٌ : فَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي
الْإِشَارَةِ . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي الْحَدِيثِ . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي الْإِسْتِمَاعِ
وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي الْإِخْتِجَاجِ . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ شِعْرًا . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ
أَيْدَاءً . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ جَوَابًا . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ سَجْعًا . وَمِنْهَا مَا يَكُونُ
خُطْبًا . وَمِنْهَا رُبَّمَا كَانَتْ رَسَائِلَ . فَقَايَةُ (١) هَذِهِ الْأَبْوَابِ الْوَحْيِ
فِيهَا وَالْإِشَارَةُ إِلَى الْمَعْنَى الْبَلُغُ وَالْإِيحَازُ هُوَ الْبَلَاغَةُ . فَالْسُّكُوتُ يُسَمَّى
بَلَاغَةً مَجَازًا وَهُوَ فِي حَالَةٍ لَا يَجْعُ فِيهَا الْقَوْلُ وَلَا يَنْفَعُ فِيهَا إِقَامَةُ
الْجَوَابِ . إِمَّا عِنْدَ جَاهِلٍ لَا يَفْهَمُ الْخُطَابَ أَوْ عِنْدَ وَضِيعٍ لَا يَرْهَبُ
الْجَوَابَ . أَوْ ظَالِمٍ سَلِيطٍ يَحْكُمُ بِالْهَوَى وَلَا يَرْتَدِعُ بِكَلِمَةِ التَّقْوَى
وَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ يُعْرَى مِنَ الْخَيْرِ أَوْ يَجْلِبُ الشَّرُّ فَالْسُّكُوتُ أَوْلَى
كَمَا قَالَ أَبُو الْقَتَاهِيَّةِ :

مَا كُلُّ نَظْقٍ لَهُ جَوَابٌ جَوَابُ مَا يُكَرِّهُ السُّكُوتُ
وَرُبَّمَا كَانَ صَمْتُكَ فِي حَالٍ أَرْفَقَ مِنْ كَلَامِكَ وَلَهُ وَجْهٌ آخَرُ وَهُوَ
قَوْلُهُمْ : كُلُّ صَامِتٍ نَاطِقٌ مِنْ جِهَةِ الدَّلَالَةِ . وَذَلِكَ أَنَّ دَلَالَاتِ الصَّنْعَةِ
فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ وَاصِحَّةٌ . وَالْمُرُوعَةُ فِيهَا مُأْتَمَةٌ . وَقَدْ قَالَ الرَّقَازِيُّ :
سَلِ الْأَرْضَ مِنْ شَقِّ أَنْهَارِكَ وَغَرَسِ اشْجَارَكَ وَجَنِّ ثَمَارَكَ . فَإِنْ لَمْ
تُجِبْ حِوَارَا أَجَابَتِكَ اعْتِدَارًا . وَقَوْلُ ابْنِ الْمَقْفَعِ : (رُبَّمَا كَانَتْ
الْبَلَاغَةُ بِالْإِسْتِمَاعِ) فَلِأَنَّ الْمُخَاطَبَ إِذَا لَمْ يُجِيسِ الْإِسْتِمَاعَ لَمْ

يَقِفْ عَلَى الْمَعْنَى الْمَوْدِي إِلَى الْخُطَابِ . فَلَا سَمَاعُ الْحَسَنِ عَوْنُ
 لِلْبَلِيغِ عَلَى إِفْهَامِ الْمَعْنَى
 وَقَدْ جَاءَ لِلْبَلَاغَةِ تَعْرِيفَاتٌ أُخْرُ مِنْهَا قَوْلُ بَعْضِ حُكَمَاءِ أَهْلِئِندِ :
 جَمَاعُ الْبَلَاغَةِ الْبَصَرُ بِالْحُجَّةِ وَالْمَعْرِفَةُ بِمَوَاقِعِ الْفُرْصَةِ وَوِنَ الْبَصَرُ بِالْحُجَّةِ
 أَنْ تَدْعَ الْإِفْصَاحَ بِهَا إِلَى الْكِنَايَةِ عَنْهَا إِذَا كَانَ طَرِيقُ الْإِفْصَاحِ
 وَغَرًّا وَكَانَتْ الْكِنَايَةُ أَحْضَرَ نَفْعًا . قَالَ آخَرُ : أَبْلَغُ الْكَلَامِ مَا
 يُؤْنِسُ سَمْعَهُ . وَيُؤْنِسُ مَصْنَعُهُ . وَالْبَلِيغُ مَنْ يَحْتِجِي مِنْ آلَاظِ أَوَارِهَا .
 وَمَنْ أَلْعَانِي غَارَهَا . لَيْسَتْ الْبَلَاغَةُ أَنْ يُطَالَ عِنَانُ الْقَلَمِ أَوْ سِنَانُ .
 أَوْ يُبَسِّطَ رَهَانُ الْقَوْلِ وَمِثْلَانُهُ . بَلْ هِيَ أَنْ يَبْلُغَ أَسَدُ الْمُرَادِ
 بِأَلْفَظٍ أَعْيَانٍ وَمَعَانٍ أَفْرَادٍ مِنْ حَيْثُ لَا تَزِيدُ عَلَى الْحَاجَةِ وَلَا إِخْلَالُ
 يُضْطَرُّ إِلَى الْفَاقَةِ . وَصَفَ بَعْضُهُمُ الْبَلَاغَةَ قَالَ : هِيَ مِيدَانُ لَا يَقْطَعُ
 إِلَّا بِسَوَاقِي الْأَذْهَانِ . وَلَا يَسْلُكُ إِلَّا بِصَابِرِ الْبَيَانِ . يَعْنِي صَاحِبَهَا
 بِالْكَلَامِ . وَيَقُودُهُ بِاللَّيْنِ زِمَامُ . حَتَّى كَانَ الْأَلْفَظُ تَتَحَاسَدُ فِي تَسَانُفِ إِلَى
 خَوَاطِرِهِ وَالْعَالِي تَتَغَايَرُ فِي الْأَنْثِيَالِ عَلَى أَنَّهُمْ كَقَوْلِي فِي نَمِطِ :
 تَغَايَرُ الشَّعْرِ فِيهِ إِذْ سَهَرْتُ لَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ قَوْفِيهِ سَتَقَرُّ
 وَقِيلَ فِي بَلِيغٍ : فَلَانُ مَشْرِفِي الْمَشْرِقِ . وَصَافِي فِي 'مُطَلَقِ .
 أَلْبَيَانُ أَضْعَفُ صِفَاتِهِ . وَالْبَلَاغَةُ عَفْوُ خَطَرَاتِهِ . كَأَنَّهُ أَوْجِبُ بِاتُوفِيقِ أَوْ
 صَدْرِهِ . وَحَسُنَ الصَّوَابُ بَيْنَ طَبْعِهِ وَفِكْرِهِ . يَحْزَنُ مِنْهُ صِلُ الْكَلَامِ .
 وَيَسْبِقُ فِيهَا إِلَى دَرْكِ أَلْرَامِ . كَأَنَّا جَمَعَ الْكَلَامَ سَوَاءً حَتَّى نَسْتَقِي وَنَمِ
 وَأَنْتَجَبَ . وَتَتَاوَلَ وَنَمِ مَا طَالَ . وَتَرَكَ بَعْدَ ذَلِكَ . وَنَمِ . وَنَمِ .

وَأَجْسَادًا لَا تُقُوسًا . وَقِيلَ فِي آخَرٍ : يَرْضَى بِغَفْرِ الطَّبَعِ . وَيَقْنَعُ بِمَا
خَفَّ عَلَى السَّمْعِ . وَيُوجِزُ فَلَا يُجِلُّ . وَيُطْنِبُ فَلَا يُجِلُّ . فَلِلَّهِ فَلَانٌ أَخَذَ
بِأَزْمَةِ الْقَوْلِ يَقُودُهَا كَيْفَ أَرَادَ وَيَحْذِيهَا أَيْ شَاءَ فَلَا تَغْصِيهِ
بَيْنَ الصَّغْبِ وَالذَّلُولِ . وَلَا تُسْلِيهِ عِنْدَ الْحُزَنِ وَالسُّهُولِ . كَلَامُهُ
يَشْتَدُّ مَرَّةً حَتَّى تَقُولَ : الصَّخْرُ الْأَمْلَسُ . وَيَلِينُ تَارَةً حَتَّى تَقُولَ : أَلْمَاءُ
أَوْ أَسْلَسُ . يَقُولُ : قَيْصُولُ . وَنُجَيْبُ . فَيُصِيبُ . وَيَكْتَسِبُ فَيُطْبِقُ الْمَفْصِلَ .
وَيَسْتَقِ الْأَدْرَ الْمَفْصِلَ . وَيَرِدُ مَشَارِعَ الْكَلَامِ وَهِيَ صَافِيَةٌ لَمْ تُطْرُقْ .
وَجَامَةٌ لَمْ تُرْتَقِ . خَاطِرُهُ الْبَرَقُ أَوْ أَسْرَعُ لِمَاءِ وَالسَّيْفُ أَوْ أَحَدُ قِطْعَا .
وَأَلْمَاءُ أَوْ أَسْلَسُ جَرِيًا . وَالْفَلَكَ أَوْ أَقَوْمُ هَذِيَا . يَسْهَلُ الْكَلَامُ عَلَى
لَفْظِهِ وَتَتَرَاخَمُ أَلْمَاعِي عَلَى طَبِيعِهِ فَيَتَنَاوَلُ الْمَرْمَى أَلْبَعِيدَ بِقَرِيبِ سَعْيِهِ .
وَيَسْتَبْطِ الْمَشْرِعَ الْعَبِيقَ بِسَيْرِ جَرِيهِ . لِسَانُهُ يَفَاقُ الصُّخُورَ . وَيُفِيضُ
الْبُحُورَ . خَطِيبٌ لَا تَنَالُهُ حُبْسَةٌ وَلَا تَرْتَهِنُهُ لُكْنَةٌ وَلَا تَحْجِفُ بَيَانُهُ عُجْمَةٌ
وَلَا تَعَزِزُ لِسَانُهُ عُقْدَةً يُحْسِنُ السَّفَارَةَ . وَيَسْتَرْفِي الْعِبَارَةَ . وَيُؤَدِّي
الْأَلْفَاظَ . وَيَسْتَعْرِقُ الْأَغْرَاضَ . قَالَ حَتَّى قَالَ الْكَلَامُ : لَوْ أَعْفَيْتَ .
وَكُتِبَ حَتَّى قَالَتْ أَلَا قَلَامٌ : قَدْ أَحَقَّتْ

البحث الثالث

في أوصاف البلاغات على السنة اقوام من اهل البلاغات

(عن زهر الاداب للقدرياني)

قَالَ بَعْضُ مَنْ وُلِدَ عَقَائِلُ هَذَا الْمَنْشُورِ . وَآلَفَ فَوَاصِلُ هَذِهِ

الشدور: تَجَمَّعَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الصِّنَاعَاتِ فَوَصَّفُوا بِلَاغَاتِهِمْ مِنْ طَرِيقِ
صِنَاعَاتِهِمْ . (فَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ) : أَحْسَنُ الْكَلَامِ إِظَامًا مَا نَقَبَتْهُ
يَدُ الْفِكْرِ وَنَظَّمَتْهُ الْفِطْنَةُ وَوَصَلَ جَوْهَرُ مَعَانِيهِ فِي سُمُوطِ الْقَاطِظِ
فَاحْتَمَلَتْهُ نُحُورُ الرُّوَاةِ . (وَقَالَ الْعَطَّارُ) : أَطْيَبُ الْكَلَامِ مَا عُجِنَ
عَنْبَرُ الْقَاطِظِ بِمِسْكِ مَعَانِيهِ فَفَاحَ نَسِيمُ نَشْقِهِ . وَسَطَمَتْ رَائِحَةُ عَمَقِهِ .
فَقَعَلَتْ بِهِ الرُّوَاةُ وَتَعَطَّرَتْ بِهِ الشَّرَاةُ . (وَقَالَ الْأَصَانُغِيُّ) : خَيْرُ الْكَلَامِ
مَا أَحْمَيْتَهُ بِكِبَرِ الْفِكْرِ . وَسَبَكْتَهُ بِعِشَائِلِ النَّظَرِ . وَخَاصَّتُهُ مِنْ خَبَثِ
الْأُطْنَابِ قَبَرُزُ بُرُوزِ الْأَبْرِيزِ . فِي مَعْنَى وَجِيزٍ . (وَقَالَ الْأَصِيرِيُّ) :
خَيْرُ الْكَلَامِ مَا نَقَدْتَهُ يَدُ الْبَصِيرَةِ وَجَاءَتْهُ عَيْنُ الرُّوِيَّةِ وَوَزَنَتْهُ بِمِغْيَارِ
الْفَصَاحَةِ فَلَا تَنْظَرُ يُزِيغُهُ وَلَا سَمَاعُ يَبْهَرُجُهُ . (وَقَالَ الْحَدَّادُ) : أَحْسَنُ
الْكَلَامِ مَا نَصَبْتَ عَلَيْهِ مِنْجَةً الْقَرِيحَةِ وَأَشَعْتَ عَلَيْهِ نَارَ الْبَصِيرَةِ
ثُمَّ أَخْرَجْتَهُ مِنْ فَحْمِ الْإِفْخَامِ . وَرَفَقْتَهُ بِفِطْسِ الْإِفْهَامِ . (وَقَالَ
الْحَبَّارُ) : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا انْحَكَمَتْ تَجَرُّ مَعْنَاهُ بِقُدُومِ التَّقْدِيرِ . وَأَشْرَتْهُ
بِمِنْشَارِ التَّدْبِيرِ . فَصَارَ بَابًا لَبِيتِ الْبَيَانِ . وَعَارِضَةً لِسَقْفِ اللِّسَانِ .
(وَقَالَ الْجَمَّادُ) : أَحْسَنُ الْكَلَامِ مَا لَطَفَتْ رِقَافُ الْقَاطِظِ وَحَسُنَتْ
طَارِحُ مَعَانِيهِ فَتَزَهَّزَتْ فِي ذَرَائِي مَحَاسِنِهِ عِيُونُ النَّظَائِرِينَ . وَوَصَّاحَتْ
لِلْبَاقِ بِفَحْجِهِ أَذَانُ السَّائِعِينَ . (وَقَالَ الْأَمَلِيُّ) : آيِنُ الْكَلَامِ مَا
عَلَّقَتْ وَدَّمَ الْقَاطِظِ بِبَكْرَةِ مَعَانِيهِ ثُمَّ أَرْسَلَتْهُ فِي قَلْبِ الْفِطْنِ رِيَا
فَأَمْتَحَتْ بِهِ سِقَاءَ يَكْشِفُ الشُّبُهَاتِ . وَأَسْتَبْطَتْ بِهِ مَعْنَى يُزَوِّي وَنَ
ظَلَامِ أَنْشِكِلَاتِ . (وَقَالَ الْخِطَّاطُ) : الْبَلَاغَةُ رِدَاءُ قُبْرُبَانِهِ الْبَيَانِ

وَجَبِيهِ الْمَعْرِفَةُ وَكُمَاهُ الْوَجَازَةُ وَدَخَارِيصُهُ الْإِفْهَامُ وَدَرُورُهُ الْحَلَاوَةُ
وَلَا بَسُهُ جَسَدُ اللَّغْظِ وَرُوحُ الْمَعْنَى . (وَقَالَ الصَّبَّاحُ) : أَحْسَنُ
الْكَلَامِ مَا لَمْ تَنْضَ بِهِجْهُ إِيحَازِهِ . وَلَمْ تُكْشِفْ صَبْغَةَ إِيحَازِهِ .
قَدْ صَقَّاهُ يَدُ الرُّوِيَّةِ مِنْ كُمُودِ الْأَشْكَالِ قَرَاعَ كَوَاعِبِ الْأَدَابِ .
وَأَلْفَ عَذَارَى الْأَلْبَابِ . (وَقَالَ الْحَائِكُ) : أَحْسَنُ الْكَلَامِ مَا
اتَّصَلَتْ لُحْمَةُ الْقَاطِلِ بِسَدَى مَعَانِيهِ فَخَرَجَ مُفَوَّقًا مُنِيرًا وَمُوشَى مُجَبِّرًا .
(وَقَالَ الْبَرَّازُ) : أَحْسَنُ الْكَلَامِ مَا صَدَقَ رَفْعُ الْقَاطِلِ وَحَسُنَ
تَشْرُ مَعَانِيهِ فَلَمْ يُسْتَجْمَعْ عَلَيْكَ تَشْرُ وَلَمْ يُسْتَبْهَمْ عَلَيْكَ طَيُّ . (وَقَالَ
الرَّائِضُ) : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا لَمْ يَخْرُجْ عَنْ حَدِّ التَّخْلِيعِ إِلَى مَزَلَةِ التَّقَرُّبِ إِلَّا
بَعْدَ الرِّيَاضَةِ وَكَانَ كَالْمُهَرِّ الَّذِي أَطْمَعَ أَوَّلُ رِيَاضَتِهِ فِي تَمَامِ تَقَاتِهِ .
(وَقَالَ الْجَمَالُ) : أَلْبَلِغْ مَنْ أَخَذَ بِخِطَامِ كَلَامِهِ فَإِنَّهُ فِي مَبْرَكِ الْمَعْنَى
ثُمَّ جَعَلَ الْإِخْتِصَارَ لَهُ عِقَالًا وَالْإِيحَازَ لَهُ مَجَالًا . فَلَمْ يَبْدَعْ عَنِ الْأَذَانِ . وَلَمْ
يَشُدَّ عَنِ الْأَذْهَانِ . (وَقَالَ الْحَمَارُ) : أَلْبَغْ الْكَلَامَ مَا صَلَحَتْهُ مَرَاجِلُ
الْعِلْمِ وَصَفَاهُ رَاوِقُ الْفَهْمِ وَضَمَّتْهُ دِنَانُ الْحِكْمَةِ فَتَمَشَّتْ فِي
الْمَفَاصِلِ عُدُوبَتُهُ وَفِي الْأَفْكَارِ دِقَّتُهُ وَفِي الْعُقُولِ جِدَّتُهُ . (وَقَالَ
الْفَقَّاعِيُّ) : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا رَوَّحَتْ الْقَاطِلُ غِبَاوَةَ الشَّكِّ وَدَقَّتْ
دِقَّتُهُ قَطَاظَةَ الْجَهْلِ قَطَابَ جُشَاءِ قَطْبِهِ وَصَدَبَ مَصُّ جُرْعِهِ . (وَقَالَ
الطَّيِّبُ) : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا إِذَا بَاشَرَ دَوَاءَ بَيَانِهِ سَقَمُ الشُّبْهِ
أَسْتَطْلَقَتْ طَبِيعَةُ الْغِبَاوَةِ فَشَقَى مِنْ سُوءِ الْفَهْمِ وَأَوْرَثَ حِكْمَةَ التَّوَهُّمِ .
(قَالَ الْكَيْخَالُ) : كَمَا أَنَّ الرَّهْمَ قَذَى الْأَبْصَارِ فَالشُّبْهُ قَذَى الْأَبْصَارِ

فَأَحْلَ عَيْنَ الْكُنْةِ بِمِلِّ الْبَلَاغَةِ وَأَجَلُ رَمَصَ الْغَفْلَةِ بِمُرُودِ الْيَقْظَةِ.
(ثُمَّ قَالَ): أَسْمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّ أَبْلَغَ الْكَلَامِ مَا إِذَا أَشْرَقَتْ
شَمْسُهُ أُنْكَشَفَ لَبْسُهُ وَإِذَا صَدَقَتْ أَنْوَاؤُهُ أَخْضَرَّتْ أَحْمَاؤُهُ

الفصل الثالث

في المعاني

البحث الأول

في حقيقة المعاني

(عن كشف اصطلاحات الفنون بتصرف)

(راجع صفحة ١٠ من علم الادب)

الْمَعْنَى لُغَةً الْمَقْصُودُ وَفِي الْأَصْطِلَاحِ هُوَ الصُّورَةُ النَّهْنِيَّةُ مِنْ
حَيْثُ إِنَّهُ وُضِعَ بِإِذَائِهَا اللَّفْظُ أَيُّ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تُقْصَدُ وَهَذَا
إِنَّمَا يَكُونُ بِأَلَوْضَعٍ فَإِنْ عُبِّرَ عَنْهَا بِلَفْظٍ مُفْرَدٍ يُسَمَّى مَعْنَى مُفْرَدًا .
وَأِنْ عُبِّرَ عَنْهَا بِلَفْظٍ مُرَكَّبٍ سُمِّيَ مَعْنَى مُرَكَّبًا . فَأَلْفَرَادُ وَالتَّرْكِيبُ
صِفَتَانِ لِلْأَلْفَافِ حَقِيقَةٌ وَيُوصَفُ بِهِنَّ الْمَعْنَانِ تَبَعًا . وَعِلْمُ الْمَعْنَانِ عِلْمٌ
يُخْتَرَزُ بِهِ عَنِ الْخَطِّ فِي تَأْدِيَةِ الْمُرَادِ وَتُعْرَفُ أَحْوَالُ اللَّفْظِ الْأَعْرَبِيِّ
الَّتِي بِهَا يُطَابِقُ اللَّفْظُ مُقْتَضَى الْحَالِ وَهُوَ مِنْ أُصُولِ الْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ
يَبْحَثُ عَنِ الْمُرَكَّبَاتِ عَلَى الْأَطْلَاقِ بِاعْتِبَارِ إِفَادَتِهَا لِمَعَانٍ زَائِدَةٍ عَلَى
أَصْلِ الْمَعْنَى . قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَعْنَانِ : الْكَلَامُ الَّذِي يُوصَفُ

بِالْبَلَاغَةِ هُوَ الَّذِي يَدُلُّ بِلَفْظِهِ عَلَى مَعْنَاهُ الْأَعْيَانِ أَوْ الْعُرُوفِ أَوْ
 الشَّرَائِعِ . ثُمَّ تَجِدُ لِذَلِكَ الْمَعْنَى دَلَالَةً ثَانِيَةً عَلَى الْمَعْنَى الْقَصُودِ
 الَّذِي يُرِيدُ الْمُسْكِلُ . إِنْ ثَبَاتَ أَوْ نَفِيَ فَهَذَا الْفَاعِلُ وَمَعْنَى أَوَّلُ وَمَعْنَى
 ثَوَانٍ . فَالْمَعْنَى الْأَوَّلُ هِيَ مَذْلُولَاتُ الْأَرَاكِبِ وَالْأَلْفَاظِ الَّتِي
 تُسَمَّى فِي عِلْمِ النُّحُوِّ أَصْلَ الْمَعْنَى . وَالْمَعْنَى الثَّوَانِي الْأَغْرَاضُ الَّتِي
 يُسَاقُ لَهَا الْكَلَامُ . وَلِذَا قِيلَ : مُقْتَضَى الْحَالِ هُوَ الْمَعْنَى الثَّانِي .
 كَرَّرَ الْأَنْكَارَ وَدَفَعَ الشَّكَّ مَثَلًا إِذَا قُلْنَا : إِنَّ زَيْدًا قَائِمٌ . فَالْمَعْنَى
 الْأَوَّلُ هُوَ الْقِيَامُ الْمَوْجُودُ وَالْمَعْنَى الثَّانِي رَدُّ الْإِنْكَارِ وَدَفْعُ الشَّكِّ .
 وَإِذَا قُلْنَا : هُوَ أَسَدٌ فِي صُورَةِ الْإِنْسَانِ . فَالْمَعْنَى الْأَوَّلُ هُوَ مَذْلُولُ هَذَا
 الْكَلَامِ وَالْمَعْنَى الثَّانِي هُوَ أَنَّهُ شَجَاعٌ . فَالْمَعْنَى الثَّانِي هُوَ الَّذِي يُرَادُ
 إِيْرَادُهُ فِي الطَّرْقِ الْخُتَافَةِ وَالْمَفْهُومُ مِنْ تِلْكَ الطَّرْقِ هُوَ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ .
 وَتَسْمِيَتُهُ بِالْمَعْنَى الثَّانِي لِكَوْنِ اللَّفْظِ دَالًّا عَلَيْهِ بِوَاسِطَةِ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ .
 فَدَلَالَةُ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ عَلَى الثَّانِي عَقْلِيَّةٌ قَطْعًا وَأَمَّا دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى
 الْمَعْنَى الْأَوَّلِ فَقَدْ تَكُونُ وَضْعِيَّةً وَقَدْ تَكُونُ عَقْلِيَّةً . وَقَدْ تُسَمَّى
 الْمَعْنَى الْأَوَّلُ بِالْخُصُوصِيَّاتِ وَالْكَفَيَّاتِ الزَّائِدَةِ عَلَى أَصْلِ الْمَعْنَى
 وَبِالصُّوَرِ وَالْخَوَاصِّ وَآيَاتِهَا مَجَازًا . إِنَّهُمْ سَمَوْا تَرْتِيبَ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ
 وَكَذَا الْمَعْنَى الْأَوَّلِ الْفَاعِلَ . وَفَضِيلَةُ الْكَلَامِ بِاعْتِبَارِ هَذَا التَّرْتِيبِ
 لِكَوْنِ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ مَحَلَّ الْفَضِيلَةِ لِأَنَّ تَرْتِيبَ الْمَعْنَى الْأَوَّلِيَّةِ فِي
 النَّفْسِ ثُمَّ تَرْتِيبَ الْأَلْفَاظِ فِي النُّطْقِ عَلَى حَذْوِهَا عَلَى وَجْهِ يَنْتَقِلُ مِنْهَا
 إِلَيْهَا بِتَوَسُّطِهَا إِلَى الْخَوَاصِّ فِي الْإِفَادَةِ بِلَا إِخْلَالٍ وَلَا تَغْفِيدٍ هُوَ

الْبَلَاغَةُ. فَيَكُونُ تَرْتِيبُ الْمَعَانِي الْأَوَّلِ عَلَى الْوَجْهِ الْخُصُوصِ مَنَشَأُ
الْفَضِيلَةِ وَمَنَاطُ الْبَرَاةِ بِلَا شَكٍّ . قَالَ السَّيْنِيُّ : وَلَمَّا كَانَتْ الْمَعَانِي
تَتَبَيَّنُ بِالْأَلْفَاظِ وَلَمْ يَكُنْ لِتَرْتِيبِ الْمَعَانِي سَبِيلٌ إِلَّا بِتَرْتِيبِ الْأَلْفَاظِ
فِي الْأُنْطُقِيِّ تَجَوُّزًا فَعَبَّرُوا عَنْ تَرْتِيبِ الْمَعَانِي بِتَرْتِيبِ الْأَلْفَاظِ ثُمَّ
بِالْأَلْفَاظِ بِحَذْفِ التَّرْتِيبِ . وَإِذَا وَضَعُوا الَّلَفْظَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى تَفْخِيمِهِ
كَانَ يُقَالُ الْبَلَاغَةُ رَاجِعَةٌ إِلَى الَّلَفْظِ . أَوْ هُوَ مَحَلُّ الْفَضِيلَةِ الَّتِي بِهَا
يَسْتَحَقُّ الْإِتِّصَافَ بِالْفَصَاحَةِ وَتَحْوِيهَا لَمْ يُرِيدُوا الْأَلْفَظَ الْمَنْطُوقَ وَلَكِنْ
أَرَادُوا مَعْنَى الَّلَفْظِ الَّذِي دَلَّ عَلَى الْمَعْنَى الثَّانِي

البحث الثاني

في صحة المعاني

(عن ادب الدنيا والدين للماوردي)

(راجع صفحة ١١١ من علم الادب)

أَمَّا صِحَّةُ الْمَعَانِي فَتَكُونُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ : (أَحَدُهَا) إِيضَاحُ
تَفْسِيرِهَا حَتَّى لَا تَكُونَ مُشْكِلَةً وَلَا مُجْمَلَةً . (وَالثَّانِي) اِسْتِيفَانُ تَفْسِيرِهَا
حَتَّى لَا يَدْخُلَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا وَلَا يَخْرُجَ عَنْهَا مَا هُوَ فِيهَا . (وَالثَّلَاثُ)
صِحَّةُ مُقَابَلَتِهَا . وَالْمُقَابَلَةُ تَكُونُ مِنْ وَجْهَيْنِ : (أَحَدُهُمَا) مُقَابَلَةُ الْمَعْنَى بِمَا
يُؤَافِقُهَا وَحَقِيقَةُ هَذِهِ الْمُقَابَلَةِ لِأَنَّ الْمَعَانِي تَصِيرُ مُتَشَابِكَةً . وَالثَّانِي
مُقَابَلَتُهُ بِمَا يُضَادُّهُ وَهُوَ حَقِيقَةُ الْمُقَابَلَةِ . وَلَيْسَ لِلْمُقَابَلَةِ إِلَّا أَحَدُ هَذَيْنِ
الْوَجْهَيْنِ : الْمُوَافَقَةُ فِي الْإِتِّبَافِ وَالْمُضَادَّةُ مَعَ الْإِخْتِلَافِ . فَأَمَّا فَصَاحَةُ

الْأَلْفَاظِ فَتَكُونُ بِثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ : (أَحَدُهَا) مُجَانَبَةُ الْغَرِيبِ الْوَحْشِيِّ
 حَتَّى لَا يَجْهَ سَمْعٌ وَلَا يَنْفِرَ مِنْهُ طَبْعٌ . (وَالثَّانِي) تَنَكُّبُ الْلفظِ الْمُتَبَدِّلِ
 وَالْعُدُولُ عَنِ الْكَلَامِ الْمُسْتَزْدَلِ حَتَّى لَا يَسْتَسْقِطَهُ خَاصِيٌّ وَلَا يَنْبُو
 عَنْهُ فَهْمٌ عَامِيٌّ كَمَا قَالَ الْجَلِيزُ فِي كِتَابِ الْبَيَانِ : أَمَّا أَنَا فَلَمْ أَرِ
 قَوْمًا أَمْتَلَّ طَرِيقَةً فِي الْبَلَاغَةِ مِنْ الْكُتَّابِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدِ اتَّسَعُوا
 مِنْ الْأَلْفَاظِ مَا لَمْ يَكُنْ مُتَوَعَّرًا وَحَشِيًّا وَلَا سَاطِعًا عَامِيًّا . (وَالثَّالِثُ)
 أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ وَمَعَانِيهَا مُنَاسَبَةٌ وَمُطَابَقَةٌ . أَمَّا الْمُطَابَقَةُ
 فَهِيَ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ كَالْقَوَالِبِ لِمَعَانِيهَا فَلَا تَزِيدُ عَلَيْهَا وَلَا
 تَنْقُصُ عَنْهَا . وَقَالَ بَشَرُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ فِي وَصِيَّتِهِ فِي الْبَلَاغَةِ : إِذَا لَمْ
 تَجِدِ الْلفظةَ وَاقِعَةً مَوْقِعَهَا وَلَا صَائِرَةً إِلَى مُسْتَقَرِّهَا وَلَا حَالَةً فِي
 مَرْكَزِهَا بَلْ وَجَدْتَهَا قَلْعَةً فِي مَكَانِهَا نَافِرَةً عَنْ مَوْضِعِهَا فَلَا تُكْرِهْهَا عَلَى
 الْقَرَارِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَتَعَاطَ قَرْضَ الشَّعْرِ الْمُرْدُونِ
 وَلَمْ تَتَكَلَّفِ اخْتِيَارَ الْمَشُورِ لَمْ يَبْعَكَ بِتَرْكِ ذَلِكَ أَحَدٌ وَإِذَا أَنْتَ
 تَكَلَّفْتَهُمَا وَلَمْ تَكُنْ حَاقِظًا فَهَيْمًا عَابَكَ مِنْ أَنْتَ أَقَلُّ عِيًّا مِنْهُ
 وَآزَدَى عَلَيْكَ مِنْ أَنْتَ قُوَّةً . وَأَمَّا الْمُنَاسَبَةُ فَهِيَ أَنْ يَكُونَ الْلفظُ
 يَلِيقُ بِبَعْضِ الْأَلْفَاظِ إِمَّا يُعْرِفُ مُسْتَعْمِلَهُ أَوْ لَا تَفَاقٍ مُسْتَحْسِنٍ حَتَّى
 إِذَا ذُكِرَتْ تِلْكَ الْمَعَانِي بِبَيِّنٍ تِلْكَ الْأَلْفَاظُ كَانَتْ نَافِرَةً عَنْهَا وَإِنْ
 كَانَتْ أَفْضَحَ وَأَوْضَحَ لِإِعْتِيَادِ مَا سِوَاهَا . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَّغَاءِ :
 لَا يَكُونُ الْبَلِغُ بَالِغًا حَتَّى يَكُونَ مَعْنَى كَلَامِهِ أَسْبَقَ إِلَى فَهْمِكَ مِنْ
 لَفْظِهِ إِلَى سَمْعِكَ . وَأَمَّا مُعَاطَاةُ الْأَعْرَابِ وَتَجَنُّبُ الْفَحْشِ فَلَا نَمَّا هُوَ مِنْ

صِفَاتِ الصَّوَابِ . وَابْلَاغُهُ أَعْلَى مِنْهُ رُتَبَةً وَأَشْرَفُ مَنَازِلَةٍ وَلَيْسَ بَلْنَ
لَحْنٌ فِي كَلَامِهِ مَدْخُلٌ فِي الْأَدْبَاءِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ فِي عِدَادِ
الْبُلَغَاءِ

البحث الثالث

في انواع المعاني

(ملخص عن زهر الاداب للقبدياني)

(راجع صفحة ١٢ من علم الادب)

قَالَ أَبُو عُثْمَانَ عَمْرُو بْنُ نَجْرٍ الْجَلِيزِيُّ : قَالَ بَعْضُ جِهَابِذَةٍ الْأَلْفَاظِ
وَنَقَادِ الْمَعَانِي : الْمَعَانِي الْأَقَائِمَةُ فِي صُدُورِ النَّاسِ الْمَتَّصِرَةُ فِي أَذْهَانِهِمْ
الْمُخْتَلِفَةُ فِي نُفُوسِهِمْ الْمَتَّصِلَةُ بِجَوَاطِرِهِمْ وَالْحَادِثَةُ عَنْ فِكْرِهِمْ
مَسْتَوْرَةٌ حَقِيقَةٌ وَبَعِيدَةٌ وَخَشِيئَةٌ وَمُحْجُوبَةٌ مَكْنُونَةٌ وَمَوْجُودَةٌ فِي مَعْنَى
مَعْدُومَةٌ لَا يَعْرِفُ إِلَّا نَسَانُ ضَمِيرِ صَاحِبِهِ وَلَا حَاجَةُ آخِيهِ وَخَلِيطِهِ وَلَا
مَعْنَى شَرِيكِهِ وَالْمَعَانِي لَهُ عَلَى أَمْرِهِ وَعَلَى مَا لَا يَبْلُغُهُ وَنَحَاحَاتِ نَفْسِهِ
إِلَّا بِغَيْرِهِ . وَإِنَّمَا يُجَنِّي تِلْكَ الْمَعَانِي ذِكْرُهَا لَهَا وَإِخْبَارُهَا عَنْهَا
وَأَسْتِعْمَالُهَا بِإِيَّاهَا . وَهَذِهِ الْخِصَالُ هِيَ الَّتِي تُقَرِّبُهَا مِنْ أَلْفِهِمْ وَتَحْذَرُهَا
لِلْعَقْلِ وَتَجْعَلُ الْخَفِيِّ مِنْهَا ظَاهِرًا وَالْغَائِبَ شَاهِدًا وَالْبَعِيدَ قَرِيبًا . وَهِيَ
الَّتِي تُخَصُّ الْمُنْتَسِ وَتَحُلُّ الْمُنْعَقِدَ وَتَجْعَلُ الْمُهْمَلَ مُقَيَّدًا وَالْمُقَيَّدَ مُطَاقًا
وَالْمُجْهُولَ مَعْرُوفًا وَالْوَحْشِيَّ مَأْلُوفًا . وَعَلَى قَدَرِ وَضُوحِ الدَّلَالَةِ وَصَوَابِ
الْإِشَارَةِ وَحُسْنِ الْإِخْتِصَارِ وَرِقَّةِ الْمَدْخَلِ يَكُونُ ظُهُورُ مَعْنَى وَكَمَا

كَانَتْ الدَّلَالَةُ أَوْضَحَ وَأَفْصَحَ وَكَانَتْ الْإِشَارَةُ آيِنَ وَأَنَوَدَ كَانَتْ
 أَنْفَعَ وَأَنْجَعَ فِي الْبَيَانِ . ثُمَّ أَعْلَمَ حِفْظَكَ اللَّهُ أَنَّ حُكْمَ الْمَعْنَى خِلَافُ
 حُكْمِ الْأَلْفَاظِ لِأَنَّ الْمَعْنَى مَبْسُوطَةٌ إِلَى غَايَةٍ وَمُمْتَدَّةٌ إِلَى غَيْرِهَا وَتَسْمَاءُ
 الْمَعْنَى مَحْضُورَةٌ مَعْدُودَةٌ وَمُحْصَلَةٌ مُخْدُودَةٌ . وَجَمِيعُ أَصْنَافِ الدَّلَالَةِ عَلَى
 الْمَعْنَى مِنْ لَفْظٍ أَوْ غَيْرِ لَفْظٍ خَمْسَةٌ أَشْيَاءُ لَا تَنْقُصُ وَلَا تَزِيدُ : أَوَّلُهَا
 اللَّفْظُ . ثُمَّ الْإِشَارَةُ . ثُمَّ الْعَقْدُ . ثُمَّ الْخَطُّ . ثُمَّ الْحَالُ الَّتِي تَسَمَّى نَصْبَةً . وَالنَّصْبَةُ
 هِيَ الْحَالُ الدَّالَّةُ الَّتِي تَقُومُ مَقَامَ تِلْكَ الْأَصْنَافِ وَلَا تَقْصُرُ عَنْ تِلْكَ
 الدَّلَالَاتِ . وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الدَّلَائِلِ الْخَمْسَةِ صُورَةٌ بَائِتُهُ مِنْ
 صُورَةٍ صَاحِبَتِهَا وَحَلِيَّةٌ مُخَالَفَةٌ لِحَلِيَّةِ أُخْتِهَا . وَهِيَ الَّتِي تَكْشِفُ لَكَ عَنْ
 أَعْيَانِ الْمَعْنَى فِي الْجُمْلَةِ وَعَنْ حَقَائِقِهَا فِي التَّفْسِيرِ وَعَنْ أَجْنَاسِهَا
 وَأَقْدَارِهَا وَعَنْ خَاصِّهَا وَعَامِّهَا وَعَنْ طَبَقَاتِهَا فِي السَّارِّ وَالظَّاهِرِ وَعَمَّا
 يَكُونُ مِنْهَا لَهَا مَبْهَرَجًا وَسَاقِطًا مُطْرَحًا . وَفِي تَحْرِيقِ قَوْلِ أَبِي عُثْمَانَ
 (إِنْ الْمَعْنَى غَيْرُ مَقْصُورَةٍ وَلَا مَحْضُورَةٍ) يَقُولُ أَبُو تَمَامٍ الطَّائِيُّ لِأَبِي

دَلْفَ بْنِ عَيْسَى الْعُجَيْي :

وَلَوْ كَانَ يَفْنَى الشَّعْرُ أَفْتَهُ مَا قَرَّتْ حِيَاضُكَ مِنْهُ فِي الْعُصُورِ الدَّوَاهِبِ
 وَلَكِنَّهُ فَيْضُ الْقَوْلِ إِذَا تَجَلَّتْ سَحَابٌ مِنْهُ أُعْقِبَتْ بِسَحَابِ
 وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْمُعْتَرِ : لَحْظَةُ الْقَلْبِ أَمْرٌ مِنْ لَحْظَةِ
 الْأَعْيُنِ وَابْعَدُ مَجَالًا وَهِيَ أَمَّا خَاصَّةٌ فِي أَعْمَاقِ أَوْدِيَةِ الْفِكْرِ وَالْمُتَأَمِّلَةِ
 لَوْجُودِهِ أَعْوَابٍ وَالْجَامِعَةِ مِنْ مَا غَابَ وَحَضَرَ وَالْمِلْزَانَ الشَّاهِدَ عَلَى
 مَا نَفَعَ وَضَرَ . وَالْقَلْبُ كَالْمِلْهِ عَلَى الْكَلَامِ عَلَى اللِّسَانِ إِذَا نَطَقَ وَابْتَدَأَ

إِذَا كَتَبْتُ . وَالْعَاقِلُ يَكْسُو الْمَعَانِي وَشَيَ الْكَلَامِ فِي قَلْبِهِ ثُمَّ
يُذَيِّبُهَا بِالْفَاطِ كَوَاسٍ فِي أَحْسَنِ زِينَةٍ . وَالْجَاهِلُ يَسْتَعِجِلُ بِإِظْهَارِ
الْمَعَانِي قَبْلَ الْعِنَايَةِ بِزَيِّنٍ مَعَارِضِهَا وَاسْتِكْمَالِ مُحَاسِنِهَا . قِيلَ لِبَشَّارِ
أَنْ بُرِدَ : مَا قُفَّتْ أَهْلُ عُمْرِكَ وَسَبَقَتْ أَهْلُ عَصْرِكَ فِي حُسْنِ مَعَانِي
الشَّعْرِ وَتَهْذِيبِ الْفَاطَةِ . فَقَالَ : لَا بَنِي لَمْ أَفْبَلْ كُلَّ مَا تُورِدُهُ عَلَيَّ
قَرِيجَتِي وَيُنَاجِيَنِي بِهِ طَبِيعِي وَيَبْعَثُهُ فِكْرِي . وَتَظَرْتُ إِلَى مَعَارِسِ
الْفَلْطَنِ وَمَعَادِنِ الْحَقَائِقِ وَلَطَائِفِ التَّشْبِيهَاتِ فَبَسْتُ إِلَيْهَا بِفَهْمِ
جَيِّدٍ وَغَرِيزَةٍ قَوِيَّةٍ فَأَحْكَمْتُ سَيْرَهَا وَاتَّقَيْتُ حُرَّهَا وَكَشَفْتُ عَنْ حَقَائِقِهَا
وَأَحْتَرَزْتُ مِنْ مُتَكَلِّفِهَا وَمَا مَلَكَ قِيَادِي قَطُّ إِلَّا عَجَابُ إِشْيَاءِ مَا
أَتَى بِهِ

المبحث الرابع

في الحكم على المعاني

(من المثل السائر لابن الاثير باختصار وتصرف)

فَإِنَّهُ هَذَا الْفَصْلُ الْإِحَاطَةُ بِأَسَالِيبِ الْمَعَانِي عَلَى اخْتِلَافِهَا
وَتَبَيُّنُهَا . وَصَاحِبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مُفْتَقِرٌ إِلَى هَذَا الْفَصْلِ وَالَّذِي يَبْأِيهِ
بِخِلَافٍ غَيْرِهِمَا مِنْ هَذِهِ الْفُصُولِ الْمَذْكُورَةِ لَا سِيَّامَا مُفَسِّرِي الْأَشْعَارِ
فَإِنَّهُمْ بِهِ اعْتَنَى . وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْمَعْنَى أَنْ يُجْمَلَ عَلَى ظَاهِرِ
لَفْظِهِ وَمَنْ يَذْهَبُ إِلَى التَّأْوِيلِ يَفْتَقِرُ إِلَى دَلِيلِ كَقَوْلِ الْقَائِلِ :
وَيْثَابُكَ فَطَهَرُ . فَالظَّاهِرُ مِنْ لَفْظِ (الْيَابِ) هُوَ مَا يُبَاسُ وَمَنْ تَأَوَّلَ
ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ هُوَ الْقَلْبُ لَا الْمَلْبُوسُ . وَهَذَا لَا بُدَّ مِنْ

دَلِيلُ لِأَنَّهُ عُدُولٌ عَنْ ظَاهِرِ اللَّفْظِ . وَكَذَلِكَ وَرَدَ عَنْ عِيْسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُصَلِّيَ فَأَدْخُلْ بَيْتَكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ . فَالظَّاهِرُ مِنْ هَذَا هُوَ أَلْبَيْتُ وَأَلْبَابُ . وَمِنْ تَأْوِيلِ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّكَ تَجْمَعُ عَلَيْكَ هَمَّ قَلْبِكَ وَتَنْتَفِعُ أَنْ يَخْطُرَ بِهِ سِوَى أَمْرِ الصَّلَاةِ . فَعَبَّرَ عَنِ الْقَلْبِ بِأَلْبَيْتٍ وَعَنْ مَنَعِ الْخَوَاطِرِ الَّتِي تَخْطُرُ لَهُ بِالْغَلَقِ أَلْبَابَ . وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ لِأَنَّهُ عُدُولٌ عَنْ ظَاهِرِ اللَّفْظِ . فَالْمَعْنَى الْحَصُولُ عَلَى ظَاهِرِهِ لَا يَقَعُ فِي تَفْسِيرِهِ خِلَافٌ وَالْمَعْنَى الْعُدُولُ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَى التَّأْوِيلِ يَقَعُ فِيهِ اخْتِلَافٌ إِذَا بَابُ التَّأْوِيلِ غَيْرُ مُحْضَرٍ . وَالْعُلَمَاءُ اسْتَفَادُوا فِي هَذَا فَإِنَّهُ قَدْ يَأْخُذُ بَعْضُهُمْ وَجْهًا ضَعِيفًا مِنَ التَّأْوِيلِ فَيَكْسُوهُ بِعِبَارَتِهِ قُوَّةً تُثْبِتُهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْوُجُوهِ الْقَوِيَّةِ فَإِنَّ السَّيْفَ بَصَارِيهِ

إِنَّ السَّيْفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ كَقُلُوبِهِمْ إِذَا اتَّقَى الْجَمْعَانِ تَلَقَّى الْحَسَامَ عَلَى جِرَاءَةٍ حَدِيدٍ وَشَلَّ الْجَبَانَ بِكَفِّ كُلِّ جَبَانٍ وَهَذَا الْفَصْلُ الَّذِي نَحْنُ بِصَدُودِ ذِكْرِهِ هَاهُنَا يَرْجِعُ أَكْثَرُهُ إِلَى التَّأْوِيلِ لِأَنَّهُ أَدَقُّ وَلَا يَحِلُّو تَأْوِيلَ الْمَعْنَى مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : إِمَّا أَنْ يُفْهَمَ مِنْهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا يُحْتَمَلُ غَيْرُهُ . وَإِمَّا أَنْ يُحْتَمَلَ الشَّيْءُ وَغَيْرُهُ . وَتِلْكَ الْغَيْرِيَّةُ إِمَّا أَنْ تَكُونَ ضِدًّا أَوْ لَا تَكُونَ ضِدًّا وَلَيْسَ لَنَا قِسْمٌ رَابِعٌ . (فَالْأَوَّلُ) يَقَعُ عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْأَشْعَارِ وَلَا يَجْرِي فِي الدَّقِيقَةِ وَاللِّطَافَةِ مَجْرَى الْقِسْمَيْنِ الْآخَرَيْنِ . (وَآمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي) فَإِنَّهُ قَلِيلُ الْوُجُوهِ جَدًّا وَهُوَ مِنَ التَّأْوِيلَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ . لِأَنَّ

دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى وَضِدُّهُ أَغْرَبُ مِنْ دَلَالَتِهِ عَلَى الْمَعْنَى وَغَيْرِهِ .
فَمَّا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ : إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَأَضَعْ مَا شِئْتَ . وَهَذَا يَشْتَمِلُ عَلَى
مَعْنَيْنِ ضِدَّيْنِ : (أَحَدُهُمَا) أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ إِذَا لَمْ تَفْعَلْ فَعَلًا تَسْتَحِي
مِنْهُ فَأَفْعَلْ مَا شِئْتَ . (وَالْآخَرُ) أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَكَ
حَيَاءٌ يَتَرَعَّكَ عَنْ فِعْلٍ مَا يُسْتَحَى مِنْهُ فَأَفْعَلْ مَا شِئْتَ . وَهَذَانِ
مَعْنَيَانِ ضِدَّانِ أَحَدُهُمَا مَدْحٌ وَالْآخَرُ ذَمٌّ . وَيَجْرِي عَلَى هَذَا التَّلَفُّعِ وَنَ
الْشَّعْرِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ فِي قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا كَافُورًا :

وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلَمِ مَنْ بَاتَ حَاسِدًا رَكُنَ بَاتٍ فِي نَعَائِهِ يَتَقَلَّبُ
وَهَذَا أَلْبَيْتٌ يُسْتَحْجُ مِنْهُ مَعْنَيَانِ ضِدَّانِ : (أَحَدُهُمَا) أَنَّ الْمُنْعَمَ
عَلَيْهِ يُحْسِدُ الْمُنْعَمَ . (وَالْآخَرُ) أَنَّ الْمُنْعَمَ يُحْسِدُ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِ . وَكَذَلِكَ
وَرَدَّ قَوْلُهُ أَيْضًا مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُهُ :

فَإِنْ رِلْتُ مَا أَمَّاتُ وَنَكَ قُرْبَانَا شَرِبْتُ بِمَا يُعْجِزُ الطَّيْرَ وَرَزَدَهُ
فَإِنَّ هَذَا أَلْبَيْتٌ يَحْتَمِلُ مَدْحًا وَذَمًّا وَإِذَا أُخِذَ بِمُفْرَدِهِ مِنْ غَيْرِ
نَظَرٍ إِلَى مَا قَبْلَهُ فَإِنَّهُ يَكُونُ بِالذَّمِّ أَوَّلَى مِنْهُ بِالْمَدْحِ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ
وَصْفَ نَوَالٍ بِأَلْبَعْدِ وَالشُّذُوزِ وَصَدْرُ أَلْبَيْتٍ مُفْتَتِحٌ (بِإِنْ) الشَّرْطِيَّةِ وَقَدْ
لُجِبَ بِلَفْظَةِ (رَبِّ) الَّتِي مَعْنَاهَا التَّقْلِيلُ أَيْ : لَسْتُ مِنْ نَوَالِكَ عَلَى
يَقِينٍ فَإِنْ رِلْتُهُ قُرْبَانًا وَصَلْتُ إِلَى مُورِدٍ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ الطَّيْرُ لِبُعْدِهِ .
وَإِذَا نُظِرَ إِلَى مَا قَبْلَ هَذَا أَلْبَيْتِ دَلَّ عَلَى الْمَدْحِ خَاصَّةً لِأَرْتَابِهِ
بِالْمَعْنَى الَّتِي قَبْلَهُ . وَكَثِيرًا مَا كَانَ يَقْصِدُ الْمُسْتَشْتَبِي هَذَا الْقِسْمَ فِي شَعْرِهِ
كَقَوْلِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ أَوْهَا :

عَدُوَّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ أَلْقَمَرَانٍ
وَلِلَّهِ سِرٌّ فِي عُصَاكَ وَإِنَّمَا كَلَامُ الْعِدَى ضَرْبٌ مِنَ الْهَذْيَانِ
تَحْمُّ قَالَ :

فَمَا لَكَ تَغْنِي بِالْإِسْنَةِ وَالْقَنَا وَجَدَّكَ طَعَانٌ بِغَيْرِ سِنَانٍ
فَإِنَّ هَذَا بِالذَّمِّ أَشْبَهُ مِنْهُ بِالذَّمِّ لِأَنَّهُ يَقُولُ : لَمْ تَبْلُغْ مَا بَلَغَتْهُ
بِسَنِيكَ وَاهْتِمَاؤُكَ بَلْ بِجِدِّ سَعَادَةٍ . وَهَذَا لَا فَضْلَ فِيهِ لِأَنَّ السَّعَادَةَ
تَنَالُ الْخَائِلُ وَالْجَاهِدُ وَمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا . وَكَثُرَ مَا كَانَ الْمُتَسَيِّ
يَسْتَعْمِلُ هَذَا الْقِسْمَ فِي قِصَائِهِ الْكَافُورِيَّاتِ وَهَذَا الْقِسْمُ مِنْ
الْكَلَامِ يُسَمَّى الْمَوْجَهَ أَيْ لَهُ وَجْهَانِ وَهُوَ يَمَّا يَدُلُّ عَلَى بَرَاءَةِ الشَّاعِرِ
وَحُسْنِ تَأْيِيهِ . (وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّلَاثُ) فَإِنَّهُ يَكُونُ أَكْثَرَ وَقُوعًا مِنْ
الْقِسْمِ الثَّلَاثِي وَهُوَ وَاسِطَةٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ . لِأَنَّ الْقِسْمَ الْأَوَّلَ كَثِيرُ
الْوُقُوعِ . وَالْقِسْمَ الثَّلَاثِي قَلِيلُ الْوُقُوعِ . وَهَذَا الْقِسْمُ الثَّلَاثُ وَسَطٌ
بَيْنَهُمَا إِذَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ : وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ . فَإِنَّ هَذَا لَهُ وَجْهَانِ
وَمِنْ التَّأْوِيلِ أَحَدُهُمَا الْقَتْلُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي هُوَ مَعْرُوفٌ وَالْآخَرُ هُوَ
الْقَتْلُ الْحِجَازِيُّ وَهُوَ الْإِكْبَابُ عَلَى الْمَعَاصِي فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَكْبَأَ
عَلَى الْمَعَاصِي قَتَلَ نَفْسَهُ فِي الْآخِرَةِ وَمِمَّا يُجْرِي عَلَى هَذَا التَّلَفُّعِ
مَا يُنْحَكِي عَنْ أَفْلَاطُونٍ أَنَّهُ قَالَ : تَرَكُ الدَّوَاءَ دَوَاءً . فَذَهَبَ بَعْضُ
الْأَطِبَّاءِ إِلَى أَنَّهُ أَرَادَ : إِنْ لَطَفَ الزَّجَّجُ وَأَتَتْهُ إِلَى غَايَةِ لَا يَحْتَمِلُ
الدَّوَاءَ فَتَرَكَهُ حِينَئِذٍ وَالْإِضْرَابُ عَنْهُ دَوَاءً . وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهُ
أَرَادَ بِالْإِضْرَابِ الْوَضْعَ أَيْ : وَضَعَ الدَّوَاءَ عَلَى الدَّاءِ دَوَاءً . يُشِيرُ بِذَلِكَ

إِلَى جَذْقِ الطَّيِّبِ فِي أَوْقَاتِ عِلَاجِهِ . وَمِثْلُهُ فِي الشَّعْرِ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :
 إِذَا جَعَفَرُ مَرَّتْ عَلَى هَضْبَةِ الْحَيِّ فَقَدْ أَخَذَ الْأَحْيَاءُ وَنَهَا فُجُورَهَا
 وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَعْنِيَيْنِ : (أَحَدُهُمَا) ذَمُّ الْأَحْيَاءِ وَالْآخِرُ ذَمُّ الْأَمْوَاتِ .
 أَمَّا (ذَمُّ الْأَحْيَاءِ) فَهُوَ أَنَّهُمْ خَذَلُوا الْأَمْوَاتَ يُرِيدُ أَنَّهُمْ تَلَاَقَوْا قِتَالَهُمْ
 وَقَوْمًا آخَرِينَ فَقَرَّ الْأَحْيَاءُ عَنْهُمْ وَأَسْلَمُوهُمْ أَوْ إِنَّهُمْ اسْتَجَبُوا لَهُمْ فَلَمْ
 يُجِدُواهُمْ . وَأَمَّا (ذَمُّ الْأَمْوَاتِ) فَهُوَ أَنَّ لَهُمْ مَخَازِي وَفَضَائِحَ تُرْجَبُ عَارًا
 وَشَرَارًا فَهُمْ يَعُدُّونَ بِهَا الْأَحْيَاءَ وَيُلْصِقُونَهَا بِهِمْ . وَعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُ
 أَبِي تَمَّامٍ :

بِالشَّعْرِ طُولٌ إِذَا أَصْطَكْتَ قَصَائِدُهُ

فِي مَعْشَرٍ وَبِهِ عَنْ مَعْشَرٍ قِصَرٌ
 فَهَذَا أَلْبَيْتُ يَحْتَمِلُ تَأْوِيلَيْنِ . (أَحَدُهُمَا) أَنَّ الشَّعْرَ يَتَسَعَّ بِجَمَالِهِ
 بِمَدْحِكَ وَيَضِيقُ بِمَدْحِ غَيْرِكَ . يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّ مَآيِرَهُ كَمِيزَةٌ وَمَآثِرُ
 غَيْرِهِ قَلِيلَةٌ . (وَالْآخَرُ) أَنَّ الشَّعْرَ يَكُونُ ذَا فَخْرٍ وَنَبَاهَةٍ بِمَدْحِكَ وَذَا
 خُحُولٍ بِمَدْحِ غَيْرِكَ . فَلَفْظَةُ الطُّولِ : يَفْهَمُ مِنْهَا ضِدُّ الْقِصَرِ وَيَفْهَمُ مِنْهَا
 الْفَخْرُ وَنَ قَوْلُنَا : طَالَ ثُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ أَيْ فَخَّرَ عَلَيْهِ . وَمِمَّا يَتَخَلَّفُ
 بِهَذَا السِّلَاقِ قَوْلُ أَبِي كَبِيرٍ الْهَلَبِيِّ :

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَلَمَّا أَنْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ
 وَهَذَا يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ مِنَ التَّأْوِيلِ . (أَحَدُهُمَا) أَنَّهُ أَرَادَ بِسَعْيِ
 الدَّهْرِ سُرْعَةَ تَقْضِي الْأَوْقَاتِ مَدَّةَ الْوَصَالِ . فَلَمَّا أَنْقَضَى الْوَصْلَ عَادَ
 الدَّهْرُ إِلَى حَالِهِ فِي السُّكُونِ وَالْبَطْءِ . (وَالْآخَرُ) أَنَّهُ أَرَادَ بِسَعْيِ

الدَّهْرُ بِالْفَتَنِ وَالْوَشَايَاتِ فَلَمَّا انْقَضَى مَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْوَصْلِ
سَكَنُوا أَوْ تَرَكَوا السَّعَايَةَ . وَهَذَا مِنْ بَابِ وَضَعِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مَكَانَ
الْمُضَافِ كَقَوْلِهِ : وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ أَيَّ أَهْلِ الْقَرْيَةِ . وَمِنْ الدَّقِيقِ
الْعَنَى فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُسْتَبِيِّ فِي عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَنَ
جُمْلَةِ قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلُهَا (أَرُوْ بَدِيلٌ مِنْ قَوْلِي وَإِهَا) فَقَالَ :

لَوْ قَطَنْتَ خَيْلَهُ لِنَائِلِهِ لَمْ يُرْضِهَا أَنْ تَرَاهُ يُرْضَاهَا
وَهَذَا يُسْتَنْبَطُ مِنْهُ مَعْنَانِ . (أَحَدُهُمَا) أَنَّ خَيْلَهُ لَوْ عَلِمَتْ
مُقْدَارَ عَطَايَاهُ الْفَيْسَةِ لَمَا رَضِيَتْ لَهُ بِأَنْ تَكُونَ وَنَ جُمْلَةُ عَطَايَاهُ لِأَنَّ
عَطَايَاهُ أَنْفَسُ مِنْهَا . (الْآخَرُ) أَنَّ خَيْلَهُ لَوْ عَلِمَتْ أَنَّهُ يَسْهَبُ مِنْ جُمْلَةِ
عَطَايَاهُ لَمَا رَضِيَتْ ذَلِكَ إِذْ تَكَرَّرَ خُرُوجُهَا عَنْ مَلِكِهِ . وَهَذَا نِ الْوَجْهَانِ
أَنَا ذَكَرْتُهُمَا وَإِنَّا الْمَذْكُورُ مِنْهُمَا أَحَدُهُمَا . وَهَذَا الَّذِي أَشْرْتُ إِلَيْهِ
وَنَ الْكَلَامِ عَلَى الْمُعْلَانِي وَتَأْوِيلَاتِهَا كَافٍ لِمَنْ عِنْدَهُ ذَوْقٌ وَلَهُ قُوَّةٌ
عَلَى حَمَائِهَا عَلَى أَشْبَاهِهَا وَظَاهِرِهَا

البحث الخامس

في الترجيح بين المعاني

(عن المثل السائر باختصار)

هَذَا الْفَضْلُ هُوَ وَبِزَانُ الْخَوَاطِرِ الَّذِي يُوزَنُ بِهِ نَقْدُ دِرْهَمِهَا
وَدِينَارِهَا بَلَى الْحِكْمُ الَّذِي يَعْلَمُ مِنْهُ وَمُقْدَارُ عِيَارِهَا وَلَا يَرْنُ بِهِ إِلَّا ذُو
فِكْرَةٍ مُتَقَدِّدَةٍ وَنَحْمَةٍ مُتَقَدِّدَةٍ . فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ حَمَلَ وَبِزَانًا سُبِّي صِرَافًا .

وَلَا كُلُّ مَنْ وَدَّ بِهِ سُمِّيَ عَرَاقًا . وَالْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا التَّرْجِيحِ وَالتَّرْجِيحِ
الْفِقْهِيِّ أَنَّ هُنَاكَ يُرْجَحُ بَيْنَ دَلِيلِي الْخُصْمَيْنِ فِي حُكْمٍ شَرْعِيٍّ وَهَهُنَا
يُرْجَحُ بَيْنَ جَانِبِي فَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ فِي الْفَاطِ وَمَعَانٍ خَطَأً بَيِّنَةً . وَبَيَانُ
ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ التَّرْجِيحِ الْفِقْهِيِّ يُرْجَحُ بَيْنَ خَبَرِ التَّوَاتُرِ . مَثَلًا وَبَيْنَ
خَبَرِ الْإِحَادِ أَوْ بَيْنَ الْمُسْنَدِ وَالْمُرْسَلِ أَوْ مَا جَرَى هَذَا الْحَرْجَى . وَهَذَا
لَا يَعْزُضُ إِلَيْهِ صَاحِبُ عِلْمِ الْبَيَانِ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ وَلَكِنْ الَّذِي
هُوَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُرْجَحَ بَيْنَ حَقِيقَةٍ وَمَجَازٍ أَوْ بَيْنَ حَقِيقَتَيْنِ أَوْ بَيْنَ
مَجَازَيْنِ وَيَكُونُ نَظَرًا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى الصَّنَاعَةِ الْخَطَأِيَّةِ . وَارْتَبَا
اتَّفَقَ هُوَ وَصَاحِبُ التَّرْجِيحِ الْفِقْهِيِّ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ كَالْتَّرْجِيحِ بَيْنَ
عَامٍ وَخَاصٍّ أَوْ مَا شَابَهُ ذَلِكَ . وَكُنَّا قَدْ قَدَّمْنَا الْقَوْلَ فِي الْحُكْمِ
عَلَى الْمَعَانِي وَأَنْقَسَامِهَا . وَلَتَبَيَّنَ فِي هَذَا الْفَصْلِ مَوَاضِعَ التَّرْجِيحِ بَيْنَ
وُجُوهٍ تَأْوِيلَاتِهَا فنَقُولُ : (أَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ) مِنْ الْمَعَانِي فَلَا تَعْلُقُ
لِلتَّرْجِيحِ بِهِ إِذْ مَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ لَفْظِهِ لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا
فَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ فِي شَيْءٍ . وَالتَّرْجِيحُ إِنَّمَا يَقَعُ بَيْنَ عَنَيْنَيْنِ يَدُلُّ
عَلَيْهِمَا لَفْظٌ وَاحِدٌ وَلَا يَحْتَمِلُ التَّرْجِيحُ بَيْنَهُمَا مِنْ ثَلَاثَةِ أَتْسَاءٍ إِمَّا أَنْ
يَكُونَ اللَّفْظُ حَقِيقَةً فِي أَحَدِهِمَا مَجَازًا فِي الْآخَرِ . أَوْ حَقِيقَةً فِيهِمَا جَمِيعًا
أَوْ مَجَازًا فِيهِمَا جَمِيعًا وَلَيْسَ لَنَا قِسْمٌ رَابِعٌ . وَالتَّرْجِيحُ بَيْنَ الْحَقِيقَتَيْنِ أَوْ
بَيْنَ الْمَجَازَيْنِ يَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ . (وَأَمَّا التَّرْجِيحُ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ)
فَأَنَّهُ يُعْلَمُ بِبَدِيَّةِ النَّظَرِ لِمَكَانِ الْإِخْتِلَافِ بَيْنَهُمَا . وَالتَّيْدَانِ الْخُتْمَانِ
يُظْهَرُ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا بِخِلَافٍ مَا يَظْهَرُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ الْمُسَمَّيْنِ

(وَأَمَّا مِثَالُ الْمُعْنَيْنِ) إِذَا كَانَا حَقِيقَتَيْنِ فَقَوْلُهُ : اَلْتَّيْسُوا الرِّزْقَ فِي حَبَايَا الْأَرْضِ وَالْحَبَايَا حَيَّةٌ وَهُوَ كُلُّ مَا يُحْبَأُ كَانًا مَا كَانَ . وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَعْنَيْنِ حَقِيقَتَيْنِ : (أَحَدُهُمَا) اَلْكُنُوزُ اَلْحَبْوَةُ فِي بُطُونِ الْأَرْضِ . (وَالْآخَرُ) اَلْحَرْثُ وَاَلْغَرَّاسُ . وَجَانِبُ اَلْحَرْثِ وَاَلْغَرَّاسُ اَرَجَحُ لِأَن مَوَاضِعَ اَلْكُنُوزِ لَا نَعْلَمُ حَتَّى تُلْتَمَسَ وَهُوَ لَا يَأْمُرُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ شَيْءٌ مَجْهُولٌ غَيْرُ مَعْلُومٍ فَبَقِيَ اَلْمُرَادُ مِجْبَايَا اَلْأَرْضِ مَا يُحْرَثُ وَيُغْرَسُ . (وَأَمَّا مِثَالُ اَلْمُجَازَيْنِ) فَقَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

قَدْ بَلَوْنَا أَبَا سَعِيدٍ حَدِيثًا وَبَلَوْنَا أَبَا سَعِيدٍ قَدِيمًا
وَوَرَدَنَاهُ سَاجِلًا وَقَلِيلًا وَرَعَيْنَاهُ بَارِضًا وَجَمِيمًا
فَعَلِمْنَا أَن لَيْسَ إِلَّا بِشَقِيمِ اَلنَّفْسِ صَادِرَ اَلْكَرِيمِ يَدْعِي كَرِيمًا
فَالسَّاجِلُ وَاَلْقَلِيلُ يُسْتَخْرَجُ مِنْهُمَا تَأْوِيلَانِ مُجَازِيَانِ : (أَحَدُهُمَا)
أَنَّهُ أَرَادَ بِهِمَا اَلْكَثِيرَ وَاَلْقَلِيلَ بِاَلنِّسْبَةِ إِلَى السَّاجِلِ وَاَلْقَلِيلِ .
(وَالْآخَرُ) أَنَّهُ أَرَادَ بِهِمَا السَّبَبَ وَغَيْرَ السَّبَبِ . فَإِنَّ السَّاجِلَ
لَا يُحْتَاجُ فِي وَرْدِهِ إِلَى سَبَبٍ وَاَلْقَلِيلُ يُحْتَاجُ فِي وَرْدِهِ إِلَى سَبَبٍ .
وَكَذَا هَذَيْنِ اَلْمُعْنَيْنِ مُجَازٌ . فَإِنَّ حَقِيقَةَ السَّاجِلِ وَاَلْقَلِيلِ غَيْرُهُمَا
وَأَوَّلُهُ هُوَ اَلثَّانِي لِأَنَّهُ هُوَ آدَلُّ عَلَى بَلَاغَةِ اَلْقَائِلِ وَمَدْحِ اَلْقَوْلِ فِيهِ .
أَمَّا بَلَاغَةُ اَلْقَائِلِ فَالْإِسْلَامَةُ مِنْ هُجْنَةِ اَلتَّكْزِيرِ بِاَلتَّخَالُفِ بَيْنَ صَدْرِ
أَبْنَيْتٍ وَعَجْزِهِ . فَإِنَّ عَجْزَهُ يَدُلُّ عَلَى اَلْقَلِيلِ وَاَلْكَثِيرِ لِأَنَّ اَلْبَارِضَ
هُوَ أَوَّلُ اَلتَّبَتِ حِينَ يَبْدُو فَإِذَا كَثُرَ وَتَكَاثَفَ سُمِّيَ جَمِيمًا . فَكَانَتْ
قَالَ : أَخَذْنَا مِنْهُ تَبَرُّعًا وَمَسْئَلَةً وَقَلِيلًا وَكَثِيرًا . وَأَمَّا مَدْحُ اَلْقَوْلِ

فِيهِ فَلَتَعْدَادُ حَالَاتِهِ الْأَرْبَعُ فِي تَبَرُّعِهِ وَسُوءِ إِلِهِ وَإِكْثَارِهِ وَإِقْلَالِهِ وَمَا فِي مُعَانَاةٍ هَذِهِ الْأَحْوَالِ مِنَ الْمَشَاقِّ . فَهَذَا إِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالسَّرِّحِ الْبَلَاغِيِّ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْحَقِيقَةِ وَبَيْنَ الْجَزَازِ وَالْجَزَازِ وَبَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْجَزَازِ

البحث السادس

في الفصل والوصل

(عن صناعة الترسل لشهاب الدين الحلبي باختصار)

(راجع صفحة ١٨ من علم الادب)

الْفَصْلُ وَالْوَصْلُ هُوَ الْعِلْمُ بِمَوَاضِعِ الْعَطْفِ وَالْإِسْتِنَافِ وَالْهَدْيِ إِلَى كَيْفِيَّةِ إِيقَاعِ حُرُوفِ الْعَطْفِ فِي مَوَاضِعِهَا . وَهُوَ مِنْ أَكْثَرِ أَرْكَانِ الْبَلَاغَةِ حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ حَدَّ الْبَلَاغَةَ بِأَنَّهَا مَعْرِفَةُ الْفَصْلِ وَالْوَصْلِ . وَقَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : إِنَّهُ لَا يَكْمُلُ لِإِحْرَازِ الْفَضِيلَةِ فِيهِ أَحَدٌ إِلَّا كَمِلَ لِسَانُ مَعَانِي الْبَلَاغَةِ . إِنْ عَلِمَ أَنَّ قَائِدَةَ الْعَطْفِ الشَّرِيكَ بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ . ثُمَّ مِنْ الْحُرُوفِ الْعَاطِفَةِ مَا لَا يُفِيدُ إِلَّا هَذَا الْقَدْرَ وَهُوَ أَلْوَاوُ . وَمِنْهَا مَا يُفِيدُ قَائِدَةَ زَائِدَةَ كَالْفَاءِ وَثَمَّ وَاوُ . وَغَرَضُنَا هَاهُنَا تَعَلُّقُ بِمَا لَا يُفِيدُ إِلَّا الْإِسْتِرَاكَ فنَقُولُ : الْعَطْفُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي الْمَفْرَدَاتِ كَقَوْلِكَ : مَرَرْتُ بِرَجُلٍ خَلَقَهُ حَسَنٌ وَخَلَقَهُ قَبِيحٌ . فَقَدْ اشْرَكَتَ بَيْنَهُمَا فِي الْأَعْرَابِ وَالْمَعْنَى لِإِسْتِرَاكِهِنَّ فِي كَوْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُقْتَدِرًا لِلْمَوْصُوفِ . وَلَا يَتَوَصَّرُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَعْنَى يَقَعُ ذَلِكَ الْإِسْتِرَاكُ فِيهِ وَحَتَّى يَكُونَا كَالْظُلُمَيْنِ وَالشَّرِيكَيْنِ بَعْدَ إِذَا عُرِفَ

السَّامِعُ حَالَةَ الْأَوَّلِ عَسَاهُ يَعْرِفُ حَالَةَ الثَّانِي . يَدْلِكُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا عَطَفْتَ عَلَى الْأَوَّلِ شَيْئًا لَيْسَ مِنْهُ سَبَبٌ وَلَا هُوَ مِمَّا يُذَكَّرُ بِذِكْرِهِ لَمْ يَسْتَقِم . فَلَوْ قُلْتَ : (خَرَجْتُ الْيَوْمَ مِنْ دَارِي وَأَحْسَنَ الَّذِي يَقُولُ بَيْتَ كَذَا) قُلْتَ مَا يُضْحِكُ مِنْهُ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قُوَّةِ الْمُفْرَدِ فَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ : (الْأَوَّلُ) أَنْ يَكُونَ مَعْنَى إِحْدَى الْجُمْلَتَيْنِ لِذَاتِهِ مُتَعَلِّقًا بِمَعْنَى الْأُخْرَى كَمَا إِذَا كَانَتْ كَالْتَوْكِيدِ لَهَا أَوْ كَالصِّقَةِ فَلَا يَجُوزُ إِدْخَالُ الْعَاطِفِ عَلَيْهِ لِأَنَّ التَّوْكِيدَ وَالصِّقَةَ مُتَعَلِّقَانِ بِالْمَوْكَّدِ وَالْمَوْصُوفِ لِذَاتَيْهِمَا . وَالتَّعَلُّقُ الذَّائِي يُغْنِي عَنْ لَفْظِ يَدُلُّ عَلَى التَّعَلُّقِ . فَيَثْبُتُ التَّوْكِيدُ قَوْلُهُ : وَوَيْلٌ لِلنَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُبَادِعُونَ اللَّهَ . وَلَمْ يَقُلْ : (وَيُجَادِعُونَ) لِأَنَّ التَّحْدَادَةَ لَيْسَتْ شَيْئًا غَيْرَ قَوْلِهِمْ : آمَنَّا مَعَ أَنَّهُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ . وَمِمَّا جَاءَ فِيهِ الْإِثْبَاتُ (بَانَ وَالْأَلَا) عَلَى هَذَا الِحْدَرِ قَوْلُهُ : إِنَّهُ هُوَ الْإِلَاحُ الْوَحْدِيُّ يُوْحَى . فَالْإِثْبَاتُ فِي قَوْلِهِ تَأْكِيدٌ لِنَفْيِ مَا يُنْفَى . (الْقِسْمُ الثَّانِي) أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ تَعَلُّقٌ ذَائِيٌّ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ فَيَجِبُ تَرْكُ الْعَاطِفِ أَيْضًا لِأَنَّ الْعَاطِفَ لِلتَّشْرِيكِ وَلَا تَشْرِيكَ . وَمِنْ هَاهُنَا عَابُوا عَلَى أَبِي تَمَّامٍ قَوْلُهُ :

لَا وَالَّذِي عَلِمْتُ أَنَّ النَّوَى مَرُّ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ
إِذَا لَمْ تُنَاسِبْ بَيْنَ مَرَادَةِ النَّوَى وَبَيْنَ كَرَمِ أَبِي الْحُسَيْنِ . وَلِذَلِكَ لَمْ يُحْسِنْ جَوَازَ الْعَاطِفِ . وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ فَمَا أَنْ يَكُونَ بِالَّذِي أُخْبِرَ بِهِمَا أَوْ بِالَّذِي أُخْبِرَ عَنْهُمَا أَوْ بِهِمَا كِلَيْهِمَا . وَهَذَا الْآخِرُ

هُوَ الْمُعْتَبَرُ فِي الْعَاطِفِ وَمَعْنَى الْمُنَاسَبَةِ أَنْ يَكُونَا مُتَشَابِهَيْنِ كَقَوْلِكَ :
 زَيْدٌ كَاتِبٌ وَعَمْرُو . أَوْ مُتَضَادَّيْنِ تَضَادًّا عَلَى الْخُصُوصِ كَقَوْلِكَ : زَيْدٌ
 طَوِيلٌ وَعَمْرُو قَصِيرٌ . وَكَقَوْلِكَ : أَلْعِلْمُ حَسَنٌ وَالْجَهْلُ قَبِيحٌ . فَلَوْ
 قُلْتَ : زَيْدٌ طَوِيلٌ وَعَمْرُو شَاعِرٌ اخْتَلَفَ إِذَا لَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ طُولِ الْقَامَةِ
 وَالشَّعْرِ . وَإِنْ كَانَ التَّحَدُّثُ عَنْهُ فِي الْجُمْلَتَيْنِ شَيْئًا وَاحِدًا كَقَوْلِكَ :
 فُلَانٌ يَقُولُ وَيَفْعَلُ وَيَصْرُ وَيَنْقَعُ وَيَأْمُرُ وَيَنْهَى وَيُسَيِّئُ وَيُحْسِنُ . يَجِبُ
 إِدْخَالُ الْعَاطِفِ فَإِنَّهُ أَنْعَرَضَ جَعَلَهُ فَأَعْلَا لِلْأَمْرَيْنِ . فَلَوْ قُلْتَ : يَقُولُ
 يَقَعْلُ بِلَا عَاطِفٍ لَتَوَهَّمَنَّ أَنَّ الثَّانِي رُجُوعٌ عَنِ الْأَوَّلِ . وَإِذَا أَقَادَ
 الْعَاطِفُ الْأَجْتِمَاعَ أَزْدَادًا أَلِشْتَرَاكَ كَقَوْلِكَ : الْحُبُّ مِنْ أَنْكَ أَحْسَنَتْ
 وَأَسَأَتْ . وَالْحُبُّ مِنْ أَنْكَ تَهَيَّ عَنْ شَيْءٍ تَأْتِي مِثْلَهُ . وَكَقَوْلِهِ :
 لَا تَطْمَعُوا أَنْ تُهَيِّنُوا وَتُكْرِمَ مَكْمُكُمْ وَأَنْ تَكْفَ الْأَذَى عَنْكُمْ وَتُوْذُوا
 فَإِنَّ الْمَعْنَى جَعَلَ الْفِعْلَيْنِ فِي حُكْمٍ وَاحِدٍ أَيْ لَا تَطْمَعُوا أَنْ
 تَرَوْا إِكْرَامَنَا إِيَّاكُمْ يُوجِدُ مَعَ إِهَانَتِكُمْ إِيَّانَا . وَأَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ يَجِبُ
 اسْقَاطُ الْعَاطِفِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ لِاخْتِلَالِ الْمَعْنَى عِنْدَ اتِّبَاعِهِ
 كَقَوْلِهِ : وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا : إِنَّمَا نَحْنُ
 مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ . فَقَوْلُهُ : (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) كَلَامٌ
 مُسْتَأْنَفٌ وَهُوَ إِخْبَارٌ مِنْهُ . فَلَوْ أَتَى بِالْوَاوِ لَكَانَ إِخْبَارًا عَنِ الْيَهُودِ
 بِأَنَّهُمْ وَصَفُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَنَّهُمْ مُفْسِدُونَ فَيَحْتَلِ الْمَعْنَى . قَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ :
 وَإِذَا اسْتَفْرَيْتَ وَجَدْتَ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتَ لَكَ مِنْ تَنَزُّلِهِمُ الْكَلَامَ
 إِذَا جَاءَ بِعَقَبٍ مَا يَتَخَصِّي سَوْأًا لَا تَنَزَّلُهُ إِذَا صُرِّحَ بِذَلِكَ سُوءًا

كثيراً . فمن لطيف ذلك قوله :

رَعِمَ الْعَوَازِلُ أَتَيْتِ فِي غَمْرَةٍ صَدَقُوا وَلَكِنْ غَمْرَتِي لَا تَجْلِي
لَمَّا حَكَى عَنِ الْعَوَازِلِ قَوْلَهُمْ إِنَّهُ فِي غَمْرَةٍ وَكَانَ ذَلِكَ بِمَا يُحْرِكُ
السَّامِعَ عَلَى أَنْ يَسْأَلَهُ : فَأَجَابَكَ عَنْ ذَلِكَ . أَخْرَجَ الْكَلَامَ مُخْرَجَهُ
إِذَا كَانَ قَدْ قِيلَ فَقَالَ : أَقُولُ صَدَقُوا . أَنَا كَمَا قَالُوا وَلَكِنْ لَا مَطْمَعَ
لَهُمْ فِي فَلَاحِي . وَلَوْ قَالَ : وَصَدَقُوا لَكِنْ لَمْ يَضَعْ نَفْسَهُ فِي آتِهِ
سَسْئُولُ . وَآمَالُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَا حَاجَةَ إِلَى
الْعَاطِفِ بِخِلَافِ قَوْلِهِ : يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ . وَمَكْرُوا وَمَكَّرَ
اللَّهُ : فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْجُمْلَتَيْنِ خَبَرٌ

(وَمِمَّا يَجِبُ) ذِكْرُهُ هَاهُنَا الْجُمْلَةُ إِذَا وَقَعَتْ حَالًا فَإِنَّهَا تَجِيءُ مَعَ أَلَوَا
تَارَةً وَيَدُونَهَا أُخْرَى . فَنَسْئَلُ الْجُمْلَةَ إِذَا وَقَعَتْ حَالًا فَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ
خَبَرِيَّةً تَحْتَمِلُ الصِّدْقَ وَالْكَذِبَ وَهُوَ عَلَى قَسَمَيْنِ : (الْأَوَّلُ) وَلَهُ
أَحْوَالٌ : (الْأَوَّلَى) أَنْ يُجْمَعَ لَهَا بَيْنَ أَلَوَا وَضَمِيرِ صَاحِبِ الْحَالِ كَقَوْلِكَ :
جَاءَ زَيْدٌ وَمَعَهُ غُلَاهُ وَلَقِيتُ زَيْدًا وَفَرَسَهُ سَابِقُهُ . وَهَذِهِ أَلَوَا تُسَمَّى
وَأَوَ الْحَالِ . (الثَّانِيَةُ) أَنْ تَجِيءَ بِالضَّمِيرِ مِنْ غَيْرِ وَأَوْ كَقَوْلِكَ :
كَلِمَتُهُ فُوهَ إِلَى فِي . وَهُوَ فِي مَعْنَى مُشَافَهًا وَالرَّابِطُ الضَّمِيرُ . (الثَّلَاثَةُ)
أَنْ تَجِيءَ بِالْأَلَوَا مِنْ غَيْرِ ضَمِيرٍ وَهُوَ كَثِيرٌ كَقَوْلِكَ : لَقِيتُكَ وَالْجَيْشُ
قَادِمٌ . وَزَرَدْنَا وَالشِّتَاءُ خَارِجٌ . قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا يُجْجِدُ قَيْدَ الْأَوَابِدِ هَيْكَلُ
وَيُجْجِدُ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ حَالَيْنِ : مُفْرَدٍ وَجُمْلَةٍ . إِذَا أَجَزْنَا وَفُوعَ حَالَيْنِ

كَقَوْلِكَ : لَقِيتُكَ رَاكِبًا وَآلَحَسَنُ قَادِمٌ . فَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِنَ التَّاءِ أَوْ
مِنْ الْكَافِ وَالْعَامِلُ فِيهَا (لَقِيتُ) أَوْ مِنْ صَمِيرٍ (رَاكِبٍ) وَرَاكِبٌ
هُوَ الْعَامِلُ فِيهَا . (الْقِسْمُ الثَّانِي) الْجُمْلَةُ الْفِعْلِيَّةُ . وَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ
مَاضِيًا أَوْ مُضَارِعًا . أَمَّا الْمَاضِي فَلَا بُدَّ مَعَهُ مِنَ الْإِثْنَانِ بِالْوَاوِ وَقَدْ
أَوْ بِأَحَدِهِمَا كَقَوْلِكَ : نَكَلَمْتُ وَقَدْ عَجَلْتُ . وَجَاءَ زَيْدٌ قَدْ ضَرَبَ
عَمْرًا . وَجِئْتُ وَاسْرَعْتُ فِي الْحَجَرِ . وَلَمْ يُجْزِ الضَّرِيئُونَ خُلُوهُ عَنْهُمَا
وَقَالُوا فِي قَوْلِ أَبِي صَخْرٍ أَهْلُنِي :

وَإِنِّي لَتَعْرِوْنِي لِذِكْرِكَ هِرَّةً كَمَا أَتَقَفَّضُ الْعُضْفُورُ بِأَلِهِ أَفْطُرُ
إِنَّ (قَدْ) مُقَدَّرَةٌ فِيهَا فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا عُرِفَ وَوَضِعُهُ جَارَ حَذْفِهِ .

وَأَمَّا الْمُضَارِعُ فَإِنْ كَانَ مُوجِبًا فَلَا يُؤْتَى مَعَهُ بِالْوَاوِ تَقُولُ : جَاءَ فِي زَيْدٍ
يُضْحِكُ وَجَاءَ عَمْرُو يُسْرِعُ وَجَلَسَ يُحَدِّثُنَا (بِالرَّفْعِ) أَيِ مُحَدِّثَانَا
يَجْرِدُهُ عَمَّا يُعَيِّرُ مَعْنَاهُ أَشْبَهَ أَنْفَ الْفَاعِلِ إِذَا وَقَعَ حَالًا . وَإِنْ كَانَ
مَنْفِيًا جَارَ حَذْفُ الْوَاوِ مُرَاعَاةً لِأَصْلِ الْفِعْلِ الَّذِي هُوَ الْأَحَابُ وَحَازَ
إِثْبَاتَهَا لِأَنَّ الْفِعْلَ لَيْسَ هُوَ الْحَالُ . فَإِنَّ مَعْنَى قَوْلِكَ : (جَلَسَ رَبُّ
وَلَمْ يَتَكَلَّمْ) جَلَسَ زَيْدٌ غَيْرَهُ تَكَلَّمَ . فَجَرَى جَرَى جُمْلَةُ الْإِسْمِيَّةِ .
فَالْحَذْفُ كَقَوْلِكَ : جَاءَ زَيْدٌ مَا يَقُوهُ بِنْتِ سَفَةٍ . كَقَوْلِهِ : أَحَلَّنَا
دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمْسُنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمْسُنَا فِيهَا أَغُوبُ . فَقَوْلُهُ :
(لَا يَمْسُنَا) فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ عَلَى الْحَالِ مِنْ صَمِيرٍ الْمَرْفُوعِ فِي أَحْسَنِ
وَالْإِثْبَاتُ كَقَوْلِكَ : جَلَسَ زَيْدٌ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ . وَهَذَا . أَفَلَا يَرَوْنَ
أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ حَرٌّ وَلَا نَعَا . وَسَبِّحُوا أَهْلَ الْمَعَالِ

الْمَاضِي فَقَالُوا : جَاءَ زَيْدٌ مَا ضَرَبَ عُمَرَا . وَجَاءَ زَيْدٌ وَمَا ضَرَبَ عُمَرَا

البحث السابع

في تأكيد الكلام وقصره وتعزيزه باناً وانما

(عن صناعة الترسل ايضاً)

(راجع صفحة ١٩ من علم الادب)

أَمَّا (إِنَّ) فَلَهَا فَوَائِدُ : (الْأُولَى) أَنَّهَا تَرِبُّطُ الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ بِالْأُولَى وَيَسَبِّحُهَا بِحُصْلِ التَّأْلِيفِ بَيْنَهُمَا حَتَّى كَانَ الْكَلَامَيْنِ أُفْرَغًا أُفْرَغًا وَاحِدًا وَلَوْ اسْقَطْنَاهَا كَانَ الثَّانِي نَائِبًا عَنِ الْأَوَّلِ كَقَوْلِهِ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . (الثَّانِيَةُ) أَنَّكَ تَرَى لِضَمِيرِ الشَّانِ وَالْقِصَّةِ فِي الْجُمْلَةِ الشَّرْطِيَّةِ مَعَ (إِنَّ) مِنْ أَحْسَنِ وَاللُّطْفِ مَا لَا تَرَاهُ إِذَا هِيَ لَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهَا كَقَوْلِهِ : إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . (الثَّلَاثَةُ) أَنَّهَا تُهَيِّئُ الْكِرَّةَ وَتُضَلِّحُهَا لِأَن يُحَدِّثَ عَنْهَا وَإِنْ كَانَتْ أَلَكِرَّةً مَوْضُوعَةً جَازَ حَذْفُهَا وَلَكِنْ دَخُلَهَا أَضْلَحَ كَقَوْلِ حَسَّانَ :

إِنَّ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي بِجُمْلٍ لَزَمَانٌ يَهْمُ بِالْإِحْسَانِ
(الرَّابِعَةُ) أَنَّهَا تُغْنِي عَنِ الْخَبَرِ كَمَا إِذَا قِيلَ لَكَ : النَّاسُ
الْبُؤَا عَلَىكُمْ فَهَلْ لَكُمْ أَحَدٌ . فَقُلْتَ : إِنَّ زَيْدًا أَوْ إِنَّ عُمَرَا .
أَيُّ لَنَا . قَالَ الْأَعَشَى :

إِنَّ مَحَلًّا وَإِنْ مُرْتَحَلًا وَإِنْ فِي السَّفَرِ إِذْ مَضَوْا مَهَلًا

(الْخَامِسَةُ) قَالَ الْمُرَدُّ إِذَا قُلْتَ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَقَائِمٌ . فَهُوَ
 جَوَابٌ عَنْ سُوءِ السَّائِلِ . فَإِذَا قُلْتَ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَقَائِمٌ . فَهُوَ جَوَابٌ
 عَنْ انْكَارِ نِكَاحِ لِقَائِهِ سَوَاءَ كَانَ النِّكَاحُ هُوَ السَّائِلُ أَوْ الْخَاضِرِينَ
 (وَأَمَّا إِنَّمَا) فَتَارَةٌ تَحِي لِلْمَحْضَرِّ بِمَعْنَى أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ لَا يُوجَدُ فِي
 غَيْرِ الْمَذْكُورِ وَهُوَ يَمْتَزِلُهُ (لَيْسَ إِلَّا) كَقَوْلِهِ : إِنَّمَا يَنْتَسِبُ الَّذِينَ
 يَنْسَبُونَ . وَقَوْلِهِ : إِنَّمَا تُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ . وَقَوْلِهِ : إِنَّمَا أَنْتَ
 مُنْذِرٌ مَنْ يُخَشَاهَا . وَتَارَةٌ تَحِي لِيَبَانَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ ظَاهِرٌ عِنْدَ كُلِّ
 أَحَدٍ سَوَاءَ كَانَ كَذَلِكَ أَوْ فِي زَعْمِ التَّكَلِّمِ . وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :
 إِنَّمَا مُضْعَبُ شِهَابٍ مِنْ اللَّهِ مَ تَحَلَّتْ مِنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَا :
 مُدْعِيًا أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَنْكَرُهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ . (فَائِدَةٌ) إِذَا
 دَخَلَ (مَا وَإِلَّا) عَلَى الْجُمْلَةِ الْمُشْتَبِهَةِ عَلَى الْمَنْصُوبِ كَانَ الْقَصْدُ بِالذِّكْرِ
 مَا اتَّصَلَ (بِإِلَّا) مُتَأَخِّرًا عَنْهُ . فَإِذَا قُلْتَ : مَا ضَرَبَ عُمَرَا إِلَّا زَيْدٌ .
 فَالْقَصْدُ الْمَرْفُوعُ . وَإِذَا قُلْتَ : مَا ضَرَبَ زَيْدٌ إِلَّا عُمَرَا . فَالْقَصْدُ
 الْمَنْصُوبُ . وَإِذَا قُلْتَ : مَا ضَرَبَ زَيْدٌ إِلَّا عُمَرَا . فَالِاخْتِصَاصُ بِالضَّارِبِ .
 وَإِذَا قُلْتَ : مَا ضَرَبَ إِلَّا زَيْدًا عُمَرُو . فَالِاخْتِصَاصُ بِالْمَضْرُوبِ . وَإِذَا
 قُلْتَ : لَمْ أَكْسُ إِلَّا زَيْدًا جَبَّةً . فَالْمَعْنَى تَحْصِصُ سُوْقَةِ الْجَبَّةِ بَيْنَ
 النَّاسِ بَزِيدٍ . وَكَذَلِكَ الْحُكْمُ حَيْثُ يَكُونُ يَدُلُّ أَحَدُ الْمُفْعُولَيْنِ جَارًا
 وَمَجْرُورًا كَقَوْلِ السَّيِّدِ الْحَمِيرِيِّ :

لَوْ خَيْرَ الْمَنْبَرِ فِرْسَانَهُ مَا اخْتَارَ إِلَّا مِنْكُمْ فَارِسًا
 وَكَذَلِكَ حُكْمُ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ وَالْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ كَقَوْلِكَ : هَا

زَيْدٌ إِلَّا قَائِمٌ وَمَا قَائِمٌ إِلَّا زَيْدٌ. وَأَمَّا (إِنَّمَا) فَلِاخْتِصَاصٍ فِيهَا يَقَعُ مَعَ
الْمُتَأَخِّرِ. فَإِذَا قُلْتَ: إِنَّمَا ضَرَبَ زَيْدًا عَمْرُو. فَلِاخْتِصَاصٍ فِي الضَّارِبِ.
وَقَوْلُهُ: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) فَلِغَرَضِ بَيَانِ الْمَرْفُوعِ
وَهُوَ أَنَّ الْخَاشِينَ هُمُ الْعُلَمَاءُ. وَلَوْ قُدِّمَ الْمَرْفُوعُ لَصَادَ الْمَقْصُودُ بَيَانُ
الْخَشْيَةِ مِنْهُ فَالْأَوَّلُ أَتَمُّ. وَمِنْهُ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ:

أَنَا الْوَلَدُ الْخَاصُّ لِلدَّمَارِ وَإِنَّمَا يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِكُمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي
فَإِنَّ غَرَضَهُ أَنْ يَخْصُرَ الْمُدَافِعَ بِأَنَّهُ هُوَ لَا الْمُدَافِعُ عَنْهُ. وَلَوْ قَالَ:
إِنَّمَا أَنَا أَدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِكُمْ. تَوَجَّهَ التَّخْصِصُ إِلَى الْمُدَافِعِ عَنْهُ. وَإِذَا
أَدْخَلْتَ عَلَيْهِمَا (إِنَّمَا) فَإِنَّ قَدِّمْتَ الْخَبَرَ فَلِاخْتِصَاصٍ لِلْمُبْتَدَأِ. وَإِنْ
لَمْ تُقَدِّمَهُ فَلِخَبَرٍ. فَإِذَا قُلْتَ: إِنَّمَا هَذَا لَكَ فَلِاخْتِصَاصٍ فِي (لَكَ)
بِدَلِيلِ أَنَّكَ نَقُولُ بَعْدَهُ: لَا تَعْبُرْكَ. وَإِنْ قُلْتَ: إِنَّمَا لَكَ هَذَا.
فَلِاخْتِصَاصٍ فِي هَذَا بِدَلِيلِ أَنَّكَ تَقُولُ بَعْدَهُ لَذَلِكَ. ثُمَّ قَدْ يَجْتَمِعُ
مَعَهُ حَرْفُ النِّفْيِ إِمَّا مُتَأَخِّرًا كَقَوْلِكَ: إِنَّمَا يَجِي زَيْدٌ لَا عَمْرُو. وَقَالَ
أَبِي:

وَإِذَا جُوزِيَتْ قَرْضًا فَاجْزِهِ إِنَّمَا يَجْزِي الْفَتَى لَيْسَ الْحَمَلُ
وَأَمَّا مُقَدِّمًا عَلَيْهِ كَقَوْلِكَ: مَا جَاءَ فِي زَيْدٍ وَإِنَّمَا جَاءَ فِي عَمْرُو.
فَهَا هُنَا لَوْ لَمْ تَقُلْ: (إِنَّمَا). وَقُلْتَ: مَا جَاءَ فِي زَيْدٍ وَجَاءَ فِي عَمْرُو.
لَكَانَ الْكَلَامُ مَعَ مَنْ ظَنَّ أَنَّهَا جَاءَ أَجْمَعًا. وَإِذَا أَدْخَلْتَهَا كَانَ
الْكَلَامُ مَعَ مَنْ غَلِطَ فِي الْجَائِي أَنَّهُ زَيْدٌ لَا عَمْرُو. وَأَعْلَمَ أَنَّ أَقْوَى مَا
يَكُونُ إِنَّمَا إِذَا كَانَ لَا يَرَادُ بِالْكَلَامِ الَّذِي بَعْدَهَا نَفْسُ مَعْنَاهَا

وَلَكِنَّ التَّعْرِيزَ بِأَمْرٍ هُوَ مُفْتَضَاهُ . وَهَذَا التَّعْرِيزُ لَا يَحْصُلُ بِدُونِ
(إِنَّمَا) لِأَنَّ مِنْ إِبْتَاتِهَا تَضْمِينُ الْكَلَامِ مَعْنَى التَّنْهِي بِعَدِّ الْإِثْبَاتِ .
فَإِذَا أَسْقَطْتَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا إِبْتَاتُ الْحُكْمِ لِلْمَذْكُورِينَ فَلَا يَسْدُلُ
عَلَى نَفْيِ غَيْرِهِمْ إِلَّا أَنْ يُذَكَّرَ فِي مَعْرِضِ سَدْحِ الْإِنْسَانِ بِالتَّنْقِيطِ
وَالْكَرَمِ وَامْتَالِهِمَا كَمَا يُقَالُ : كَذَلِكَ يَفْعَلُ الْفَاعِلُ وَهَكَذَا يَفْعَلُ
الْكَرِيمُ

البحث الثامن

في التقديم والتأخير

(عن صناعة الترسل أيضاً)

(راجع علم الادب صفحة ١٩)

إِذَا قُدِّمَ الشَّيْءُ عَلَى غَيْرِهِ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي نِيَّةِ التَّأْخِيرِ كَمَا
إِذَا قُدِّمَ الْخَبَرُ عَلَى الْمُبْتَدَأِ . وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي نِيَّةِ التَّأْخِيرِ وَلَكِنْ
أَنْتَقَلَ الشَّيْءُ مِنْ مُحْكَمٍ إِلَى آخَرٍ . كَمَا إِذَا جِئْتَ إِلَى أَسْمَيْنِ جَازَ أَنْ
يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُبْتَدَأً فَجَعَلْتَ أَحَدَهُمَا مُبْتَدَأً كَقَوْلِكَ : زَيْدٌ
الْمُنْطَلِقُ وَالْمُنْطَلِقُ زَيْدٌ . قَالَ الْجَرَجَانِيُّ : كَانَ هُمْ يَقْدَمُونَ الَّذِي يَبْأَنُهُ
أَهْمُهُمْ وَهُمْ يَبْأَنُهُ أَعْنَى وَإِنْ كَانَا جَمِيعًا يَبْأَنُهُمْ وَيَعْنِيَانِيَهُ . وَثَالُهُ
إِنَّ النَّاسَ إِذَا تَعَلَّقَ غَرَضُهُمْ بِقَتْلِ خَارِجِيٍّ مُفْسِدٍ وَلَا يَعْلَمُونَ مَنْ
صَدَرَ الْقَتْلُ مِنْهُ وَارَادَ مُرِيدُ الْأَخْبَارِ بِذَلِكَ فَإِنَّهُ يُقَدَّمُ ذِكْرُ الْخَارِجِيِّ
فَيَقُولُ : قَتَلَ الْخَارِجِيَّ زَيْدٌ . وَلَا يَقُولُ : قَتَلَ زَيْدٌ الْخَارِجِيَّ . لِأَنَّهُ يَعْلَمُ

أَنَّ قَتْلَ الْخَارِجِيِّ هُوَ الَّذِي يَعْنيهِمْ . وَإِنْ كَانَ قَدْ وَقَعَ قَتْلُهُ مِنْ
رَجُلٍ يَبْعُدُ فِي اعْتِقَادِ النَّاسِ وَفُتُوهُ الْقَتْلُ مِنْ مِثْلِهِ قَدْ أَمْحَرُ ذِكْرُ
الْفَاعِلِ فَيَقُولُ : قَتَلَ زَيْدٌ رَجُلًا . لِاعْتِقَادِ النَّاسِ فِي الْمَذْكُورِ خِلَافَ
ذَلِكَ (اهـ) . وَلِذَلِكَ مِنْهُ ثَلَاثَةُ مَوَاضِعَ يُعْرَفُ بِهَا مَا لَمْ يَذْكَرْ :
(الْأَوَّلُ الْإِسْتِفْهَامُ) فَإِذَا ادْخَلْتُهُ عَلَى الْفِعْلِ وَقُلْتَ : أَضْرَبَ
زَيْدًا . كَانَ الْشَّكُّ فِي وُجُودِ الْفِعْلِ مُحَقَّقًا وَالشَّكُّ فِي تَعْيِينِ الْفَاعِلِ
وَهَكَذَا حُكْمُ التَّنْكِارِ . فَإِذَا قُلْتَ : آجَأَكَ رَجُلٌ فَإِنَّ الْمَقْصُودَ
هَلْ وَجَدَ الْحَيَّ مِنْ رَجُلٍ . فَإِذَا قُلْتَ : آرَجُلٌ جَاءَكَ كَانَ ذَلِكَ
سُوءَ الْآءِ عَنْ جِنْسٍ مَنْ جَاءَ بَعْدَ الْحُكْمِ بِوُجُودِ الْحَيِّ مِنْ إِنْسَانٍ .
وَقَسَّ عَلَيْهِ الْخَبَرُ فِي قَوْلِكَ : ضَرَبْتَ زَيْدًا وَزَيْدًا ضَرَبْتَ . وَجَاءَ نِي
رَجُلٌ تَمَيُّي . وَرَجُلٌ تَمَيُّي جَاءَ نِي . ثُمَّ الْإِسْتِفْهَامُ قَدْ تَمَيُّي لِلْإِنْكَارِ :
وَهُوَ إِمَّا لِلتَّفْرِيدِ وَالتَّوْبِيخِ وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ : أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِأَلِهَتِنَا . وَإِمَّا
لِلْإِنْكَارِ أَنَّهُ الْفَاعِلُ مَعَ تَحْقِيقِ الْفِعْلِ كَقَوْلِكَ لِمَنْ أَتَّخَلَ شَعْرًا :
أَنْتَ قُلْتَ هَذَا . وَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ مُضَارِعًا فَإِنْ ادْخَلْتَ حَرْفَ
الْإِسْتِفْهَامِ عَلَيْهِ كَانَ إِمَّا لِلْإِنْكَارِ وَوُجُودِهِ كَقَوْلِهِ : أَلَزِمْتُكُمْ هَذَا وَأَنْتُمْ لَهَا
كَارِهُونَ . أَوْ لِلْإِنْكَارِ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى الْفِعْلِ كَقَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :
أَيَقْتُلْنِي وَالْشَّرِيفُ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونُهُ زَرَقَ كَأَيَّابِ أَعْوَالِ
أَوْ لِإِزَالَةِ طَمَعٍ مِنْ طَمَعٍ فِي أَمْرٍ لَا يَكُونُ فَيَجْهَأُهُ فِي طَمَعِهِ
كَقَوْلِكَ : أَيْرَضِي عَنْكَ فَلَانٌ وَأَنْتَ عَلَى مَا يَكُونُ . أَوْ لِتَعْذِيفِ مَنْ
يُضِيعُ الْحَقَّ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

أَتَرَكُ إِن قُلْتُ دَرَاهِمُ خَالِدٍ زِيَادَتُهُ إِنِّي إِذَا لَلْتِيمُ
 أَوْ لَتَقْدِيمِ الْفِعْلِ كَمَا تَقُولُ لِمَنْ يَرْكَبُ الْخَطَرَ : أَتَرَكَبُ فِي هَذَا
 أَلَوْقَتٍ . وَإِنْ أَدْخَلْتَهُ عَلَى الْأِسْمِ فَهُوَ لَا نِكَارَ صُدُورِ الْفِعْلِ وَنَ
 ذَلِكَ الْقَائِلُ إِمَّا لِاسْتِحْقَاقِ كَقَوْلِكَ : أَأَنْتَ تَمْنَعُنِي . أَوْ لِاتِّعَظِيمِ
 كَقَوْلِكَ : أَهْوَى يَسْأَلُ النَّاسَ . أَوْ لِلْمَبَالَغَةِ إِمَّا فِي كَرَمِهِ كَقَوْلِكَ :
 أَهْوَى يَمْنَعُ مَائِلَهُ . وَإِمَّا فِي حَسَاسَتِهِ كَقَوْلِكَ : أَهْوَى يَسْنَحُ بِمِثْلِ هَذَا .
 وَقَدْ يَكُونُ لِيَبَانِ اسْتِحْجَالِهِ فِعْلٌ ظَنُّ مِمَّا كَقَوْلِهِ : أَفَأَنْتَ تُسَيِّعُ
 أَلَصُّمَ أَوْ تَهْدِي الْعَمَى . وَكَذَلِكَ إِذَا أَدْخَلْتَهُ عَلَى الْمَفْعُولِ كَقَوْلِهِ :
 أَغَيَّرَ اللَّهُ اتَّخَذَ وَلِيًّا وَآغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ . وَأَبَشَرْنَا وَنَا وَاجِدًا تَلْبَعُهُ .
 بَنَوْا كُفِّرَهُمْ عَلَى أَنَّ الْبَشَرَ لَيْسَ بِمَتَابَةِ أَنْ يَتَّبَعَ وَيُطَاعَ
 (فِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ فِي النَّفْيِ) إِذَا أَدْخَلْتَ النَّفْيَ عَلَى الْفِعْلِ
 فَقُلْتَ : مَا ضَرَبْتُ زَيْدًا . فَقَدْ نَفَيْتَ عَنْ زَيْدٍ ضَرْبًا وَاقَعًا بِزَيْدٍ وَهَذَا
 لَا يَقْتَضِي كَوْنَ زَيْدٍ مَضْرُوبًا . وَإِذَا أَدْخَلْتَهُ عَلَى الْأِسْمِ فَقُلْتَ : مَا
 أَنَا ضَرَبْتُ زَيْدًا . أَقْتَضَى مِنْ بَابِ دَلِيلِ الْخُطَابِ كَوْنَ زَيْدٍ مَضْرُوبًا
 وَعَلَيْهِ قَوْلُ الْمُتَنَبِّي :

وَمَا أَنَا وَحْدِي قُلْتُ ذَا الشَّعْرِ كُلَّهُ وَلَكِنْ لَشُعْرِي فِيكَ مِنْ نَفْسِهِ شَعْرٌ
 وَكَذَلِكَ (حُكْمُ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ وَحُكْمُ الْمَفْعُولِ) . فَإِذَا قُلْتَ : مَا
 أَمَرْتُكَ بِهَذَا . لَمْ يَقْتَضِ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَمَرْتَهُ بِشَيْءٍ غَيْرِ هَذَا . وَإِذَا
 قُلْتَ : مَا بِهَذَا أَمَرْتُكَ . أَقْتَضَاهُ . وَإِذَا قَدَّمْتَ صِفَةَ الْعُمُومِ عَلَى
 السَّلْبِ وَقُلْتَ : كُلُّ ذَلِكَ لَمْ أَفْعَلْهُ بِرَفْعٍ (كُلُّ) كَانَ مُيَا عَامًا

وَيُنَاقِضُهُ الْإِبْثَاتُ الْخَاصُّ . فَلَوْ فَعَلْتَ بَعْضَهُ كُنْتَ كَاذِبًا . وَإِنْ قَدَّمْتَ
السَّلْبَ وَقُلْتَ : لَمْ أَفْعَلْ كُلَّ ذَلِكَ . كَانَ تَقْيًا لِلْعُومِ وَلَا يُنْكَاسِي فِي
الْإِبْثَاتِ الْخَاصِّ فَلَوْ فَعَلْتَ بَعْضَهُ لَمْ تَكُنْ كَاذِبًا . (الثَّلَاثُ فِي التَّقْدِيمِ
وَالْتَأْخِيرِ فِي الْخَبَرِ الْمُثَبَّتِ) مَا تَقَدَّمَ فِي الِاسْتِفْهَامِ وَالْتَفَنِي قَائِمٌ هَاهُنَا
فَإِذَا قَدَّمْتَ الْإِنَّمِ وَقُلْتَ : زَيْدٌ فَعَلَ وَأَنَا فَعَلْتُ . فَأَلْقَصْدُ أَنَّ
الْفَاعِلَ إِمَّا لِلتَّخْصِصِ ذَلِكَ الْفِعْلَ بِهِ كَقَوْلِكَ : أَنَا شَفَعْتُ فِي شَأْنِهِ
مُدْعِيًا الْإِنْفِرَادَ بِذَلِكَ . أَوْ لِتَأْكِيدِ إِبْثَاتِ الْفِعْلِ لَهُ لَا لِلتَّخْصِصِ
كَقَوْلِكَ : هُوَ يُعْطِي الْجَزِيلَ . لِيَسْمَكَنَّ فِي نَفْسِ السَّامِعِ أَنَّ ذَلِكَ
دَائِبُهُ دُونَ تَقْيِهِ عَنْ غَيْرِهِ كَقَوْلِ دَرْنَا بِنْتُ عَشْعَشَةَ :

هُمَا يَلْبَسَانِ الْحَجْدَ أَحْسَنَ لِبْسَةٍ شَحِيحَانِ مَا أَسْطَاعَا عَلَيْهِ كِلَاهُمَا
وَالسَّبَبُ فِي هَذَا التَّأْكِيدِ إِذَا قُلْتَ مَثَلًا : (زَيْدٌ) . فَقَدْ أَسْعَرْتَ
بِأَنَّكَ تُرِيدُ الْحَدِيثَ عَنْهُ فَيُجْزَلُ لِلْسَّامِعِ تَشَوُّقٌ إِلَى مَعْرِفَتِهِ . فَإِذَا
ذَكَرْتَهُ قَبْلَتَهُ النَّفْسُ قَبُولَ الصَّدِيقِ صَدِيقَهُ فَيَكُونُ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي
الْحَقِيقِ وَتَقْيِ الشَّكِّ وَالشُّبْهِ . وَلِهَذَا تَقُولُ لِمَنْ تَعِدُّهُ : أَنَا أُعْطِيكَ .
أَنَا أَكْفِيكَ . أَنَا أَقُومُ بِهَذَا الْأَمْرِ . وَذَلِكَ إِذَا كَانَ مِنْ شَأْنٍ مَنْ
سَبَقَ لَهُ وَعَدُ أَنْ يَعْتَرِضَهُ الشَّكُّ فِي وَفَائِهِ . وَلِذَلِكَ يُقَالُ فِي الْمَدْحِ :
أَنْتَ تُعْطِي الْجَزِيلَ . أَنْتَ تَجُودُ حِينَ لَا يَجُودُ أَحَدٌ . وَمِنْ هَاهُنَا
تُعْرَفُ الْفَحَامَةُ فِي الْجَمَلِ آتِي فِيهَا ضَمِيرُ الشَّانِ وَالْقَصَّةُ كَقَوْلِهِ : فَإِنَّهَا
لَا تَعْنِي الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْنِي الْقُلُوبَ آتِي فِي الصُّدُورِ . وَكَقَوْلِهِ :
إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ . (وَانْهَاهَا) فِيهَا مَا لَيْسَ فِي قَوْلِكَ : فَإِنَّ

أَلَا بَصَارَ لَا تَعْمَى وَإِنَّ الْكَافِرِينَ لَا يُفْلِحُونَ . وَهَذَا الْكَلَامُ فِي الْحَبَرِ
الْمُنْفِيِّ . فَإِذَا قُلْتَ . أَنْتَ لَا تُحْسِنُ هَذَا . كَانَ أَبْلَغَ مِنْ أَنْ تَقُولَ :
لَا تُحْسِنُ هَذَا . قَالَ أَوَّلُ لَنْ هُوَ أَشَدُّ إِعْجَابًا بِنَفْسِهِ وَأَكْثَرُ دَعْوَى
بِأَنَّهُ يُحْسِنُ . وَأَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ تَقْدِيمُ الْأَسْمِ كَاللَّازِمِ وَهُوَ :
(كَمِثْلِ) فِي نَحْوِ قَوْلِهِ :

يَا عَادِي دَعْنِي مِنْ عَذْلِكَ مِثْلِي لَا يَقْبَلُ مِنْ مِثْلِكَ
وَقَوْلِ الْمُتَسْتَبِي :

مِثْلَكَ يَنْبِي الْحُزْنَ عَنْ صَوْبِهِ وَيَسْتَرْدُّ الدَّمْعَ عَنْ غَرَبِهِ
وَكَقَوْلِ النَّاسِ : مِثْلَكَ يَرْغَى الْحَقُّ وَالْحُرْمَةُ . وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ بِمَا
لَا يَقْصِدُ فِيهِ الْإِنْسَانُ سِوَى الَّذِي أُضِيفَ إِلَيْهِ وَجِيءَ بِهِ لِلْمُبَالَغَةِ .
وَالْمَعْنَى إِنَّ مَنْ كَانَ مِثْلَهُ فِي الظَّالِّ وَالصِّفَةِ كَانَ وَنَ مُقْتَضَى الْقِيَاسِ
أَنْ يَفْعَلَ مَا ذَكَرَ فَكَيْفَ بِهِ . وَقَدْ عَبَّرَ الْمُتَسْتَبِي عَنْ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :
وَلَمْ أَقُلْ وَمِثْلَكَ أَعْنِي بِهِ سِوَاكَ يَا فَرْدًا بِلَا مُشَبِّهٍ

وَكَذَلِكَ مُحْكَمٌ (غَيْرِ) إِذَا سَاكَ فِيهِ هَذَا أَسْلَكَ كَقَوْلِ الْمُتَسْتَبِي :
غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَجْذَعُ إِنْ قَاتَلُوا جَبَنُوا أَوْ حَدَّثُوا شَجَعُوا
أَيُّ لَسْتُ مِمَّنْ يَجْذَعُ وَيَغْتَرُّ . وَلَوْ لَمْ يَقْدَمْ (وَمِثْلًا وَنِيًّا) فِي
هَذِهِ الصُّورِ لَمْ يُرِدْ هَذَا الْمَعْنَى

(أَمَّا مَوَاضِعُ التَّقْدِيمِ وَالْتَأْخِيرِ) فَقَدْ يُحْسِنُ التَّقْدِيمُ فِي مَوَاضِعَ :
(أَوَّلًا) أَنْ تَكُونَ الْحَاجَةُ إِلَى ذِكْرِهِ أَشَدَّ كَقَوَائِدِ : قَطَعَ الْأَص
الْأَوَّلُ . (الثَّانِي) أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ أَلْيَقَ بِمَا قَبْلَهُ مِنْ أَسْكَالٍ أَوْ

بِمَا بَعْدَهُ كَقَوْلِهِ: وَتُعْشِي وَجُوهَهُمُ النَّارُ. فَإِنَّهُ أَشْكَلُ بِمَا بَعْدَهُ.
وَهُوَ قَوْلُهُ: إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ. وَبِمَا قَبْلَهُ وَهُوَ: مُقَرَّنِينَ فِي
الْأَضْفَادِ. (الثَّالِثُ) أَنْ يَكُونَ أَعْرَفَ أَوْ أَشَدَّ تَعَلُّقًا بِمَا بَعْدَهُ
كَقَوْلِكَ: زَيْدٌ قَامَ. وَقَامَ زَيْدٌ. وَزَيْدٌ الطَّوِيلُ. (الرَّابِعُ) أَنْ
يَكُونَ مِنَ الْخُرُوفِ الَّتِي لَهَا صَدْرُ الْكَلَامِ كَخُرُوفِ الْإِسْتِفْهَامِ وَاللَّفْظِ
فَإِنَّ الْإِسْتِفْهَامَ طَلَبُ فَهْمِ الشَّيْءِ وَهُوَ حَالَةٌ إِضَافِيَّةٌ فَلَا تَسْتَقِلُّ
بِالْمَفْهُومِيَّةِ فَيَسْتَدُ أَتْصَالُهُ بِمَا بَعْدَهُ. (الخَامِسُ) تَقْدِيمُ الْكُلِّيِّ
عَلَى جُزْئِيَّاتِهِ. فَإِنَّ الشَّيْءَ كُلَّمَا كَانَ أَكْثَرَ عُمُومًا كَانَ أَعْرَفَ فَإِنَّ
الْوُجُودَ لَمَّا كَانَ أَعَمَّ الْأُمُورِ كَانَ أَعْرَفَهَا عِنْدَ الْعَقْلِ. (الْسَّادِسُ)
تَقْدِيمُ الدَّلِيلِ عَلَى الْمَدْلُولِ

وَأَمَّا التَّأْخِيرُ فَيَحْسُنُ فِي مَوَاضِعَ: (الْأَوَّلُ) تَأْمُّ الْأَنَسِمِ كَالِصِّلَةِ
وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ. (الثَّانِي) تَوَابِعُ الْأَنْمَاءِ. (الثَّالِثُ) الْفَاعِلُ.
(الرَّابِعُ) الْمُضَرُّ وَهُوَ إِنْ كَانَ مُتَأَخِّرًا لَفْظًا وَتَقْدِيرًا كَقَوْلِكَ:
ضَرَبَ زَيْدٌ غُلَامَهُ. أَوْ: وَخَرَّأَ فِي اللَّفْظِ مُقَدِّمًا فِي الْمَعْنَى كَقَوْلِهِ: وَإِذَا
أَبْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ. أَوْ بِالْعَكْسِ كَقَوْلِكَ: ضَرَبَ غُلَامَهُ زَيْدٌ. جَازَ.
وَأِنْ تَقَدَّمَ لَفْظًا وَمَعْنَى لَمْ يَجُزْ كَقَوْلِكَ: ضَرَبَ غُلَامَهُ زَيْدًا.
(الخَامِسُ) مَا يُفْضِي إِلَى اللَّبْسِ كَقَوْلِكَ: ضَرَبَ مُوسَى عِيسَى. وَأَكْرَمَ
هَذَا هَذَا. فَيَجِبُ فِيهِ تَقْدِيمُ الْفَاعِلِ. (الْسَّادِسُ) الْعَامِلُ الَّذِي يَضَعُ
عَمَلَهُ كَالِصِّفَةِ الْمَشَبَّهِةِ وَالتَّمْيِيزِ وَمَا عَمِلَ فِيهِ حَرْفٌ أَوْ مَعْنَى كَقَوْلِكَ: هُوَ
حَسَنٌ وَجْهًا. وَكَرِيمٌ أَبًا. وَتَصَبَّبَ عَرَقًا. وَحَسَّةٌ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا وَإِنَّ

زَيْدًا قَائِمٌ . وَفِي الدَّارِ سَعْدٌ جَالِسٌ . وَلَا يَجُوزُ الْفَضْلُ بَيْنَ الْعَامِلِ
وَالْمَعْمُولِ بِمَا لَيْسَ مِنْهُ فَلَا تَقُولُ : كَانَتْ زَيْدًا الْحَيَّ تَأْخُذُ . إِذَا
رَفَعْتَ الْحَيَّ بِكَانَتْ لِلْفَضْلِ بَيْنَ الْعَامِلِ وَمَا عَمِلَ فِيهِ . فَإِنْ
أَضْمَرْتَ الْحَيَّ فِي كَانَتْ صَحَّتِ الْمَسْئَلَةُ

البحث التاسع

في الحذف والاضمار

(عن صباغة الترسل ايضاً)

(راجع صفحة ٢٠ من علم الادب)

اعْلَمْ أَنَّ الْأَفْعَالَ الْمُتَعَدِّيَةَ الَّتِي يُتْرَكُ ذِكْرُ مَفْعُولَاتِهَا عَلَى قَسَمَيْنِ :
(الْأَوَّلُ) أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ مَفْعُولٌ مُعَيَّنٌ فَقَدْ يُتْرَكُ مَفْعُولُهُ لَفْظًا
وَتَقْدِيرًا وَيُجْعَلُ حَالُهُ كَحَالِ غَيْرِ الْمُتَعَدِّيِّ كَقَوْلِهِمْ : فَلَانٌ يَحُلُّ وَيَعْقِدُ
وَيَأْمُرُ وَيَنْهَى وَيَضُرُّ وَيَنْفَعُ . وَالْمَقْصُودُ اثْبَاتُ الْمَعْنَى فِي نَفْسِهِ الشَّيْءِ
مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِحَدِيثِ الْمَفْعُولِ فَكَأَنَّكَ قُلْتَ : بِحَيْثُ يَكُونُ مِنْهُ
حَلٌّ وَعَقْدٌ وَأَمْرٌ وَنَهْيٌ وَضَرْ وَنَفْعٌ . وَبِالْجُمْلَةِ مَتَى كَانَ الْغَرَضُ بَيَانِ
حَالِ الْفَاعِلِ فَقَطْ فَلَا تُعَدُّ الْفِعْلَ فَإِنْ تَعَدِّيَتْهُ تَنْقُصُ الْغَرَضُ . أَلَا
تَرَى أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ : فَلَانٌ يُعْطِي الدَّانِيَةَ كَانَ الْمَقْصُودُ بَيَانِ
جِنْسِ مَا تَنَاوَلَهُ الْأَعْطَا : لَا بَيَانِ حَالِ كَوْنِهِ مُعْطِيًا . (الثَّانِي) أَنْ
يَكُونَ لَهُ مَفْعُولٌ مَعْلُومٌ إِلَّا أَنَّهُ يُحْذَفُ مِنَ الْفَلِظِ لِأَغْرَاضٍ : (الْأَوَّلُ)
أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بَيَانِ حَالِ الْفَاعِلِ وَأَنَّ ذَلِكَ أَنْفَعَلُ دَأْبُهُ لَا بَيَانِ

الْمَفْعُولُ كَقَوْلِ طُفِيلٍ :

جَزَى اللَّهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أَرْلَقْتَ بِنَا نَعْلُنَا فِي الْوِاطِينَ فَرَأَتْ
أَبَوَا أَنْ يَمْلُونَا وَلَوْ أَنَّ أَمَّنَا تُلَا فِي الَّذِي لَأَقُوهُ مِنَّا لَمَّتْ
هُمْ خَلَطُونَا بِالنُّفُوسِ وَالْجَاوَا إِلَى حُجَرَاتِ أَدْفَاتٍ وَأَظَلَّتْ
وَالْأَصْلُ أَنْ يَقُولَ : لَمَّتْنَا وَالْجَاوَا وَأَدْفَاتْنَا وَأَظَلَّتْنَا فَحَذَفَ

الْمَفْعُولَ الْمُعَيَّنَ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الْأَرْبَعَةِ وَكَأَنَّهُ قَدْ أُنْهِمَ وَلَمْ يُقْصَدِ
قَصْدُ شَيْءٍ يَقَعُ عَلَيْهِ كَمَا تَقُولُ : قَدْ مَلَ فُلَانٌ . تُرِيدُ قَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ
الْأَلَالُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَخْصَّ شَيْئًا بَلْ لَا تُرِيدُ عَلَى أَنْ تَجْعَلَ الْأَلَالَ مِنْ
صِفَتِهِ . فَكَذَلِكَ السَّاعِرُ جَعَلَ هَذِهِ الْأَوْصَافَ مِنْ ذَاتِهِمْ وَلَوْ أَصَافَ
إِلَى مَفْعُولٍ مُعَيَّنٍ لَبَطَلَ هَذَا الْفَرْضُ . (الثَّانِي) أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ ذِكْرُهُ
إِلَّا إِنَّكَ لَا تَذْكُرُهُ إِيهَامًا لِأَنَّكَ لَا تُقْصِدُ ذِكْرَهُ كَقَوْلِ الْبُخَارِيِّ :

شَجَرٌ حَسَادٍ وَغَيْظُ عِدَاهُ أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعُ وَاعٍ
الْمَعْنَى أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ مُحَاسِنَهُ وَأَنْ يَسْمَعَ وَاعٍ أَخْبَارَهُ . وَلَكِنَّهُ
نَغَافِلَ عَنْ ذَلِكَ إِذَا بَانَ فَضَائِلُهُ يَكْفِي فِيهَا أَنْ يَقَعَ عَلَيْهَا بَصَرٌ
وَيَعْيِيَا سَمْعٌ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِالْفَضَائِلِ فَلَيْسَ لِحَسَادِهِ وَعِدَاهُ
أَشْجَى مِنْ عَلَيْهِمْ بَانَ هَاهُنَا مُبْصِرًا وَسَامِعًا . (الثَّالِثُ) أَنْ يُحْذَفَ
لِكُونِهِ بَيْنًا كَقَوْلِهِمْ : أَضْغَيْتُ إِلَيْكَ . أَيْ أُذْنِي . وَأَغْضَيْتُ عَلَيْكَ .
أَيْ جَفْنِي

(فَضْلٌ فِي حَذْفِ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ) قَدْ يُحْسَنُ حَذْفُ الْمُبْتَدَأِ حَيْثُ

يَكُونُ الْفَرْضُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ فِي اسْتِحْقَاقِ الْأَوْصَافِ بِمَا جَعَلَ وَضْعًا لَهُ

إِلَى حَيْثُ يُعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ إِلَّا لَهُ سَوَاءٌ كَانَ فِي نَفْسِهِ
كَذَلِكَ أَوْ بِحَسَبِ دَعْوَى الشَّاعِرِ عَلَى طَرِيقِ الْمُبَالَغَةِ فَيَذْكُرُهُ يُبْطِلُ
هَذَا الْغَرَضَ. وَلِهَذَا قَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : مَا مِنْ أَسْمٍ يُحْذَفُ فِي الْحَالَةِ
يَنْبَغِي أَنْ يُحْذَفَ فِيهَا إِلَّا وَحْدُهُ أَحْسَنُ مِنْ ذِكْرِهِ فَمَنْ حَذَفَ
الْمُبْتَدَأَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

لَا يَنْبَغِي اللَّهُ التَّلَبُّبَ م وَالْعَارَاتِ إِذْ قَالَ لَخَيْسُ نَعَمْ
أَيُّ هَذِهِ نَعَمْ . قَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : وَمِنْ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَطْرُدُ
فِيهَا حَذْفُ الْمُبْتَدَأِ بِالْقَطْعِ وَالْإِسْتِنْفَاءِ أَنَّهُمْ يَبْدَأُونَ بِذِكْرِ الرَّجُلِ
وَيُقَدِّمُونَ بَعْضَ أَمْرِهِ ثُمَّ يَدْعُونَ الْكَلَامَ الْأَوَّلَ فَيَسْتَأْفُونَ كَلَامًا
آخَرَ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ آتَوْا فِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ بِجَهْرٍ مِنْ غَيْرِ مُبْتَدَأٍ وَمِثَالُ ذَلِكَ :
وَعَلِمْتُ أَيُّ يَوْمَ ذَا لِكَ مُنَازِلُ كَعْبًا وَنَهْدَا
قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ م تَنَمَّرُوا حَلْفًا وَقَدَا
وَقَوْلُ الْخَطِيبَةِ :

هُمْ حَلُّوا مِنَ الشَّرَفِ الْمَعْلَى وَمِنْ حَسَبِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاءُوا
أَسَاءَ مَكَارِمٍ وَأَسَاءَ كَلِمٍ دِمَاؤُهُمْ مِنَ الْكَلْبِ الشِّفَاءُ
وَأَمِثْلُهُ كَثِيرَةٌ . وَمِنْ حَذْفِ الْخَبَرِ قَوْلُهُ : لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا
مُؤْمِنِينَ أَيُّ لَوْلَا أَنْتُمْ مُضِلُّونَا . وَقَوْلُ عُمَرَ : لَوْلَا عَلِيٌّ لَهْلَكَ عُمَرُ . أَيُّ
لَوْلَا عَلِيٌّ حَاضِرٌ أَوْ هُفَّتْ . وَمِمَّا يَحْتَمِلُ الْأَمْرَيْنِ قَوْلُهُ : طَاعَةٌ وَقَوْلُ
مَعْرُوفٍ . وَقَوْلُهُ : فَصَبْرٌ جَمِيلٌ

الْإِضْمَارُ عَلَى شَرِيطَةِ التَّفْسِيرِ كَقَوْلِكَ : أَكْرَمَنِي وَأَكْرَمْتَ عَبْدَ اللَّهِ أَيُّ

أَكْرَمَنِي عَبْدُ اللَّهِ وَأَكْرَمَتْ عَبْدَ اللَّهِ. وَمِمَّا يُشَبِّهُ ذَلِكَ مَفْعُولُ الْمَشِيئَةِ إِذَا
جَاءَتْ بَعْدَ (لَوْ). فَإِنْ كَانَ مَفْعُولَهَا عَظِيمًا أَوْ غَرِيبًا فَلَا وَلِيَ ذِكْرُهُ كَقَوْلِهِ :
وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ
فَإِنَّ بُكَاءَ الْإِنْسَانِ دَمًا عَجِيبٌ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَا وَلِيَ
حَذْفُهُ كَقَوْلِهِ : وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى. وَالتَّقْدِيرُ : وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ أَنْ يَجْمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى لَجَمَعَهُمْ. وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ تَبَرَّكَ الْكِنَايَةُ
إِلَى التَّصْرِيحِ لِمَا فِيهِ مِنْ زِيَادَةِ الْفَحَامَةِ كَقَوْلِ النَّجَّارِيِّ :
قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ لَكَ فِي السُّورِ دُودَ وَالْجَدِّ وَالْمَعَارِمِ مِثْلًا
الْمَعْنَى قَدْ طَلَبْنَا لَكَ مِثْلًا. ثُمَّ حُذِفَ لِأَنَّ هَذَا الْمَدْحَ إِنَّمَا يَتِمُّ بِبَنِي
الْمِثْلِ فَلَوْ قَالَ : قَدْ طَلَبْنَا لَكَ مِثْلًا فِي السُّودِ وَالْجَدِّ فَلَمْ نَجِدْ
لَكَ مِثْلًا قَدْ أَوْقَعَ نَفْيَ الوجودِ عَلَى ضَمِيرِ (الْمِثْلِ) فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ مِنْ
الْمُبَالَغَةِ مَا إِذَا أَوْقَعَهُ عَلَى صَرِيحِ الْمِثْلِ. فَإِنَّ الْكِنَايَةَ لَا تَبْلُغُ مَبْلَغَ
الصَّرِيحِ. وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :
لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْئًا نَعَصَ الْمَوْتُ ذَا الْغَنَى وَالْفَقِيرَا

البحث العاشر

في جوامع الكلم

(عن المثل السائر لابن الاثير باختصار)

إِنَّ الْكَلِمَ جَمْعُ كَلِمَةٍ. وَالْجَوَامِعُ جَمْعُ جَامِعَةٍ. وَالْجَامِعَةُ اسْمُ
فَاعِلَةٍ مِنْ جَمَعَتْ فِيهِ جَامِعَةٌ. كَمَا يُقَالُ فِي الْمَذَكَّرِ جَمَعَ فَهُوَ جَامِعٌ

وَالْمُرَادُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ الْجَوَامِعُ لِلْمَعَانِي. وَهُوَ عِنْدِي يَتَقَسَّمُ
قِسْمَيْنِ : (الْقِسْمُ الْأَوَّلُ) مِنْهُمَا هُوَ مَا اسْتُخْرِجَتْ وَنَهَتْ عَلَيْهِ وَلَمْ
يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيهِ قَوْلٌ سَابِقٌ وَهُوَ أَنَّ لَنَا أَلْفَاظًا تَتَضَمَّنُ مِنْ أَلْفَاظِ
مَا لَا تَتَضَمَّنُهُ أَخَوَاتُهَا بِمَا يُجُوزُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي مَكَانِهَا . فَمِنْ
ذَلِكَ مَا يَأْتِي عَلَى حُكْمِ الْحِجَازِ . وَمِمَّنْ مَا يَأْتِي عَلَى حُكْمِ الْحَقِيقَةِ .
وَقَدْ وَرَدَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فِي أَقْوَالِ الشُّعْرَاءِ الْمُفَلِّقِينَ . وَأَمَّا تَصَفُّتُ
الْأَشْعَارِ قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا وَحَفِظْتُ مَا حَفِظْتُ مِنْهَا وَكُنْتُ إِذَا مَرَرْتُ
بِنَظَرِي فِي دِيَوَانٍ مِنَ الدَّوَاوِينِ وَيُلُوحُّ لِي فِيهِ مِثْلُ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ أَحَدُ
لَهَا نَشْوَةٌ كَنَشْوَةِ الْخَمْرِ وَطَرَبًا كَطَرَبِ الْأَلْحَانِ . وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاطِلِينَ
وَالنَّائِرِينَ يَمُرُّ عَلَى ذَلِكَ وَلَا يَتَفَقَّحُونَ لَهُ سِوَى أَنَّهُ يَسْتَحْسِنُهُ مِنْ غَيْرِ
نَظَرٍ فِيمَا نَظَرْتُ أَنَا فِيهِ وَيَظُنُّهُ كَثِيرُهُ مِنْ الْأَلْفَاظِ الْمُسْتَحْسِنَةِ .
فِيمَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

كَمْ صَارِمٍ عَضِبَ أَنَا فِى قَفَا مِنْهُمْ لِأَعْبَاءِ الْوَعَى حَمَالِ
سَبَقَ الْمَشِيبَ إِلَيْهِ حَتَّى أَبْتَرَهُ وَطَنُ النُّهَى مِنْ مَفْرِقٍ وَقَدَالِ
فَقَوْلُهُ : (وَطَنُ النُّهَى) مِنَ الْكَلِمَاتِ الْجَامِعَةِ وَهِيَ عِبَارَةٌ
عَنِ الرَّأْسِ وَلَا يُجَاءُ بِمِثْلِهَا فِي مَعْنَاهَا بِمَا يَسُدُّ مَسَدَهَا . وَكَذَلِكَ وَرَدَ
قَوْلُ النُّجَيْرِيِّ :

قَلْبٌ يُطِلُّ عَلَى أَفْكَارِهِ وَيَدُّ تَمْضِي الْأُمُورِ وَنَفْسٌ هُوَهَا التَّعَبُ
فَقَوْلُهُ : (قَلْبٌ يُطِلُّ عَلَى أَفْكَارِهِ) مِنَ الْكَلِمَاتِ الْجَوَامِعِ .
وَمُرَادُهُ بِذَلِكَ أَنَّ قَلْبَهُ لَا تَمْلَأُهُ الْأَفْكَارُ وَلَا تُحِيطُ بِهِ وَإِنَّمَا هُوَ عَالِ

عَلَيْهَا يَصِفُ بِذَلِكَ عَدَمَ اخْتِفَالِهِ بِالْفَوَاحِ وَقِلَّةَ مُبَالَاتِهِ بِالْخُطُوبِ
الَّتِي تُخْدِثُ أَفْكَارًا تَسْتَعْرِقُ الْقُلُوبَ وَهَذِهِ عِبَارَةٌ عَجِيبَةٌ لَا يُؤْتِي بِمِثْلِهَا
بِمَا يَسُدُّ مَسَدَهَا . (وَامَّا) مَا يَأْتِي عَلَى حُكْمِ الْحَقِيقَةِ فَكَقَوْلِ ابْنِ
الرُّومِيِّ :

سَقَى اللَّهُ أَوْطَارًا لَنَا وَمَارِبًا تَقَطَّعَ مِنْ أَقْرَانِهَا مَا تَقَطَّعَا
أَيَّالٍ تُتَسَيَّنِي اللَّيَالِي حَسَابَهَا بُلْهَنِيَّةٌ أَقْضِي بِهَا الْحَوْلَ أَجْمَعَا
سِوَى عِزَّةٍ لَا أَعْرِفُ الْيَوْمَ بِأَسْمِهِ وَأَعْمَلُ فِيهِ اللَّهُ مَرَامِي وَمَسْمَعَا
فَقَوْلُهُ : (لَا أَعْرِفُ الْيَوْمَ بِأَسْمِهِ) مِنْ أَلَكَلِمَاتِ أَجْمَاعَةِ أَيَّ
إِنِّي قَدْ شَغِلْتُ بِاللَّدَاتِ عَنْ مَعْرِفَةِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ وَلَوْ وَصَفَ
اشْتِعَالَهُ بِاللَّدَاتِ مَهْمَا وَصَفَ لَمْ يَأْتِ بِمِثْلِ قَوْلِهِ : (لَا أَعْرِفُ الْيَوْمَ
بِأَسْمِهِ) . (وَامَّا الْقِسْمُ الثَّانِي) مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ فَلَمَّا رَأَى بِهِ الْإِيحَاذَ
الَّذِي يُدِلُّ بِهِ بِالْأَلْفَافِ الْقَلِيلَةَ عَلَى أَلْعَانِي الْكَثِيرَةِ أَيَّ تَكُونُ
الْأَلْفَافُ جَامِعَةً الدَّعَانِي أَلْفَضُودَةً عَلَى إِيحَاذِهَا وَخُتَصَارِهَا . وَسَيَأْتِي
فِي بَابِ الْإِيحَاذِ مِنْهُ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ وَمَقْتَعٌ . (فَإِنْ قِيلَ) : هَذَا الْفَرْقُ بَيْنَ
هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ الَّذِينَ ذَكَرْتُهُمَا فَلَنْتَظِرَ سِوَاهُ . (قُلْتُ فِي
الْجَوَابِ) : إِنَّ الْإِيحَاذَ هُوَ أَنْ يُؤْتَى بِالْأَلْفَافِ دَالَّةً عَلَى مَعْنَى وَنَ غَيْرِ
أَنْ تَرِيدَ عَلَى ذَلِكَ أَلْعَمَى وَلَا يُشْتَرَطُ فِي تِلْكَ الْأَلْفَافِ أَنَّهَا لَا ظَهِيرَ
لَهَا فَانْتَبَها تَكُونُ قَدْ اتَّصَفَتْ بِوَصْفِ آخَرٍ خَارِجٍ عَنْ وَصْفِ الْإِيحَاذِ .
وَحِينَئِذٍ يَكُونُ إِيحَاذًا أَوْ زِيَادَةً . وَامَّا هَذَا الْقِسْمُ الْآخَرُ فَلَمَّا نَهَ الْأَلْفَافُ
أَفْرَادًا فِي حُسْنِهَا لَا ظَهِيرَ لَهَا . فَتَارَةً تَكُونُ مُوجِزَةً وَتَارَةً لَا تَكُونُ

مَوْجَزَةً . وَلَيْسَ الْفَرْضُ مِنْهَا إِلَّا بِحَازٍ وَأَمَّا الْفَرْضُ مَكَائِلًا مِنْ الْخُسْنِ
الَّذِي لَا فُظْيَرُ لَهَا فِيهِ . أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ : (وَطَنَ الْتَهْيَ)
فَإِنَّ ذَلِكَ عِبَارَةٌ عَنِ الرَّأْسِ وَلَا شَكَّ أَنَّ الرَّأْسَ أَوْجَزُ لِأَنَّ الرَّأْسَ
لَفْظَةٌ وَاحِدَةٌ . وَوَطَنَ الْتَهْيَ لَفْظَتَانِ . إِلَّا إِنْ (وَطَنَ الْتَهْيَ) أَحْسَنُ فِي
التَّعْيِيرِ عَنِ الرَّأْسِ . فَبَانَ يَهْدًا أَنَّ أَحَدَ هَذَيْنِ التَّسْمِيَيْنِ غَيْرُ الْآخَرِ

البعث الحادي عشر

في الانسجام

(عن شرح بديعية العيان لابن جابر وبديعية الحموي)

(راجع صفحة ٢١ من علم الادب)

الْإِنْسِجَامُ لُغَةً جَرِيَانُ الْمَاءِ وَعِنْدَ أَهْلِ الْبَلَاغَةِ هُوَ أَنْ يَأْتِيَ
النَّاطِقُ أَوْ النَّائِرُ بِكَلَامٍ خَالٍ مِنَ التَّعْقِيدِ اللَّفْظِيِّ وَالْعَنُويِّ بَسِيطًا
مَفْهُومًا دَقِيقَ الْأَلْفَافِ جَلِيلَ الْغَنَى لَا تَكْلُفَ فِيهِ وَلَا تَعَسُّفَ يَحْدَرُ
كَتَحَدُّرِ الْمَاءِ الْمُنْسَجِمِ فَيَكَادُ لِسُهُولَةِ تَرْكِيبِهِ وَعَذُوبَةِ الْفَافِلَةِ أَنْ يَسِيلَ
رِقَّةً . وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِي مَنْ هُوَ مَطْبُوعٌ عَلَى سَلَامَةِ الذَّوْقِ
وَتَوْفُقِ الْفِكْرِ وَبَرَاعَةِ الْإِنْشَاءِ وَحُسْنِ الْأَسَالِيبِ . فَإِنْ كَانَ
صَنُوعًا فَلَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ فِيهِ غَالِبًا مَا يُظْهِرُ صِنَاعَتَهُ مَعَ مُقَابَلَتِهِ بِغَيْرِهِ
مِنْ نَفْسِ صَانِعِهِ . وَإِنْ فَحُولَ هَذَا الْمِيدَانِ مَا أَثْقَلُوا كَاهِلَ سُهُولَتِهِ
بِنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ عَفْوًا مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ .
وَعَلَى هَذَا أَجْمَعَ عُلَمَاءُ الْبَدِيعِ فِي حَدِّ هَذَا النَّوعِ فَلَانْهَمْ قَرَرُوا : أَنْ
يَكُونَ بَعِيدًا فِي التَّصَنُّعِ خَالِيًا مِنَ الْأَنْوَاعِ الْبَدِيعِيَّةِ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ

فِي ضَمَنِ السُّهُلَةِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ. وَإِنْ كَانَ إِلَّا تَسْجِماً فِي التَّثَرِّ تَكُونُ
غَالِبُ قَرَأَتِهِ مَوْزُونَةً مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ لِقُوَّةِ التَّسْجِيمِ. وَإِنْ كَانَ فِي
النَّظْمِ فَتَكَادُ الْآيَاتُ أَنْ تَسِيلَ رِقَّةً وَعُدُوبَةً. وَرُبَّمَا دَخَلَتْ فِي
الْمُطَرَّبِ وَالْمُرْقَصِ

البحث الثاني عشر

في القول في النظم

(عن صناعة الترسل لشهاب الدين الحلبي باختصار)

(راجع صفحة ٢٤ من علم الادب)

النَّظْمُ عِبَارَةٌ عَنْ تَوَاحُجِ مَعَانِي النَّحْوِ فِيمَا بَيْنَ الْكَلَامِ. وَذَلِكَ
أَنْ تَضَعَ كَلَامَكَ الْوَضْعَ الَّذِي يَقْتَضِيهِ عِلْمُ النَّحْوِ بِأَنْ تَنْظُرَ فِي
كُلِّ كِتَابٍ إِلَى قَوَائِنِهِ وَالْفُرُوقِ الَّتِي بَيْنَ مَعَانِي اخْتِلَافِ صِيغِهِ وَتَضَعُ
الْحُرُوفَ مَوَاضِعَهَا وَتُرَاعِي سَرَائِطَ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ وَمَوَاضِعَ الْفَصْلِ
وَالْوَصْلِ وَمَوَاضِعَ حُرُوفِ الْعَطْفِ عَلَى اخْتِلَافِ مَعَانِيهَا وَتَقْسِمُ
الْأَصَابَةَ فِي طَرِيقِ التَّشْيِوِ وَالتَّشْمِيلِ. وَقَدْ أَطَبَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى تَعْظِيمِ
شَأْنِ النَّظْمِ وَأَنْ لَا فَضْلَ مَعَ عَدَمِهِ وَلَوْ بَلَغَ الْكَلَامُ فِي غَرَائِبِهِ مَعْنَاهُ
إِلَى مَا بَلَغَ. وَإِنْ سَبَبَ فَسَادَهُ تَرْكُ الْعَمَلِ بِقَرَائِنِ النَّحْوِ وَاسْتِعْمَالُ
شَيْءٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. ثُمَّ الْجَمْلُ الْكَبِيرَةُ إِذَا نُظِمَتْ نَظْماً وَاحِداً
فَهِيَ عَلَى قِسْمَيْنِ : (الْأَوَّلُ) أَنْ يَتَعَلَّقَ الْبَعْضُ بِالْبَعْضِ فَلَا يَحْتَاجُ
وَاضِعُهُ إِلَى فِكْرٍ وَرَوِيَّةٍ فِي اسْتِخْرَاجِهِ بَلْ هُوَ كَمَنْ عَمَدَ إِلَى الْأَلَايِ

يَنْظُمُهَا فِي سِلَكٍ . وَمِثَالُهُ قَوْلُ الْجَاهِظِ : جَبَّكَ اللَّهُ الشُّبُهَةَ وَعَصَمَكَ
 مِنَ الْخِزْيَةِ وَجَعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَعْرُوفِ نَسَبًا وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ الصِّدْقِ
 سَبَبًا . وَكَقَوْلِ النَّابِغَةِ النُّعْمَانِ : يُفَاخِرُكَ ابْنُ أَبِي جَفْنَةَ وَإِنَّ لَقَعَاكَ
 خَيْثُ مِنْ وَجْهِهِ وَلَشِمَاكَ خَيْثُ مِنْ عَيْنَيْهِ وَلَا تَحْصُصْكَ خَيْثُ مِنْ رَأْسِهِ
 وَحَطَّاءُكَ خَيْثُ مِنْ صَوَابِهِ وَلَخْدُكَ خَيْثُ مِنْ قُوَّتِهِ . وَهَذَا النَّظْمُ لَا يَسْتَحِقُّ
 الْفَضْلَ إِلَّا بِسَلَامَةِ مَعْنَاهُ وَسَلَامَةِ الْفَاضِلِ إِذْ لَيْسَ فِيهِ مَعْنَى دَقِيقٌ
 لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِثَاقِبِ الْفِكْرِ . وَرَبَّمَا ظَنَّ بِالْكَلَامِ أَنَّهُ مِنْ هَذَا
 الْخَنَسِ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُ . (الثَّلَاثِي) أَنْ تَكُونَ الْجَمْلُ الْمَذْكُورَةُ
 يَتَعَلَّقُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَهَذَا تَطَهَّرُ قُوَّةُ الطَّبْعِ وَجُودَةُ الْقَرِيحَةِ وَاسْتِقَامَةُ
 الدِّهْنِ . ثُمَّ لَيْسَ لِهَذَا أَبَابٌ قَائِمٌ يُحْفَظُ فَاتِّمَامُ يَحْيَى عَلَى وَجْهِهِ شَقَى :
 (فِيهَا الْإِيجَازُ) وَهُوَ التَّعْيِيرُ عَنِ الْغَرَضِ بِأَقْلٍ مَا يُمَكِّنُ مِنَ
 الْحُرُوفِ وَهُوَ عَلَى ضَرَبَيْنِ : (أَحَدُهُمَا) إِيْجَازُ قَصْرِ وَهُوَ تَقَايُلُ اللَّغْظِ
 وَتَكَثُّرُ الْمَعْنَى . (وَالثَّانِي) إِيْجَازُ حَذْفِ وَهُوَ الْإِسْتِغْنَاءُ بِالْمَذْكُورِ
 عَمَّا لَمْ يُذَكَّرْ . (وَمِنْهَا التَّأْكِيدُ) وَهُوَ تَقْوِيَةُ الْمَعْنَى وَتَقْرِيرُهُ إِمَامًا
 بِإِظْهَارِ الْبُرْهَانِ كَقَوْلِ قَابُوسَ :

يَا ذَا الَّذِي بِصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيَّرَنَا هَلْ عَانَدَ الدَّهْرُ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ
 أَمَا تَرَى الْجَبْرَ يَغْلُو قُوَّتَهُ جَيْفُ وَتَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَعْرِهِ الدُّرُ
 وَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ غَيْرُ ذِي عَدَدٍ وَلَيْسَ يُكْسِفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
 (أَوْ بِالْعَرِيَّةِ) كَقَوْلِهِ : فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ .

(أَوْ بِالتَّشْكُرِ) كَقَوْلِهِمْ : اللَّهُ اللَّهُ وَالْأَسَدُ الْأَسَدُ

الفصل الرابع

في البيان

البحث الاول

في تحديد البيان على وجه الاجمال

(من كتاب البيان والتبيين للجاحظ وغرر الخصائص للوطواط بتصرف)

(راجع صفحة ٢٢٧ و ٢٨٠ من علم الادب)

أَلَيَّانُ أَسْمٌ لِكُلِّ شَيْءٍ كَشَفَ لَكَ عَلَى بَيَانِ أَلْمَعْنَى وَهَتَكَ
لَكَ أَلْعَجَبَ دُونَ أَلْضَمِيرِ حَتَّى يُفْضِيَ أَلْسَامِعُ إِلَى حَقِيقَتِهِ وَيَهْجُمَ عَلَى
مَحْضُوهِ كَأَنَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَلَيَّانُ وَمِنْ أَيْ جِنْسٍ كَانَ ذَلِكَ أَلَدَّلِيلُ .
لِأَنَّ مَدَارَ أَلْأَمْرِ وَأَلْنَفَاةِ أَلَّتِي يَجْرِي إِلَيْهَا أَلْقَائِلُ وَأَلْسَامِعُ إِذَا هُوَ
أَلْفَهْمُ وَأَلْإِفْهَامُ فَيَأْتِي شَيْءٌ بَلَّغْتَ أَلْإِفْهَامَ وَأَوْضَحْتَ عَنْ أَلْمَعْنَى
فَذَلِكَ هُوَ أَلَيَّانُ فِي ذَلِكَ أَلْمَوْضِعِ . وَقِيلَ لَجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى أَلْبَرْمَكِيِّ :
مَا أَلَيَّانُ . قَالَ : أَنْ يَكُونَ أَلْأَسْمُ يُحِيطُ بِمَعْنَاكَ وَيَكْشِفُ عَنْ
سِرِّكَ وَيُخْرِجُهُ مِنَ أَلشَّرَكَةِ وَلَا يَسْتَعَانُ عَلَيْهِ بِأَلْفِكْرَةٍ وَيَكُونُ سَلِيمًا
وَأَلتَّكَلُّفِ بَعِيدًا مِنَ أَلصَّنْعَةِ بَرِيئًا مِنَ أَلتَّعْقِيدِ غَنِيًّا عَنْ أَلتَّأْوِيلِ .
وَقَالُوا : أَلَيَّانُ بَصْرٌ وَأَلْعِي عَمَى كَمَا أَنَّ أَلْعِلْمَ بَصْرٌ وَأَلْجَهْلَ عَمَى
وَأَلَيَّانُ مِنْ نَتَائِجِ أَلْعِلْمِ وَأَلْعِي مِنْ نَتَائِجِ أَلْجَهْلِ . وَقَالُوا : حَيَاةُ
أَلْمُرُوءَةِ أَلصِّدْقُ وَحَيَاةُ أَلرُّوحِ أَلْعَفَافُ وَحَيَاةُ أَلْجَلْمِ أَلْعِلْمُ وَحَيَاةُ أَلْعِلْمِ

أَلْيَانُ . وَقَالَ ابْنُ التَّوَّامِ : الرُّوحُ عِمَادُ الْبَدَنِ وَالْعِلْمُ عِمَادُ الرُّوحِ
وَأَلْيَانُ عِمَادُ الْعِلْمِ . وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ إِذَا كَثُرَ
عَنْ قَدْرِ الْحَاجَةِ وَزَادَ عَلَى حَدِّ الْكِفَايَةِ وَكَانَ صَوَابًا لَا يَشُوْبُهُ خَطْلٌ
وَسَلِيمًا لَا يَنْقُصُهُ ذَلَلٌ فَهُوَ أَلْيَانٌ وَالْتَجَرَ الْحَلَالُ . (وَفِي كُتُبِ
الْحُكَمَاءِ) : أَلْيَانٌ هُوَ أَنْ يُحْسِنَ الْعِبَادَةَ عَنِ الْمَعَانِي الَّتِي تَهْجِسُ
فِي الصَّوِيرِ فَيُجْتَاجُ إِلَى تَغْيِيلِ صُورِهَا الْمُتَحَيَّلَةِ أَوْ الْمَعْقُولَةِ إِلَى ضَمِيرٍ هَنْ
يُجَاطِلُهَا . وَقَالَ آخَرُ : خَيْرُ أَلْيَانٍ مَا كَانَ مُصَرِّحًا عَنِ الْمَعْنَى لِيُسْرَعَ
إِلَى أَلْفَهِمْ تَلَقُّنَهُ وَمَوْجَزًا لِيُخَفَّ عَلَى اللِّسَانِ تَعَاهِدُهُ . قَالَ ابْنُ الْمُعْتَبَرِ :
أَلْيَانُ تَرْجُمَانُ الْقُلُوبِ وَصَيْقَلُ الْعُقُولِ . وَقَالَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ :
أَلْيَانُ تَرْجُمَانُ اللِّسَانِ وَرَوْضُ الْقُلُوبِ

البحث الثاني

في تعريف علم البيان

(عن الكشاف للنهاني وكشف الطوس للماجّ خلهما)

(راجع صفحة ٢٧ من علم الادب)

أَلْيَانٌ لُغَةً الْكَشْفُ وَالتَّوَضُّعُ وَالظُّهُورُ وَهُوَ فِي الْأَصْطِلَاحِ
عِبَادَةٌ عَنِ الْمُنْطِقِ الْقَصِيحِ الْمُعْتَبَرِ عَمَّا فِي الصَّوِيرِ . وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ
بِمَعْنَى الْأَثْبَاتِ بِالذَّلِيلِ . وَقِيلَ : الْفَرْقُ بَيْنَ أَلْيَانٍ وَالتَّيْنَانِ بِأَنَّ
أَلْيَانًا هُوَ إِظْهَارُ الْمُرَادِ . وَالتَّيْنَانِ يَحْتَوِي عَلَى كَدِّ الْخَاطِرِ وَأَعْمَالِ
الْقَلْبِ . وَقَرِيبٌ مِنْهُ مَا قِيلَ : التَّيْنَانِ يَدَانِ مَعَ دَلِيلٍ وَبَرْهَانٍ .

وَالْبَيَانُ عِنْدَ الْبَلْغَاءِ : هُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ إِيْرَادُ الْمَعْنَى الْوَاحِدِ
بِتَرَكِيْبٍ مُحْتَلِفَةٍ فِي وَضُوحِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْقَصْدِ بِأَنْ يَكُونَ دَلَالَةً
بَعْضُهَا أَجْلَى مِنْ بَعْضٍ . وَهُوَ وَضْعُهُ الْفَلْظُ الْبَلِيغُ مِنْ حَيْثُ وَضُوحِ
الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ . وَغَرَضُهُ تَحْصِيلُ مَلَكَهَ الْإِفَادَةِ بِالدَّلَالَةِ
الْعَقَائِيَّةِ وَفَهْمِ مَدْلُولَاتِهَا . وَغَايَتُهُ الْإِحْتِرَازُ عَنِ الْخَطَأِ فِي تَعْيِينِ الْمَعْنَى
الْمُرَادِ . وَمَبَادِئُهُ بَعْضُهَا عَقْلِيَّةٌ كَأَقْسَامِ الدَّلَالَةِ وَالتَّشْبِيهَاتِ وَالْعِلَاقَاتِ .
وَبَعْضُهَا وَجْهِيَّةٌ ذَوْقِيَّةٌ كَوُجُوهِ التَّشْبِيهَاتِ وَأَقْسَامِ الْإِسْتِعَارَاتِ
وَكَيْفِيَّةٌ حُسْنِيَّةٌ . وَإِنَّمَا اخْتَارُوا فِي عِلْمِ الْبَيَانِ وَضُوحَ الدَّلَالَةِ لِأَنَّ
بَحْثَهُمْ لَمَّا اقْتَصَرَ عَلَى الدَّلَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ أَغْنَى التَّضَمُّنَةَ وَالْإِتْرَاقِيَّةَ
وَكَانَتْ تِلْكَ الدَّلَالَةُ خَفِيَّةً سِيَّيَا إِذَا كَانَ الزُّرُومُ بِحَسَبِ الْعَادَاتِ
وَالطَّبَائِعِ فَوَجَبَ التَّعْيِيرُ عَنْهَا بِلَفْظٍ أَوْضَحَ . سَثَلَا : إِذَا كَانَ الْمُرْتَبِيُّ
دَقِيقًا فِي الْغَايَةِ فَتَحْتَاجُ الْحَاسَةُ فِي إِبْصَارِهَا إِلَى شُعَاعٍ قَوِيٍّ بِخِلَافِ
الْمُرْتَبِيِّ إِذَا كَانَ جَلِيلًا . وَكَذَا الْحَالُ فِي الرُّوِيَّةِ الْعَقَائِيَّةِ أَغْنَى الْفَهْمَ
وَالْأَدْرَاكَ . وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْمُعْتَبَرَ فِي عِلْمِ الْبَيَانِ دِقَّةُ الْمَعْنَى الْمُعْتَبَرَةِ
فِيهَا مِنَ الْإِسْتِعَارَاتِ وَالْكِنَايَاتِ مَعَ وَضُوحِ الْأَلْفَاظِ الدَّلَالَةِ عَلَيْهَا



البحث الثالث

في الحقيقة والمجاز

(من المثل السائر لابن الاثير)

(راجع صفحة ٢٩ من علم الادب)

هَذَا الْفَصْلُ مِنْهُمْ كَثِيرٌ مِنْ مُهَمَّاتِ عِلْمِ الْبَيَانِ لَا بَلْ هُوَ عِلْمٌ
 بَيَانٍ بِأَحْمِهِ . فَإِنَّ فِي تَضْرِيفِ الْعِبَارَاتِ عَلَى الْأُسْلُوبِ الْجَزَائِي
 قَوَائِدَ كَثِيرَةً . وَالْكَلَامُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عَلَى جَمَلَتِهَا دُونَ تَفْصِيلِهَا .
 فَأَمَّا الْحَقِيقَةُ فَهِيَ اللَّفْظُ الدَّالُّ عَلَى مَوْضُوعِهِ الْأَصْلِيِّ . وَأَمَّا الْجَزَاءُ
 فَهُوَ مَا أُريدَ بِهِ غَيْرُ الْمَعْنَى الْمَوْضُوعِ لَهُ مِنْ أَصْلِ اللَّغَةِ وَهُوَ مَا أُخُوذُ
 مِنْ جَزَاءٍ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ إِذَا تَحَطَّاهُ إِلَيْهِ . فَالْجَزَاءُ
 إِذَا اسْمٌ لِلْمَكَانِ الَّذِي يُجَازَى فِيهِ كَالْمَلَجِ وَالْمَزَارِ وَأَشْبَاهِهَا . وَحَقِيقَتُهُ
 هِيَ الْإِنْتِقَالُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ . فَجَعَلَ ذَلِكَ لِنَقْلِ الْأَلْفَافِ مِنْ
 مَحَلٍّ إِلَى مَحَلٍّ كَقَوْلِنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ . فَإِنَّ زَيْدًا إِنْسَانٌ وَالْأَسَدُ هُوَ
 هَذَا الْحَيَوَانُ الْمَعْرُوفُ . وَقَدْ جُزْنَا مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى الْأَسَدِيَّةِ . أَيْ
 عَبَرْنَا مِنْ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ لَوْضَلَةٍ بَيْنَهُمَا وَتِلْكَ الْوَضَلَةُ هِيَ صِفَةُ الشَّجَاعَةِ .
 وَقَدْ يَكُونُ الْعُبُودُ لِبَعْزِ وَضَلَةٍ . وَذَلِكَ هُوَ الْإِتْسَاعُ كَقَوْلِهِمْ فِي كِتَابِ
 كَلِمِيَّةٍ وَدِمْنَةٍ : قَالَ الْأَسَدُ . قَالَ الثَّعْلَبُ . فَإِنَّ الْقَوْلَ لَا وَضَلَةَ
 بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَذَيْنِ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ . وَإِنَّمَا أُجْرِيَ عَلَيْهِمَا اتِّسَاعًا مُحَضًّا
 لَا غَيْرَ وَقَدْ ذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ كُلَّهُ حَقِيقَةٌ لَا مَجَازَ
 فِيهِ . وَذَهَبَ آخَرُونَ : إِلَى أَنَّهُ كُلُّهُ مَجَازٌ لِحَقِيقَةٍ فِيهِ . وَكِلَاهُمَا هَذَيْنِ

الْمُذْهَبَيْنِ فَاسِدٌ عِنْدِي . وَسَاجِبُ الْخَضَمِ عَمَّا ادَّعَاهُ فِيهِمَا فَأَقُولُ : مَحَلُّ
الْبَرَّاعِ هُوَ إِنْ أَلْفَغَ كُلَّهَا حَقِيقَةً أَوْ إِنَّمَا كُلَّهَا مَجَازٌ . وَلَا فَرْقَ عِنْدِي
بَيْنَ قَوْلِكَ إِنَّمَا كُلَّهَا حَقِيقَةٌ أَوْ إِنَّمَا مَجَازٌ . فَإِنْ كِلَا الطَّرَفَيْنِ عِنْدِي
سَوَاءٌ . لِأَنَّ مُسَكَّرَهُمَا غَيْرُ مُسَلِّمٍ لَهَا . وَأَنَا بِصَدَدِ أَنْ أُبَيِّنَ أَنَّ فِي
أَلْفَغِ حَقِيقَةٍ وَمَجَازًا . وَالْحَقِيقَةُ أَلْفَغِيَّةٌ هِيَ حَقِيقَةُ الْأَلْفَاظِ فِي دَلَالَتِهَا
عَلَى الْمَعْنَى وَلَيْسَتْ بِالْحَقِيقَةِ الَّتِي هِيَ ذَاتُ الشَّيْءِ أَيْ نَفْسُهُ وَعَيْنُهُ .
فَالْحَقِيقَةُ اللَّفْظِيَّةُ إِذَا هِيَ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى الْمَوْضُوعِ لَهُ فِي أَصْلِ
أَلْفَغِهِ . وَالْمَجَازُ هُوَ نَقْلُ الْمَعْنَى عَنِ اللَّفْظِ الْمَوْضُوعِ لَهُ إِلَى لَفْظٍ آخَرَ
غَيْرِهِ . وَتَفْهِيمُ ذَلِكَ بَانَ أَقُولُ : الْمَخْلُوقَاتُ كُلُّهَا تَفْتَقِرُ إِلَى أَسْمَاءٍ
يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَيْهَا لِيُعْرَفَ كُلُّ مَنِهَا بِأَسْمِهِ مِنْ أَجْلِ اتِّفَاهِمِ بَيْنَ
النَّاسِ . وَهَذَا يَقَعُ ضَرُورَةً لَا بُدَّ مِنْهَا . فَلِأَسْمِ الْمَوْضُوعِ بِإِزَاءِ الْمُسَمَّى
هُوَ حَقِيقَةٌ لَهُ فَإِذَا نُقِلَ إِلَى غَيْرِهِ صَارَ مَجَازًا . وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَا إِذَا
قُلْنَا : شَمْسٌ . أَرَدْنَا بِهِ هَذَا الْكَوْكَبَ الْعَظِيمَ الْكَثِيرَ الضَّوْءِ .
وَهَذَا الْأَسْمُ لَهُ حَقِيقَةٌ لِأَنَّهُ وُضِعَ بِإِزَائِهِ . وَكَذَلِكَ إِذَا قُلْنَا : بَجْرٌ .
أَرَدْنَا بِهِ هَذَا الْمَاءَ الْعَظِيمَ الْمُجْتَمِعَ الَّذِي طَعْمُهُ مِلْحٌ . وَهَذَا الْأَسْمُ
لَهُ حَقِيقَةٌ لِأَنَّهُ وُضِعَ بِإِزَائِهِ . فَإِذَا قُلْنَا الشَّمْسُ إِلَى أَلْوَجِهِ الْمَلِيحِ
اسْتِعَارَةً كَانَ لَهُ ذَلِكَ مَجَازًا لِحَقِيقَتِهِ . وَكَذَلِكَ إِذَا قُلْنَا الْبَجْرُ إِلَى
الرَّجْلِ الْجَوَادِ اسْتِعَارَةً كَانَ ذَلِكَ لَهُ مَجَازًا لِحَقِيقَتِهِ . (فَإِنْ قِيلَ) :
إِنَّ أَلْوَجَهُ الْمَلِيحَ يُقَالُ لَهُ شَمْسٌ وَهُوَ حَقِيقَةٌ فِيهِ . وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِلرَّجْلِ
الْجَوَادِ بَجْرٌ وَهُوَ حَقِيقَةٌ فِيهِ . (فَالْجَوَابُ) عَنْ ذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ : (أَحَدُهُمَا)

نَظَرِي وَالْآخِرُ وَضِعِي. (أَمَّا النَّظَرِي) فَهُوَ أَنَّ الْأَلْفَاظَ إِنَّمَا جُعِلَتْ
أَدِلَّةً عَلَى إِفْهَامِ أَلْمَعْنَى وَلَوْ كَانَ مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ صَحِيحًا لَكَانَ
الْبَحْرُ يُطْلَقُ عَلَى هَذَا أَلْمَاءِ الْعَظِيمِ الْمِلْحِ وَعَلَى الرَّجُلِ الْجَوَادِ بِالِاسْتِزَاكِ.
وَكَذَلِكَ الشَّمْسُ أَيْضًا فَإِنَّهَا كَانَتْ تُطْلَقُ عَلَى هَذَا الْكَوْكَبِ الْعَظِيمِ
الْكَبِيرِ الضَّوِّ وَعَلَى هَذَا أَلْوَجْهِ الْمِلْحِ بِالِاسْتِزَاكِ. وَحِينَئِذٍ فَإِذَا وَرَدَ
أَحَدُ هَذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ مُطْلَقًا بِغَيْرِ قَرِينَةٍ مُخَصَّصَةٍ فَلَا يُفْهَمُ الْمُرَادُ بِهِ مَا
هُوَ مِنْ أَحَدِ الْمَعْنِيَيْنِ الْمَشْتَرَكَيْنِ الْمُنْدَرِجَيْنِ تَحْتَهُ وَتَحْنُ نَرَى الْأَمْرَ
بِخِلَافِ ذَلِكَ فَإِنَّا إِذَا قُلْنَا: شَمْسٌ أَوْ جَرٌّ. وَأَطْلَقْنَا الْقَوْلَ لَا يُفْهَمُ
مِنْ ذَلِكَ وَجْهٌ مِلْحٌ وَلَا رَجُلٌ جَوَادٌ. وَإِنَّمَا يُفْهَمُ مِنْ ذَلِكَ الْكَوْكَبُ
أَلْمَاءُ وَمِنْ ذَلِكَ أَلْمَاءُ الْمَعْلُومُ لَاغَيْرُ فَبَطُلَ إِذَا مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ بِمَا بَيَّنَّاهُ
وَأَوْصَحْنَاهُ. (فَلَنْ قُلْتَ): إِنَّ الْأَعْرَفَ يُخَالِفُ مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ فَإِنَّ مِنْ
الْأَلْفَاظِ مَا إِذَا أُطْلِقَ لَمْ يَذْهَبِ أَلْفَهُمْ مِنْهُ إِلَّا إِلَى الْحَاجِزِ دُونَ
الْحَقِيقَةِ. (قُلْتُ فِي الْجَوَابِ): هَذَا شَيْءٌ ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ وَلَيْسَ
الْأَمْرُ كَمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ. لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ إِطْلَاقُ اللَّفْظِ فِيهِ بَيْنَ عَامَّةِ
النَّاسِ فَهَؤُلَاءِ لَا يُفْهَمُونَ إِلَّا الْمَعْنَى الْحَاجِزِيَّ. لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَصْلَ
وَضَعَ الْكَلِمَةِ. وَأَمَّا خَاصَّةُ النَّاسِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَصْلَ الْوَضْعِ
فَانَّهُمْ لَا يُفْهَمُونَ عِنْدَ إِطْلَاقِ اللَّفْظِ إِلَّا الْحَقِيقَةَ لَاغَيْرُ. . . (وَأَمَّا
أَلْوَجْهُ الْوَضْعِي) فَهُوَ أَنَّ الْمَرْجِعَ فِي هَذَا وَمَا يُجْرِي مَجْرَاهُ إِلَى أَصْلِ
اللُّغَةِ الَّتِي هِيَ وَضَعُ الْأَسْمَاءِ عَلَى التَّسْمِيَّاتِ وَلَمْ يُوجَدْ فِيهَا أَنَّ أَلْوَجْهَ
الْمِلْحِ يُسَمَّى شَمْسًا وَلَا أَنَّ الرَّجُلَ الْجَوَادَ يُسَمَّى جَرًّا. وَإِنَّمَا أَهْلُ

الخطابة والشعر توسعوا في الأساليب المعنوية فنقلوا الحقيقة إلى المجاز ولم يكن ذلك من واضع اللغة في أصل الوضع ولهذا اختص كل منهم بشيء اخترعه في التوسعات المجازية . هذا أمر ألقس قد اخترع شيئاً لم يكن قبله . فمن ذلك أنه أول من عذر عن القوس بقوله : (قيد الأوابد) . ولم يسمع ذلك لاحد من قبله . . .
 وواضع اللغة ما ذكر شيئاً من ذلك فعلينا حينئذ أن من اللغة حقيقة بوضعه ومجازاً بتوسعات أهل الخطابة والشعر . وفي زماننا هذا قد يجترعون أشياء من المجاز على حكم الاستسادة لم تكن من قبل . ولو كان هذا موقوفاً من جهة واضع اللغة لما اخترعه أحد من بعده ولا زيد فيه ولا نقص منه . وأما الفرق بينه وبين الحقيقة فهو أن الحقيقة جارية على العود في نظائر . ألا ترى إذا قلنا : فلان عالم . صدق على كل ذي علم . بخلاف (وأسأل القرية) . لأنه لا يصح إلا في بعض الجادات دون بعض إذ المراد أهل القرية لأنهم ممن يصح السؤال لهم . ولا يجوز أن يقال : وأسأل العجبر والآثراب . وقد يحسن أن يقال : وأسأل الربيع وأطلق . (وأعلم)
 أن كل مجاز فله حقيقة لأنه لم يصح أن يطلق عليه اسم المجاز إلا عن حقيقة موضوعه أنه إذ المجاز هو اسم للموضوع الذي ينتقل فيه من مكان إلى مكان فيجمل ذلك لنقل الألفاظ من الحقيقة إلى غيرها . وإذا كان كل مجاز لابد أنه من حقيقة نقل عنها إلى حالة المجازية فكذلك ليس من ضرورة كل حقيقة أن يكون لها مجاز . فإن

مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا لَا تَجَاوِزُ لَهُ كَسْمَاءُ الْأَعْلَامِ لِأَنَّهَا وُضِعَتْ لِلْفَرْقِ بَيْنَ
الذَّوَاتِ لَا لِلْفَرْقِ بَيْنَ الصِّفَاتِ

وَكَذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الْجَوَازَ أَوَّلَى بِالِاسْتِعْمَالِ مِنَ الْحَقِيقَةِ فِي بَابِ
الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَكَانَتْ الْحَقِيقَةُ الَّتِي هِيَ
الْأَصْلُ أَوَّلَى مِنْهُ حَيْثُ هُوَ فَرْعٌ عَلَيْهَا . وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ
قَبْلَتْ وَتَحَقَّقَتْ أَنَّ فَائِدَةَ الْكَلَامِ الْخَطَاطِيِّ هُوَ اثْبَاتُ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ
فِي نَفْسِ السَّامِعِ بِالتَّخْيِيلِ وَالتَّصْوِيرِ حَتَّى يَكَادَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ عَيْنًا . أَلَا
تَرَى أَنَّ حَقِيقَةَ قَوْلِنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ . هِيَ قَوْلُنَا : زَيْدٌ شَجَاعٌ . لَكِنْ
فُورَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ فِي التَّصْوِيرِ وَالتَّخْيِيلِ وَاثْبَاتِ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ فِي
نَفْسِ السَّامِعِ . لِأَنَّ قَوْلِنَا : زَيْدٌ شَجَاعٌ . لَا يُتَخَيَّلُ مِنْهُ السَّامِعُ سِوَى
أَنَّهُ رَجُلٌ جَرِيءٌ مُقْدَامٌ . فَإِذَا قُلْنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ . يُتَخَيَّلُ عِنْدَ ذَلِكَ
صُورَةُ الْأَسَدِ وَهَيْئَتُهُ وَمَا عِنْدَهُ مِنَ الْبَطْشِ وَالْقُوَّةِ وَدَقِّ الْأَفْرَاسِ .
وَقَوْلُ أَمْرِي الْقَيْسِ فِي الْفَرَسِ : (قَيْدُ الْأَوَابِدِ) هُوَ أَبْلَغُ مِنْ قَوْلِهِ
لَوْ قَالَ : مَا بَعُ الْأَوَابِدِ عَنْ الذِّهَابِ وَالْأَفْلَاتِ . وَالْقَيْدُ مِنْ أَعْلَى
مَرَاتِبِ الْمَنَعِ عَنِ التَّصَرُّفِ لِأَنَّكَ تُشَاهِدُ مَا فِي الْقَيْدِ مِنَ الْمَنَعِ فَلَا
تَشْكُ فِيهِ . وَكَقَوْلِهِمْ : هَذَا مِيزَانُ الْقِيَاسِ أَيُّ تَعْدِيلِهِ . وَالْجَوَازُ
أَبْلَغُ لِأَنَّ أَلِيزَانَ يَصَوِّرُ لَكَ التَّعْدِيلَ حَتَّى تُعَايِنَهُ وَلِلْعَيْنِ فَضْلٌ عَلَى
مَا سِوَاهُ . وَكَذَلِكَ : الْغَرَضُ مِيزَانُ الشَّعْرِ أَيُّ حَقِيقَتِهِ تَفْوِيقِهِ . وَهَذَا
لَا يَرْتَاغُ فِيهِ . وَاعْجَبْ مَا فِي الْعِبَارَةِ الْجَوَازِيَةِ أَنَّهَا تَنْقُلُ السَّامِعَ
عَنْ خُلُقِهِ الطَّبِيعِيِّ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ حَتَّى إِنَّهَا يَسْمَحُ بِهَا التَّخْيِيلُ

وَيُسَجِّعُ بِهَا الْجَبَانُ وَيُحْكِمُ بِهَا الطَّائِشُ الْمُسْرِعُ وَيَجِدُ الْمُخَاطَبُ بِهَا
عِنْدَ سَمَاعِهَا نَشْوَةَ كَنْشَوَةِ الْخَمْرِ حَتَّى إِذَا قُطِعَ عِنْدَ ذَلِكَ الْكَلَامِ
أَفَاقَ وَنَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ بَدَلِ مَالٍ . أَوْ تَرَكَ عُقُوبَةً . أَوْ
إِقْدَامَ عَلَى أَمْرٍ مَهُولٍ وَهَذَا هُوَ فَحْوَى السَّيْرِ الْخِلَالِ الْمُسْتَعْنِي مِنْ
إِلْقَاءِ أَلْعَصَا وَالْجِبَالِ . (وَأَعْلَمُ) أَنَّهُ إِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ كَلَامٌ . يُجُوزُ أَنْ
يُحْمَلَ مِنْهُ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِيقَةِ وَعَلَى طَرِيقِ الْجَزَائِرِ بِأَخْبَافِ لَفْظِهِ
فَأَنْظُرْ فَإِنْ كَانَ لَا مَرْتَبَةَ لِمَعْنَاهُ فِي حَمْلِهِ عَلَى طَرِيقِ الْجَزَائِرِ فَلَا يَنْبَغِي
أَنْ يُحْمَلَ إِلَّا عَلَى طَرِيقِ الْحَقِيقَةِ لِأَنَّهَا هِيَ الْأَصْلُ وَالْجَزَائِرُ هِيَ الْفَرْعُ
وَلَا يُعْدَلُ عَنِ الْأَصْلِ إِلَى الْفَرْعِ إِلَّا الْفَائِدَةُ

البحث الرابع

في الاستعارة

(عن صناعة الترسُّل لشهاب الدين الحلبي باختصار)

(راجع صفحة ٢٩ من علم الادب)

هِيَ أَدْعَاءُ مَعْنَى الْحَقِيقَةِ فِي الشَّيْءِ لِلْمُبَاقَةِ فِي الشَّيْءِ مَعَ طَرَحِ
ذِكْرِ الْمَشَبِّهِ وَنَ الْبَيْنِ لَفْظًا وَتَقْدِيرًا . وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : هُوَ جَعَلَ
الشَّيْءَ لِلشَّيْءِ لِأَجْلِ الْمُبَاقَةِ فِي الشَّيْءِ . فَالْأَوَّلُ كَقَوْلِكَ : لَقِيتُ
أَسَدًا نَعْنِي الرَّجُلَ الشَّجَاعَ . وَالثَّانِي كَقَوْلِ لَيْدٍ :
إِذَا أَصْبَحْتَ بَيْدَ الشَّمَالِ زِمَامُهَا

أَثَبَتْ أَيْدِ الشَّمَالِ مُبَالَغَةً فِي أَشْبَهِهَا بِأَلْقَادِرٍ فِي التَّصَرُّفِ فِيهِ .
وَحَدَّ الرُّمَانِيُّ الْأَسْتِعَارَةَ فَقَالَ : هِيَ تَعْلِيْقُ الْعِبَارَةِ عَلَى غَيْرِ مَا وُضِعَتْ
لَهُ فِي أَصْلِ اللَّعَةِ عَلَى سَبِيلِ النَّقْلِ لِلإِبَانَةِ . وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ : هِيَ
أَسْتِعَارَةُ الْكَلِمَةِ مِنْ شَيْءٍ قَدْ عُرِفَ بِهَا إِلَى شَيْءٍ لَمْ يُعْرَفْ بِهَا .
وَذَكَرَ الْخَفَاجِيُّ كَلَامَ الرُّمَانِيِّ وَقَالَ : وَتَفْسِيرُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ أَنَّ قَوْلَهُ مَثَلًا :
(وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا) . أَسْتِعَارَةٌ لِأَنَّ الْأَشْتِعَالَ لِلنَّارِ وَلَمْ تَوْضَعْ فِي أَصْلِ
الَّلَّعَةِ لِلشَّيْبِ فَلَمَّا نَقَلَ إِلَيْهِ بَانَ الْمَعْنَى لِمَا اسْتَنْسَبَهُ مِنَ الْأَشْبَهِ .
لِأَنَّ الْأَشْبَابَ لَمَّا كَانَ نَافِذًا فِي الرَّأْسِ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى يُحْيِلَهُ إِلَى غَيْرِ
لَوْنِهِ الْأَوَّلِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ النَّارِ الَّتِي تَسْرِي فِي الخَشَبِ حَتَّى تُحْيِلَهُ إِلَى
غَيْرِ حَالَتِهِ الْمُتَقَدِّمَةِ . فَهَذَا مِنْ نَقْلِ الْعِبَارَةِ عَنِ الْحَقِيقَةِ فِي الْوَضْعِ
لِلْبَيَانِ وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَوْضَحَ مِنَ الْحَقِيقَةِ لِأَجْلِ الْأَشْبَهِ الْعَارِضِ
فِيهَا . لِأَنَّ الْحَقِيقَةَ لَوْ قَامَتْ مَقَامَهَا لَكَانَتْ أَوَّلَى بِهَا لِأَنَّهَا الْأَصْلُ
وَلَيْسَ يُجْحَى عَلَى الْمُتَأَمِّلِ أَنَّ قَوْلَهُ : (وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا) . أَبْلَغُ مِنْ :
كَثُرَ شَيْبُ الرَّأْسِ . وَهُوَ حَقِيقَةُ هَذَا الْمَعْنَى . وَقَوْلُهُ : (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ
سَاقٍ) . أَحْسَنُ وَأَبْلَغُ فِي مَا قُصِدَ لَهُ مِنْ قَوْلِهِ لَوْ قَالَ : يَوْمَ يُكْشَفُ
عَنْ يَدَيْهِ الْأَمْرُ . وَإِنْ كَانَ الْمُغْنِيَانِ وَاحِدًا . آلا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ
لِمَنْ يَحْتَاجُ إِلَى الْجِدِّ فِي أَمْرِهِ : شَبِّرْ عَنْ سَاقِكَ . فَيَكُونُ هَذَا الْقَوْلُ
مِنْكَ أَزْكَرَ فِي نَفْسِهِ مِنْ قَوْلِكَ : جِدِّ فِي أَمْرِكَ . وَقَالَ دُرَيْدُ بْنُ
الصِّمَّةِ :

كَبَيْتَ الْإِدَارَ خَارِجُ نَصْفُ سَاقِهِ صَبُورٌ عَلَى الْفُرَّاءِ طَالَعُ أَنْجَدِ

وَقَالَ أَهْدِنِي :

وَكُنْتُ إِذَا جَاءَ دَعَا يُعْمُوهِ أُشِيرُ حَتَّى يَنْصِفَ أَلْسَانَ مِثْرِي
وَلَا بُدَّ لِلِاسْتِعَارَةِ مِنْ حَقِيقَةٍ هِيَ أَصْلُهَا وَهِيَ : مُسْتَعَارٌ مِنْهُ .
وَمُسْتَعَارٌ بِهِ . وَمُسْتَعَارٌ لَهُ . فَالْتَّارُ فِي قَوْلِهِ : (اُسْتَعْلَ الرَّأْسُ شَيْئًا) .
مُسْتَعَارٌ مِنْهَا . وَالْاُسْتَعْلَالُ مُسْتَعَارٌ . وَالشَّيْبُ مُسْتَعَارٌ لَهُ . وَأَمَّا قَوْلُنَا : (مَعَ
طَرَحِ ذِكْرِ الْمُسَبِّ) . فَاعْلَمْ أَنَّنَا إِذَا طَرَحْنَاهُ كَقَوْلِنَا : رَأَيْتُ أَسَدًا .
وَأَرَدْنَا الرَّجُلَ الشَّجَاعَ فَهُوَ اسْتِعَارَةٌ بِالِاتِّفَاقِ وَإِنْ ذَكَرْنَا مَعَهُ الْمُسَبَّ
وَقُلْنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ . فَالْخِيَارُ أَنَّهُ لَيْسَ بِاسْتِعَارَةٍ إِذْ فِي اللفظِ مَا يَدُلُّ
عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِأَسَدٍ فَلَمْ تَحْصُلِ الْمُبَالَغَةُ . وَإِذَا قُلْتَ : زَيْدٌ الْأَسَدُ .
فَهُوَ أَبْعَدُ عَنِ الِاسْتِعَارَةِ فَإِنَّ الْأَوَّلَ خَرَجَ بِالتَّكْثِيرِ مِنْ أَنْ يَحْسُنَ
فِيهِ كَافُ التَّشْبِيهِ . فَإِنَّ قَوْلَكَ : زَيْدٌ كَأَسَدٍ . كَلَامٌ نَازِلٌ بِخِلَافِ
الثَّانِي . قَالَ ضِيَاءُ الدِّينِ بْنِ الْأَيْمَرِ : وَهَذَا التَّشْبِيهُ الْمُضَرُّ الْأَدَاةُ
قَدْ خَلَطُوهُ بِالِاسْتِعَارَةِ وَلَمْ يَفْرِقُوا بَيْنَهُمَا وَذَلِكَ خَطَأٌ مُحضٌ . وَسَأَوْضِحُ وَجْهَ
الْخَطَأِ فِيهِ وَأَحِقُّ الْقَوْلَ فِي الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا فَأَقُولُ : إِنَّ التَّشْبِيهَ
الْمُظْهَرُ الْأَدَاةُ فَلَا حَاجَةَ لِيَبَانِ ذِكْرِهِ لِأَنَّهُ لَا خِلَافَ فِيهِ وَلَكِنْ
نَذَكُرُ التَّشْبِيهَ الْمُضَرَّ الْأَدَاةَ فَنَقُولُ : إِذَا ذُكِرَ الْمَنْقُولُ وَالْمَنْقُولُ
إِلَيْهِ عَلَى أَنَّهُ تَشْبِيهُ الْمُضَرِّ الْأَدَاةَ قِيلَ فِيهِ : زَيْدٌ أَسَدٌ . أَيْ كَأَسَدٍ .
فَأَدَاةُ التَّشْبِيهِ فِيهِ مُضَرَّةٌ مُقَدَّرَةٌ . وَإِذَا أُظْهِرَتْ حَسَنُ ظُهُورِهَا
وَلَمْ تَقْدَحْ فِي الْكَلَامِ الَّذِي أُظْهِرَتْ فِيهِ وَلَمْ يُزَلَّ عَنْهُ فَصَاحَتُهُ وَبَلَغَتُهُ
وَهَذَا بِخِلَافِ مَا إِذَا ذُكِرَ الْمَنْقُولُ إِلَيْهِ دُونَ الْمَنْقُولِ فَإِنَّهُ لَا يَحْسُنُ

فِيهِ ظُهُورُ آدَاةِ التَّشْبِيهِ وَإِذَا أُظْهِرَتْ أَزَالَتْ عَنْ ذَلِكَ أَلْكَلامِ مَا
كَانَ مُتَّصِفًا بِهِ مِنَ الْحُسْنِ وَالْفَصَاحَةِ... فَأَلْفَرْقُ إِذَا بَيْنَ التَّشْبِيهِ
الْمُضَرِّ أَلْأَدَاةِ وَبَيْنَ الْإِسْتِعَارَةِ أَنَّ التَّشْبِيهِ الْمُضَرَّ أَلْأَدَاةُ يَحْسُنُ
إِظْهَارُ آدَاةِ التَّشْبِيهِ فِيهِ وَالْإِسْتِعَارَةُ لَا يَحْسُنُ ذَلِكَ فِيهَا . وَالْإِسْتِعَارَةُ
أَخْصٌ مِنَ الْحِجَازِ إِذْ قَصْدُ الْمُبَالِغَةِ شَرْطٌ فِي الْإِسْتِعَارَةِ دُونَ الْحِجَازِ .
وَأَيْضًا فَكُلُّ اسْتِعَارَةٍ مِنَ الْبَدِيعِ وَلَيْسَ كُلُّ حِجَازٍ مِنْهُ وَالْحَقُّ أَنَّ
الْعَنَى يُعَارَى أَوَّلًا ثُمَّ بِوَاسِطَتِهِ يُعَارَى أَلْفِظٌ . وَلَا تَحْسُنُ الْإِسْتِعَارَةُ إِلَّا
حَيْثُ كَانَ التَّشْبِيهُ مُقَرَّرًا بَيْنَهُمَا ظَاهِرٌ أَوَّلًا فَلَا بُدَّ مِنَ التَّضَرُّيْحِ
بِالتَّشْبِيهِ . فَلَوْ قُلْتَ: رَأَيْتُ نُحْلَةً أَوْ خَامَةً . وَأَنْتَ تُرِيدُ مُرُونًا إِشَارَةً
إِلَى قَوْلِهِ : مَثَلُ الْمَوْتِ مِنْ كَمَثَلِ النُّحْلَةِ أَوْ مَثَلِ الْخَامَةِ . لَكُنْتَ
كَالْمُغْزِ الْأَتَارِكِ لِمَا يُفْهَمُ وَكُلَّمَا زَادَ التَّشْبِيهُ خَفَاءَ زَادَتْ الْإِسْتِعَارَةُ
حُسْنًا بِحَيْثُ يَكُونُ الطَّفُّ مِنَ التَّضَرُّيْحِ بِالتَّشْبِيهِ . وَرَبَّمَا جُمِعَ بَيْنَ عِدَّةٍ
اسْتِعَارَاتٍ إِحْاقًا لِلشَّكْلِ بِالشَّكْلِ لِإِتْمَامِ التَّشْبِيهِ فَتُرِيدُ الْإِسْتِعَارَةَ
بِهِ حُسْنًا كَقَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ فِي صِفَةِ اللَّيْلِ :

قُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَزْدَفَ عَجَازًا وَأَنَاءَ بِكُلِّ كَلٍّ
وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَيْضًا مِنْ مَعْنَى يَشْتَرِكُ بَيْنَ الْمُسْتَعَارِ وَالْمُسْتَعَارِ
مِنْهُ . فَالْعَنَى الْمَشْتَرِكُ بَيْنَ قَيْدِ الْأَوَابِدِ مَثَلًا وَمَانِعِ الْأَوَابِدِ هُوَ
الْجُنْسُ وَعَدَمُ الْإِفْلَاتِ . وَبَيْنَ بَيَازَانِ الْقِيَاسِ وَتَعْدِيلِ حُصُولِ الْإِسْتِقَامَةِ
هُوَ ارْتِفَاعُ الْحَلِيفِ وَاللَّيْلِ إِلَى أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ . وَهَكَذَا جَمِيعُ
الْإِسْتِعَارَاتِ وَالْحِجَازَاتِ

البحث الخامس

فيما تدخله الاستعارة وما لا تدخله

(عن صناعة الترسل أيضاً)

الْأَعْلَامُ لَا يَدْخُلُهَا الْإِسْتِعَارَةُ لِمَا تَقَدَّمَ فِي الْحِجَازِ . وَأَمَّا الْفِعْلُ
فَالْإِسْتِعَارَةُ تَقَعُ أَوَّلًا فِي الْمَصْدَرِ ثُمَّ تَقَعُ بِوَاسِطَةِ ذَلِكَ فِي الْفِعْلِ .
فَإِذَا قُلْتَ : نَطَقْتَ الْحَالَ بِكَذَا . فَهَذَا إِنَّمَا يَصِحُّ لِأَنَّكَ وَجَدْتَ الْحَالَ
شَاهِدَةً لِلنُّطْقِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الشَّيْءِ فَلَا جَرَمَ اسْتَعَرْتَ النُّطْقَ لِتِلْكَ
الْحَالَةِ ثُمَّ نَقَلْتَهُ إِلَى الْفِعْلِ . وَالْأَسْمَاءُ الْمُسْتَقْتَنَةُ فِي ذَلِكَ كَالْفِعْلِ . فَظَهَرَ
أَنَّ الْإِسْتِعَارَةَ إِنَّمَا تَقَعُ وَقُوعًا أَوَّلِيًّا فِي أَسْمَاءِ الْأَجْنَاسِ . ثُمَّ الْفِعْلُ
إِذَا كَانَ مُسْتَعَارًا فَاسْتِعَارَتُهُ إِمَّا مِنْ جِهَةٍ فَاعِلِهِ كَقَوْلِهِ : نَطَقْتَ الْحَالَ
بِكَذَا أَوْ لَيْبَتْ بِهِ الْهَمُومُ . وَكَقَوْلِ جَرِيرٍ :

يَخْشَى الرُّوَامِسَ رُبْعَهَا فَحِجْدُهُ بَعْدَ أَلْيَى وَنَيْبُهُ الْأَمْطَارُ
أَوْ مِنْ جِهَةٍ مَفْعُولِهِ كَقَوْلِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ :

جُمِعَ الْحَقُّ لَنَا فِي إِمَامٍ مِثْلَ الْجَوْرِ وَآخِيَا السَّمَاحَا
أَوْ مِنْ جِهَةِ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ كَقَوْلِهِ : يَكَادُ السَّبَرُ أَنْ يَخْطَفَ
أَبْصَارَهُمْ . وَيَتَّصِلُ بِهَذَا تَرْشِيحُ الْإِسْتِعَارَةِ وَتَجْرِيدُهَا . أَمَّا تَرْشِيحُهَا فَهُوَ
أَنْ تَنْظُرَ فِيهَا إِلَى الْمُسْتَعَارِ وَتَرَاعِي جَانِبَهُ وَتَوَلِّيهَ مَا تَسْتَدْعِيهِ وَتَضُمُّ
إِلَيْهِ مَا تَقْتَضِيهِ كَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

وَصَدْرٍ أَرَاكَ اللَّيْلُ عَازِبَ هَيْبِهِ تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

الْمُسْتَعَارُ فِيهِ وَهُوَ الْأَذَاخَةُ مَنْظُورٌ إِلَيْهِ فِي لَفْظِ الْعَازِبِ . وَأَمَّا
تَجْرِيدُهَا فَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمُسْتَعَارُ لَهُ مَنْظُورًا إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ : فَأَذَاقَهَا اللَّهُ
لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ . فَإِنَّ الْأَذَاخَةَ وَقَعَتْ عِبَارَةً عَمَّا يُدْرِكُ مِنْ
أَثَرِ الضَّرَرِ وَالْأَلَمِ تَشْبِيهَا لَهُ بِمَا يُدْرِكُ مِنْ طَعْمِ الْمَرِّ . الشَّبَعُ وَاللِّبَاسُ
عِبَارَةٌ عَمَّا يَغْشَى مِنْهُمَا وَيَلَابِسُ فَكَأَنَّهُ قَالَ : فَأَذَاتَهَا مَا غَشِيَهَا مِنْ
أَلَمِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ . وَكَقَوْلِ زُهَيْرٍ :

لَدَى أَسَدٍ سَاحِي السِّلَاحِ مُقَدَّفٍ لَهُ لَبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلِّمْ
فَلَوْ ظَنَرَ إِلَى الْمُسْتَعَارِ لَقَالَ : لَدَى أَسَدٍ دَائِمِي أَوْ دَائِمِي الْبَرَاثِنِ
سَلًا . وَظَنَرَ زُهَيْرٌ فِي آخِرِ أَلَيْتِ إِلَى الْمُسْتَعَارِ . وَمِنْهُ قَوْلُ كَثِيرٍ :
عَمَرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ صَاحِبًا غَلِقَتْ لِحْجَتُهُ رِقَابُ أُمَمَالِ
الْمُسْتَعَارِ الرِّدَاءُ لِلْمَعْرُوفِ لِأَنَّهُ يَصُونُ عِرْضَ صَاحِبِهِ صَوْنَ الرِّدَاءِ
لَمَا يَلْقَى عَلَيْهِ . وَوَصَفَهُ بِالْعَمْرِ الَّذِي هُوَ وَصْفُ الْمَعْرُوفِ وَالنَّوَالِ لَا
وَصْفُ الرِّدَاءِ

وَيَقْرُبُ مِنْ ذَلِكَ الْأِسْتِعَارَةُ بِالْكِنَايَةِ وَهُوَ أَنْ لَا يُصْرَحَ بِذِكْرِ
الْمُسْتَعَارِ بَلْ يَذْكُرُ بَعْضُ لَوَازِيهِ تَلْبِيهَا بِهِ كَقَوْلِهِ : شُجَاعٌ يَفْتَرِسُ
أَقْرَانَهُ وَعَلِمٌ يَغْتَرِفُ مِنْهُ النَّاسُ . وَكَقَوْلِ أَبِي ذُوؤَيْبٍ :
وَإِذَا أَلْمَسَتْهُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ نَمِيَةٍ لَا تَنْفَعُ
تَلْبِيهَا عَلَى أَنَّ الشُّجَاعَ أَسَدٌ وَالْعَالِمَ بَحْرٌ وَالنَّمِيَّةَ سَبْعٌ . وَهَذَا
وَأَنْ كَانَ يُشَبِّهُ الْأِسْتِعَارَةَ الْحُرْدَةَ إِلَّا أَنَّهُ أَغْرَبُ وَأَعْجَبُ . وَيَقْرُبُ
مِنْهُ قَوْلُ زُهَيْرٍ :

وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزِّمَامِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ أَعْوَالِي رَكِبَتْ كُلُّ لَهْدَمٍ
 أَرَادَ أَنْ يَقُولَ : مَنْ لَمْ يَرْضَ بِأَحْكَامِ الظُّلْعِ رَضِيَ بِأَحْكَامِ
 الْحَرْبِ أَيْ أَسْرَعُوا الْأَيْسَةَ وَآخَرُوا الزِّمَامَ . وَقَدْ يُسَمَّى هَذَا التَّنَوُّعُ
 الْمَمَالَّةَ أَيْضًا . وَقَدْ يُنْزَلُونَ الْإِسْتِعَارَةَ مَنَزِلَةَ الْحَقِيقَةِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ
 يَسْتَعِيرُونَ الْوَصْفَ الْخُشُوسَ لِلشَّيْءِ الْمَعْقُولِ . وَيَجْعَلُونَ كَانَ تِلْكَ
 اللَّصِيقَةَ ثَابِتَةً لِذَلِكَ الشَّيْءِ فِي الْحَقِيقَةِ وَأَنَّ الْإِسْتِعَارَةَ لَمْ تَوْجَدْ أَصْلًا .
 مِثَالُهُ اسْتِعَارَتُهُمْ الْعُلُوَّ لِزِيَادَةِ الرَّجُلِ عَلَى غَيْرِهِ فِي الْفَضْلِ وَالْقَدْرِ
 وَالسُّلْطَانِ ثُمَّ وَضَعَهُمُ الْكَلَامَ وَضَعَهُ مِنْ يَذْكُرُ عُلُوًّا مَكَانِيًّا .
 كَقَوْلِ أَبِي قَتَامٍ :

وَيَصْعَدُ حَتَّى يَطْنَ الْحُسُودُ بَانَ لَهُ حَاجَةٌ فِي السَّمَاءِ
 وَكَقَوْلِهِ أَيْضًا :

مَكَارِمُ لَجَتْ فِي عُلُوِّ كَأَنَّمَا تُحَاوِلُ ثَارًا عِنْدَ بَعْضِ الْكَوَاكِبِ

البحث السادس

في اقسام الاستعارة

(عن صاعقة الترسل ايضاً)

(راجع صفحة ٣٢ من علم الادب)

هِيَ عَلَى تَوَعَيْنٍ : (الْأَوَّلُ) أَنْ يُعْتَمَدَ نَفْسُ الشَّيْءِ وَهُوَ أَنْ
 يَشْتَرِكَ شَيْئَانِ فِي وَصْفٍ وَاحِدُهُمَا أَنْقَضُ مِنَ الْآخَرِ . فَيُعْطَى النَّاقِصُ

أَسْمَ الزَّائِدِ مُبَالَغَةً فِي تَحْقِيقِ ذَلِكَ الْوَصْفِ لَهُ كَقَوْلِكَ : رَأَيْتُ أَسَدًا .
وَأَنْتَ تَغْيِي رَجُلًا مُجَاعًا . (وَأَثَارِي) تُعْتَمِدُ لَوَازِمُهُ عِنْدَمَا يَكُونُ جِهَةً
الِاسْتِرَاكِ وَصَفًا وَإِنَّمَا ثَبَتَ كَمَالُهُ فِي الْمُسْتَعَارِ فِي وَاسِطَةِ شَيْءٍ آخَرَ
فَتُنُسِبُ ذَلِكَ الشَّيْءَ لِلْمُسْتَعَارِ لَهُ مُبَالَغَةً فِي اثْبَاتِ الْمُسْتَرَكِّ . كَقَوْلِ
تَابِطِ شَرًّا :

إِذَا هَزَّةٌ فِي عَظْمٍ قَرْنٌ تَهَلَّتْ نَوَاجِذُ أَفْوَاهِ الْمَنَايَا الضَّوَاكِ
لَمَّا شَبَّهَ الْمَنَايَا عِنْدَ هَزَّةِ السِّيفِ بِالسُّرُورِ وَكَمَالِ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ
إِنَّمَا يَظْهَرُ بِالضَّحِكِ الَّذِي يَتَهَلَّلُ بِهِ النَّوَاجِذُ أَنَّهُ تَحْقِيقًا لِلْوَصْفِ
الْمَقْصُودِ وَالْأَفْلَسُ لِلْمَنَايَا مَا يُنْقَلُ إِلَيْهِ أَسْمُ النَّوَاجِذِ . وَهَكَذَا
الْكَلَامُ فِي قَوْلِ الْحَمَاسِيِّ :

سَقَاهُ الرَّدَى سَيْفٌ إِذَا سُلَّ أَوْ مَضَتْ إِلَيْهِ مَنَايَا الْمَوْتِ مِنْ كُلِّ مَرْقَبٍ
وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُمْ : فُلَانٌ مُرْخَى أَعْيَانٍ وَمَلَقَى الزِّمَامَ .
وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْقِسْمَيْنِ أَنَّكَ إِنْ رَجَعْتَ فِي الْأَوَّلِ إِلَى الشَّيْءِ الَّذِي
هُوَ الْقَصْدُ مِنْ كُلِّ اسْتِعَارَةٍ مُقَيَّدَةٍ وَجَدْتَهُ يَأْتِيكَ عَفْوًا كَقَوْلِكَ :
رَأَيْتُ رَجُلًا كَالْأَسَدِ أَوْ مِثْلَهُ أَوْ شَبَّهَهُ . وَإِنْ رُمِئَتْ فِي الثَّانِي لَأَيُّوَاتِكَ
تِلْكَ الْمَوَاتَاةُ إِذْ لَا وَجْهَ أَنْ تَقُولَ : شَيْءٌ مِثْلُ أَلْيَدٍ لِلشَّمَالِ . وَإِنَّمَا
تَهَيَّأُ لَكَ الشَّيْءُ بَعْدَ أَنْ تَحْرُقَ إِلَيْهِ سِتْرًا أَوْ تَعْمَلَ تَأْمُلًا وَفِكْرًا .
وَفِي إِغْفَالِ هَذَا الْأَصْلِ وَقُوعٌ فِي الشَّيْءِ . وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ وَضَعَ فِي
نَفْسِهِ أَنْ كُلَّ أَسْمٍ يُسْتَعَارُ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ شَيْءٌ يُمْكِنُ
الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ تَتَنَاوَلُهُ فِي حَالِهِ الْحَاجَزِ كَمَا تَتَنَاوَلُ مُسَمَّاهُ فِي حَالِهِ

الْحَقِيقَةُ . ثُمَّ نَظَرَ إِلَى قَوْلِهِ : وَلَتُضَنَّ عَلَى عَيْنِي . وَقَوْلِهِ : تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا .
 أَرْتَبِكُ فِي الشَّكِّ وَحَامَ حَوْلَ الظَّاهِرِ وَوَقَعَ فِي التَّشْبِيهِ الَّذِي هُوَ
 الضَّلَالُ الْبَعِيدُ . فَبَيَّنَ مَعْرِفَةَ هَذَا إِخْلَاصُ مَنْ ذَلِكَ التَّشْبِيهِ وَيُسَمَّى
 هَذَا النَّوْعُ اسْتِعَارَةً تَحْيِيلِيَّةً وَهُوَ كَمَا ثَبَتَ الْجَنَاحُ لِلذَّلِّ فِي قَوْلِهِ :
 وَأَخْفَضَ لَهَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ . إِذَا عُرِفَ هَذَا فَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ
 عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ : (الْأَوَّلُ) أَنْ يُسْتَعَارَ الْمُحْسُوسُ لِلْمَحْسُوسِ .
 وَذَلِكَ إِمَّا أَنْ يَشْتَرِكَا فِي الذَّاتِ وَيُخْتَلِفَا فِي الصِّفَاتِ كَاسْتِعَارَةِ
 الطَّيْرَانِ لِغَيْرِ ذِي جَنَاحٍ فِي السَّرْعَةِ . فَإِنَّ الطَّيْرَانِ وَالْعَدُوَّ يَشْتَرِكَانِ
 فِي الْحَقِيقَةِ وَهِيَ الْحَرَكَةُ الْمَكَانِيَّةُ إِلَّا أَنَّ الطَّيْرَانِ أَسْرَعُ . أَوْ يَأْنِ
 يَخْتَلِفَا فِي الذَّاتِ وَيَشْتَرِكَا فِي صِفَةٍ إِمَّا مُحْسُوسَةٍ كَقَوْلِهِمْ : رَأَيْتُ شَيْئًا .
 وَيُرِيدُونَ إِنْسَانًا يَهْلُلُ وَجْهَهُ . وَكَقَوْلِهِ : وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا .
 فَأَلْمَسْتَعَارُ مِنْهُ النَّارُ . وَالْمُسْتَعَارُ لَهُ الشَّيْبُ . وَالْجَامِعُ إِلَّا نِسَاطُ وَلِسِنَتُهُ
 فِي النَّارِ أَقْوَى . وَإِمَّا غَيْرَ مُحْسُوسَةٍ كَقَوْلِهِ : إِذَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ
 الْقَعِيمَ . الْمُسْتَعَارُ لَهُ الرِّيحُ وَالْمُسْتَعَارُ مِنْهُ الْمَرءُ وَالْجَامِعُ الْمَنْعُ مِنْ ظُهُورِ
 النَّسِيجَةِ . (الثَّانِي) أَنْ يُسْتَعَارَ شَيْءٌ مَعْقُولٌ لَشَيْءٍ مَعْقُولٍ لِأَشْتَرَاكِهِمَا
 فِي وَصْفٍ عَدَمِيٍّ أَوْ ثُبُوتِيٍّ وَاحِدُهُمَا أَكْمَلُ مِنْ ذَلِكَ الْوَصْفِ
 فَيُتْرَكُ الْفَائِضُ مِثْلَ الْكَامِلِ كَاسْتِعَارَةِ السَّمِ الْعَدَمِ لِلْوُجُودِ إِذَا
 اشْتَرَكَا فِي عَدَمِ الْفَائِدَةِ أَوْ اسْتِعَارَةِ السَّمِ الْوُجُودِ لِلْعَدَمِ إِذَا بَقِيََتْ
 آثَارُهُ الْمَطْلُوبَةُ مِنْهُ كَتَشْبِيهِ الْجَهْلِ بِالْمَوْتِ لِأَشْتَرَاكِ الْمَوْصُوفِ بِهِمَا فِي
 عَدَمِ الْإِدْرَاكِ وَالْعَقْلِ . وَكَقَوْلِهِمْ : فُلَانٌ لَقِيَ الْمَوْتَ إِذَا لَقِيَ

الشَّدَائِدَ لِأَشْتَرَاكِهَمَا فِي الْمَكْرُوهِيَّةِ . وَقَوْلِهِ : وَمَا سَكَتَ عَنْ مُوسَى
الْفُضْبِ . وَالسُّكُوتُ وَالزَّوَالُ أَمْرَانِ مَعْقُولَانِ . (الثَّالِثُ) أَنْ
يُسْتَعَارَ الْحُشُوسُ لِلْمَعْقُولِ كَأَسْتِعَارَةِ الثَّوْرِ الَّذِي هُوَ مُحْشُوسٌ
وَأَسْتِعَارَةِ الْقِسْطَاسِ لِلْعَدْلِ . وَكَقَوْلِهِ : بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ
فَيَدْمَغُهُ . فَاَلْقَازِفُ وَاللِّدْمَغُ مُسْتَعَارَانِ . وَقَوْلِهِ : فَنَبْدُوهُ وِرَاءَ ظُهُورِهِمْ .
وَقَوْلِهِ : أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . الْوَادِي وَالْهَيْمَانُ
مُسْتَعَارَانِ . (الرَّابِعُ) أَنْ يُسْتَعَارَ أَمُّ الْمَعْقُولِ لِلْحُشُوسِ عَلَى التَّأْوِيلِ
الْمَذْكُورِ فِي التَّشْبِيهِ كَقَوْلِهِ : إِذَا أَلْقَوْا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورُ
كَكَادُ مَمْبُورٍ مِنَ الْغَيْظِ . فَالشَّهيقُ وَالْغَيْظُ مُسْتَعَارَانِ . وَقَوْلِهِ : حَتَّى
تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا

البحث السابع

في جيد الاستعارة ورديتها ومتوسطها

(عن كتاب الصناعتين وصناعة الترسيل)

قَالَ مُحَمَّدٌ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ الْخَفَاجِيُّ : وَقَدْ اخْتَارَ أَبُو الْقَاسِمِ
ابْنُ بِشْرِ الْأَمْدِيُّ مِنْ جَمَلَةِ الْأَسْتِعَارَةِ قَوْلَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :
قُلْتُ لَهُ لَمَّا تَخَطَّى بِضُلَيْهِ وَأَرْدَفَ أَنْجَارًا وَنَاءَ بِكُلِّ كَلٍ
وَقَالَ : إِنَّ هَذِهِ الْأَسْتِعَارَةَ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ . لِأَنَّهُ أَمَّا قَصْدُ
وَضْفِ أَحْوَالِ اللَّيْلِ فَذَكَرَ امْتِدَادَ وَسْطِهِ وَتَأَقَّلَ صَدْرِهِ لِلذَّهَابِ
وَالْإِنْبِعَاطِ وَتَرَادَفَ أَنْجَارِهِ وَأَوَاخِرُهُ شَيْئًا فَشَيْئًا . وَقَالَ الْخَفَاجِيُّ :

وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو الْقَاسِمِ لَا أَرْضَى بِهِ غَايَةَ الرِّضَى وَلَوْ كُنْتُ
 أَسْكُنُ إِلَى تَقْلِيدِ أَحَدٍ مِنْ عُلَمَاءِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ لَقَلَدْتُهُ لِحُسْنِ
 نَظَرِهِ وَصِحَّةِ فِكْرِهِ وَهُوَ عِنْدِي مِنَ الْوَسْطِ لَيْسَ مِنْ جَيْدِ الْإِسْتِعَارَةِ
 وَلَا مِنْ رَدِيئِهَا . وَإِنَّمَا قُلْتُ ذَلِكَ لِأَنَّ أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ أَفْضَحَ بِأَنَّهُ
 أَمْرٌ أَلْقَيْسٌ لَمَا جَعَلَ لِلَّيْلِ وَسْطًا وَعَجَزَا اسْتِعَارَ لَهُ اسْمَ الصُّلْبِ
 وَجَعَلَهُ تَمَاطِيًا مِنْ أَجْلِ اتِّدَادِهِ وَجَعَلَ الْكَائِكَلِ مِنْ أَجْلِ
 نَهْوِيهِ وَكُلُّ هَذَا إِنَّمَا يَحْسُنُ بَعْضُهُ لِأَجْلِ بَعْضٍ . فَذَكَرُ الصُّلْبِ إِنَّمَا
 حَسُنَ لِأَجْلِ التَّحْزِيرِ . وَالتَّمَاطِي لِأَجْلِ الصُّلْبِ . وَالْكَائِكَلُ لِيَجْمُوعَ
 ذَلِكَ . وَهَذِهِ الْإِسْتِعَارَةُ الْمُبْنِيَّةُ عَلَى غَيْرِهَا فَذَلِكَ لَمْ أَرِ أَنْ تُجْعَلَ مِنْ
 أَلْبَعِ الْإِسْتِعَارَاتِ وَكَانَتْ اسْتِعَارَةُ طُفِيلٍ أَلْفَوِي فِي قَوْلِهِ :
 وَجَعَلْتُ رَحْلِي فَوْقَ نَاحِيهِ يَثْنَاتُ سَحْمَ سَنَامِهَا الرَّحْلُ
 أَزْفَقَ وَأَوْضَحَ . لِأَنَّهَا غَنِيَّةٌ بِنَفْسِهَا غَيْرُ مُفْتَقِرَةٍ إِلَى مُقَدِّمَةِ حَلِيلَتِهَا .
 (وَقَالَ) وَقَدْ كُنْتُ مَثَلْتُ فِي بَعْضِ مَوَاضِعِ الْإِسْتِعَارَةِ الْمَحْمُودَةِ
 وَالْمَذْمُومَةِ بَيْنَتَيْنِ أَحَدُهُمَا قَوْلُ ابْنِ بَنَاتَةَ :

حَتَّى إِذَا بَهَرُوا بِالْأَبَاطِحِ وَالْأَثَرِ نَظَرُوا إِلَيْكَ بِأَعْيُنِ النُّوَارِ
 فَظَنُّوا أَعْيُنَ النُّوَارِ مِنْ أَشْبِهِ الْإِسْتِعَارَاتِ وَالْيَقِيهَا . لِأَنَّ النُّوَارَ
 يُشَبِّهُ الْعُيُونَ إِذَا كَانَ مَقَابِلًا لِمَنْ يُؤْمَرُ بِهِ كَأَنَّهُ مُنَاطِرٌ إِلَيْهِ . وَابْنُ
 اللَّثَّانِي يَنْتُ أَيُّ تَأَمَّل :

قَرَّتْ بَفَزَانِ عَيْنِ الدِّينِ وَأَسْتَرَتْ بِالْأَشْتَرَيْنِ عُيُونَ الشَّرِكِ فَاصْطَلَحَا
 وَقُوَّةُ عَيْنِ الدِّينِ وَأَسْتَارُ عُيُونَ الشَّرِكِ مِنْ أَقْبَحِ الْإِسْتِعَارَاتِ

لِعَدَمِ الشَّيْءِ الَّذِي لَاحِظُهُ جَعَلَ لِلشِّرْكِ عُيُونًا. وَنَ تَأْتِي هَذَيْنِ الْبَيِّنَتَيْنِ
لَا يَفْهَمُ مَعْنَى الْإِسْتِعَارَةِ لِأَنَّ الثُّوَارَ وَالشِّرْكَ لَا عُيُونَ لَهُمَا عَلَى الْحَقِيقَةِ.
وَقَدْ قَبِضَتْ اسْتِعَارَةُ الْعُيُونِ لِاحْظِيهِمَا وَحَسُنَتْ لِلْآخِرِ. وَالْعِلَّةُ فِيهِ أَنَّ
الثُّوَارَ يُشَبِّهُ الْعُيُونَ. وَالَّذِينَ وَالشِّرْكَ لَيْسَ فِيهِمَا مَا يُشَبِّهُهُمَا وَلَا يُقَارِبُهَا.
وَمِنْ أَحْسَنِ الْإِسْتِعَارَاتِ كَقَوْلِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ :

رَمَا اللَّسِيمُ بِوَادِيكُمْ وَلَا بَرَحَتْ حَوَامِلُ الْمُزْنِ فِي أَجْدَاثِكُمْ تَضَعُ
وَلَا يَزَالُ جَنِينُ الثَّبَتِ بُرْضُهُ عَلَى قُبُورِكُمْ الْعَرَّاصَةُ الْهَمْعُ
لِأَنَّ الْمُزْنَ تَحْمِلُ الْمَاءَ وَإِذَا حَمَلَتْ تَضَعُهُ فَاسْتِعَارَةُ الْحَمْلِ لَهَا
وَالْوَضْعُ الْمَعْرُوفَيْنِ مِنْ أَقْرَبِ شَيْءٍ وَأَشْبَهِهِ. وَكَذَلِكَ جَنِينُ الثَّبَتِ
لِأَنَّ الْجَنِينَ الْمَسْتَوْرَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْجَنَّةِ. وَإِذَا كَانَ الثَّبَتُ مُسْتَوْرًا
وَأَنْفَعْتُ يَنْسِقِيهِ كَانَ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الرِّغْمَاعِ

وَأَمْثَالُ الْحَاسِنِ فِي ذَلِكَ وَالْمَسَاوِي كَثِيرَةٌ وَقَدْ أَخَذَ الْقَوْلُ
فِي هَذَا الْبَابِ حَقَّهُ. مَعَ أَنَّ أَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ بِهَذَا الْفَنِّ فِيهِ أَكْثَرُ
مِنْ ذَلِكَ



البحث الثامن

في ما جاء من الاستعارات في كلام العرب

(عن كتاب الصناعتين للعسكري وسر العرب للثعالبي)

وَأَمَّا مَا جَاءَ فِي قَوْلِ الْعَرَبِ مِنَ الْأِسْتِعَارَاتِ فَكَثِيرٌ مِنْهُ قَوْلُهُمْ : هَذَا رَأْسُ الْأَمْرِ وَوَجْهُهُ وَرَأْسُ الْمَالِ . وَهَذَا الْأَمْرُ فِي جَنْبِ غَيْرِهِ يَسِيرٌ . وَيَقُولُونَ : هَذَا جَنَاحُ الْحَرْبِ وَقَلْبُهَا وَجَنَاحُ الطَّرِيقِ . وَهَؤُلَاءِ رُؤُوسُ الْقَوْمِ وَحَاجِمُهُمْ وَعِيُونُهُمْ . وَفُلَانٌ ظَهَرُ فُلَانٍ وَلِسَانُ قَوْمِهِ وَنَاهِيَهُمْ وَعَضْدُهُمْ . وَهَذَا كَلَامٌ لَهُ ظَهَرٌ وَبَطْنٌ . وَفِي الْعَرَبِ : أَجْمَاعُهُمْ . وَالْقَبَائِلُ . وَالْأَلْحَادُ . وَالْبَطُونُ . وَخَرَجَ عَلَيْنَا عُقْتُ مِنْ النَّاسِ وَلَهُ عِيْدِي يَدٌ بَيْضَاءُ . وَهَذِهِ عَيْنُ الْمَاءِ . وَحَاجِبُ الشَّمْسِ . وَلِسَانُ النَّارِ . وَهَذَا أَنْفُ الْجَبَلِ . وَبَطْنُ الْوَادِي . وَكَيْدُ السَّمَاءِ . وَسَاقُ الشَّجَرَةِ . وَيَقُولُونَ فِي التَّفَرُّقِ : انْشَقَّتْ عَصَاهُمْ . وَشَالَتْ نَعَامَتُهُمْ . وَمَرُّوا بَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ وَبَصَرِهَا . وَكَفَّوْلَهُمْ فِي اسْتِدَادِ الْأَمْرِ : كَشَفَّتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِيهَا . أَبْدَى الشَّرُّ نَاجِدِيهِ . حَمَى الْوُطَيْسُ . ذَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ . وَكَفَّوْلَهُمْ فِي ذِكْرِ الْأَنْثَرِ الْعُلُورِيَّةِ : أَوتَرَ الضُّجْجُ عَنْ نَوَاجِذِهِ . ضَرَبَ بِعُمُودِهِ . سُلَّ سَيْفُ الضُّجْجِ مِنْ عِمْدِ الظَّلَامِ . نَعَرَ الضُّجْجُ فِي قَعَا اللَّيْلِ . بَاحَ الصَّاحُ بِسِرِّهِ . وَهِيَ نِطَاقُ الْجُوزَاءِ . انْخَطَّ قَنَدِيلُ الثُّرَيَّا . دَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ . ارْتَفَعَ النَّهَارُ . تَرَجَّلَتِ الشَّمْسُ بِجِمَرَاتِ الظُّهَيْرَةِ . بَقَلَ وَجْهُ النَّهَارِ . خَفَّتْ رَايَاتُ الظَّلَامِ .

تَوَرَّتْ حَدَائِقُ الْجَوِّ . شَابَ رَأْسُ اللَّيْلِ . لَيْسَتْ الشَّمْسُ جَلْبَابَهَا . قَامَ
خَطِيبُ الرَّعْدِ . حَقَّقَ قَلْبُ الْبَرْقِ . انْخَلَّ عِقْدُ السَّمَاءِ . وَهِيَ عَشْدُ
الْأَنْدَاءِ . انْقَطَعَ شِرْيَانُ الْعَمَامِ . تَنَفَّسَ الرِّيعُ . تَعَطَّرَ النَّسِيمُ .
تَبَرَّجَتْ الْأَرْضُ . قَوِيَ سُلْطَانُ الْحَرِّ . أَنَّ أَنْ يُحْيِشَ مِرْجَلَهُ . وَيُثَوِّرَ
قَسْطَلَهُ . انْخَصَرَ قِنَاعُ الصَّيْفِ . جَاشَتْ جُيُوشُ الْحَرْيفِ . حَلَّتِ الشَّمْسُ
الْمِلْزَانَ . وَعَدَلَ الزَّمَانُ . دَبَّتْ عَقَارِبُ الْبَرْدِ . أَقْدَمَ الشِّتَاءُ كُلَّ كَلَّةٍ .
شَابَتْ نَفَارِقُ الْجِبَالِ . يَوْمَ عَبُوسٍ قَدَطِيرٍ . كَسَّرَ عَنْ نَابِ الزَّمْهَرِيرِ .
وَكَتَّوْلِهِمْ فِي مُحَاسِنِ الْكَلَامِ : الْأَدَبُ غِذَاءُ الرُّوحِ . الشَّبَابُ
بَاكُورَةُ الْحَيَاةِ . النَّارُ فَاتِكَةُ الشِّتَاءِ . الْعِيَالُ سُوسُ الْمَالِ . النَّيْذُ كِيمِيَاءُ
الْفَرَحِ . الْوَحْدَةُ قَبْرُ الْحَيِّ . الصَّبْرُ مِفْتَاحُ الْفَرَجِ . الدِّينُ دَاءُ الْكِرَامِ .
الْثَّمَامُ جَنْرُ الشَّرِّ . الْأَرْجَافُ زَنْدُ الْفِتْنَةِ . الشُّكْرُ نَسِيمُ النَّعِيمِ .
الرَّيْعُ شَبَابُ الزَّمَانِ . الْوَكْدُ رِيحَانَةُ الرُّوحِ . الشَّمْسُ قُطِيفَةُ الْمَسَاكِينِ .
الطَّيْبُ لِسَانُ الْمُرُوءَةِ . وَيَسُونُ اللَّبَاسُ نَوَا . قَالَ : وَجَفَّ أَنْوَاءُ
السَّحَابِ . أَيِ جَفَّ الْبَقْلُ . وَيَقُولُونَ لِلْمَطَرِ سَمَاءُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهَا وَإِنْ كَانُوا غَضَابَا
وَيَقُولُونَ : صَحِيكَتِ الْأَرْضُ إِذَا أَنْبَتَ لِأَنَّمَا تُبْدِي عَنْ حُسْنِ
النَّبَاتِ كَمَا يَقْتَرُ الضَّاحِكُ عَنْ الثَّغْرِ . وَيُقَالُ : صَحِيكَتِ الظُّلْمَةُ .
وَالْتَوَرَّدُ يُضَاحِكُ الشَّمْسَ . قَالَ الْأَعَشَى :

يُضَاحِكُ الشَّمْسَ مِنْهُ كَوَكَبٌ مُشْرِقٌ

مُورَّدٌ لِعِيمِ النَّبْتِ مُسْتَهْلٌ

وَيَقُولُونَ : ضَحِكُ السَّحَابِ بِالْبَرْقِ وَحَنٌّ بِالرَّعْدِ وَبُكْيٌ بِالْقَطْرِ .
وَيَقُولُونَ : لَقِيتُ مِنْ فُلَانٍ عَرَقَ الْقُرْبَةِ أَيْ شِدَّةَ وَمَشَقَّةَ . (وَأَصْلُ
هَذَا أَنَّ حَامِلَ الْقُرْبَةِ يَتَعَبُ مِنْ ثِقَلِهَا حَتَّى يَعرَقَ) . وَيَقُولُونَ أَيْضًا :
لَقِيتُ مِنْهُ عَرَقَ الْجَبِينِ . وَالْعَرَبُ تَقُولُ : بِأَرْضِ فُلَانٍ شَجَرٌ قَدْ صَاحَ .
وَذَلِكَ إِذَا طَالَ قَتْبَيْنِ لِلنَّازِلِ بِطُولِهِ وَدَلَّ عَلَى نَفْسِهِ لِأَنَّ الصَّاحِمَ
يَدُلُّ عَلَى نَفْسِهِ بِصَوْتِهِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْحَاجِّ :

كَأَلِكْرَمٍ إِذْ تَادَى مِنَ الْكَافُورِ

وَيَمَّا جَاءَ أَيْضًا فِي هَذَا الْبَابِ فِي الْقُرْآنِ وَكَلَامِ الصَّحَابَةِ
وغيرِهِمْ مَا نَفَضَهُ : الْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ . وَقَوْلُهُ : أَذْكُرُوا هَادِمَ
الْأَلْدَاتِ . وَقَوْلُهُ : اخْفِضْ لَهَا جَنَاحَ الدَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ . وَقَوْلُهُ :
أَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ . وَقَوْلُهُ : أَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا . وَقَوْلُهُ :
وَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ الْعَذَابِ . وَقَوْلُهُ : لَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ .
وَقَالَ عَلِيٌّ : السَّفَرُ مِيزَانُ الْقَوْمِ . وَقَالَ : وَأَمَّا وَقَدْ اتَّسَعَ نِطَاقُ
الْإِسْلَامِ . وَلَهُ قَوْلُهُ لِابْنِ عَبَّاسٍ : أَرِغْبِ رَاغِبَهُمْ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ
عَنْهُمْ . وَقَوْلُهُ : أَلْعِلْمُ قُفْلٌ مُفْتَاخُهُ الْمَسْئَلَةُ . وَقَوْلُهُ : اْلِحِلْمُ وَالْأَنَانَةُ
تَوَاقُمَانِ يُتَنَجَّهُمَا عُلُوُّ الْهَمَّةِ . وَقَالَ فِي بَعْضِ خُطْبِهِ يَصِفُ الدُّنْيَا :
إِنَّ أَمْرًا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا فِي فَرَحَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا تَرَحَّةٌ وَلَمْ يَلْقَ مِنْ
سَرَابِهَا بَطْنًا إِلَّا أَمَحَّتْهُ مِنْ قُرَابِهَا ظَهْرًا . وَلَمْ يُظَاهِرْ فِيهَا غَايَةَ رِخَاءٍ إِلَّا
هَبَّتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلَاءٍ . وَلَمْ يُسِرْ مِنْهَا فِي جَنَاحِ آمِنٍ إِلَّا أَضْجَعَ مِنْهَا
عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّ الْمَلِكَ إِذَا مَلَكَ زَهَدَهُ اللَّهُ

فِي سَاكِهِ وَرَغَبَهُ فِيمَا فِي يَدِ غَيْرِهِ وَأَشْرَبَ قَلْبَهُ الْأَشْفَاقَ . فَهُوَ يَجْسُدُ عَلَى
الْقَلِيلِ وَيَسْتَحْطُ عَلَى الْكَثِيرِ جَزُلُ الظَّاهِرِ حَزِينُ الْبَاطِنِ . فَإِذَا
وَجِبَتْ نَفْسُهُ وَتَقَرَّ عَمْرُهُ وَضَحِيَ ظِلُّهُ حَاسِبَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَاسْتَدَّ حِسَابَهُ
وَأَقْلَّ عَقْرَهُ . وَكُتِبَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى مَرَاذِيهِ فَارِسَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي قَصَرَ خِدْمَتَكُمْ وَفَرَّقَ كَلِمَتَكُمْ . وَقَالَ الْحَجَّاجُ : دُلُّونِي عَلَى
رَجُلٍ سَيِّئِ الْأَمَانَةِ أَنْجَفَ الْحَيَاةِ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ : الرَّأْيُ
لَا ضَعْفَ لَهُ لَأَخِيرٍ فِي الرَّأْيِ الْفَطِيرِ وَالْكَلَامِ الْقَضِيبِ . فَلَمَّا بَايَعُوهُ
قَالَ : دَعُوا الرَّأْيَ يَغِبُ فَإِنَّ غُيُوبَهُ يَكْشِفُ لَكُمْ عَنْ مَحَلِّهِ . وَقِيلَ
لِأَعْرَابِيٍّ : إِنَّكَ لَحَسَنُ الْكِدْيَةِ . قَالَ : عِنُونِ نِعْمَةَ اللَّهِ عِنْدِي .
وَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : الْحِلْمُ دِعَامَةُ الْعَقْلِ . وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ
لِرَجُلٍ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَاكَ فَإِنَّهُ كَانَ يَقْرِي الْعَيْنَ جَمَالًا وَالْأَذْنَ بَيَانًا .
وَقِيلَ لِرُؤُوبَةٍ : كَيْفَ تَرَكْتِ مَا وَرَاكَ . قَالَ : التُّرَابُ يَا بَسُّ وَالْأَمَالُ
عَابِسٌ . وَقَالَ الْمَنْصُورُ لِبَعْضِهِمْ : بَلَّغْنِي أَنَّكَ بَجِيلٌ . قَالَ مَا أَجْمَدُ
فِي حَقِّ وَلَا أَذُوبُ فِي بَاطِلٍ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الْمُوَصِّلِيُّ : قُتْتُ لِلْعَبَّاسِ
أَبْنِ الْحُسَيْنِ : إِنِّي لِأَجُوبُكَ . قَالَ : رَأَيْتُ ذَلِكَ عِنْدِي . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :
الْإِسْطِاثَةُ لِسَانُ الْجَهَالَةِ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : الشُّكْرُ كُنُفُ التَّعْمَةِ .
وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : خَرَجْتُ فِي لَيْلَةٍ حُنْدَسٍ قَدْ آتَتْ عَلَى الْأَرْضِ
أَذْرَاعَهَا فَفَحَّتْ صُورَةَ الْأَبْدَانِ فَأَكُنَّا نَتَعَارَفُ إِلَّا بِالْأَذَانِ . وَقَالَ
أَعْرَابِيٌّ لِأَخْرَ : يَسَارُ النَّفْسِ خَيْرٌ مِنْ يَسَارِ الْمَالِ وَرُبُّ شَبَّانٍ مِنْ
التَّعَمِ غَرْفَانٍ مِنَ الْكَرَمِ . وَقَالَ آخَرُ فِي حَرْبٍ : جَعَلُوا الْحَرْبَ

أَرْشِيَّةً أَلَمُوتَ وَأَسْتَقُوا بِهَا أَرْوَاحَ الْعَدُوِّ . وَقَالَ آخَرُ : فَلَنْ أَمْلَسُ لَبْسَ
فِيهِ مُسْتَقَرٌّ مَجِيزٌ وَلَا شَرٌّ . وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ وَقَدْ شَتَّهَ رَجُلٌ بَيْنَ
يَدَيِ الْمَأْمُونِ : رَأَيْتُهُ يَسْتَمْلِي مَا يَلْقَانِي بِهِ مِنْ عَيْنِكَ . وَقِيلَ لِأَعْرَافِي :
أَيُّ طَعَامٍ أَطِيبُ . قَالَ : الْجُوعُ أَبْصَرُ . وَمَدَحَ أَعْرَافِي رَجُلًا قَالَ :
كَانَ يَفْتَحُ مِنَ الرَّأْيِ أَبْوَابًا مُنْسَدَّةً وَيَغْسِلُ مِنَ الْغَارِ وُجُوهًا مُسْوَدَّةً .
إِذَا عَرَضَتْ لَهُ زِينَةُ الدُّنْيَا هَجَّتْهَا صُورَةُ الْحَمْدِ عِنْدَهُ وَإِنْ لِلْمَصَانِعِ
لِفَارَةِ عَلَى أَمْوَالِهِ كِفَارَةٌ سُيُوفُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ . وَمَدَحَ أَعْرَافِي قَوْمًا
فَقَالَ : أُولَئِكَ غُرٌّ تُضِيءُ فِي ظُلَمِ الْأُمُورِ الْمَشْكِلَةِ قَدْ صَغَتْ
أَذَانُ الْحَجْدِ إِلَيْهِمْ . وَقَالَ أَعْرَافِي يَمْدَحُ رَجُلًا : إِنَّهُ لَيُعْطِي عَطَاءَ
مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مَادَّتُهُ . وَمَدَحَ أَعْرَافِي رَجُلًا فَقَالَ : لِسَانُهُ أَهْلَى
مِنَ الشَّهْدِ وَقَلْبُهُ سَجْنُ الْحَقْدِ . إِنْ أَسَأْتَ إِلَيْهِ أَحْسَنَ وَكَأَنَّهُ الْمَسِي .
وَرِذَا أَجْرَمْتَ غَفَرَ وَكَأَنَّهُ الْحَجْرُ . إِنْ نَزَى بِالْمَعْرُوفِ عِرْضَهُ مِنَ الْأَذَى
فَهُوَ وَإِنْ كَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا فَوَهَبَهَا رَأَى بَعْدَ ذَلِكَ عَلَيْهِ
حُقُوقًا لَا يَسْتَعْذِبُ الْحَنَى وَلَا يَسْتَحْسِنُ غَيْرَ الْوَفَاءِ . وَقَالَ أَعْرَافِي لِرَجُلٍ :
لَا تُدَيْسْ شِعْرَكَ بِعَرَضِ فُلَانٍ فَإِنَّهُ سَيَبُذُّ أَمْوَالَهُ مَهْزُولُ الْمَعْرُوفِ مِنْ
الْمَرْزُوقِينَ نَجَاءً قَصِيرٌ عُمَرُ الْغَنَى طَوِيلُ حَيَاةِ الْفَقْرِ . وَسَالَ أَعْرَافِي
فَقِيلَ لَهُ : عَلَيْكَ بِالصَّيَارِفِ . فَقَالَ : هُنَاكَ قَرَارَةُ الْوُجْهِ . وَذَكَرَ
أَعْرَافِي قَوْمًا فَقَالَ : أُولَئِكَ قَوْمٌ قَدْ سَخَتْ أَعْقَابُهُمْ بِأَنْجَاءٍ وَدَبَعَتْ
جُلُودُهُمْ بِالْوُجْهِ . فَلَبَّسَهُمْ فِي الدُّنْيَا الْمَلَامَةَ وَزَادَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
الْتِمَامَةَ . وَذَمَّ أَعْرَافِي قَوْمًا فَقَالَ : هُمْ أَقَلُّ دُؤْبًا إِلَى أَعْدَائِهِمْ

وَأَكْثَرُ تَجَرُّمًا عَلَى أَصْدِقَائِهِمْ . يَصُومُونَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيُفْطِرُونَ عَلَى
الْفَحْشَاءِ . وَذَمَّ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : ذَاكَ رَجُلٌ تَعْدُو إِلَيْهِ مَوَاقِبُ
الضَّلَالَةِ وَتَرْجِعُ مِنْ عِنْدِهِ بُدُورُ الْأَتَامِ مُعْدِمٌ مِمَّا يُحِبُّ مُمْرٍ مِمَّا يَكْرَهُ .
وَقَالَ آخَرُ : مَا رَأَيْتُ دَمْعَةً تَرَفُّقُ فِي عَيْنٍ وَتَجْرِي عَلَى خَدِّ آخَرٍ مِنْ
عَبْرَةٍ أَمْطَرَتْهَا عَيْنَاهُ وَأَعْسَبَ لَهَا قَلْبِي . وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ وَذَكَرَ زُهَادًا :
فَازَ قَوْمٌ أَدَبَتْهُمْ الْحِكْمَةُ وَأَحْكَمَتْهُمْ الْحَجَارِبُ وَلَمْ تَغْرُزْهُمْ السَّلَامَةُ
الْمُطَوِّبَةُ عَلَى الْهَلَكَةِ . وَرَحَلَ عَنْهُمْ التَّنْصِيفُ الَّذِي قَطَعَ بِهِ النَّاسُ
مَسَافَةَ أَجَائِهِمْ وَأَخْسَنُوا الْقَالَ وَسَفَعُوهُ بِالْفِعَالِ تَرَكَوا التَّعِيمَ لِيَتَنَعَّبُوا .
لَهُمْ عِبَرَاتٌ مُتَدَايِعَةٌ لَا يَرَاهُمْ إِلَّا فِي وَجْهِهِ عِنْدَ اللَّهِ وَجْهِهِ . وَوَصَفَ
أَعْرَابِيٌّ وَآلِيًا فَقَالَ : كَانَ إِذَا وُلِّيَ لَمْ يُطَاقِ بَيْنَ جُفُونِهِ وَارْسَالِ
الْعُيُونِ عَلَى عُيُونِهِ . فَهُوَ شَاهِدٌ مَعَهُمْ غَائِبٌ عَنْهُمْ فَالْخُسْنُ أَوْنٌ وَالْأُسْنَى
خَائِفٌ . وَذَكَرَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : كَانَ أَلْفُهُمْ مِنْهُ ذَا أُذُنَيْنِ وَالْجَوَابُ
مِنْهُ ذَا لِسَانَيْنِ . لَمْ أَرِ أَحَدًا كَانَ أَرْتَقَ لِحْلُلِ السَّرَّاءِ مِنْهُ كَانَ بَعِيدَ
مَسَافَةِ الرَّأْيِ يَرْمِي بِطَرْفِهِ حَيْثُ أَشَارَ الْكَرَمُ . وَمَا ذَاكَ يَتَحَسَّى مَرَارَةً
الْأَخْوَانَ وَيُسَيِّفُهُمُ الْعَذَبَ . وَوَصَفَ أَعْرَابِيٌّ قُوَّةَهُ فَقَالَ : إِذَا أَضْطَقُوا
تَحْتَ الْقَتَامِ سَفَرَتْ بَيْنَهُمُ السِّهَامُ بِوُقُوفِ الْحِمَامِ . وَإِذَا تَصَاخَحُوا
بِالسُّيُوفِ فَعَرَّتِ الْمَنَآيَا بِأَفْوَاهِهَا . فَكَمْ مِنْ يَوْمٍ عَارِمٍ قَدْ أَخْسَنُوا
أَدَبَهُ وَحَرْبَ عَبُوسٍ قَدْ صَاحَكْتَهَا أَسْتَنْتَهُمْ وَخَطَبُ قَدْ ذَلُّوا مَتَاكِهَ .
أَمَّا كَانُوا كَالنَّجَرِ الَّذِي لَا يَنْكَشِ غِمَارُهُ وَلَا يَنْهَنُ تَيَّارُهُ . وَقِيلَ
لِأَعْرَابِيٍّ : لِمَ لَا تَشْرَبُ أَلْتَيْدَ . فَقَالَ : لَا أَشْرَبُ مَا يَشْرَبُ عَقْلِي .

وَقَالَ آخَرُ : اَلْخَطُّ مَرْكَبُ اَلْيَبَانِ . وَقَالَ غَيْرُهُ : اَلْقَلَمُ لِسَانُ اَلْيَبَانِ .
وَسَمِعْتُ بَعْضَ اَلْأَطْبَاءِ يَقُولُ : اَلْمَاءُ مَطِيئَةُ اَلطَّعَامِ . وَقَالَ اَلْحَسَنُ بْنُ
وَهْبٍ لِكَاتِبِهِ : لَا تُكَدِّرْ مَاءَ مَعْرُوفِي بِالْمَنِّ فَإِنَّ اَعْتِدَادَكَ بِالْمَعْرُوفِ
يَغْفِلُ لِسَانَ الشُّكْرِ . وَأَمثالُ هَذَا كَثِيرٌ فِي مَشْهُورِ اَلْكَلَامِ . وَفِيمَا أوردناه
كِفَايَةً . وَأَمَّا اَلْاِسْتِعَارَةُ فِي أَشْعَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى

البحث التاسع

في مراعاة النظير

(من شرح بدعيية العبدان لابن حابر الاندلسي باختصار)

(راجع صفحة ٣١ من علم الادب)

يُسَمَّى أَيْضًا هَذَا اَلنَّوْعُ اَلتَّنَاسُبَ وَاَلْإِتِّلَافَ وَاَلتَّوْفِيقَ وَاَلْمَوْلَاةَ .
وَهُوَ فِي أَصْطِلَاحِ اَلْبَدِيعِيِّينَ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ أَمْرٍ وَمَا يُنَاسِبُهُ لِأَعْلَى
جِهَةِ اَلتَّنَاضَادِ . وَهُوَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ . (اَلأَوَّلُ) يُذَكِّرُ فِيهِ الشَّيْءُ
مَعَ مَا يُنَاسِبُهُ فَقَطْ كَقَوْلِ ابْنِ اَلْحَشَابِ لِلْخَلِيقَةِ اَلْمُسْتَضِي :
وَرَدَّ اَلْوَرْدَى سَلْسَالَ جُودِكَ فَأَزْتَوُوا وَوَقَفْتُ دُونَ اَلْوَرْدِ وَفَقَّةَ حَافِمِ

ظَمَانٍ أَطْلَبَ ضِفَّةً مِنْ رَحْمَةٍ وَاَلْوَرْدُ لَا يَزْدَادُ غَيْرَ تَرَاحِمِ
فَأَنْظُرْ حَسَنَ هَذَيْنِ اَلْيَتِيمَيْنِ كَيْفَ جَرَّيَا كَأَلْمَاءٍ فِي ظِلَاوَةٍ . وَوَقَّعَا
مِنَ اَلْقُلُوبِ كَأَلشَّهِدِ فِي حِلَاوَةٍ . مَعَ أَنَّ نَاطِقَهُمَا مَا خَرَجَ عَنْ وَصْفِ
اَلْمَاءِ كَلَامُهُ . وَلَا تَعْدَى ذَلِكَ اَلْمَغْنَى بِظَاهَرِهِ . فَأَوْدَعَهُمَا فِي عَشْرِ مَوَاضِعَ
مُرَاعَاةِ اَلنَّظِيرِ . فِيهَا مِنْ اَلْحُسْنِ مَا لَيْسَ لَهُ مِنْ نَظِيرٍ . لَكِنَّهُ مَا سَلِمَ

مَلِيحٌ مِنْ عَيْبٍ. وَلَا خَلَا مِنْ مَرْفُوعٍ رَيْبٌ. مَعَ هَذِهِ الْحَاسِنِ الظَّرِيفَةِ
مَا سَلِمَ الْبَيْتَانِ مِنْ عَيْبٍ الْقَافِيَةِ. فَقَدْ غَيَّرَ النَّاطِلُ كَسْرَةَ الدَّخِيلِ عَلَى
الضَّيِّعَةِ. وَجَاءَ فِي ذَلِكَ بِمَا عَابَهُ كُلُّ أَدِيبٍ وَدَمَّه. وَمِنْهُ قَوْلُ السَّلَامِيِّ:
وَالْتَفَعُ نَوْبٌ بِالنُّشُورِ مُطَرَّدٌ وَالْأَرْضُ فَرْشٌ بِالْجِيَادِ مُحْمَلٌ
وَسُطُورٌ خَيْلِكَ إِذَا الْفَاتِمَا سُرَّ تُنْقِطُ بِالْهَمَاءِ وَتُشَكِّلُ
نَاسِبَ بَيْنِ الثُّوبِ وَالطَّرِيزِ وَتَحْمِلُ بَيْنَ السُّطُورِ وَالْأَلْفَاتِ
وَالْتَقِطُ وَالشَّكْلُ

(تَنْبِيهُ) وَلَوْ ذَكَرَ الشَّيْءُ مَعَ مَا لَا يُنَاسِبُهُ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ
عَيْبًا. كَقَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ:

وَقَدْ حَلَفْتُ عَيْنًا مَرُورَةً لَا تُكْذِبُ

بِرَبِّ ذَنْزَمٍ وَأَحْوُضٍ وَالصَّفَا وَالْحَصْبِ

عَابُوا عَلَيْهِ ذِكْرَ الْحَوْضِ مَعَ ذَنْزَمٍ وَالصَّفَا وَالْحَصْبِ. وَإِنَّهُ غَيْرُ
مُنَاسِبٍ ذِكْرُهُ مَعَهَا. وَإِنَّمَا يُنَاسِبُ ذِكْرُ الْحَوْضِ مَعَ الْبَيْزَانِ وَالصِّرَاطِ
وَشَبِهَا بِمَا هُوَ مَنْوُطٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(تَنْبِيهُ ثَانٍ) لَوْ جَاءَ الْكَاتِبُ بِمُتَنَاسِبِينَ فَأَفْرَدَ أَحَدَهُمَا وَشَيَّ
الْآخَرَ أَوْ جَمَعَهُ وَمَا أَشَبَهُ ذَلِكَ كَانَ عَيْبًا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَلَا يَا ابْنَ الْإِذِينَ قُنُوا وَمَاتُوا أَمَا وَاللَّهِ مَا مَاتُوا لَتَبَقَى

وَمَا لَكَ فَأَعْلَمَنْ فِيهَا بَقَاءَهُ إِذَا اسْتَكْمَلْتَ أَجَالًا وَرِزْقًا

فَجَمَعَ (الْأَجَلَ) وَأَفْرَدَ (الرِّزْقَ) مَعَ أَنَّهُمَا مُتَنَاسِبَانِ. (الثَّانِي) أَنْ
يُذَكَّرَ شَيْءٌ أَوْ أَشْيَاءُ كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ مَا يُنَاسِبُهُ فِي جَمَلِ سُنْتَوِيَّةٍ

الْمُقْدَارِ . وَيُسَمَّى هَذَا التَّنَوُّعُ التَّفْوِيفَ لِشَبِّهِ بِالْقُوبِ الْمَقْوَفِ وَهُوَ
الَّذِي فِيهِ خُطُوطٌ مُسْتَوِيَةٌ وَتَشْبِيهُ الْجَمَلِ بِاسْتِواءِ تِلْكَ الْخُطُوطِ .
وَتَكُونُ هَذِهِ الْجُمْلُ طَوَالًا كُلُّهَا أَوْ مُتَوَسِّطَةً . وَكُلُّهَا إِمَّا أَنْ يَكُونَ
آخِرُهَا فِي بَعْضِ جُزْءِ التَّفْعِيلِ وَهِيَ الْمَذْحِجَةُ . وَإِمَّا أَنْ يُوَافِقَ آخِرُهَا
آخِرَ جُزْءِ التَّفْعِيلِ وَهِيَ الْغَيْرُ الْمَذْحِجَةُ وَهُوَ الْأَحْسَنُ . فَمِنْ قَوْلِ ابْنِ
عَيْنٍ :

دَعَتْ فِي آعَالِي الشُّغْدِ يَوْمًا حَمَامَةً عَلَى فَتَنٍ مِنْ كُلِّ دِيَانٍ كَالْمِ
فَهَا جَتْ مَشُوقًا وَاسْتَفَزَتْ مُتِيًّا وَأَبَكَتْ غَرِيًّا وَاسْتَحَقَّتْ أَخَا عِلْمٍ
(الشُّغْدُ مَوْضِعٌ بِسَرْقَنْدَ قَدْ أَخَذَ لِلزَّاهَةِ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي
الْحُسْنِ) . وَكَقَوْلِ الشَّاعِرِ فِي مَذْحِجَةٍ :

وَالدَّهْرُ يُثْقِلُ أَنْ تُثْقِلَ وَيُعْرِضُ أَنْ تُعْرِضَ وَغَيْرَ الَّذِي قَدْ رُمِيتَ بِدَمٍ
إِنْ قُلْتَ يَسْمَعُ وَإِنْ تَأْمُرْ يَطِيعُ وَمَتَى فَعَلْتَ تُسَعِدُ وَإِنْ لَاحَظْتَ تُحْتَرَمُ
وَقَدْ بَلَغَ بِهَا الْمُسْتَسَيِّ إِلَى أَرْبَعِ عَشْرَةِ جُمْلَةٍ لَكِنْ بِغَيْرِ حَرْفٍ
عَظِيمٍ فَثَقُلْتَ وَخَرَجْتَ عَنْ سَبِيلِ الْبَلَاغَةِ . وَهِيَ قَوْلُهُ :

أَقِلْ أَيْلَ أَقْطِعْ أَجْمَلْ عَلَى سَلِّ أَعِدْ زِدْ هَشَّ أَشَّ تَقْضَلْ أَدْنِ سُرَّ صِلْ
(التَّلَاثُ) مِنْ مُرَاعَاةِ الظَّيْرِ أَنْ تُدْكَرَ شَيْنَيْنِ مُتَنَاسِلَيْنِ وَيُخْتَمُ
الْكَلَامُ بِشَيْنَيْنِ : أَحَدُهُمَا يَلَايِمُ وَاحِدًا يَمَّا تَقَدَّمَ . وَالْآخَرُ يَلَايِمُ
الْآخَرَ . وَيُسَمَّى هَذَا التَّنَوُّعُ تَنَاسُبَ الْأَطْرَافِ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ : لَا تُدْرِكُهُ
الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ . وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَيْرُ . فَالْأَطِيفُ يُنَاسِبُ
مَا لَا يُدْرِكُ لِمَا فِيهِ مِنَ الْخَفَاءِ . وَالْخَيْرُ يُنَاسِبُ مَنْ هُوَ مُدْرِكُ اللَّطَائِفِ

الْأَشْيَاءُ . (الرَّابِعُ) أَنْ تَذْكُرَ الشَّيْءَ ثُمَّ تَذْكُرَ مَعَهُ لَفْظًا مُشْتَرَكًا
بَيْنَ أَمْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا يُلَايِمُ الْأَوَّلَ وَالْآخِرُ لَا يُلَايِمُهُ فَيَتَوَهَّمُ السَّامِعُ
أَنَّهُ مُرَادِفُ الْأَوَّلِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ . وَيُسَمَّى هَذَا التَّوَعُّ إِيَّاهُمُ التَّظْيِيرُ .
كَقَوْلِ الْقَائِلِ : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَنْجُدَانِ .
فَيَتَوَهَّمُ مُرَاعَاةَ التَّظْيِيرِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّجْمِ النَّبَاتُ لَا
الْكَوْكَبُ لِعَطْفِ الشَّجَرِ عَلَيْهِ

البحث العاشر

في المجاز المرسل

(من السكاكي والدسوقي والثعالبي باختصار)

(راجع صفحة ٣٣ من علم الادب)

إِنَّ عِلَاقَةَ الْمَجَازِ الْمَصْحِيحَةِ لَهُ إِمَّا أَنْ تَكُونَ مُشَابِهَةً أَلْتَقُولُ
إِلَيْهِ بِأَلْتَقُولُ عَنْهُ فِي شَيْءٍ فَيُسَمَّى الْمَجَازُ اسْتِعَارَةً كَمَا مَرَّ . وَإِمَّا أَنْ
تَكُونَ عِلَاقَةُ الْمَجَازِ غَيْرَ الْمُشَابِهَةِ فَيُسَمَّى مُرْسَلًا كَلَفْظِ أَلْيَدِ إِذَا
اسْتَعْمِلَ فِي التَّعْنَةِ وَالْقُدْرَةِ كَمَا يُقَالُ : جَلَّتْ أَيَادِيهِ عِنْدِي . أَيْ
كَثُرَتْ نِعْمَتُهُ لَدَيَّ . وَأَتَّسَعَتْ أَلْيَدِي فِي الْبَلَدِ . وَأَلْيَدِي فِي اللَّعْنَةِ أَلْعَضُ
الْخُصُوصُ وَالْعِلَاقَةُ كَوْنُ ذَلِكَ أَلْعَضُ مَضِرًّا لِلنِّعْمَةِ فَلَنْهَا تَصِلُ
إِلَى التَّنْعِيمِ عَلَيْهِ مِنْ أَلْيَدٍ فَتَكُونُ الْجَارِحَةُ الْخُصُوصَةُ بِمَثَرَةِ الْعِلَّةِ
الْفَاعِلِيَّةِ لَهَا . وَآيضًا بِأَلْيَدٍ تَطْهَرُ التَّعْنَةُ فَتَكُونُ بِمَثَرَةِ الْعِلَّةِ الصُّورِيَّةِ
لَهَا . وَإِذَا اسْتَعْمِلْتَ الْقُدْرَةَ فَلِأَنَّ أَكْثَرَ مَا يَطْهَرُ سُلْطَانُ الْقُدْرَةِ فِي
أَلْيَدٍ وَبِهَا تَكُونُ الْأَفْعَالُ الدَّالَّةُ عَلَى الْقُدْرَةِ مِنَ الْبَطْشِ وَالضَّرْبِ

وَأَلْقَطْعَ وَالْأَخْذَ وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَأَنْوَاعُ الْعَلَاقَةِ الْمَعْتَبَرَةِ كَثِيرَةٌ مِنْهَا
عَائِدَةٌ إِلَى (التَّصْنِيعِ) وَهِيَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ أَوْ نُقْصَانِ . (فَمِنْ
النُّقْصَانِ) تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ جُزْئِهِ وَإِطْلَاقُ الْخَاصِّ لِلْعَامِّ . وَهَذَا
مِنْ سُنَنِ الْعَرَبِ فَإِنَّهُمْ يَنْتَصِرُونَ عَلَى بَعْضِ الشَّيْءِ وَهُمْ يُرِيدُونَ
كُلَّهُ فَيَقُولُونَ : قَعَدَ عَلَى ظَهْرِ رَاحِلَتِهِ . وَكَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

الْوَاطِئِينَ عَلَى صُدُورِ بَعَالِهِمْ

وَكَقَوْلِ لَبِيدٍ :

أَوْ يَرِيطُ بَعْضَ النَّفُوسِ جَمَاهِمَا

وَفِي الْقُرْآنِ : قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ . وَالْمُرَادُ يَغُضُّوا
أَبْصَارَهُمْ كُلَّهَا . (وَكَذَلِكَ) يَصِفُونَ أَلْبَعْضَ بِصِفَةِ الْكُلِّ كَقَوْلِهِ :
نَاصِيَةٌ كَذِبَةٌ حَاطِيَةٌ . فَلْتَطَأْ صِفَةُ الْكُلِّ وَصَفَ بِهِ النَّاصِيَةَ . وَمِثْلُ
ذَلِكَ إِطْلَاقُهُمْ لَفْظَ (بَعْضٍ) مُرَادًا بِهِ الْكُلُّ كَقَوْلِهِ : لَا بَيْنَ لَكُمْ
بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ أَيْ كُلَّهُ . وَمِنْ سُنَنِ الْعَرَبِ أَنْ تُقِيمَ الْوَاحِدَ
مَقَامَ الْجَمْعِ فَيَقُولُونَ : قَرَرْنَا بِهِ عَيْنًا . أَيْ أَعَيْنًا . وَكَقَوْلِهِ : لَا تُفَرِّقُ
بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ . وَالتَّفْرِيقُ لَا يَكُونُ إِلَّا بَيْنَ أَثْنَيْنِ . وَالتَّقْدِيرُ : لَا تُفَرِّقُ
بَيْنَهُمْ . وَمِنْ هَذَا أَلْبَابُ سُنَّةِ الْعَرَبِ أَنْ يَقُولُوا لِلرَّجُلِ الْعَظِيمِ وَالْمَلِكِ
الْكَبِيرِ : أَنْظِرُوا فِي أَمْرِي . وَلِأَنَّ السَّادَةَ وَالْمُلُوكَ يَقُولُونَ : نَحْنُ
فَعَلْنَا وَإِنَّا أَمَرْنَا . فَعَلَى نَاصِيَةِ هَذَا الْإِبْتِدَاءِ يُحَاطَبُونَ فِي أَجْوَابِ .
(وَمِنْ الزِّيَادَةِ) وَهُوَ عَكْسُ مَا قَبْلَهُ إِطْلَاقُ اسْمِ الْعَامِّ لِلْخَاصِّ وَمِثْلُهُ
بَابُ التَّخْصِصِ بِإِسْرِهِ وَإِطْلَاقُ اسْمِ الْكُلِّ عَلَى الْجُزْءِ نَحْوُ : يَجْعَلُونَ

أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّرَاقِ . يُرِيدُ الْأَنَغَةَ وَهِيَ جُزْءٌ مِنَ الْأَصَابِعِ . وَالتَّعَرُّضُ مَثَلُ الْمَبَالغةِ كَأَنَّهُ جَعَلَ جَمِيعَ الْأَصَابِعِ فِي الْأُذُنِ لِئَلَّا يَسْمَعَ شَيْئًا مِنَ الصَّاعِقَةِ . (وَمِنْ سُنَنِهِمْ) أَيْضًا الْأَيْتَانُ بِالْجَمْعِ وَيُرِيدُونَ بِهِ الْوَاحِدَ كَقَوْلِهِ : مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ . وَإِنَّمَا أَرَادَ التَّمْسِجِدَ الْحَرَامَ . وَتَقُولُ الْعَرَبُ : أَفْعَلًا ذَلِكَ . وَالْحَاطِبُ وَاجِدٌ . وَكَقَوْلِهِ : أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَشِيدٍ . وَهُوَ خِطَابٌ لِحَازِنِ النَّارِ وَحْدَهُ . وَكَمَا قَالَ الْأَعشى :

وَصَلَّ عَلَى خَيْرِ الْعَشِيَّاتِ وَالصُّحَى وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهُ قَاعْبُدَا وَيُقَالُ إِنَّهُ أَرَادَ : وَاللَّهُ قَاعْبُدَن . فَقَلَبَ التَّوَنَ الْخَفِيفَةَ الْفَاءَ . وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ : أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ . (وَمِنْ أَنْوَاعِ) الْعَلَاقةِ الْمُتَعَبِّرَةِ فِي الْحِجَازِ الْمُرْسَلِ مَا يَقُودُ إِلَى (الِاسْتِزَامِ) وَهُوَ مَا أَقْتَضَى مَعْنَاهُ مَعْنَى آخَرَ لِأَجْلِ عِلَاقَتِهِ . (فَمِنْ ذَلِكَ) إِطْلَاقُ اسْمِ الْمَلْزُومِ عَلَى الْمَلْزَمِ وَاللَّازِمِ عَلَى الْمَلْزُومِ نَحْوُ : هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ . أَيْ هَلْ يَفْعَلُ . أَطْلَقَ الْإِسْطِطَاعَةَ عَلَى الْفِعْلِ لِأَنَّهُ لَا زِمَةَ لَهُ . وَكَقَوْلِهِ : يُرْسِلُ السَّمَاءَ وَمِذْرَارًا . أَيْ الْمَطَرَ . لِأَنَّهُ وَهِيَ يَنْزِلُ . (وَمِنْهُ) تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ سَبَبِهِ . كَقَوْلِهِ : مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ . أَيْ الْقَبُولَ وَالْعَمَلَ بِهِ لِأَنَّهُ يَتَسَبَّبُ عَنِ السَّمْعِ . وَكَقَوْلِهِ : رَعَيْنَا الْغَيْثَ . أَيْ النَّبَاتَ الَّذِي سَبَبُهُ الْغَيْثُ . (وَعَكْسُهُ) تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ مُسَبِّبِهِ نَحْوُ : أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ نَبَاتًا . أَيْ غَيْثًا يَكُونُ النَّبَاتُ مُسَبَّبًا عَنْهُ . وَكَقَوْلِهِ : يُنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا . أَيْ مَطَرًا وَهُوَ مِنْ تَوَابِعِهِ . (وَمِنْهُ) تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ مَا كَانَ

عَلَيْهِ نَحْوُ : اَنْوَا اَلَيْتَامَى اَمَوَالَهُمْ . اَيِ اَلَّذِينَ كَانُوا يَتَامَى لِاَنْهَمْ
لَا يُؤْتُونَ اَمَوَالَهُمْ حَتَّى يَبْلُغُوا وَلَا يُتِمَّ بَعْدُ اَلْبُلُوغِ . (وَمِنْهُ) تَسْمِيَةُ
اَلشَّيْءِ بِاَنْهَمْ مَا يُؤُولُ اِلَيْهِ نَحْوُ : اِنِّي اَرَانِي اَعَصِرُ خَمْرًا اَيِ عِنَبًا .
يُعَصْرُ فَيُؤُولُ اِلَى اَلْخَمْرِ . وَكَقَوْلِهِ : وَلَا يَلِدُوا اِلَّا كُفَرًا . اَيِ صَارًا
اِلَى اَلْكُفْرِ . (وَمِنْهُ) تَسْمِيَةُ اَلشَّيْءِ بِاَنْهَمْ مَحَلِّهِ نَحْوُ : فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ
اَيِ اَهْلَ نَادِيهِ . اَيِ مَجْلِسِهِ . وَكَقَوْلِهِ : اَسْأَلُ اَلْقَرِيَّةَ اَلَّتِي كُنَّا فِيهَا .
اَيِ اَهْلِهَا . (وَمِنْهُ عَكْسُهُ) اَيِ اِطْلَاقِ اَنْهَمْ اَلْحَالِ عَلَى اَلْحَلِّ .
نَحْوُ : هَلُّوا فِي رَحْمَةِ اللّٰهِ اَيِ فِي اَلْجَنَّةِ لِأَنَّهَا مَحَلُّ اَلرَّحْمَةِ . (وَمِنْهُ)
تَسْمِيَةُ اَلشَّيْءِ بِاَنْهَمْ اَللَّهِ نَحْوُ : وَاجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ .
اَيِ اجْعَلْ لِّي ثَنَاءً حَسَنًا وَاَللِّسَانَ اَلَّذِي اَلصِّدْقِ وَالثَّنَاءُ . (وَمِنْهُ) تَسْمِيَةُ
اَلشَّيْءِ بِاَنْهَمْ ضِدِّهِ نَحْوُ : فَيَسِّرْهُمْ بَعْدَ اَبْسِ اَيِ اَنْزِرْهُمْ وَهَدِّدْهُمْ .
وَتَقُولُ اَلْعَرَبُ لِلرَّجُلِ تَسْتَجِلهُ : يَأْخُذُ . وَاَلْمَرْأَةُ تَسْتَفْجِها : يَأْقُرُ .
(وَكَذَلِكَ) يَقْبَلُونَ اَلْمَعْنَى نَحْوُ : عَرَضْتُ اَلنَّاقَةَ عَلَى اَلْخَوْضِ . يُرِيدُونَ
اَلْخَوْضَ عَلَى اَلنَّاقَةِ . (وَمِنْهُ) وَضْفُ اَلشَّيْءِ بِمَا يَقَعُ فِيهِ اَوْ يَكُونُ
مِنْهُ نَحْوُ : يَوْمٌ عَاصِفٌ . اَيِ عَاصِفُ الرِّيحِ . وَلَيْلٌ نَائِمٌ وَسَاهِرٌ وَصَائِمٌ
اَيِ نَائِمٌ فِيهِ وَيَسْهَرُ وَيَصَامُ . (وَمِنْهُ) اِضَافَةُ اَلْفِعْلِ اِلَى مَا لَا يَصْلُحُ
لَهُ تَشْبِيهًا . كَقَوْلِهِ : جِدَارٌ يُرِيدُ اَنْ يَنْقُضَ . وَلَا اِرَادَةَ لِلْجِدَارِ . وَلَكِنَّهُ
تَوَسَّعَ اَلْعَرَبُ فِي اَلْحِجَازِ فَعَبَّرُوا عَنْ اَلْجَمَادِ بِفِعْلِ اَلْإِنْسَانِ كَمَا قَالَ
الرَّاجِزُ :

إِمْتَلَأَ اَلْخَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي

أَيَّ كَفَانِي وَلَيْسَ لِيخْوَصِ قَوْلُهُ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ الرَّاعِي الشَّاعِرِ النَّصْرَانِي :
فِي مَهَبِهِ فُلِقَتْ بِهِ هَامَاتُهَا فَلَقَى الْفُؤُوسِ إِذَا أَرَدَنْ تَصُولَا
وَأَعْرَبُ تُسَيِّئُ التَّهْيِؤَ لِلْفِعْلِ وَالْإِحْتِيَاجَ إِلَيْهِ إِرَادَةً. وَكَذَلِكَ يَأْتُونَ
بِلَفْظِ الْمَاضِي وَهُوَ مُسْتَقْبَلٌ وَبِأَمْطِ الْمُسْتَقْبَلِ وَهُوَ مَاضٍ كَقَوْلِهِ : لَمْ
تَقْتُلُونِ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ أَيَّ لَمْ قَتَلْتُمْ . وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

فَادْرَكْتُ مَنْ قَدْ كَانَ قَلْبِي وَلَمْ أَدْعُ لِمَنْ كَانَ بَعْدِي فِي الْقَضَائِدِ مُضَيِّفَا
أَيَّ لِمَنْ يَكُونُ بَعْدِي . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ : وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا . أَيَّ
كَانَ وَيَكُونُ وَهُوَ كَانٍ الْآنَ جَلَّ ثَنَاهُ . وَكَذَلِكَ يَأْتُونَ بِالْمَفْعُولِ
بِلَفْظِ الْفَاعِلِ فَيَقُولُونَ : سِرُّ كَاتِمٍ أَيَّ مَكْتُومٍ . وَمَكَانٌ عَايِرٌ أَيَّ
مَعُورٍ. وَمَا دَافِقٌ أَيَّ مَدْفُوقٍ . وَعَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ أَيَّ مَرْضِيَّةٍ . وَحَرَمٌ
أَمِنٌ أَيَّ مَأْمُونٍ . وَقَالَ جَرِيرٌ :

إِنَّ أَلْبَلِيَّةَ مَنْ تَمَلُّ كَلَامَهُ فَانْقَعُ فُؤَادَكَ مِنْ حَدِيثِ أَلْوَادِقِ
أَيَّ مِنْ حَدِيثِ الْمُؤْمُوقِ . وَيَعْكُسُونَ هَذَا الْعَمَلَ وَيَسْتَعْمِلُونَ
الْفَاعِلَ بِلَفْظِ الْمَفْعُولِ كَقَوْلِهِ : كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا أَيَّ آتِيًا . وَكَقَوْلِهِ :
حِجَابٌ مُسْتَوْرٌ أَيَّ سَاتِرٌ . وَيُقِيمُونَ الْأَسْمَ وَالْمُضَدَّ مَقَامَ الْفَاعِلِ
وَالْمَفْعُولِ . فَيَقُولُ أَعْرَبُ : رَجُلٌ عَدْلٌ أَيَّ عَادِلٌ . وَرَضَى أَيَّ مَرْضِيٍّ .
وَبَنُو فُلَانٍ لَنَا سَلَمٌ أَيَّ مُسَالِمُونَ . وَحَرْبٌ أَيَّ مُحَارِبُونَ . (وَكَذَلِكَ)
يَحْمِلُونَ اللفظَ عَلَى الْمَعْنَى فِي تَذْكِيرِ الْمَوْتِ وَتَأْنِيثِ الْمَذْكَرِ
فَيَذْكُرُونَ حُكْمَ ظَاهِرِ اللفظِ وَيَحْمِلُونَهُ عَلَى مَعْنَاهُ كَمَا يَقُولُونَ : ثَلَاثَةٌ
أَنْفُسٍ . وَالنَّفْسُ مُؤَنَّثَةٌ وَأَمَّا حَمْلُهُ عَلَى مَعْنَى الْإِنْسَانِ أَوْ مَعْنَى الشَّخْصِ

قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا عِنْدَنَا إِلَّا ثَلَاثَةٌ أَنَسُ بِمِثْلِ الْجُومِ تَلَالَاتٍ فِي الْخُنْدِ
وَكَمَا ذَكَرَ بَعْضُهُمُ الْكَفَّ وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ فِي قَوْلِهِ :
أَرَى رَجُلًا مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا يَضُمُّ إِلَى كَشْحِهِ كَفًّا مُحَضَّبًا
فَحَمَلَ الْكَلَامَ عَلَى الْغَضِّ وَهُوَ مُذَكَّرٌ . وَكَمَا قَالَ الْآخَرُ :
يَا أَيُّهَا الرَّائِبُ الْمَرْجِي مَطِيلَتُهُ سَائِلُ بَنِي أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ
أَيُّ مَا هَذِهِ الْجَلْبَةُ . وَفِي الْقُرْآنِ : وَآخِيتَا بِهِ بَلَدَةً مِينًا .
وَلَمْ يَقُلْ : مَيْتَةً لِأَنَّهُ حَمَلَهُ عَلَى الْمَكَانِ . وَقَالَ : السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ .
فَذَكَرَ السَّمَاءَ وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ لِأَنَّهُ حَمَلَ الْكَلَامَ عَلَى السَّقْفِ . وَكُلُّ مَا
عَلَكَ وَأَطْلَكَ فَهُوَ سَمَاءٌ

البحث الحادي عشر

في القول عن الكناية

(عن كتاب صناعة التمرسل والمثل السائر)

(راجع صفحة ٢٨ من علم الادب)

الْفَلْظَةُ إِذَا أُطْلِقَتْ وَكَانَ الْقَرَضُ الْأَصْلِيُّ غَيْرَ مَعْنَاهَا فَلَا يَحْوِ
إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهَا مَقْصُودًا أَيْضًا لِيَكُونَ دَالًّا عَلَى ذَلِكَ الْقَرَضِ
الْأَصْلِيِّ . وَإِمَّا أَنْ لَا يَكُونَ كَذَلِكَ . فَالْأَوَّلُ هُوَ الْكِنَايَةُ وَيُقَالُ
لَهُ : الْإِزْدَافُ . وَالثَّانِي الْبَحْازُ . فَالْكِنَايَةُ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْبَلَاغَةِ أَنْ
يُرِيدَ الْمُتَكَلِّمُ إِثْبَاتَ مَعْنَى وَنَ الْمَعْنَى فَلَا يَذْكُرُهَا بِالْفِطْرِ الْمَوْضُوعِ
لَهُ فِي اللَّغَةِ وَلَكِنْ يَجِيءُ إِلَى مَعْنَى هُوَ تَالِيهِ وَرَدُّهُ فِي الْوُجُودِ

قِيَوْمِي بِهِ إِلَيْهِ وَيَجْعَلُهُ دَلِيلًا عَلَيْهِ
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكِنَايَةَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ السِّرِّ . يُقَالُ : كَنَيْتُ السَّيِّءَ
إِذَا سَرَّتهُ . وَأُجْرِيَ هَذَا الْحُكْمُ فِي الْأَلْفَاطِ الَّتِي يُسْتَرُّ فِيهَا الْحِجَازُ
بِالْحَقِيقَةِ فَتَكُونُ دَلَالَةً عَلَى السَّائِرِ وَعَلَى الْمُسْتَوْرِ مَعًا . وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسْتَوْرَ
فِيهَا هُوَ الْحِجَازُ لِأَنَّ الْحَقِيقَةَ تُفْهَمُ أَوَّلًا وَيَسَارِعُ الْفَهْمُ إِلَيْهَا قَبْلَ
الْحِجَازِ . لِأَنَّ دَلَالََةَ اللَّفْظِ عَلَيْهَا دَلَالَةٌ وَضَعِيَّةٌ . وَأَمَّا الْحِجَازُ فَإِنَّهُ
يُفْهَمُ مِنْهُ بَعْدَ فَهْمِ الْحَقِيقَةِ وَإِنَّمَا يُفْهَمُ بِالنَّظَرِ وَالْفِكْرَةِ وَبِهَذَا يَحْتَاجُ
إِلَى دَلِيلٍ لِأَنَّهُ عُدُولٌ عَنْ ظَاهِرِ اللَّفْظِ . فَالْحَقِيقَةُ أَظْهَرُ وَالْحِجَازُ أَخْفَى
وَهُوَ مُسْتَوْرٌ بِالْحَقِيقَةِ . وَقَدْ تَأَوَّلَتِ الْكِنَايَةَ بِغَيْرِ هَذَا وَهِيَ أَنَّهَا
أَخُوذَةٌ مِنَ الْكِنَايَةِ الَّتِي يُقَالُ فِيهَا : أَبُو فُلَانٍ . فَإِنَّا إِذَا نَادَيْنَا رَجُلًا
أَسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ وَلَهُ وَلَدٌ أَسْمُهُ مُحَمَّدٌ فَقُلْنَا : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ . كَانَ ذَلِكَ
مِثْلَ قَوْلِنَا : يَا عَبْدَ اللَّهِ . فَإِنْ شِئْنَا نَادَيْنَاهُ بِهَذَا وَإِنْ شِئْنَا نَادَيْنَاهُ بِهَذَا
وَكِلَاهُمَا وَاقِعٌ عَلَيْهِ . وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْحُكْمُ فِي الْكِنَايَةِ فَإِنَّا إِذَا
شِئْنَا حَمَلْنَاهَا عَلَى جَانِبِ الْحِجَازِ . وَإِنْ شِئْنَا حَمَلْنَاهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ . إِلَّا
إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْوَصْفِ الْجَامِعِ بَيْنَهُمَا لِئَلَّا يَلْحَقَ بِالْكِنَايَةِ مَا آتَسَ مِنْهَا
وَمِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : هُوَ طَوِيلُ الْيَحَادِ وَكَثِيرُ رِمَادِ الْقِدْرِ . يَعْنُونَ بِهِ
أَنَّهُ طَوِيلُ الْقَامَةِ كَثِيرُ الْقَرَى فَلَمْ يَذْكُرِ الْمُرَادَ بِلَفْظِهِ الْخَاصِّ بِهِ
وَلَكِنْ تَوَصَّلُوا إِلَيْهِ بِذِكْرِ مَعْنَى آخَرٍ هُوَ رِذْفُهُ فِي الْوُجُودِ . الْآخَرَى
أَنَّ الْقَامَةَ إِذَا طَالَتْ طَالَ الْيَحَادُ . وَإِذَا كَثُرَ الْقَرَى كَثُرَ رِمَادُ الْقِدْرِ .
وَقَوْلُ الْخَضْرَمِيِّ :

قَدْ كَانَ يُغِيبُ بَعْضَهُنَّ بِرَأْعِي حَتَّى رَأَيْنَا تَسْخِيحِي وَسَعَالِي
كُنِيَ عَنْ كِبَرِ السِّنِّ بِتَوَابِعِهِ وَهِيَ التَّسْخِيحُ وَالسَّعَالُ. وَالْكِنَايَةُ
تَكُونُ فِي الثَّبُتِ كَمَا ذَكَرْنَا وَقَدْ تَكُونُ فِي الْإِثْبَاتِ. وَهِيَ مَا إِذَا
حَاوَلُوا إِثْبَاتَ مَعْنَى مِنَ الْعَلَانِي لشيءٍ فَيَنْزُكُونَ التَّصْرِيحَ بِإِثْبَاتِهِ لَهُ
وَيُثْبِتُونَهُ لِمَا لَهُ بِهِ تَعَلُّقٌ كَقَوْلِهِمْ : الْجِدُّ بَيْنَ ثَوْنَيْهِ وَالكَرَمُ بَيْنَ
بُرْدَيْهِ . وَقَوْلُهُ :

إِنَّ الْمُرُوءَةَ وَالسَّمَاحَةَ وَالنَّدَى فِي قُبَّةٍ ضَرَبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَشَجِ
وَعَظِيمُهُ قَوْلُ يَزِيدَ بْنِ الْحَكَمِ يَدْعُ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ وَهُوَ فِي
حَسْبِ الْحَاجِّ :

أَصْبَحَ فِي قَيْدِكَ السَّمَاحَةُ م وَالْجِدُّ وَفَضْلُ الصَّلَاحِ وَالْحَسَبُ
وَقَالَ الْجُرْجَانِيُّ : مَكَانُ الْقَيْدِ هَهُنَا هُوَ مَكَانُ الْقُبَّةِ فِي أَلْبَيْتِ
الْمُقَدَّمِ . وَقَدْ يَجْتَمِعُ بِالْبَيْتِ الْوَاحِدِ كِنَايَاتَانِ : الْفَرَضُ مِنْهُمَا وَاحِدٌ
وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَصْلٌ بِنَفْسِهَا كَقَوْلِهِ :

وَمَا يَكُ فِيَّ مِنْ عَيْبٍ فَإِنِّي جَبَانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكِنَايَةَ جُزْءٌ مِنَ الْإِسْتِعَارَةِ وَلَا تَأْتِي إِلَّا عَلَى حُسْنِ
الْإِسْتِعَارَةِ خَاصَّةً لِأَنَّ الْإِسْتِعَارَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِحَيْثُ يُطَوَّى ذِكْرُ
الْمُسْتَعَارِ لَهُ . وَكَذَلِكَ الْكِنَايَةُ فَإِنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا بِحَيْثُ يُطَوَّى
ذِكْرُ الْمَكْنِيِّ عَنْهُ وَنَسَبْتُهَا إِلَى الْإِسْتِعَارَةِ بِنَسَبَةِ خَاصٍ إِلَى عَامٍ .
فَيُقَالُ : كُلُّ كِنَايَةٍ إِسْتِعَارَةٌ . وَلَيْسَ كُلُّ إِسْتِعَارَةٍ كِنَايَةً . وَيُفْرَقُ
بَيْنَهُمَا مِنْ وَجْهِ آخَرَ وَهُوَ : أَنَّ الْإِسْتِعَارَةَ لَفْظُهَا صَرِيحٌ . وَالصَّرِيحُ

هُوَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ لَفْظِهِ وَالْكِنَايَةُ ضِدُّ الصَّرِيحِ لِأَنَّهَا عُدُولٌ عَنْ
ظَاهِرِ اللَّفْظِ . وَهَذِهِ ثَلَاثَةُ فُرُوقٍ أَحَدُهَا : الْخُصُوصُ وَالْعُمُومُ .
وَالْآخَرُ الصَّرِيحُ . وَالْآخَرُ الْحَمْلُ عَلَى جَانِبِ الْحَقِيقَةِ وَالْحِجَازِ . وَقَدْ
تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي بَابِ الْأِسْتِعَارَةِ أَنَّهَا جُزْءٌ مِنَ الْحِجَازِ . وَعَلَى ذَلِكَ
فَتَكُونُ نِسْبَةُ الْكِنَايَةِ إِلَى الْحِجَازِ نِسْبَةَ جُزْءٍ إِلَى جُزْءٍ وَخَاصٍّ إِلَى خَاصٍّ
وَقَدْ يَأْتِي فِي الْكَلَامِ مَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كِنَايَةً وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
اسْتِعَارَةً . وَذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ النَّظَرِ إِلَيْهِ فِي مُفْرَدِهِ وَالنَّظَرِ إِلَى
مَا بَعْدَهُ كَقَوْلِ نَصْرَبِنْ سَيَّارٍ فِي آيَاتِهِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي يُحَرِّضُ بِهَا بَنِي
أُمَيَّةٍ عِندَ خُرُوجِ أَبِي مُسْلِمٍ :

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَوَيْضَ جَرٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامُ

البحث الثاني عشر

في التعريض

(من المثل السائر لابن الأثير بتصرف)

(راجع صفحة ٣٧ من علم الادب)

قَدْ تَكَلَّمَ عُلَمَاءُ أَلْيَانٍ فِي التَّعْرِيزِ فَوَجَدَتْهُمْ قَدْ خَاطَبُوا
التَّعْرِيزَ بِالْكِنَايَةِ وَلَمْ يَفَرِّقُوا بَيْنَهُمَا وَلَا أَحَدًا كَلَّمَ مِنْهُمَا بِحَدِّ
يَفْصِلُهُ عَنْ صَاحِبِهِ . بَلْ أَوْرَدُوا لَهَا أَمْثِلَةً مِنَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَأَدْخَلُوا
أَحَدَهُمَا فِي الْآخَرِ . فَذَكَرُوا لِلْكِنَايَةِ أَمْثِلَةً مِنَ التَّعْرِيزِ وَالتَّعْرِيزِ
أَمْثِلَةً مِنَ الْكِنَايَةِ . فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ الْقَانِئِي وَأَبْنُ سَيَّانٍ وَالْخَفَّاجِي
وَالْعُسْكُرِيُّ . وَسَأَذْكُرُ مَا عِنْدِي فِي الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا وَمُمَيِّزَ أَحَدَهُمَا

عَنِ الْآخِرِ يُعْرِفُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى أَفْرَادِهِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْكَيْفِيَّةَ إِذَا
وَرَدَتْ تَجَاذِبُهَا جَانِبًا حَقِيقَةً وَتَجَازِي . وَجَاذَحُمَا عَلَى الْجَانِبَيْنِ مَعًا فَيَصِحُّ
بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمَعْنَى وَلَا يَخْتَلُ . وَالْدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْكَيْفِيَّةَ فِي
أَصْلِ الْوَضْعِ أَنَّ تَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ وَتُرِيدُ غَيْرَهُ . يُقَالُ : كُنْتُ بِكَذَا
عَنْ كَذَا . فَهِيَ تَدُلُّ عَلَى مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ وَعَلَى مَا أَرَدْتُ مِنْ غَيْرِهِ .
وَأَمَّا التَّعْرِيزُ فَهُوَ الَّلَفْظُ الدَّلَالُ عَلَى الشَّيْءِ مِنْ طَرِيقِ الْمَفْهُومِ
لَا بِالْوَضْعِ الْحَقِيقِيِّ وَلَا الْحَاجِزِيِّ . فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ لَنْ تَتَرَقَّعَ
صِلَتُهُ وَمَعْرُوفُهُ بِغَيْرِ طَلَبٍ : إِنِّي لَحَاجٌّ وَلَيْسَ فِي يَدَيَّ شَيْءٌ وَأَنَا
عَرِيَانٌ وَالْبَرْدُ قَدْ آذَانِي . فَإِنَّ هَذَا وَأَشْبَاهَهُ تَعْرِيزٌ بِالطَّلَبِ وَلَيْسَ
هَذَا الَّلَفْظُ مَوْضُوعًا فِي مُقَابَلَةِ الطَّلَبِ لِحَقِيقَةٍ بَلْ تَجَازَا . إِنَّمَا دُلَّ
عَلَيْهِ مِنْ طَرِيقِ الْمَفْهُومِ بِخِلَافِ دَلَالَةِ الْكَيْفِيَّةِ فَلَهَا لَفْظِيَّةٌ وَضَعِيَّةٌ
مِنْ جِهَةِ الْحَاجِزِ . وَإِنَّمَا سَمِيَ التَّعْرِيزُ تَعْرِيزًا لِأَنَّ الْمَعْنَى فِيهِ يُفْهَمُ
مِنْ عَرَضِهِ أَيْ مِنْ جَانِبِهِ . وَمِنْ لَطِيفِ التَّعْرِيزَاتِ الْأَدَبِيَّةِ مَا
يُروى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ : أَنَّهُ كَانَ يَخْطُبُ يَوْمَ جُمُعَةٍ فَدَخَلَ عُثْمَانُ
ابْنُ عَفَّانَ فَقَالَ عُمَرُ : أَيُّ سَاعَةٍ هَذِهِ . يُرِيدُ التَّعْرِيزُ بِالْإِنْكَارِ عَلَيْهِ
إِتِّخَاذِهِ عَنْ الْحَقِّ إِلَى الصَّلَاةِ . وَهُوَ مِنَ التَّعْرِيزِ الْمَعْرُوبِ عَنْ
الْأَدَبِ . وَمِنْ أَمَثَلَتِهِ الشَّعْرِيَّةُ قَوْلُ الْحَاجِّ يُعْرِضُ بَيْنَ تَقَدُّمِهِ
مِنَ الْأَمْرَاءِ :

أَسْتُ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَمٍّ وَلَا بِجَزَارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمٍّ

البحث الثالث عشر

في ما ورد من الكنايات عن العرب

(عن كتاب الكناية للشمالي وكتاب الصناعتين للعسكري)

إِعْلَمَنَّ أَنَّ الْعَرَبَ يَلْتَحُونَ إِلَى الْكِنَايَةِ إِذَا مَا أَرَادُوا التَّعْرِيزَ
عَمَّا يُسْتَشْجُ ذِكْرُهُ فَيَكُونُونَ عَنْ الْأَعْوَرِ بِالْمَتَمِّعِ . وَعَنْ الْإِذِي فِي عَيْنِهِ
نُكْتَةً بَيَاضَ بِالْمَكْوَكِبِ . وَعَنْ فِي وَجْهِهِ أَثْرُ ضَرْبَةٍ بِالْمَشْطَبِ .
وَلِبَعْضِهِمْ فِي أَرْصَ :

لَخَوَلْنِمَ أَمَارَكَ مِنْهُ تَوْبًا هَيْنًا بِالنَّقِيسِ الْمُسْتَجِدِّ
أَرَادَ بِأَخِي لَحْمَ جَذِيَّةِ الْأَرْصِ . وَالصَّاحِبِ فِي الْجَرْبِ :
أَبَا الْعَلَاءِ هَلَالُ الْفَزْلِ وَالْجِدِّ كَيْفَ الْجُومُ الَّتِي يَطْلَعْنَ فِي الْجِلْدِ
وَيَكْنَى عَنْ الْحَوْلِ بِالتَّخَرِ . قَالَ الدُّوَلِيُّ :
بَيْضُ الطَّائِحِ لَا تَشْكُو إِمَاؤُهُمْ طَلَجَ الْقُدُورِ وَلَا غَسَلَ الْمَدَائِلِ
قَالَ آخَرُ :

يَثَابُ طَلَّاحٌ إِذَا انْتَسَحَتْ أَنْقَى بَيَاضًا مِنْ أَعْرَاطِيسِ
وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيُّ :
فَتَى مُحْتَصِرُ الْمَاكُو لِ وَالْمَشْرُوبِ وَالْعَطْرِ
فَتَى الْكَاسِ وَالْقَصْعَةِ م وَالْمَدِيدِ وَالْقِدْرِ
وَيَكُونُونَ عَنْ الْجَاهِلِ بِأَنَّهُ مِنَ الْمُسْتَرْجِحِينَ . وَيُرْوَى أَنَّ خِلَافًا
وَقَعَ بَيْنَ بَعْضِ الْخُلَفَاءِ وَبَيْنَ تَدِيمٍ لَهُ فِي مَسْأَلَةٍ . فَاتَّفَقَا عَلَى رَأْيِ
بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ فَأَحْضَرَ . فَوَجَدَ الْخَلِيفَةَ مُحْطِطًا فَقَالَ : أَلْقَانِلُونَ

يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَكْثَرُ (يُرِيدُ الْجَهْلَ) . وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ أَحَقَّ
 قِيلَ : نَعْتُهُ لَا يَتَصَرَّفُ . وَكَانَ قَابُوسُ بْنُ وَشْكِيَرٍ إِذَا وَصَفَ
 رَجُلًا بِالْبَلَاءِ قَالَ : هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . وَيَقُولُونَ : فُلَانٌ خَفِيفٌ
 عَلَى الْقَلْبِ يُرِيدُونَ مَقْلُوبًا وَهُوَ الثَّقِيلُ . وَكَانَ النَّاصِرُ أَلْعَلَوِيُّ
 الْأَنْطُرُوشُ إِذَا خَاطَبَهُ أَحَدٌ فَلَمْ يَسْمَعْ قَالَ لَهُ : أَرْفَعُ صَوْتَكَ فَإِنَّ يَأْذُنِي
 بَعْضَ مَا يَرْوِجُكَ . وَنَظَرَ أَلْبَدِيعُ أَلْهَمَذَانِي إِلَى رَجُلٍ طَوِيلٍ بَارِدٍ
 فَقَالَ : قَدْ أَقْبَلَ لَيْلُ الشِّتَاءِ . وَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ وَقَدْ
 أَفْشَمَ . فَقَالَ : مَا تَجِدُ فَدَيْتُكَ . قَالَ : أَجِدُكَ (يَعْنِي أَلْبَرْدَ) .
 وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ كَذُوبًا قِيلَ : أَلْفَاخِتَةُ عِنْدَهُ أَبُو ذَرٍّ (يُضْرَبُ
 أَلْمَثَلُ بِالْفَاخِتَةِ فِي الْكُذْبِ وَبِأَيِّ ذَرٍّ فِي الصِّدْقِ) . وَيَقُولُونَ أَيْضًا :
 فُلَانٌ يَلْطِمُ عَيْنَ مِيزَانٍ . (وَمِيزَانُ رَجُلٍ يُضْرَبُ بِهِ أَلْمَثَلُ فِي الْكُذْبِ) .
 وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ لُغُولًا قِيلَ : هُوَ مِنْ بَنِيَّةِ قَوْمِ مُوسَى . وَإِذَا كَانَ
 مُجْدًا قِيلَ : قَدْ عَبَرَ (يُرِيدُونَ جَسَرَ الْإِيمَانِ) . قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : هَلْ
 عَبَرْتَ . قَالَ : فِي ذَلِكَ أَجْلَابٍ وُلِدْتُ . وَإِنْ كَانَ يُسِيئُ الْأَدَبَ
 فِي الْمَوَاسَكَةِ قِيلَ : تُسَافِرُ يَدُهُ عَلَى الْخَوَانِ وَيَرْعَى أَرْضَ الْجَبْرِانِ .
 فَإِنْ كَانَ خَفِيفَ أَلْيَدٍ فِي الطَّرِّ وَالسَّرِقَةِ . قَالُوا : هُوَ أَحَدُ يَدِ
 أَلْقَمِيسَ (وَيَدُ أَلْقَمِيسَ الْكُفُّ وَالسَّارِقُ يُقَصِّرُهُ لِيَكُونَ أَقْدَرُ عَلَى
 مَا يُرِيدُ مِنْ سَرِقَةٍ) . فَإِذَا كَانَ قَلَّ الثَّوْبُ قِيلَ : فُلَانٌ يَعْرِضُ
 الصَّيْدَ . قَالَ الصَّاحِبُ :

وَحُوشُهُ تَرْتَعُ فِي جَنْهِهِ وَظُفْرُهُ يَرْكَبُ لِلصَّيْدِ

وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ يَتَشَاعَرُ وَلَيْسَ يُحِيدُ قَالُوا: هُوَ نَبِيٌّ فِي الشِّعْرِ.
قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا نَبِيَّ اللَّهِ فِي الشِّعْرِ م وَيَا مَنْ فِيهِ يُكْرَمُ
أَنْتَ مِنْ أَشْعَرَ خَلَقِ اللَّهِ م مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ
وَيُقَالُ : فَلَانُ رَابِعُ الشُّعْرَاءِ . إِذَا كَانَ مُتَخَلِّفًا مُخْطَأَ الطَّبَقَةِ
لِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

الشُّعْرَاءُ قَاعِلَمَنَ أَرْبَعَهُ فَشَاعِرٌ يَجْرِي وَلَا يُجْرَى مَعَهُ
وَشَاعِرٌ يُنْشِدُ وَسْطَ الْجَمْعَةِ وَشَاعِرٌ مِنْ حَقِّهِ أَنْ تَسْمَعَهُ
وَشَاعِرٌ مِنْ حَقِّهِ أَنْ تَصْفَعَهُ

وَسُئِلَ حَائِكٌ عَنْ صِنَاعَتِهِ فَقَالَ : كُنُوزُ الْأَحْيَاءِ وَجَهَادُ أَلْمَوْتِ .
وَيَكْنُونُ عَنْ أَلْقَرَوِيَّ بِاخْضَرِ الْأَسَانِ مِنْ كَثَرَةِ أَكْلِ الْبَقْلِ .
وَسُئِلَ حَجَّامٌ عَنْ صِنَاعَتِهِ . فَقَالَ : أَكْتُبُ بِالْحَدِيدِ وَأَخْتِمُ بِالزُّجَاجِ .
وَفِيهِ قِيلَ :

يَا أَبْنَ الْأَذْيِ عَاشَ غَيْرَ مُضْطَهَدٍ بِرَحْمَةِ اللَّهِ أَيُّمَا رَجُلٍ
أَبُوكَ أَوْهَى الْإِحَادَ عَاتِقَهُ كَمْ مِنْ كَيْبٍ أَدْمَى وَكَمْ بَطَلٍ
لَهُ رِقَابُ أَلْمُلُوكِ خَاضَعَةٌ مِنْ بَيْنِ حَافٍ وَبَيْنِ مُتَعِلٍ
يَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ دَمِهِ لَمْ يُسْ مِنْ تَلَايٍ عَلَى وَجَلٍ (١)
وَيُقَالُ عَمَّنْ يُكْثِرُ الْأَسْفَارَ : فَلَانٌ لَا يَضَعُ أَلْعَصَا عَنْ عَاتِقِهِ .
وَجَاءَ فِي الْقُرْآنِ : أَلْيَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ . فَإِنَّهُ

كَتَبَ عَنِ الْغَيْبَةِ بِأَكْلِ الْإِنْسَانِ لَحْمَ الْإِنْسَانِ . وَهَذَا شَدِيدُ
الْمُنَاسَبَةِ لِأَنَّ الْغَيْبَةَ إِنَّمَا هِيَ ذِكْرُ مَثَالِ النَّاسِ وَتَمْرِيْقُ أَعْرَاضِهِمْ
وَتَمْرِيْقُ أَعْرَاضِ مُمَائِلٍ لِأَكْلِ الْإِنْسَانِ لَحْمَ مَنْ يَفْتَنَاهُ . وَمِنْ
أَمْثَالِ الْعَرَبِ قَوْلُهُمْ : لَيْسَ لِفُلَانٍ جِلْدُ الثَّيْمَرِ وَجِلْدُ الْأَرْقَمِ . كَيْفَايَةٌ
عَنِ الْعِدَاوَةِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : قَلْبَ لَهُ ظَهَرَ الْحَيْنِ كَيْفَايَةٌ عَنِ
تَغْيِيرِ الْأَوْدَةِ . وَمِنْ ظَرِيفِ الْكِنَايَاتِ مَا جَاءَ عَنِ الْجَمَازِ وَقَدْ قِيلَ
لَهُ : أَيُّ الْبَقُولِ أَحَبُّ إِلَيْكَ . فَقَالَ : بَقْلَةُ الذَّنْبِ (يَعْنِي اللَّحْمَ) .
وَرَأَى رَجُلٌ مِنْ أَصْفَاهُ يُطِيلُونَ الْعِثَاءَ وَلَا يَأْتُونَ بِالْأَكْلِ فَقَالَ :

خَلِيلِي دَاوِيْتَا ظَاهِرًا قَدْ ذَايْدَاوِي جَوِي بَاطِنًا
فَعَلِمُوا أَنَّهُ جَانِعٌ . وَآخِرُ عَنِ الْجَلْحِظِ أَنَّهُ أَكَلَ مَعَ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ
الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ فَالْوَدَجَةُ فَامْرَأَتُ الزِّيَّاتِ أَنْ يُجْعَلَ بَيْنَ يَدَيْ الْجَلْحِظِ
مَا رَقَّ مِنَ الْجَلَامِ . فَاسْرَعَ فِي الْأَكْلِ حَتَّى نَظَفَ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ
أَبُو مُحَمَّدٍ : يَا أَبَا عُمَانَ قَدْ تَقَشَّعَتْ سَمَائِكَ . فَقَالَ : أَضْلَحْتُكَ اللَّهُ
لِأَنَّ غَيْبَهَا كَانَ رَقِيقًا . وَكَذَلِكَ يُقْبُونَ وَضَفَ الشَّيْءُ مَقَامَ أَسْمِهِ
كَمَا قَالَ : حَمَلَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَالِحِ وَدُسِرَ . يَعْنِي السَّفِينَةَ فَوَضَعَ
صِفَتَهَا مَوْضِعَ تَسْمِيَّتِهَا . وَقَالَ : إِذَا عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَيْتِي الصَّافِيَاتُ
الْحَيَادُ . يَعْنِي الْخَيْلَ . وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ :

سَأَلَتْ قُتَيْبَةُ عَنْ أَبِيهَا صَحْبَهُ فِي الرُّوحِ هَلْ رَكِبَ الْأَغَرَ الْأَشْقَرَا
يَعْنِي هَلْ قُتِلَ . وَالْأَغَرَ الْأَشْقَرُ وَضَفَ الدَّمِ فَأَقَامَهُ مَقَامَ أَسْمِهِ .
وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَحَدِّثِينَ :

سَنَتْ بَرْقَ الْوَزِيرِ فَأَتَهَلَ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مَهْرَبًا إِلَى الْأَقْدَامِ .
فَكَأَنِّي وَقَدْ تَقَاصَرَ بَاعِي خَاطِطٌ فِي عُبَابِ أَخْضَرَ طَائِمِي
يَعْنِي الْجَعْرَ . وَقَالَ الْحَجَّاجُ لِابْنِ الْقُبَيْعِيِّ : لَا خَيْلَ لَكَ عَلَى الْأَذْهَمِ .
يَعْنِي الْقَتْلَ . فَجَاهَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ : وَمِثْلُ الْأَمِيرِ يَحْمِلُ عَلَى الْأَذْهَمِ
وَالْأَشْهَبِ . يُرِيدُ الْخَيْلَ . وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ الْمَنْصُورَ كَانَ فِي بُسْتَانَ
لَهُ وَهُوَ فِي أَيَّامِ مُحَادَثَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ وَنَظَرَ إِلَى
شَجَرَةٍ خِلَافٍ فَقَالَ لِلرَّبِيعِ : تَاهِزُهُ الشَّجَرَةُ . فَقَالَ : طَاعَةٌ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ بِهِ وَغَجِبَ مِنْ ذَلِكَ . وَمِثْلُ ذَلِكَ : أَنَّ
رَجُلًا مَرَّ فِي صَحْنِ دَارِ الرَّشِيدِ وَمَعَهُ خُزْمَةٌ خَيْرَانِ . فَقَالَ الرَّشِيدُ
لِلْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ : مَا ذَلِكَ . فَقَالَ : عُرُوقُ الرِّمَاحِ يَا أَوَّيَرَ الْمُؤْمِنِينَ .
وَكَرِهَ أَنْ يَقُولَ الْخَيْرَانِ لِمُؤَافَقَتِهِ اسْمَ وَالِدَةِ الرَّشِيدِ . وَمِنْ كَلَامِ
الْعَرَبِ أَيْضًا فِي هَذَا أَلْبَابُ قَوْلِهِمْ : فُلَانٌ نَقِيٌّ الثُّوبِ . يُرِيدُونَ بِهِ
أَنَّهُ لَا عَيْبَ فِيهِ وَلَيْسَ يَمُوضِعُ نَقَاءَ الثُّوبِ أَنْزَاءَ مِنَ الْعَيْبِ وَإِنَّمَا
اسْتَعْمِلَ فِيهِ تَمْثِيلًا . وَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى تَقِيَّةً وَأَوَجُّهُهُمْ عِنْدَ الْمَشَاهِدِ غَوَاتُ
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : فُلَانٌ طَاهِرُ الثُّوبِ . يُرِيدُونَ أَنَّهُ لَيْسَ بِجَائِنٍ
وَلَا غَادِرٍ . وَفُلَانٌ دَنَسُ الثُّوبِ إِذَا كَانَ غَادِرًا فَاجِرًا . وَقَوْلُهُمْ : طَيِّبُ
الْخُبْزَةِ أَيْ عَفِيفٌ . قَالَ النَّابِغَةُ يَمْدَحُ بَنِي غَسَّانَ النَّصَارَى :

رِقَاقُ التَّعَالِ طَيِّبٌ مُحْجَرَاتُهُمْ يَحْمِثُونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ
وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : إِذَا قَالَتِ الْعَرَبُ : الثُّوبُ وَالْإِزَارُ . فَلَيْسَ بِهِ

يُرِيدُونَ أَلْبَدْنَ . وَيَقُولُونَ : فَلَنْ أَوْسِعُ بَنِي أُمَيَّةَ ثَوْبًا . أَيِ أَكْثَرُهُمْ
مَعْرُوفًا . وَفُلَانٌ غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا كَانَ كَثِيرَ الْمَعْرُوفِ . قَالَ كَثِيرٌ :
غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا . غُلِقَتْ لِحَافَتُهُ رِقَابُ الْمَالِ
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : فَلَنْ رَحِبُ الذِّرَاعِ . وَمِنْ الْكِنَايَاتِ
الْأَطْيَفَةِ مَا ذَكَرَهَا الْأَدَبَاءُ فِي الشَّيْبِ وَالْكِبَرِ . يَقُولُونَ : عَرَصَتْ
إِفْلَانٍ قَتَرَةٌ . عَرَضَ لَهُ مَا يَنْحُوذُ ثَوْبَهُ وَيَكْفُرُ سِتَانَتَهُ . أَقْرَ لَيْلُهُ نَوْرٌ
غُصْنُ شَبَابِهِ . فَضَضَ الزَّمَانُ أَبْنُسَهُ . وَجَاءَهُ النَّذِيرُ . وَقَرَعَ فَاجِدٌ
أَلْحَلِمَ . وَأَرَاتَا ضَ بِلِحَامِ النَّهْرِ . أَذْرَكَ زَمَانَ الْحُكْمَةَ . رَفَضَ غِرَّةَ
الصَّبِيِّ وَلَبَّى دَاعِيَ الْحَيَى . وَمِنْ كِنَايَاتِهِمْ عَنْ الْمَوْتِ : اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ .
أَسْعَدَهُ اللَّهُ بِجُودِهِ . نَقَلَهُ إِلَى دَارِ رِضْوَانِهِ . وَحَلَّ غُفْرَانَهُ . انْتَقَلَ إِلَى
جِوَارِ رَبِّهِ وَأَثَلَبَ إِلَى مَحَلِّ عَفْوِهِ . اخْتَارَ لَهُ الْفَلَّةَ مِنْ دَارِ الْبَوَارِ
إِلَى دَارِ الْآبَرَارِ

البحث الرابع عشر

في المبالغة

(عن بدعيبة الحموي وكتاب الصناعتين للعسكري)

(راجع صفحة ٣٩ من علم الادب)

الْمَبَالِغَةُ نَوْعٌ مَعْدُودٌ مِنْ مَحَاسِنِ فَنِّ الْكِتَابَةِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ وَأُسْتَدَلُّوا
عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِ مَنْ قَالَ : أَحْسَنُ الشَّعْرِ أَكْذَبُهُ . وَبِقَوْلِ النَّابِغَةِ
الذُّبْيَانِيِّ : أَسْعَرُ النَّاسِ مَنْ أَسْجَدَ كَذِبُهُ . وَوَنَهَمَ مَنْ لَمْ يَعُدَّ

الْمُبَالَغَةُ مِنْ حَسَنَاتِ الْكَلَامِ وَسَمِيَ فِي ذَلِكَ عَلَى مَذَهَبِ حَسَّانِ
ابْنِ تَابِتٍ فَإِنَّهُ قَالَ :

وَأَمَّا الشِّعْرُ عَقْلُ الْمَرْءِ يَعْزُضُهُ عَلَى الْأَنَامِ فَإِنْ كُنِيَ وَإِنْ حُمِّقَا
وَرَأَى أَشْعَرَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدَتْهُ صَدَقَا

وَعِنْدَ أَهْلِ هَذَا الْمَذَهَبِ أَنَّ الْمُبَالَغَةَ لَمْ تُسْفَرْ عَنْ غَيْرِ التَّهْوِيلِ
عَلَى السَّمْعِ وَلَمْ يَفِرَّ اللَّاطِمُ إِلَى التَّخْيِيمِ عَلَيْهَا إِلَّا بِخُزْهِ وَقُصُورِ هِمَّتِهِ
عَنْ اخْتِرَاعِ الْمَعَانِي الْمُبْتَكَّرَةِ . لِأَنَّهَا فِي صِنَاعَةِ الشِّعْرِ كَالِاسْتِرَاحَةِ وَنَ
الشَّاعِرِ إِذَا أَعْيَاهُ إِيْرَادُ الْمَعَانِي الْغَرِيبَةِ فَيَشْغُلُ السَّمْعَ بِمَا هُوَ مُحَالٌ
وَتَهْوِيلٌ . وَقَالُوا : دُبَّاءُ إِنَّهَا أَحَالَتِ الْمَعَانِي فَأَخْرَجَتْهَا عَنْ حَدِّ الْكَلَامِ
الْمُمْكِنِ إِلَى حَدِّ الْإِمْتِنَاعِ . وَالْمُبَالَغَةُ تُعَابُ فِي بَابِهَا إِذَا خَرَجَتْ عَنْ
حَدِّ الْإِمْكَانِ إِلَى الْإِسْتِحْجَالِ وَآتَى الْكَلَامُ عَلَى حَدِّهَا فِي مَوْضِعِهِ .

وَالَّذِي أَمَرُهُ : إِنَّ الْمُبَالَغَةَ مِنْ مَحَاسِنِ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ وَلَمْ يَسْتَطِرِدْ
فِي حَلَكَاتِ سَبْقِهَا إِلَّا فُحُولُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ . وَلَوْ سَلَّمْنَا إِلَى مَنْ يَهْضُمُ
جَانِبَهَا وَلَمْ يَعُدَّهَا مِنْ حَسَنَاتِ الْكَلَامِ بَطَلَتْ بِلَاغَةُ الْإِسْتِعَارَةِ
وَأَخْطَطَتْ رُبَّةُ التَّشْبِيهِ . وَتَسْنِيَةُ الْمُبَالَغَةِ مَنْسُوبَةٌ إِلَى قِدَامَةِ . وَمِنْهُمْ
مَنْ سَمَّى هَذَا النَّوعَ التَّيْلِيعِ . وَسَمَّاهُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ : الْإِفْرَاطَ فِي الصِّفَةِ .
وَهَذِهِ التَّسْنِيَةُ طَابَقَتْ الْمُسَمَّى . وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ رَغَبُوا فِي تَسْنِيَةِ
قِدَامَةِ لِحَفَّتِهَا . وَهَذَا النَّوعُ أَعْيَنِي الْمُبَالَغَةُ شَرَكُهُ قَوْمٌ مَعَ الْإِفْرَاقِ
وَالْتَهْوِيلِ لَعَدَمِ مَعْرِقَةِ الْفَرْقِ وَهُوَ مِثْلُ الصُّبْحِ ظَاهِرٌ . (وَالْمُبَالَغَةُ)

فِي الْأَصْطِلَاحِ هِيَ إِفْرَاطُ وَصْفِ الشَّيْءِ بِالْمُمْكِنِ الْقَرِيبِ وَقُوَّةُ

عَادَةً . (وَالْإِغْرَاقُ) وَصَفُ الشَّيْءِ بِالْمُسْكِنِ الْبَعِيدِ وَقُوْعُهُ عَادَةً .
(وَالْعُلُوُّ) وَصْفُهُ بِمَا يَسْتَحِيلُ وَقُوْعُهُ . وَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ
الْثَلَاثَةِ فِي مَوْضِعِهِ . وَقَدْ تَقَرَّرَ أَوَّلًا أَنَّ الْمُبَالَغَةَ نَوْعٌ مَبْنِيٌّ عَلَى
وَصْفِ الشَّيْءِ بِالْمُسْكِنِ الْقَرِيبِ وَقُوْعُهُ . وَحَدٌّ قُدَامَةٌ الْمُبَالَغَةُ فَقَالَ :
هِيَ أَنْ يَذْكُرَ الْمُسْكِلِمَ حَالًا مِنَ الْآخَوَالِ لَوْ وُقِفَ عِنْدَهَا لَأَجْزَأَتْ
فَلَا يَقِفُ حَتَّى يَرِيدَ فِي مَعْنَى مَا ذَكَرَهُ مَا يَكُونُ أَبْلَغُ مِنْ مَعْنَى قَصْدِهِ
كَقَوْلِ عُثْمَانَ بْنِ كَرِيمٍ التَّغْلِبِيَّ :

وَنُكْرُمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِيْنَا وَنُثْبِعُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ مَا لَا
وَقَالَ : إِنَّ هَذَا أَلْبَيْتٌ مِنْ أَحْسَنِ الْمُبَالَغَةِ عِنْدَ الْخُذَّاقِ . فَإِنَّ
الشَّاعِرَ بَلَغَ فِيهِ إِلَى أَقْصَى مَا يُمْكِنُ مِنْ وَصْفِ الشَّيْءِ وَتَوَصَّلَ إِلَى
أَكْثَرِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَتَعَطَّاهُ . وَخَلَصَ بَعْضُهُمْ بِعِبَارَةِ الْحَدِّ الَّذِي حَدَّهُ
قُدَامَةً وَقَالَ : الْمَعْنَى إِذَا زَادَ عَلَى التَّامِّ سُيِّئَ مُبَالَغَةً . وَقَالَ ابْنُ
رَشِيْقٍ فِي الْعُنْدَةِ : الْمُبَالَغَةُ بُلُوْغُ الشَّاعِرِ أَقْصَى مَا يُمْكِنُ فِي وَصْفِ
الشَّيْءِ . قُلْتُ عَلَى هَذَا التَّقْرِيرِ : فَجُلُّ الْقَصْدِ فِي الْمُبَالَغَةِ الْإِمْكَانُ
وَالْخُرُوجُ مِنَ السُّتَحْيِلِ . وَالْمَذْهَبُ الصَّحِيْحُ فِيهَا أَنَّهَا ضَرْبٌ مِنْ
الْحَاسَنِ إِذَا بُعِدَتْ عَنِ الْإِغْرَاقِ وَالْعُلُوِّ . وَإِنْ كَانَ الْإِغْرَاقُ
وَالْعُلُوُّ ضَرِيْنَيْنِ مِنَ الْحَاسَنِ وَنَوْعَيْنِ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ . فَقَدْ شَرَطَ
عُلَمَاؤُهُ أَنَّ النَّوْعَ لَا يَتَجَاوَزُ حَدَّهُ بِحَيْثُ يَرُودُ الْإِلْتِبَاسُ وَيُفْجِعُنِي مِنْ
أَمْثِلَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي الْمَدِيْحِ قَوْلُ الْقَائِلِ :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى ظَنَّمُ الْجَزَعَ ثَاوِيَهُ

فَالْمَعَى تَمَّ لِلنَّاطِلِ مَا أَنْتَهَى فِي يَتِيهِ إِلَى قَوْلِهِ : دُجِيَ اللَّيْلُ
وَلَكِنْ زَادَ بِمَا هُوَ أَبْلَغُ وَأَبْدَعُ وَأَغْرَبُ فِي قَوْلِهِ : حَتَّى تَظْمَ الْجَنَعُ
كَاقْبِهِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَتَّبِعِي فِي وَصْفِ جَوَادٍ :
وَأَصْرَعُ أَيَّ الْوَحْشِ قَعْنَتُهُ بِهِ وَأَتَزَلُّ عَنْهُ مِثْلُهُ حِينَ أَرْكَبُ
قَالَ ذُكِيُّ الدِّينِ بْنِ أَبِي الْأَصْبَعِ فِي كِتَابِهِ الْمَسْمُومِ بِتَحْرِيرِ
التَّحْيِيرِ : أَبْلَغُ شَعْرٍ سِعْمَتُهُ فِي بَابِ الْمُبَالَغَةِ قَوْلُ شَاعِرِ الْحِمَاسَةِ إِذْ
بَالَغَ فِي مَدْحِ مَمْدُوحِهِ بِقَوْلِهِ :

دَهَنَتْ يَدَيَّ بِالْعَجْرِ عَنْ شُكْرِ بَرِّهِ وَمَا فَوْقَ شُكْرِي لِلشُّكْرِ مَزِيدُ
وَلَوْ كَانَ مِمَّا يُسْتَطَاعُ اسْتِطَاعَتُهُ وَلَكِنْ مَا لَا يُسْتَطَاعُ شَدِيدُ
فَأَنْظُرْ مَا أَحْلَى أَحَدًا سَهَ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : وَمَا فَوْقَ شُكْرِي
لِلشُّكْرِ مَزِيدُ . وَأَنْظُرْ كَيْفَ أَطَهَرَ عُدْرَهُ فِي عَجْرِهِ مَعَ قُدْرَتِهِ
بِأَنِّ قَالَ فِي أَلْبَيْتِ الثَّانِي : وَلَوْ كَانَ مِمَّا يُسْتَطَاعُ اسْتِطَاعَتُهُ . ثُمَّ أَخْرَجَ
بَقِيَّةَ أَلْبَيْتِ الْمُبَالَغَةِ مُخْرَجَ الْمَثَلِ السَّائِرِ حَيْثُ قَالَ : وَلَكِنْ مَا لَا
يُسْتَطَاعُ شَدِيدُ . وَمِنْ هُنَا قَوْلُ أَبِي نُؤَاسٍ :

لَا تُسَدِّينَ إِلَيَّ عَارِفَةً حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفًا
وَمِنْ حَسَنِ الْمُبَالَغَةِ قَوْلُ الْحَكَمِ الْحَضَرَمِيِّ :
وَأَقْبَحُ مِنْ قَوْلِهِ وَأَبْجَلُ بِأَقْرَى

مِنْ الْكَلْبِ أَمْسَى وَهُوَ غَرَّكَ أَنْ عَجَفَ
فَالْكَلْبُ يَجْعَلُ عَلَى مَا ظَفَرَهُ بِهِ وَهُوَ أَشَدُّ مُجَلًّا إِذَا كَانَ جَانِعًا أَعَجَفَ
أَمَّا (الْأَغْرَاقُ) فَهُوَ فَوْقَ الْمُبَالَغَةِ وَلَكِنَّهُ دُونَ الْأَعْلَافِ . وَهُوَ

فِي الْأَضْطِلَاحِ إِفْرَاطُ وَصْفِ الشَّيْءِ بِالْمُسْكِنِ الْبَعِيدِ وَقُوْعُهُ عَادَةً
وَقُلَّ مَنْ قَرَّقَ بَيْنَهُمَا . وَغَالِبُ النَّاسِ عِنْدَهُمْ الْمُبَالَغَةُ وَالْإِغْرَاقُ
وَالْعُلُوُّ نَوْعٌ وَاحِدٌ مَعَ أَنَّهَا تَخْتَلِفُ كَمَا سَبَقَ . وَكُلُّ مَنْ الْإِغْرَاقِ وَالْعُلُوِّ
لَا يُعَدُّ مِنَ الْحَاسِنِ إِلَّا إِذَا اقْتَرَنَ بِمَا يُقَرِّبُهُ إِلَى الْقَبُولِ (كَقَدَ)
لِلْإِحْتِمَالِ . (وَلَوْلَا) لِلْإِمْتِنَاعِ . (وَكَادَ) لِلْمُقَارَبَةِ . وَمَا أَشْبَهَ
ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ التَّقْرِيبِ . وَمَا وَقَعَ شَيْءٌ مِنَ الْإِغْرَاقِ وَالْعُلُوِّ فِي
الْكَلَامِ الصَّحِيحِ إِلَّا مَقْرُونًا بِمَا يُخْرِجُهُ مِنْ بَابِ الْإِسْتِحَالَةِ وَيُدْخِلُهُ
فِي بَابِ الْإِمْكَانِ مِثْلُ : (كَادَ وَلَوْ) وَمَا يُجْزِي تَجْرَأُهُمَا كَقَوْلِهِ :
يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يُذْهِبُ الْأَبْصَارَ . إِذَا لَا يَسْتَحِيلُ فِي الْعَقْلِ أَنَّ
الْبَرْقَ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ وَلَكِنَّهُ يَتَّبِعُ عَادَةً . وَمَا زَادَ عَلَى وَجْهِ الْإِغْرَاقِ
هُنَا جَمَالًا إِلَّا بِتَقْرِيبِهِ (بِكَادَ) . وَاقْتِرَانُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ بِهَا هُوَ الَّذِي
صَرَفَهُ إِلَى الْحَقِيقَةِ فَقُلْتُ مِنَ الْإِمْتِنَاعِ إِلَى الْإِمْكَانِ . وَمِنْ شَوَاهِدِ
تَقْرِيبِ نَوْعِ الْإِغْرَاقِ (يَلَوْ) قَوْلُ زُهَيْرٍ :

لَوْ كَانَ يَقَعُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ
قَوْمٌ يَا وَلِيَّهُمْ أَوْ يَجِدُهُمْ قَعَدُوا
فَاقْتِرَانُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ أَيْضًا بِإِمْتِنَاعِ قُعُودِ الْقَوْمِ فَوْقَ الشَّمْسِ
الْمُسْتَقَادِ (يَلَوْ) هُوَ الَّذِي أَظْهَرَ بِهَجَةِ شَمْسِهَا فِي بَابِ الْإِغْرَاقِ
وَرُبَّمَا جَاءَ دُونَ ذَلِكَ كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ فِي رَجُلٍ طَوِيلٍ الْأَنْفِ :
لَكَ أَنْفٌ يَا ابْنَ حَرْبٍ أَنْفَتْ مِنْهُ الْأَنْفُفُ
أَنْتَ فِي الْبَيْتِ وَعِزِّيْنِكَ مِ فِي الشُّوقِ يَطُوفُ

وَكَقَوْلِ الطَّرْمَاحِ يَفْجُو نَيْمًا :

نَيْمٌ يَطْرُقُ اللَّوْمَ أَهْدَى مِنْ الْقَطَا
وَلَوْ أَنَّ بُرْغوثًا عَلَى ظَهْرِ نَمْلَةٍ
وَلَوْ أَنَّ أُمَّ الْعُكْبُوتِ بَلَّتْ لَهَا
وَلَوْ جَعَتْ يَوْمًا نَيْمٌ حُمُوعَهَا
أَمَّا (الْعُلُو) فَهُوَ فَوْقَ الْمُبَالَغَةِ وَالْإِغْرَاقِ فَإِنَّهُ الْإِفْرَاطُ فِي
وَصْفِ الشَّيْءِ بِالْمُسْتَحِيلِ وَقُوْعُهُ عَقْلًا وَعَادَةً وَهُوَ يَنْقَسِمُ إِلَى قَسَمَيْنِ :
مَقْبُولٍ وَغَيْرِ مَقْبُولٍ . فَأَلْمَقْبُولُ لَا بُدَّ أَنْ يُقَرَّبَهُ النَّاسُ إِلَى الْقَبُولِ
بِإِدَاةِ التَّقْرِيبِ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْعُلُو فِي مَدِيحِ نَبِيِّ فَلَا غُلُو .
وَيَجِبُ عَلَى صَاحِبِ الْعُلُو أَنْ يَسْكُنَهُ فِي قَوَالِبِ التَّخَيُّلاتِ الْمُحْسِنَةِ
الَّتِي يَدْعُو الْعَقْلُ إِلَى قَبُولِهَا فِي أَوَّلِ وَهْلَةٍ كَقَوْلِهِ : يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِي
وَلَوْ لَمْ تَمْسُ نَارٌ . فَإِنَّ إِضَاءَةَ الزَّيْتِ مِنْ غَيْرِ مَسِّ نَارٍ مُسْتَحِيلَةٌ عَقْلًا
وَلَكِنْ لَفْظَةٌ (يَكَادُ) قَرَّبَتْهُ فَصَارَ مَقْبُولًا . وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي الْعَلَاءِ
الْمَعْرِيِّ :

تَكَادُ قِسِيَّةُ بَنٍ غَيْرِ رَامٍ تُمْكِنُ فِي قُلُوبِهِمُ الْبَيَالَا
تَكَادُ سَيْوُفُهُ مِنْ غَيْرِ سَلٍ تَجِدُ إِلَى رِقَابِهِمْ أَنْسِلَالَا
وَيُخَيِّنِي هُنَا قَوْلُ أَبِي حَمْدِيسَ الصَّقَلِيِّ فِي وَصْفِ فَرَسٍ :
وَيَكَادُ يُخْرِجُ سُرْعَةً مِنْ ظِلِّهِ لَوْ كَانَ يَرْغَبُ فِي فِرَاقِ رَفِيقِ
وَمِنْهُ قَوْلُ الْفَرْدَوْقِ فِي عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ :
يَكَادُ يُسْكِنُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ دُسْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ

وَبِنَ الْغُلُوِّ الْمَقْبُولِ بِغَيْرِ آدَاءِ التَّقْرِيبِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُنْتَبِي
فِي مَمْدُوحِهِ :

عَقَدْتُ سَنَابِكُهَا عَلَيْهِ عَثِيرًا لَوْ تَبَتَّعِي عَقْفًا عَلَيْهِ لَأَمَكَّنَا *
وَأَنْعَقَادُ الْعُبَارِ فِي أَهْوَاءٍ حَتَّى يُمَكِّنَ الْمَشْيُ عَلَيْهِ مُسْتَحِيلٌ عَقْلًا
وَعَادَةٌ إِلَّا أَنَّهُ تَحِيلٌ مَقْبُولٌ
وَكَقَوْلِ الْبُخَّارِيِّ فِي الْحَلِيقَةِ الْمَتَوَكِّلِ :

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًّا تَكَلَّفَ غَيْرَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْبُزْبُزُ
وَأَمَّا الَّذِي هُوَ غَيْرُ مَقْبُولٍ فَكَقَوْلِ أَبِي نُؤَاسٍ فِي الْخَمْرَةِ :
فَلَمَّا شَرِبْنَاَهَا وَدَبَّ دَيْبُهَا إِلَى مَوْضِعِ الْأَسْرَارِ قُلْتُ لَهَا قَفِي
حَقَاقَةً أَنْ يَسْطُو عَلَيَّ شَعَائُهَا فَيَطْلُعَ نَدْمَانِي عَلَى سِرِّي الْخَفِيِّ
قَالُوا : إِنَّ سَطْوَةَ شَعَاعِ الْخَمْرِ بِحَيْثُ يَصِيرُ جِسْمُهُ شَفَاقًا يُظْهِرُ
لِنَدِيمِهِ مَا فِي بَاطِنِهِ لَا يُمَكِّنُ عَقْلًا وَلَا عَادَةً . قُلْتُ : وَمَرَاتِبُ الْغُلُوِّ
تَتَفَاوَتْ إِلَى أَنْ تُؤُولَ بِقَائِلِهَا إِلَى الْكُفْرِ كَقَوْلِ الْمُنْتَبِي :
تَتَقَاصِرُ الْأَفْهَامُ عَنْ إِدْرَاكِهِ مِثْلَ الَّذِي الْأَفْلَاكُ فِيهِ وَالْأَدْنَى
وَكَقَوْلِهِ :

كَأَنِّي دَحَوْتُ الْأَرْضَ مِنْ خَيْرِ بَنِيهَا كَأَنِّي بَنَى الْأَسْكَندَرَ السَّدَمَ مِنْ عَزَمِي
فَهَذَا الْغُلُوُّ يُؤَدِّي إِلَى سَخَاقَةِ الْعَقْلِ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ قُبْحِ الْأَتْرَكِيبِ وَلَوْلَا
الْإِطَالَةُ لَأُورِدَتْ كَثِيرًا مِنْ نَظْمِ الَّذِينَ يَتَسَاهَلُونَ فِي هَذَا النَّوعِ كَأَنِّي

* معنى هذا البيت ان سنالك الخيل وهي اطراف الخوافر عقدت على هذا
المدح عتيراً وهو العبار حتى لو اراد ان يمشي عليه عَقْفًا لأمكن . والعق هو
المتي السريع

نُؤاسَ وَأَبْنِ هَافِيٍّ الْأَنْدَلِسِيِّ وَالْمُسْتَبِيِّ وَأَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ وَغَيْرِهِمْ
مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ كَأَبْنِ أَلْتَّيْبَةِ وَمَنْ جَرَى مَجْرَاهُ . وَفِي مَا قَدَّمْنَا كِفَايَةً

البحث الخامس عشر

في التكرير

(عن التل السائر لان الاثير باختصار)

(راجع صفحة ٤٢ من علم الادب)

إِعْلَمَنَّ أَنَّ هَذَا النَّوعَ مِنْ مَقَاتِلِ عِلْمِ الْبَيَانِ وَهُوَ دَقِيقُ الْمُلَاحَظَةِ
وَحَدُّهُ هُوَ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى مُرَدِّدًا . وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمَيْنِ :
أَحَدُهُمَا يُوجَدُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى وَالْآخَرُ يُوجَدُ فِي الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ
فَأَمَّا الَّذِي يُوجَدُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى فَكَقَوْلِكَ لِمَنْ تَسْتَدْعِيهِ : أَسْرِعْ
أَسْرِعْ . وَأَمَّا الَّذِي يُوجَدُ فِي الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ فَكَقَوْلِكَ : أَطْعِمْنِي وَأَنْعِصْنِي .
فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالطَّاعَةِ نَهَى عَنْ الْمَعْصِيَةِ . وَكُلٌّ مِنْ هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ
يَقْسَمُ إِلَى مُفِيدٍ وَغَيْرِ مُفِيدٍ . وَمَقْصُودِي مِنَ الْمُفِيدِ أَنْ يَأْتِيَ بِالْمَعْنَى
وَالْغَيْرِ الْمُفِيدِ أَنْ يَأْتِيَ لِغَيْرِ مَعْنَى . وَأَعْلَمَنَّ أَنَّ الْمُفِيدَ مِنَ التَّكْرِيرِ
يَأْتِي فِي الْكَلَامِ تَأْكِيدًا وَتَشْدِيدًا مِنْ أَمْرِهِ . وَإِنَّمَا يُفْعَلُ ذَلِكَ
لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْعِبَايَةِ بِالشَّيْءِ الَّذِي كُرِّرَتْ فِيهِ كَلَامُكَ إِمَّا مَبَالِغَةً فِي
مَدْحِهِ أَوْ فِي ذَمِّهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ . وَلَا يَأْتِي إِلَّا فِي أَحَدِ طَرَفَيْ الشَّيْءِ الْمَقْصُودِ
بِالذِّكْرِ . وَالْوَسْطُ عَارٌ مِنْهُ لِأَنَّ أَحَدَ الطَّرَفَيْنِ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالمَبَالِغَةِ
إِمَّا بِمَدْحٍ أَوْ ذَمٍّ أَوْ غَيْرِهِمَا وَالْوَسْطُ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْمَبَالِغَةِ . وَغَيْرُ
الْمُفِيدِ لَا يَأْتِي فِي الْكَلَامِ إِلَّا عِيًّا وَخَطْلًا مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَيْهِ

(فَأَمَّا الْأَوَّلُ وَهُوَ الَّذِي يُوجَدُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى) فَإِنَّهُ يَنْقَسِمُ
إِلَى ضَرَبَيْنِ : مُفِيدٍ وَغَيْرِ مُفِيدٍ . (فَأَلَوَّلُ الْمُفِيدُ) وَهُوَ فِرْعَانُ :
(الْأَوَّلُ) إِذَا كَانَ التَّكْرِيرُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ
وَالْمَقْصُودُ بِهِ غَرَضَانِ مُخْتَلِفَانِ . فَمِمَّا يَجْرِي هَذَا التَّجَرُّى قَوْلُهُ : بِسْمِ
اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ
الدِّينِ . فَكَرَّرَ (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) مَرَّتَيْنِ . وَالثَّانِيَةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْأَوَّلَ
يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الدُّنْيَا كَالْخَلْقِ وَالْعَلَايَةِ . وَالثَّانِي يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ
إِشَارَةً لِرَحْمَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . (أَلْفَرْعُ الثَّانِي مِنَ الصَّرْبِ الْأَوَّلِ)
إِذَا كَانَ التَّكْرِيرُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ وَالْمُرَادُ بِهِ
غَرَضٌ وَاحِدٌ كَقَوْلِهِ : قَتِلَ كَيْفَ قَدَرْتُ قَتَلَ كَيْفَ قَدَرْتُ .
وَالتَّكْرِيرُ دَلَالَةٌ التَّعْجُّبِ مِنْ نَفْسِيهِ وَاصَاتِيهِ أَلْفَرْضَ . وَهَذَا كَمَا
يُقَالُ : قَتَلَهُ اللَّهُ مَا أَشْجَعَهُ أَوْ مَا أَشْجَعَهُ . وَعَلَيْهِ وَرَدَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

أَلَا يَا أَسْلَمِي ثُمَّ أَسْلَمِي ثُمَّ أَسْلَمِي

وَهَذَا مُبَالَغَةٌ فِي الدُّعَاءِ لَهَا بِالسَّلَامَةِ . وَكُلُّ هَذَا يُجَاءُ بِهِ لِتَقْرِيرِ
الْمَعْنَى الْمُرَادِ وَرَأْيَاتِهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ هَذَا النَّوعِ قِسْمًا يَكُونُ الْمَعْنَى
مُضَافًا إِلَى نَفْسِهِ مَعَ اخْتِلَافِ اللَّفْظِ . وَذَلِكَ يَأْتِي فِي الْأَلْفَاظِ
الْمُرَادِقَةِ . وَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَأُسْتَعْمِلَ فِي فَصِيحِ الْكَلَامِ فَمِنْهُ
قَوْلُهُ : وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ
أَلِيمٍ . وَالرِّجْزُ هُوَ الْعَذَابُ . وَعَلَيْهِ وَرَدَ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :
نَهْوْضُ يَثْقُلُ الْعَبُّ مُضْطَلِّمٌ بِهِ وَإِنْ عَظُمَتْ فِيهِ الْخُطُوبُ وَجَلَّتْ

وَالثَّقْلُ هُوَ الْعَبْدُ وَالْعَبْدُ هُوَ الثَّقْلُ . وَرَبَّمَا أَشْكَلَ هَذَا الْمَوْضُوعُ
عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ يَتَعَاطَى هَذِهِ الصَّنَاعَةَ وَظَنُوهُ بِمَا لَا فَايِدَةَ فِيهِ . وَلَيْسَ
كَذَلِكَ بَلِ الْفَائِدَةُ فِيهِ هِيَ التَّأَكُّيدُ لِلْمَعْنَى الْمَقْصُودِ وَالْمُبَالَغَةُ فِيهِ .
أَمَّا الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : (عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ) أَيَّ عَذَابٍ مُضَاعَفٌ مِنْ عَذَابٍ .
وَأَمَّا بَيْتُ أَبِي تَمَّامٍ فَإِنَّهُ تَضَمَّنَ الْمُبَالَغَةَ فِي وَصْفِ الْمَمْدُوحِ بِحَمْدِهِ
لِلْإِنْفَالِ . وَهَذَا الْمَوْضِعُ لَمْ يُبَيِّنْهُ عَلَيْهِ أَحَدٌ يَوَايَ . وَكَرَّرْنَا أَنْخَلُ فِي
التَّكْرِيرِ مِنْ هَذَا النَّوعِ مَا لَيْسَ مِنْهُ . فَمِنْهُ قَوْلُهُ : ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ
عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا
لَعَفُورٌ رَحِيمٌ . فَلَمَّا تَكَرَّرَ إِنَّ رَبَّكَ مَرَّتَيْنِ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ آدَلُّ عَلَى
الْغَفْرَةِ وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ يُظَنُّ أَنَّهَا مِنْ بَابِ التَّكْرِيرِ وَلَيْسَتْ
كَذَلِكَ . وَقَدْ أُنْعِمْتُ نَظْرِي فِيهَا فَرَأَيْتُهَا خَارِجَةً عَنْ حُكْمِ التَّكْرِيرِ
وَذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا طَالَ الْفَصْلُ مِنَ الْكَلَامِ وَكَانَ أَوَّلُهُ يَفْتَقِرُ إِلَى
تَمَامٍ وَلَا يُفْهَمُ إِلَّا بِهِ فَأَلَاوَلِي فِي بَابِ الْفَصَاحَةِ أَنْ يُعَادَ اللَّفْظُ الْأَوَّلُ
مَرَّةً ثَانِيَةً لِيَكُونَ مُقَارِنًا لِتَمَامِ الْفَصْلِ كَمَا لَا يُجِيئُ الْكَلَامُ مَثُورًا
لَا سِيَّامًا فِي (إِنْ وَأَخَوَاتِهَا) . فَلِذَا وَرَدَتْ (إِنَّ) وَكَانَ بَيْنَ أَسْمَاهَا
وَحَبْرُهَا فَسْحَةٌ طَوِيلَةٌ مِنَ الْكَلَامِ فَلِعَادَةِ (إِنَّ) أَحْسَنُ فِي حُكْمِ
الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ كَمَا تَقَدَّمَ . وَعَلَيْهِ وَرَدَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ مِنْ شُعَرَاءِ
الْحِمَاسَةِ :

أَبْجَنَّا وَفَيْدًا وَأَشْيَاقًا وَغُرَبَةً وَنَائِي حَبِيبٍ إِنْ ذَا لَعَظِيمُ
وَأَنَّ أَمْرًا أَدَامَتْ مَوَاقِيقُ عَهْدِهِ عَلَى وَثَلٍ مَا قَاسَيْتُهُ لَكَرِيمُ

فَإِنَّهُ لَمَّا طَالَ الْكَلَامُ بَيْنَ أُنْثَى (إِنَّ) وَخَبَرَهَا أُعِيدَتْ (إِنَّ) مَرَّةً ثَانِيَةً لِأَنَّ تَقْدِيرَ الْكَلَامِ : وَإِنَّ أَمْرًا دَامَتْ مَوَاقِيقُ عَهْدِهِ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْكَرِيمِ . لَكِنْ بَيْنَ الْأُنْثَى وَالْخَبَرِ مَدَى طَوِيلٍ فَإِذَا لَمْ تُعَدَّ (إِنَّ) مَرَّةً ثَانِيَةً لَمْ يَأْتِ عَلَى الْكَلَامِ بَهْجَةٌ . وَهَذَا لَا يَتَّبَعُهُ لَا سَتَعْمَالُهُ إِلَّا الْأَفْصَحَاءُ أَمَّا طَبْعًا وَإِمَّا عِلْمًا . وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْأَمْرُ إِذَا كَانَ خَبَرٌ (إِنَّ) عَامِلًا فِي مَعْمُولٍ يَطُولُ ذِكْرُهُ فَإِنَّ إِعَادَةَ الْخَبَرِ ثَانِيَةً هُوَ الْأَحْسَنُ . وَعَلَى هَذَا جَاءَ قَوْلُهُ فِي سُورَةِ يُوسُفَ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَخِيهِ : يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ . فَلَمَّا قَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ ثُمَّ طَالَ الْقَضْلُ كَانَ الْأَحْسَنُ أَنْ يُعِيدَ لَفْظُ (الرُّؤْيَا) فَيَقُولَ : رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ . وَمِنْ بَابِ (التَّكْرِيرِ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى) السَّدَالُ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ قَوْلُهُ : وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ . يَا قَوْمِ إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ . فَإِنَّهُ إِنَّمَا كَرَّرَ بَدَاءَ قَوْمِهِ هَاهُنَا لِزِيَادَةِ التَّنْبِيهِ لَهُمْ وَالْإِقْطَاطِ عَنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَلِإِنَّهُمْ قُوَّةُ وَعَشِيرَتُهُ فَيَحْزَنُ لَهُمْ وَيَتَلَطَّفُ بِهِمْ فَيَسْتَدْعِي بِذَلِكَ أَنْ يَتَرَلَّوْا عَلَى نَصِيحَتِهِ . وَهَذَا فِي التَّكْرِيرِ الَّذِي هُوَ أَبْلَغُ مِنَ الْإِيحَازِ وَأَشَدُّ مَوْقِعًا مِنَ الْإِخْتِصَارِ . وَمِمَّا وَرَدَ مِنْ هَذَا النَّوعِ شِعْرًا قَوْلُ بَعْضِ شُعْرَاءِ الْحِمَاسَةِ :

إِلَى سَعْدِ الْعَرِّ الْمُوَثَّلِ وَاللَّدَى هُنَاكَ هُنَاكَ الْقَضْلُ وَالْخُلُقُ الْجَزَلُ
فَقَوْلُهُ : هُنَاكَ هُنَاكَ مِنَ التَّكْرِيرِ الَّذِي هُوَ أَبْلَغُ مِنَ الْإِيحَازِ

لِأَنَّهُ فِي مَعْرُضِ مَدْحٍ فَهُوَ يُقَرَّرُ فِي نَفْسِ السَّامِعِ مَا عِنْدَ الْمَدْحِ
 مِنْ هَذِهِ الْأَوَاصِفِ الْمَذْكُورَةِ مُشِيرًا إِلَيْهَا كَأَنَّهُ قَالَ : أَدُلُّكُمْ عَلَى
 نَعْدِنِ كَذَا وَكَذَا وَمَقَرِّهِ وَمَقَادِرِهِ . وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ الْمَسَاوِيرِ
 ابْنِ هَيْدٍ :

جَزَى اللَّهُ عَنِّي غَالِيًا مِنْ عَشِيرَةٍ إِذَا حَدَّثَانِ الدَّهْرُ نَابَتْ نَوَائِبُهُ
 فَكُمُ دَفْعَا مِنْ كُرْبَةٍ قَدْ تَلَاخَتْ عَلَيَّ وَمَوْجٌ قَدْ عَلَتْنِي غَوَارِبُهُ
 فَصَدُرَ الْبَيْتُ الثَّانِي وَنَحْزُهُ يَدُلُّانِ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ لِأَنَّ تَلَاخَمَ
 الْكُوبِ عَلَيْهِ كَتَعَالَى الْمَوْجِ مِنْ فَوْقِهِ . وَرَأَيْنَا نَوْعَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ مَقَامُ
 مَدْحٍ وَإِظَاءٍ أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَصِفُ إِحْسَانَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عِنْدَ
 حَدَثَانِ دَهْرِهِ فِي التَّكْرِيرِ . وَفِي قُبَالَتِهِ لَوْ كَانَ الْقَائِلُ هَاجِيًا فَإِنَّ
 الْهَجَاءَ فِي هَذَا كَالْمَدْحِ . (الضَّرْبُ الثَّانِي مِنَ التَّكْرِيرِ فِي الَّلَفْظِ
 وَالْمَعْنَى) وَهُوَ غَيْرُ الْمُنْفِيدِ . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مَرْوَانَ الْأَضْعَرِيِّ :

سَقَى اللَّهُ نَجْدًا وَالسَّلَامُ عَلَى نَجْدٍ وَيَا حَبْدًا نَجَّدَ عَلَى الْقُرْبِ وَأَبْعَدَ
 نَظَرْتُ إِلَى نَجْدٍ وَبَعْدَادُ دُونَهَا لَعَلِّي أَرَى نَجْدًا وَهَيْهَاتُ مِنْ نَجْدٍ
 وَهَذَا مِنْ أَلَمِي الضَّعِيفِ فَإِنَّهُ كَرَّرَ ذِكْرَ نَجْدٍ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ
 ثَلَاثًا . وَفِي الْبَيْتِ الثَّانِي ثَلَاثًا . وَمُرَادُهُ فِي الْأَوَّلِ ائْتَاءُ عَلَى نَجْدٍ .
 وَفِي الثَّانِي أَنَّهُ تَلَقَّتْ إِلَيْهِ نَظْرًا مِنْ بَعْدَادٍ وَذَلِكَ مَرْمَى بَعِيدٌ .
 أَلَمَعْنِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى مِثْلِ هَذَا التَّكْرِيرِ . أَمَّا الْبَيْتُ الْأَوَّلُ فَيُجْمَلُ
 عَلَى الْجَائِزِ مِنَ التَّكْرِيرِ لِأَنَّهُ مَقَامُ تَشْوِيقٍ وَتَحْقِيقٍ وَمَوْجِدَةٍ بِفِرَاقِ نَجْدٍ .
 وَلَمَّا كَانَ كَذَلِكَ أُجِيزَ فِيهِ التَّكْرِيرُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ كَانَ يُمَكِّنُهُ أَنْ

يُسَوِّغُ هَذَا الَّلغَى الْوَارِدَ فِي الْبَيِّنَاتِ مِمَّا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْتِيَ بِهِدَا
التَّكْرِيرِ الْمُسْتَعَارِ سِتَّ مَرَّاتٍ . وَعَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ وَرَدَ قَوْلُ أَبِي
نُؤَاسٍ :

أَفَنَابِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَالِثَا وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرَّحُّلِ خَامِسُ
وَمَرَادُهُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَقَامُوا بِهَا أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ . وَيَعْجَبُ لَهُ بِمِثْلِ
هَذَا الْبَيِّنَةِ السَّخِيفِ الدَّلَالِ عَلَى الْغَيِّ الْفَاحِشِ فِي ضَمَنِ آيَاتِ
عَجَبِيَّةِ الْحُسْنِ تَتَقَدَّمُ هَذَا الْبَيِّنَةُ . وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا قَوْلُ أَبِي
الطَّيِّبِ التُّنِيسِيِّ :

وَلَمْ أَرِ مِثْلَ جِيرَانِي وَوِثْلِي لِثَلَاثِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ تَقَامُ
فَهَذَا هُوَ التَّكْرِيرُ الْفَاحِشُ الَّذِي يُؤَثِّرُ فِي الْكَلَامِ نَقْصًا .
أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَقُولُ : لَمْ أَرِ مِثْلَ جِيرَانِي فِي سُوءِ الْجَوَارِ وَلَا مِثْلِي فِي
مُصَابَرَتِهِمْ وَمُقَامِي عِنْدَهُمْ . إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَرَّرَ هَذَا الَّلغَى فِي الْبَيِّنَةِ
مَرَّتَيْنِ . وَعَلَى نَحْوِ مِنْ ذَلِكَ جَاءَ قَوْلُهُ :

وَقَلَقْتُ بِأَلْهَمِ الَّذِي قَلَقَ لَحْشِي قَلَاقِلَ عَيْسٍ كُلُّهُنَّ قَلَاقِلُ
(وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي مِنْ التَّكْرِيرِ وَهُوَ الَّذِي يُوجَدُ فِي الَّلغَى
دُونَ الَّلَفْظِ) فَذَلِكَ ضَرْبَانِ : مُفِيدٌ وَغَيْرُ مُفِيدٍ . (الضَّرْبُ الْأَوَّلُ)
الْمُفِيدُ وَهُوَ قُرْعَانِ : (الْأَوَّلُ) إِذَا كَانَ التَّكْرِيرُ فِي الَّلغَى يَدُلُّ
عَلَى مَعْنَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ وَهُوَ مَوْضِعٌ مِنَ التَّكْرِيرِ مُشْكِلٌ لِأَنَّهُ يَسْبِقُ
إِلَى الْوُجْهِ أَنَّهُ تَكْرِيرٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدَةٍ وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ ... بَلْ
يُقْصَدُ بِهِ التَّلَاكِيدُ وَالتَّقْرِيرُ وَالتَّنْصُلُ عَمَّا يُرْمَى بِهِ الَّتَكْلِيمُ . وَمِمَّا

يَنْظِمُ بِهَذَا السِّلَكِ أَنْ يَكُونَ التَّكْرِيرُ فِي الِغَنَى يَدُلُّ عَلَى مَعْنَيْنِ أَحَدُهُمَا خَاصٌّ وَالْآخَرُ عَامٌّ كَقَوْلِهِ : وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ . فَإِنَّ أَلَامَرَ بِالْمَعْرُوفِ دَاخِلٌ تَحْتَ الدَّعَاءِ إِلَى الْخَيْرِ . لِأَنَّ أَلَامَرَ بِالْمَعْرُوفِ خَاصٌّ وَالْخَيْرُ عَامٌّ فَكُلُّ أَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ خَيْرٌ وَلَيْسَ كُلُّ خَيْرٍ أَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْخَيْرَ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ مِنْ جُمْلَتِهَا أَلَامَرُ بِالْمَعْرُوفِ . فَقَائِدَةُ التَّكْرِيرِ هَهُنَا أَنَّهُ ذَكَرَ لَخَاصَّ بَعْدَ الْعَامِّ لِلتَّشْبِيهِ عَلَى فَضْلِهِ . وَكَقَوْلِهِ : حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى . وَكَقَوْلِهِ : فِيهَا فَاعِيَةٌ وَنَحْلٌ وَرَمَانٌ . وَكَقَوْلِهِ : إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا . فَإِنَّ الْجِبَالَ دَاخِلَةٌ فِي جُمْلَةِ الْأَرْضِ . لَكِنَّ لَفْظَ الْأَرْضِ عَامٌّ وَالْجِبَالُ خَاصٌّ . وَقَائِدَتُهُ هَهُنَا تَعْظِيمُ شَأْنِ الْأَمَانَةِ الْمُسَارِ إِلَيْهَا وَتَفْخِيمُ أَمْرِهَا . . . وَهُوَ مَوْضِعٌ يَرِدُ فِي الْكَلَامِ الْبَلِيغِ وَيُظَنُّ أَنَّ لَا فَائِدَةَ فِيهِ . (الْفَرْعُ الثَّانِي) إِذَا كَانَ التَّكْرِيرُ فِي الِغَنَى يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ لَا غَيْرَ . وَقَدْ سَبَقَ مِثَالُ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ هَذَا الْبَابِ كَقَوْلِكَ : أَطِيعِي وَلَا تَعْصِي . فَإِنَّ أَلَامَرَ بِالطَّاعَةِ نَهَى عَنِ الْعَصِيَّةِ وَالْقَائِدَةُ فِي ذَلِكَ تَثْبِيتُ الطَّاعَةِ فِي نَفْسِ الْمُخَاطَبِ . وَالْكَلَامُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كَالْكَلَامِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قَبْلَهُ مِنْ تَكْرِيرِ اللَّفْظِ وَالِغَنَى إِذَا كَانَ الْغَرَضُ بِهِ شَيْئًا وَاحِدًا . وَلَا تَجِدُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ يَأْتِي فِي الْكَلَامِ إِلَّا لِتَأْكِيدِ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ بِهِ كَقَوْلِهِ : إِنَّ مِنْ أَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَضَيَّقُوا وَتَغَفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . فَإِنَّهُ إِنَّمَا كَرَّرَ

الْعَفْوُ وَالصَّحْحُ وَالْمَغْفِرَةُ وَالْجَمِيعُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ لِلزِّيَادَةِ فِي تَحْسِينِ عَفْوِ
أَوَّلِ الدِّعْنِ وَلَدِهِ . وَهَذَا وَأَمثَالُهُ يُنْظَرُ فِي الْعَرَضِ الْمَقْصُودِ بِهِ . وَهُوَ
مَوْضِعٌ يَكُونُ التَّكْرِيرُ فِيهِ أَوْجَزُ مِنْ لَحْظَةِ الْإِيحَارِ وَأَوَّلَى بِالِاسْتِعْمَالِ .
وَبِمَا وَرَدَ مِنْهُ شِعْرًا قَوْلُ بَعْضِهِمْ فِي آيَاتِ الْحِمَاسَةِ :

تَرَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيًا بَعِيدًا عَنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ اتَّخَلَّ
فَأَزَالَ بِي إِكْرَامَهُمْ وَأَفْتَقَادَهُمْ وَإِحْسَانَهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي
فَلَنْ الْأَكْرَامِ وَالْإِفْتِقَادِ دَاخِلَانِ تَحْتَ الْإِحْسَانِ وَإِنَّمَا كَرَّرَ ذَلِكَ
لِلتَّنْوِيهِ بِذِكْرِ الصَّنِيعِ وَالْإِيحَابِ لِحَقِّهِ . (الضَّرْبُ الثَّانِي مِنْ الْقِسْمِ
الثَّانِي) فِي تَكْرِيرِ أَلْعَنَى دُونَ أَلْفَظٍ وَهُوَ غَيْرُ الْمُنِيدِ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ
أَبِي تَمَّامٍ :

قَسَمَ الزَّمَانُ دُبُوعَهَا بَيْنَ الصَّبَا وَقَبُولِهَا وَدُبُورِهَا أَثْلَاثًا
فَلَنْ رِيحَ الصَّبَا هِيَ رِيحُ الْقَبُولِ يَشْتَبِلُ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ لِأَعْيُرٍ .
وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ التَّكْرِيرِ قَدْ خَبَطَ فِيهِ عُلَمَاءُ أَلْيَانِ خَبَطًا كَثِيرًا
وَالْأَكْثَرُ مِنْهُمْ أَجَازَهُ . فَقَالُوا : إِذَا كَانَتْ أَلْفَاظُ مُتَعَايِرَةً وَأَلْعَنَى
أَلْعَبْرُ عَنْهُ وَاحِدًا فَلَيْسَ اسْتِعْمَالُ ذَلِكَ بِمُعِيبٍ . وَهَذَا الْقَوْلُ فِيهِ نَظَرٌ
وَالَّذِي عُنِيَ فِيهِ أَنَّ النَّأْثَرَ يُعَابُ عَلَى اسْتِعْمَالِهِ مُطْلَقًا إِذَا أَتَى لِعَيْرِ
قَائِدَةٍ . وَأَمَّا أَلْنَاظِمُ فَإِنَّهُ يُعَابُ عَلَيْهِ فِي مَوْضِعٍ دُونَ مَوْضِعٍ . أَمَّا
الْمَوْضِعُ الَّذِي يُعَابُ اسْتِعْمَالُهُ فِيهِ فَهُوَ صُدُورُ الْآيَاتِ الشَّعْرِيَّةِ وَمَا
وَالْأَهَا . وَأَمَّا الْمَوْضِعُ الَّذِي لَا يُعَابُ اسْتِعْمَالُهُ فِيهِ فَهُوَ الْأَعْجَازُ مِنَ
الْآيَاتِ لِمَكَانِ أَلْفَايَةِ . وَإِنَّمَا جَازَ ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ عَيْبًا لِأَنَّهُ قَائِفَةٌ

وَالشَّاعِرُ مُضْطَرٌّ إِلَيْهَا وَالْمُضْطَرُّ يَحِلُّ لَهُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ كَقَوْلِ أَمْرِئِ
الْقَيْسِ فِي قَصِيدَتِهِ الْأَلَمِيَّةِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا :
أَلَا أَنْعَمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَلَالِي
فَقَالَ :

وَهَلْ يَتَّعَمَنُ إِلَّا سَعِيدٌ مُخَلَّدٌ قَلِيلُ الْهُمُومِ لَا يَبِيتُ بِأَوْبَالٍ
وَإِذَا كَانَ قَلِيلُ الْهُمُومِ فَإِنَّهُ لَا يَبِيتُ بِأَوْبَالٍ . وَهَذَا تَكْرِيرٌ
لِلْمَعْنَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِمُعِيبٍ لِأَنَّهُ قَافِيَةٌ . وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ الْخَطِيبَةِ :
قَالَتْ إِمَامَةٌ لَا تَجْنَعُ قَقْلْتُ لَهَا إِنَّ الْعَرَاءَ وَإِنَّ الصَّبْرَ قَدْ غَلَبَا
هَلَا أَلْتَمَسْتَ لَنَا إِنْ كُنْتَ صَادِقَةً مَا لَا نَعِيشُ بِهِ فِي النَّاسِ أَوْ نَشَبَا
فَأَلْبَيْتُ الْأَوَّلَ مُعِيبٌ لِأَنَّهُ كَرَّرَ الْعَرَاءَ وَالصَّبْرَ إِذْ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ
وَلَمْ يَرِدَا قَافِيَةً لِأَنَّ الْقَافِيَةَ هِيَ الْبَاءُ . وَمَا أَلْبَيْتُ الثَّانِي فَلَيْسَ
بِمُعِيبٍ لِأَنَّ التَّكْرِيرَ جَاءَ فِي الشَّبِّ وَهُوَ قَافِيَةٌ

الحث السادس عشر

في حقيقة التشبيه وتحديد

(عن خزانة الادب الحموي وعن كتاب الصاعتين)

(راجع صفحة ٤٨ من علم الادب)

إِعْلَمْ أَنَّ أَصْحَابَ الْعَالِي وَالْبَيَانِ أَطْلَقُوا أَعْتَةَ الْكَلَامِ فِي
مِيَادِينَ حُدُودِ التَّشْبِيهِ وَتَقَادِيرِهَا وَهُوَ عِنْدَهُمْ الدَّلَالَةُ عَلَى مُشَارَكَةِ أَمْرٍ
لِأَمْرٍ فِي مَعْنَى . وَقَالَ الرُّمَائِيُّ : التَّشْبِيهُ هُوَ التَّعْقُدُ عَلَى أَحَدِ الشَّيْئَيْنِ

يَسُدُّ أَحَدُهُمَا مَسَدًا الْآخَرَ فِي حَالِهِ. وَهَذَا هُوَ التَّشْبِيهُ الْعَامُّ الَّذِي يَدْخُلُ
تَحْتَهُ التَّشْبِيهُ الْأَبْلَغُ وَغَيْرُهُ. وَالتَّشْبِيهُ الْأَبْلَغُ هُوَ إِخْرَاجُ الْأَغْمَضِ إِلَى
الْأَوْضَحِ مَعَ حُسْنِ التَّأْلِيفِ. وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: التَّشْبِيهُ هُوَ الدَّلَالَةُ عَلَى
اشْتِرَاكِ شَيْئَيْنِ فِي وَصْفٍ هُوَ مِنْ أَوْصَافِ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ. وَقَالَ ابْنُ
رَشِيْقٍ فِي الْعُمْدَةِ: التَّشْبِيهُ صِفَةُ الشَّيْءِ بِمَا قَارَبَهُ وَشَاكَلَهُ مِنْ جِهَةٍ
وَاحِدَةٍ لِأَنَّهُ لَوْ نَاسَبَ مُنَاسَبَةً كَثِيَّةً كَانَ إِيَّاهُ. أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِمْ:
خَذْ كَالْوَرْدِ إِنَّمَا مُرَادُهُمْ إِخْرَاجُ أَوْزَاقِهِ وَطَرَائِفِهَا لَا مَا سِوَى ذَلِكَ
مِنْ صُفْرَةٍ وَسَطِيهِ وَخُصْرَةٍ كَمَا فِيهِ (أه). وَقِيلَ: التَّشْبِيهُ إِحَاقُ أَذْنَى
الشَّيْئَيْنِ بِأَعْلَاهُمَا فِي صِفَةٍ اشْتَرَكََا فِي أَصْلِهَا وَاخْتَلَفَا فِي كَيْفِيَّتَيْهَا قُوَّةً
وَضَعْفًا. قُلْتُ: وَهَذَا حَدٌّ مُفِيدٌ. وَأَوْرَدَ ابْنُ أَبِي الْأَصْبَحِ فِي كِتَابِهِ
تَحْرِيرَ التَّخْيِيرِ حَدًّا زَادَ فِي حُسْنِهِ عَلَى الْحَدِّ وَهُوَ: أَنَّ التَّشْبِيهُ تَشْبِيهُانِ
(الْأَوَّلُ) مِنْهُمَا تَشْبِيهُ شَيْئَيْنِ مُتَّفَقَيْنِ بَأَنْفُسِهِمَا كَتَشْبِيهِ الْجَوْهَرِ بِالْجَوْهَرِ
مِثْلُ قَوْلِكَ: مَاءٌ أَلْتَلِيلِ كَمَا أَلْفَرَاتِ. وَتَشْبِيهِ الْعَرَضِ بِالْعَرَضِ
كَقَوْلِكَ: حُمْرَةُ الْحَدِّ كَحُمْرَةِ الْوَرْدِ. وَتَشْبِيهِ الْجَنَمِ بِالْجَنَمِ كَقَوْلِكَ:
الزَّبْرَجَدُ مِثْلُ الزَّمُرِدِ. (وَالثَّانِي) تَشْبِيهُ شَيْئَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ بِالدَّاتِ يَجْمَعُهُمَا
مَعْنًى وَاحِدٌ مُشْتَرَكٌ. كَقَوْلِكَ: حَاثِمٌ كَالْعِمَامِ وَغَيْرُهُ كَالضَّرْعَامِ.
وَتَشْبِيهُ الْإِتْفَاقِ وَهُوَ الْأَوَّلُ تَشْبِيهِ حَقِيقَتِي. وَتَشْبِيهِ الْإِخْتِلَافِ وَهُوَ
الثَّانِي تَشْبِيهِ مُجَازِيٍّ وَالْمُرَادُ الْمُبَالَغَةُ. وَالتَّشْبِيهُ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِبْلَاقَةِ
لِإِخْرَاجِهِ الْخَفِيِّ إِلَى الْخَلِيِّ وَإِدَانَاهُ أَلْبَعِيدَ مِنَ الْقَرِيبِ. وَهُوَ حَكْمٌ
إِضَافِيٌّ لَا يُوْجَدُ إِلَّا بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ بِخِلَافِ الْإِسْتِعَارَةِ وَلَيْسَ الْحَكْمُ

أَنَّهُ إِذَا صَحَّتِ الْإِسْتِعَارَةُ حَسُنَ التَّصْرِيحُ بِالتَّشْبِيهِ فَإِنَّ الْمِثْلَابَةَ إِذَا
قُرِنَتْ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ بِالْإِسْتِعَارَةِ قُبِحَ التَّصْرِيحُ بِالتَّشْبِيهِ . فَلَا تَقُولُ :
كَأَنَّكَ أَوْقَعْتَنِي فِي ظُلْمَةٍ إِذَا أَوْقَعَكَ فِي شُبْهَةٍ . وَفَهَمْتُ الْمَسْأَلَةَ
فَكَأَنَّهُ أَنْشَرَ صَدْرِي أَوْ كَانَ نُورًا حَصَلَ فِي قَلْبِي . لِتَمَكَّنَ هَذِهِ
الْأَشْيَاءَ حَتَّى كَانَهَا صَادَتْ حَقِيقَةً

البحث السابع عشر

في اركان التشبيه ومحاسنه وفوائده

(من المثل السائر لابن الاثير بتصرف)

(راجع صفحة ٤٩ من علم الادب)

وَأَعْلَمَ أَنَّ لِلتَّشْبِيهِ أَدْرَاتٍ كَخَوِّ وَكَأَنَّ وَشَبْهِهِ وَمِثْلٍ . فَرُبَّمَا طَهَّرَتْ
وَرُبَّمَا أَضْمَرَتْ . (وَمِنْ الْمُظْهِرِ الْأَدَاةُ) مَا قِيلَ فِي وَصْفِ حَالِ
الْمُتَأَفِّقِينَ : مِثْلُهُمْ كَمِثْلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ
ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ . وَكَقَوْلِ الْبُخَّارِيِّ :
خُلِقُوا مِنْهُمْ تَرَدَّدَ فِيهِمْ وَلَيْتَهُ عِصَابَةٌ عَنْ عِصَابَةٍ
كَالْحَسَامِ الْجَوَازِ يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ م وَيُفْنِي فِي كُلِّ حِينٍ قَرَابَةً
وَمِنْ اللَّطِيفِ الْبَدِيعِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَخْنَفِ :
لَا جَزَى اللَّهِ دَمْعَ عَيْنِي خَيْرًا وَجَزَى اللَّهِ كُلَّ خَيْرٍ لِسَانِي
نَمْ دَمْعِي فَلَيْسَ يَكْتُمُ شَيْئًا وَوَجَدْتُ اللِّسَانَ ذَا كُتْمَانٍ
كُنْتُ مِثْلَ الْكِتَابِ أَخْفَاهُ طَيُّ فَاسْتَدَلُّوا عَلَيْهِ بِالْعُنْوَانِ

(وَمِنَ الْمَضْمَرِ الْأَدَاةُ) قَوْلُهُ : وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا . فَشَبَّهَ اللَّيْلَ
بِالْيَاسِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ يَسْتُرُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ لِّمَنْ أَرَادَ هَرَبًا
مِنْ عَدُوٍّ أَوْ ثَبَاتًا لِعَدُوٍّ أَوْ إِخْفَاءً لِمَا لَا يُحِبُّ الْإِطْلَاعَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِ
وَقَدْ وَرَدَ فِي الْأَمْثَالِ وَمِثْلُهُ : اللَّيْلُ جُنَّةٌ لِلْهَارِبِ . وَبِمَا وَرَدَ شِعْرًا
قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُسْتَسْتَبِي :

وَإِذَا أَهْتَرَّ لِلنَّدَى كَانَ نَجْرًا وَإِذَا أَهْتَرَّ لِلْوَعَى كَانَ نَضْلًا
وَإِذَا الْأَرْضُ أَظْلَمَتْ كَانَ شَمْسًا وَإِذَا الْأَرْضُ انْفَحَلَتْ كَانَ وَبْلًا
وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ التَّشْبِيهِ الْمَضْمَرِ الْأَدَاةُ . وَإِنَّ هَذَا التَّشْبِيهَ أَبْلَغُ
مِنَ التَّشْبِيهِ الْمَظْهَرِ الْأَدَاةُ وَأَوْجَزُ . أَمَّا كَوْنُهُ أَبْلَغُ فَيَجْعَلُ الْمُسَبَّهَ مُشَبَّهًا
بِهِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ أَدَاةٍ فَيَكُونُ هُوَ إِيَّاهُ . فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ : زَيْدٌ
أَسَدٌ . كُنْتَ قَدْ جَعَلْتَهُ أَسَدًا مِنْ غَيْرِ إِظْهَارِ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ . وَأَمَّا
كَوْنُهُ أَوْجَزُ فَخَذَفَ أَدَاةَ التَّشْبِيهِ مِنْهُ . وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ الْقَائِلِينَ مِنَ
الْمَظْهَرِ وَالْمَضْمَرِ كِلَيْهِمَا فِي فَضِيلَةٍ أَلْيَانِ سَوَاءٌ فَإِنَّ الْغَرَضَ الْقُصُودَ
مِنْ قَوْلِنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ . أَنْ يَتَبَيَّنَ حَالُ زَيْدٍ فِي اتِّصَافِهِ بِشَهَامَةِ النَّفْسِ
وَقُوَّةِ الْبَطْشِ وَجَرَاءَةِ الْأَقْدَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ بِمَا يَجْرِي تَجَرُّاهُ . إِلَّا أَنَّا لَمْ
نُحْدِثْ شَيْئًا نَدُلُّ بِهِ عَلَيْهِ سِوَى أَنْ جَعَلْنَاهُ شَيْبًا بِالْأَسَدِ حَيْثُ كَانَتْ
هَذِهِ الصِّفَاتُ مُحْتَاطَةً بِهِ . فَصَارَ مَا قَصَدْنَاهُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ اكْتِشَافَ
وَأَيِّنَ مِنْ أَنْ لَوْ قُلْنَا : زَيْدٌ شَهْمٌ شَجَاعٌ قَوِيٌّ الْبَطْشِ جَرِيءُ الْجَبَانِ
وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ . لِمَا قَدْ عُرِفَ وَعُهِدَ مِنْ اجْتِمَاعِ هَذِهِ الصِّفَاتِ فِي
الْمُسَبَّهِ بِهِ أَغْنَى الْأَسَدَ . وَأَمَّا زَيْدٌ الَّذِي هُوَ الْمُسَبَّهُ فَلَيْسَ مَعْرُوفًا بِهَا

وَأِنْ كَانَتْ مَوْجُودَةً فِيهِ. وَكَيْلَا هَذَيْنِ الْقَسَمَيْنِ أَيْضًا يَخْتَصُّ بِفَضِيلَةٍ
الْإِيحَاذِ وَإِنْ كَانَ الْمَضْرُ أَوْجَرَ مِنَ الْمَظْهَرِ لِأَنَّ قَوْلَنَا : زَيْدٌ أَسَدٌ
أَوْ كَأَلَسَدٍ. يُسَدُّ مَسَدًا قَوْلَنَا : زَيْدٌ مِنْ حَالِهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ . وَهُوَ مِنْ
الشَّجَاعَةِ وَالشَّدَّةِ عَلَى كَذَا وَكَذَا بِمَا يَطُولُ ذِكْرُهُ . فَأَلْتَشْبِيهِ إِذَا يَجْمَعُ
صِفَاتٍ ثَلَاثَةً هِيَ : أَلْبَالُغَةُ . وَالْيَبَانُ . وَالْإِيحَاذُ كَمَا أَرَيْتُكَ . إِلَّا
أَنَّهُ نَوْعٌ مِنْ بَيْنِ أَنْوَاعِ عِلْمِ الْيَبَانِ مُسْتَوْعِرُ الْمَنْهَبِ وَهُوَ مَقْتُلٌ مِنْ
مَقَاتِلِ أَلْبَالُغَةٍ . وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ حَمَلَ الشَّيْءِ بِالْمِثَالَةِ إِمَامُ صُورَةٍ
وَأَمَّا مَعْنَى يَبْرُزُ صَوَابُهُ وَتَغْسُرُ أَلْبَابُهُ فِيهِ . وَقَلَّ مَا أَكْثَرَ مِنْهُ أَحَدٌ
إِلَّا عَثَرَ كَمَا فَعَلَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ بْنِ أَدْبَاءِ الْعِرَاقِ وَأَبْنُ وَكَيْعٍ مِنْ أَدْبَاءِ
مِصْرَ . فَلَهُمَا أَكْثَرًا مِنْ ذَلِكَ لَأَسِيًّا فِي وَصْفِ الرِّيَاضِ وَالْأَشْجَارِ
وَالْأَزْهَارِ وَالْثَّارِ . لِأَجَرَمَ أَنَّهُمَا آتِيَا بِالْعَثِّ الْبَارِدِ الَّذِي لَا يَثْبُتُ
عَلَى مِحْكَةِ الصَّوَابِ فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَوَقَّى مَا أَشَرْتُ إِلَيْهِ . وَأَمَّا فَائِدَةُ
التَّشْبِيهِ مِنَ الْكَلَامِ فَهِيَ : أَنَّكَ إِذَا أَمَثَلْتَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ فَإِنَّمَا
تَقْصِدُ فِيهِ اثْبَاتَ الْحَالِ فِي النَّفْسِ بِصُورَةِ الْمَشَبِّهِ بِهِ أَوْ بِمَعْنَاهُ وَذَلِكَ
أَوْ كَدُّ فِي طَرَفِي التَّرْغِيبِ فِيهِ أَوْ التَّنْفِيرِ عَنْهُ . أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا
أَشَبَّهْتَ صُورَةَ بِصُورَةٍ هِيَ أَحْسَنُ مِنْهَا كَانَ ذَلِكَ مُثْنِيًا فِي النَّفْسِ
خَيَالًا حَسَنًا يَدْعُو إِلَى التَّرْغِيبِ فِيهَا . وَكَذَلِكَ إِذَا أَشَبَّهْتَ بِصُورَةٍ شَيْءٌ
أَفْجَحَ مِنْهَا كَانَ ذَلِكَ مُثْنِيًا فِي النَّفْسِ خَيَالًا قَبِيحًا يَدْعُو إِلَى التَّنْفِيرِ
عَنْهَا وَهَذَا لَا تَرَاغَ فِيهِ . وَلَتَضْرِبَ لَهُ مِثَالًا يَوْضُحُهُ فَنَقُولُ : قَدْ وَرَدَ
عَنْ ابْنِ الْأَرَوِّحِيِّ فِي مَدْحِ الْعَسَلِ وَذَوِّهِ بَيْتٌ مِنَ الشَّعْرِ وَهُوَ :

تَقُولُ هَذَا مُجَاجُ الْخَلِّ تَمَدُّحُهُ وَإِنْ تَعِبَ قُلْتَ ذَا قِيءِ الزَّوَايِدِ
 أَلَا تَرَى كَيْفَ مَدَحَ وَدَّمَ الشَّيْءَ الْوَاحِدَ بِتَضْرِيْفِ التَّشْبِيهِ
 الْحِجَازِيِّ الْمُضْمَرِ الْأَدَاةِ الَّتِي خِيَلَتْ بِهِ إِلَى السَّامِعِ خِيَالًا يُحْسِنُ الشَّيْءَ
 عِنْدَهُ تَارَةً وَيُتَجَبَّرُ أُخْرَى . وَلَوْلَا التَّوَصُّلُ بِطَرِيقِ التَّشْبِيهِ عَلَى هَذَا
 أَلَوْجِهٍ لَمَا أَمَكَّهُ ذَلِكَ . وَهَذَا الْمَثَلُ كَافٍ فِيَّا أَرَدْنَاهُ . وَأَعْلَمُ
 أَنَّ مِنْ تَحَايِنِ التَّشْبِيهِ أَنْ يُحْيِيَ مُضْدَرِيَّا كَقَوْلِنَا : أَقْدَمَ أَقْدَامَ الْأَسَدِ
 وَقَاضَ قِيْضَ الْبَجْرِ . وَهُوَ أَحْسَنُ مَا اسْتَعْمِلَ فِي بَابِ التَّشْبِيهِ . كَقَوْلِ
 أَبِي نُؤَاسٍ فِي وَصْفِ الْخَمْرِ :

وَأَذَا مَا مَزَجُوهَا وَثَبَتْ وَثْبَ الْجَرَادِ
 وَأَذَا مَا شَرِبُوهَا أَخَذَتْ أَخَذَ الرُّقَادِ

وَقِيلَ : إِنَّ مِنْ شُرُطِ بَلَاغَةِ التَّشْبِيهِ أَنْ يُشَبَّهَ الشَّيْءُ بِمَا هُوَ
 أَكْبَرُ مِنْهُ وَأَعْظَمُ . وَالْقَوْلُ السَّيِّدُ فِي ذَلِكَ هُوَ مَا أَذْكُرُهُ :
 وَهُوَ أَنَّ إِطْلَاقَ مَنْ أَطْلَقَ قَوْلَهُ فِي أَنَّ مِنْ شُرُوطِ بَلَاغَةِ التَّشْبِيهِ
 أَنْ يُشَبَّهَ الْأَضْعَفُ بِالْأَكْبَرِ قَوْلُ غَيْرِ حَاصِرٍ لِلْمَعْرُضِ الْفُضُودُ .
 لِأَنَّ التَّشْبِيهَ يَأْتِي تَارَةً فِي مَعْرُضِ الْمَدْحِ وَتَارَةً فِي مَعْرُضِ الذَّمِّ .
 وَتَارَةً فِي غَيْرِ مَعْرُضٍ مَدْحٍ وَلَا ذَمٍّ . وَإِنَّمَا يَأْتِي قَضْدًا لِلْإِبَاتَةِ
 وَالْإِيضَاحِ . وَلَا يَكُونُ تَشْبِيهُ أَضْعَفٍ بِأَكْبَرٍ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مَنْ
 ذَهَبَ . بَلْ أُنْقَوْلُ الْجَامِعُ فِي ذَلِكَ أَنَّ يُقَالُ : إِنَّ التَّشْبِيهَ لَا يُعْمَدُ
 إِلَيْهِ إِلَّا لِضَرْبٍ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مَدْحًا أَوْ ذَمًّا أَوْ بَيَانًا
 أَوْ إِضَاحًا وَلَا يُخْرَجُ عَنْ هَذِهِ الْمَعَانِي الثَّلَاثَةِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ

كَذَلِكَ فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ تَقْدِيرِ لَفْظَةِ أَفْعَلَ (يُرِيدُ أَفْعَلَ التَّفْضِيلَ).
فَإِنْ لَمْ تُتَقَدَّرْ فِيهِ لَفْظَةُ (أَفْعَلَ) فَلَيْسَ بِتَشْبِيهِ يَلْبِغُ. أَلَا تَرَى أَنَا
نَقُولُ فِي التَّشْبِيهِ الْمَضْمَرِ الْأَدَاةَ: زَيْدٌ أَسَدٌ. فَقَدْ شَبَّهْنَا زَيْدًا بِالْأَسَدِ
الَّذِي هُوَ أَشْجَعُ مِنْهُ. فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَشَبَّهُ بِهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ أَشْجَعًا مِنْ
زَيْدٍ الَّذِي هُوَ الْمَشَبَّهُ وَالْأَكَاثَرُ كَانَ التَّشْبِيهُ نَاقِصًا إِذَا لَا مُبَالَغَةَ فِيهِ.
وَكَذَلِكَ فِي التَّشْبِيهِ الظَّاهِرِ الْأَدَاةُ كَقَوْلِهِ: وَلَهُ الْجَوَارِي الْمُنشَآتُ فِي
الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ. وَهَذَا تَشْبِيهُ كَثِيرٌ بِمَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ. لِأَنَّ خَلْقَ السُّفُنِ
الْبَحْرِيَّةِ كَثِيرٌ وَخَلْقَ الْجِبَالِ أَكْثَرُ مِنْهُ. وَمِثْلُهُ: إِذَا شَبَّهْتُ سَيِّئًا بِحَسَنٍ
بِشَيْءٍ حَسَنٍ فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يُشَبَّهْ بِمَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ فَلَيْسَ هُوَ بِوَارِدٍ
عَلَى طَرِيقِ الْبَلَاغَةِ. وَهَكَذَا: إِنْ شَبَّهْتُ قَبِيحًا بِقَبِيحٍ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ
الْمَشَبَّهُ بِهِ أَقْبَحَ وَإِنْ قُصِدَ الْبَيَانُ وَالْإِيضَاحُ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ
الْمَشَبَّهُ بِهِ آيِنًا وَأَوْضَحَ. فَتَقْدِيرُ لَفْظَةِ (أَفْعَلَ) لَا بُدَّ مِنْهُ فِيمَا يُقْصَدُ
بِهِ بَلَاغَةُ التَّشْبِيهِ وَالْأَكَاثَرُ التَّشْبِيهُ نَاقِصًا فَأَعْلَمَ ذَلِكَ وَقَسَّ عَلَيْهِ

البحث الثامن العاشر

في اقسام التشبيه

(عن صناعة الترسل لشهاب الدين الحلبي باختصار)

(راجع صفحة ٤٩ من علم الادب)

(التَّشْبِيهُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ) : الْأَوَّلُ تَشْبِيهُ مُحْسُوسٍ بِمُحْسُوسٍ
لَا شَرَاكِهِمَا إِمَّا فِي الْخُصُوصَاتِ الْأُولَى وَهِيَ مُدْرَكَاتُ السَّمْعِ

وَالْبَصَرِ وَالذَّوْقِ وَالشَّمِّ وَاللَّسِّ . كَتَشْبِيهِ الْحَدِّ بِالْوَرْدِ . وَالنَّوْجِ
 بِالنَّهَارِ . وَالْقَوَاكِحِ الْخُلُوعِ بِالسُّكْرِ وَالْعَسَلِ . وَرَأَيْتُ بَعْضَ الرِّيَاحِينَ
 بِالْكَافُورِ وَالْمِسْكِ . وَاللَّيْنِ النَّاعِمِ بِالْحَرِّ . وَالْحُسْنِ بِالْمِنْحِ . أَوْ فِي
 الْخُشُوسَاتِ الثَّانِيَةِ وَهِيَ : الْأَشْكَالُ الْمُسْتَقِيمَةُ وَالْمُسْتَدِيرَةُ وَالْمَقَادِيرُ
 وَالْحَرَكَاتُ كَتَشْبِيهِ الْمُسْتَوِيِّ الْمُنْتَصِبِ بِالرُّمَحِ . وَالْقَدِّ اللَّطِيفِ
 بِالْفُضْنِ . وَالشَّيِّ الْمُسْتَدِيرِ بِالْكُرَةِ وَالْحَلَقَةِ . وَعَظَمَ الْجُبَّةِ بِالْجَلِّ .
 وَالذَّاهِبِ عَلَى الْأَسْتِقَامَةِ بِمُقْوِذِ السَّهْمِ . أَوْ فِي الْكَيْفِيَّاتِ الْجُمْلَانِيَّةِ
 كَالصَّلَابَةِ وَالرَّخَاوَةِ . أَوْ فِي الْكَيْفِيَّاتِ النَّفْسَانِيَّةِ كَالْفَرَازِ وَالْأَخْلَاقِ .
 أَوْ فِي حَالَةٍ إِضَافِيَّةٍ كَقَوْلِكَ : هَذِهِ حُجَّةٌ كَالشَّنْسِ . وَالْجَامِعُ أَنَّ
 كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا مُزِيلٌ لِلْحِجَابِ وَكَقَوْلِكَ : الْقَاظَةُ كَالْمَاءِ فِي السَّلَاسَةِ .
 وَكَاللَّسِيمِ فِي الرِّقَّةِ . وَكَالْعَسَلِ فِي الْحَلَاوَةِ . وَالْجَامِعُ سِرْعَةُ وَضُوءُهُ
 إِلَى النَّفْسِ وَأَهْتِرَازُهَا بِهِ . وَرَبَّمَا كَانَ التَّشْبِيهُ بِوَجْهِ عَقْلِيٍّ كَقَوْلِ فَاطِمَةَ
 بِنْتِ الْحَوْشَبِ الْأَنْمَارِيَّةِ حِينَ وَصَفَتْ بَيْنَهَا : هُمْ كَالْحَلَقَةِ الْمَفْرَغَةِ لَا يُدْرَى
 أَيْنَ طَرَفَاهَا . فَإِنَّهُ لَا يَفْهَمُ الْمَقْصُودَ إِلَّا أَنْ لَهُ ذَهْنٌ يَرْفَعُ عَنْ طَبَقَةِ
 الْأَعْمَةِ بِخِلَافِ مَا سَبَقَ . وَمِنْ أَلْفَرَقِ الظَّاهِرِ بَيْنَهُمَا أَنْ جَعَلَ الْقَرَعَ
 أَصْلًا وَالْأَصْلَ فَرْعًا يُجِيئُ فِيمَا تَقَدَّمَ مُحِيطًا وَاسِعًا كَقَوْلِهِ فِي النُّجُومِ :
 كَانَهُمْ مَصَابِيحُ . وَفِي الْأَصَابِيحِ : كَانَهَا نُجُومٌ . وَإِنْ حَاوَلْتَ ذَلِكَ فِي
 الثَّانِي لَمْ يَكُنْ يَتَقَادَأُ أَنْقِيَادَ الْأَوَّلِ . (الثَّانِي) تَشْبِيهُ الْمَفْعُولِ بِالْمَفْعُولِ
 كَتَشْبِيهِ الْوُجُودِ الْعَارِي عَنْ الْقَوَائِدِ بِالْعَدَمِ وَتَشْبِيهِ الْقَوَائِدِ الَّتِي
 تَبْقَى بَعْدَ عَدَمِ الشَّيْءِ بِالْوُجُودِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

رُبَّ حَيٍّ كَسَيْتَ لَيْسَ فِيهِ أَمَلٌ يُزْتَجَى لِنَفْعٍ وَضُرٌّ
وَعِظَامٌ تَحْتَ التُّرَابِ وَفَوْقَ الْأَمْرِ رُضٍ وَنَهَا آثَارُ حَمْدٍ وَشُكْرِ
(الثَّالِثُ) تَشْبِيهُ الْمَعْقُولِ بِالْحَسُّوسِ كَقَوْلِهِ : وَالَّذِينَ كَفَرُوا
أَعْمَلَهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ . وَكَقَوْلِهِ : وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَرَمَادٍ
أَسْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ . (الرَّابِعُ) تَشْبِيهُ الْحَسُّوسِ بِالْمَعْقُولِ
وَهُوَ غَيْرُ جَائِزٍ لِأَنَّ الْعُلُومَ مُسْتَفَادَةً مِنَ الْخَوَاسِ وَمُتَشَبِّهَةً إِلَيْهَا وَلِذَلِكَ
قِيلَ : مَنْ فَقَدَ حِسًّا فَقَدَ عِلْمًا . فَإِذَا كَانَ الْحَسُّوسُ أَصْلًا لِلْمَعْقُولِ فَتَشْبِيهُهُ
بِهِ يَكُونُ جَعْلًا لِلْفَرْعِ أَصْلًا وَالْأَصْلُ فَرْعًا . وَلِذَلِكَ لَوْ حَاوَلَ مُحَاوِلُ
الْمُبَالَغَةِ فِي وَصْفِ الشَّمْسِ بِالظُّهُورِ وَالْمَسْكِ بِالْإِنْتَاءِ فَقَالَ : الشَّمْسُ
كَالْحَجَّةِ فِي الظُّهُورِ . وَالْمَسْكُ كَالْإِنْتَاءِ فِي الطَّيْبِ . كَانَ سَخِيفًا مِنْ
أَقْوَالٍ . فَأَمَّا مَا جَاءَ فِي الْأَشْعَارِ مِنْ تَشْبِيهِ الْحَسُّوسِ بِالْمَعْقُولِ فَوَجْهُهُ
أَنَّهُ يُقَدَّرُ الْمَعْقُولُ مُحْسُوسًا وَيُجْعَلُ كَالْأَصْلِ لِلْحَسُّوسِ عَلَى طَرِيقِ
الْمُبَالَغَةِ فَيَصِحُّ التَّشْبِيهُ جَيِّدًا . وَذَلِكَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَكَانَ النُّجُومَ بَيْنَ دُجَاهَا سُنُّ لَاحٍ بَيْنَهُنَّ أَتِيدَاعُ
فَأَنَّهُ لَمَّا شَاعَ وَصْفُ السُّنَّةِ بِالْبَيَاضِ وَالْإِشْرَاقِ عَلَى مَا قِيلَ :

أَتَيْتُكُمْ بِالْخَنِيْفَةِ الْبَيْضَاءِ لَيْلَهَا كُنْهَارُهَا . وَأَشْتَهَرَتِ الْبِدْعَةُ وَكُلُّ مَا
لَيْسَ بِحَقٍّ بِالظُّلْمَةِ تَحْيَلُ الشَّاعِرُ أَنَّ السُّنَّةَ كَانَتْهَا مِنَ الْأَجْنَاسِ الَّتِي
لَهَا إِشْرَاقٌ وَنُورٌ وَأَنَّ الْبِدْعَ تَوْعٌ مِنَ الْأَنْوَاعِ الَّتِي لَهَا اخْتِصَاصٌ بِالسَّوَادِ
وَالظُّلْمَةِ . فَصَارَ ذَلِكَ عِنْدَهُ كَتَشْبِيهِ مُحْسُوسٍ بِحَسُّوسٍ فَجَارَ لَهُ التَّشْبِيهُ .
وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذَا التَّشْبِيهُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِتَحْيَلِ مَا لَيْسَ بِمُتَلَوِّنٍ مُتَلَوِّنًا . ثُمَّ

يُحْيِلُ أَصْلًا فَيُسَبِّهُ بِهِ. وَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ فِي قَوْلِ أَبِي طَالِبٍ الرَّقِّي :
وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالظَّلَامَ كَأَنَّهُ يَوْمَ الذُّوَى وَفُؤَادُ مَنْ لَمْ يَرْفُقْ
فَالِهَةً لَمَّا كَانَتْ الْأَوْقَاتُ الَّتِي تَحْدُثُ فِيهَا الْكَارَةُ تُوصَفُ بِالسَّوَادِ
(يُقَالُ : اسْوَدَّتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنَيْهِ) . جَعَلَ يَوْمَ الذُّوَى كَأَنَّهُ أَشْهُرُ وَأَعْرَفُ
بِالسَّوَادِ مِنَ الظَّلَامِ فَعَرَفَهُ بِهِ وَسَبَّهَ . ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ فُؤَادُ مَنْ لَا
يَرْفُقُ تَطَرُّفًا . وَالْقَلْبُ الْقَائِي يُوصَفُ بِشِدَّةِ السَّوَادِ . فَصَادَ هَذَا الْقَلْبُ
أَصْلًا عِنْدَهُ فِي السَّوَادِ قَسُّ عَلَيْهِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ
حِينَ أَهْدَى لِلْقَاضِي أَبِي أَحْسَنَ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجُرْجَانِي عِطْرًا :
يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الَّذِي نَفْسِي لَهُ فِي قُرْبِ عَهْدِ إِقَانِهِ مُشْتَاقَةٌ
أَهْدَيْتُ عِطْرًا بِمِثْلِ طِيبِ ثَنَائِهِ فَكَأَنَّمَا أَهْدِي لَهُ أَخْلَاقَهُ
وَالْعَادَةَ تَشْبِيهُ الشَّيْءِ بِالْعِطْرِ وَهُوَ عَكْسُ الْأَمْرِ عَلَى جِهَةِ الْمُبَالَغَةِ
كَمَا بَيَّنَّا . وَقُلْتُ فِي تَشْبِيهِ حُضْنِ :

كَأَنَّهُ وَكَانَ الْجَوْ يَكْنِفُهُ وَنَعْمَ تَمَثُّلُهُ فِي طَبِئَةِ الْفِكْرِ

لِأَنَّهُ لَمَّا ارْتَفَعَ الْحُضْنُ فِي الْجَوْ حَتَّى صَارَ كَالْوَهْمِ فَيَكُونُ مِنْ تَشْبِيهِ
الْمَحْسُوسِ بِمَا يُحْيِلُ أَنَّهُ مُحْسُوسٌ لِإِظْلَامِهِ فِي الْعَيْنِ أَوْ فُرْضَ لَهُ الْخَفَاءُ
حَتَّى صَارَ يُشَبِّهُ مَعْقُولًا بِمَعْقُولٍ . وَيَقْرُبُ مِنْ هَذَا التَّنَوُّعِ تَشْبِيهُ الْوُجُودِ
بِالتَّحْيِيلِ الَّذِي لَا وُجُودَ لَهُ فِي الْأَعْيَانِ كَتَشْبِيهِ الْجَمْرِ بَيْنَ الرَّمَادِ بِخَرِّ
مِنْ الْمِسْكِ مَوْجُهُ الذَّهَبُ . وَذَلِكَ إِنَّمَا يَتِمُّ إِذَا فُرِضَ التَّحْيِيلُ أُمُورًا
كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مَوْجُودٌ فِي الْأَعْيَانِ . فَحِينَئِذٍ يَكُونُ الشَّيْءُ حَسَنًا
لَطِيفًا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ فِي النَّزْجِسِ :

كَانَ عِيُونُ الذَّرَجِ الْأَعْلَى بَيْنَنَا مَدَاهِنُ دُرِّ حَشَوْنٍ عَقِيقُ
وَكَقَوْلٍ آخَرَ فِي تَشْبِيهِ الشَّقَاتِي :

وَكَانَ مُحَمَّرَ الشَّقِيقِ م إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدَ

أَعْلَامُ يَأْقُوتِ نُشْرِ ن عَلَى رِمَاحٍ مِنْ زَبَرَجَدَ

وَيَقْرُبُ مِنْ هَذَا الْجَنَسِ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَلْبِ :

أَيَقْتُلُنِي وَالشَّرَفُ مَضَاجِي وَمَسْنُونَةُ زُرُقِ كَأَنْبَابِ أَغْوَالِ

فَأَنْتُمْ لَمْ يَسَاهِدُوا أَنْبَابَ الْأَغْوَالِ بَلْ أَعْتَقَدُوا أَنَّهَا فِي غَايَةِ

الْخِدَّةِ فَحَسَنَ التَّشْبِيهِ . وَعَلَيْهِ جَاءَ قَوْلُهُ : طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ .

إِتِّهَامِي رُؤُوسِ الشَّيَاطِينِ فِي الْكَرَاهَةِ وَلِأَعْتِقَادِهِمْ أَلْفَايَةَ فِي قُبْحِ

الشَّيْطَانِ وَكَرَاهِيَّتِهِ يُشَبِّهُونَ بِهِ أَلْوَجَةَ الْقَبِيحِ . وَلِأَعْتِقَادِهِمْ أَلْفَايَةَ فِي

خَيْرِ الْمَلِكِ وَأَنَّهُ لَا شَرَفَ فِيهِ يُشَبِّهُونَ بِهِ الصُّورَ الْحَسَنَةَ كَمَا قَالَ :

مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ . وَأَعْلَامُ أَنْ مَا بِهِ الْمَشَابِيهُ قَدْ

يَكُونُ مُقَيَّدًا بِالْإِتْسَابِ إِلَى الشَّيْءِ وَذَلِكَ إِمَّا إِلَى الْمَقْعُولِ بِهِ وَهُوَ

لِجَارٍ وَالْجَرُورُ كَقَوْلِهِمْ لَنْ يَفْعَلَ مَا لَا يُفِيدُ : كَالرَّاقِمِ عَلَى الْمَاءِ .

وَأَمَّا إِلَى أَحَالِ كَقَوْلِهِمْ : كَالْحَادِي وَلَيْسَ لَهُ بَعِيرٌ (أَلَاؤُ لِلْحَالِ) .

وَأَمَّا إِلَى الْمَقْعُولِ بِهِ وَالجَّارِ وَالْجَرُورِ كَقَوْلِهِمْ : هُوَ كَمَنْ يَجْمَعُ

السَّيْفَيْنِ فِي عُقْدٍ وَكَمَنْبَعِي الصَّيْدِ فِي عَرِيْسَةِ الْأَسَدِ . وَكَقَوْلِ لَبِيدٍ :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدِّيَارِ وَأَهْلِهَا بِهَا يَوْمَ حُلُوهَا وَعَدَدُوا بِإِلَاقَةِ

فَلَانَهُ لَمْ يُشَبَّ النَّاسُ بِالْأَيَّامِ وَأَتَمَّ شَبَّهُ وَجُودِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَسُرْعَةَ

زَوَالِهِمْ بِحُلُولِهِمُ الدِّيَارِ وَوَشَكَّ رَحِيلِهِمْ مِنْهَا . وَكَلَّمَا كَانَتْ أَلْفَقَدَمَاتُ

أَكْثَرَ كَانَ الشَّيْءُ أَوْغَلَ فِي كَوْنِهِ عَقْلِيًّا كَقَوْلِهِ : إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا كَمَا أَزْلَمَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ بِمَا يَأْكُلُ
الْإِنْسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا
أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ
تَغْنِ بِالْأَمْسِ . فَإِنَّ الشَّيْءَ مُتَرَعٍّ مِنْ مَجْبُوعٍ هَذِهِ الْجَمَلِ مِنْ غَيْرِ
أَن يُمْكِنَ فَضْلُ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ . فَإِنَّكَ لَوْ حَدَّثْتَ وَنَهَا جُمْلَةً وَاحِدَةً
مِنْ أَيْ مَوْضِعٍ كَانَ أَخْلَ ذَلِكَ بِالْمَقْصُودِ مِنَ الشَّيْءِ . ثُمَّ مَا بِهِ
الْمُشَابَهَةُ إِنْ كَانَ مُرَكَّبًا فَإِنَّهُ عَلَى قِسْمَيْنِ : (الْأَوَّلُ) مَا لَا يُمْكِنُ
إِفْرَادُ أَحَدِ أَجْزَائِهِ بِالذِّكْرِ كَقَوْلِهِ :

كَانَ سُهَيْلًا وَالْجُومُ وَرَاءَهُ صُفُوفُ صَلَاةٍ قَامَ فِيهَا إِمَامُهَا
فَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ إِفْرَادُ أَجْزَاءِ هَذَا الشَّيْءِ إِذَا لَوْ قُلْتَ : كَانَ
سُهَيْلًا إِمَامًا وَكَانَ الْجُومُ صُفُوفُ صَلَاةٍ . ذَهَبَتْ فَائِدَةُ هَذَا الشَّيْءِ .
(الثَّانِي) مَا يُمْكِنُ إِفْرَادُهُ بِالذِّكْرِ وَيَكُونُ إِذَا أُزِيلَ مِنْهُ
التَّزْكِيْبُ صَحِيحَ الشَّيْءِ فِي طَرَفِهِ إِلَّا إِنْ أَلْعَنِيَ مُغَيِّرُ كَقَوْلِ أَبِي
طَالِبٍ الرَّقِّي :

وَكَانَ أَجْرَامَ الْجُومِ لَوَاعِمًا دُرَّرَ بُزْنٌ عَلَى بَسَاطِ أَرْقٍ
فَلَوْ قُلْتَ : كَانَ الْجُومُ دُرَّرَ وَكَانَ السَّمَاءُ بَسَاطَ أَرْقٍ وَجَدْتَ
الشَّيْءَ مَقْبُولًا . وَلَكِنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْهَيْئَةِ الْمُشَبَّهِ بِهَا قَدْ زَالَ .
وَرَبَّمَا كَانَ الشَّيْءُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ وَلَا يَقْدِرُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ . وَإِنَّمَا
يَكُونُ بَعْضُهَا مَضْمُومًا إِلَى الْبَعْضِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مُفْرَدٌ بِنَفْسِهِ

كَقَوْلِكَ : زَيْدٌ كَالْأَسَدِ بِأَسَاوَالِجِرْ جُودًا وَالسَّيْفِ مَضَاءً وَالْبَدْرِ بَهَاءً .
وَكَقَوْلِكَ : هُوَ يَصْفُو وَيَكْذُرُ وَيَجْلُو وَيُرُّ . وَلَهُ حَاصَّتَانِ (إِحْدَاهُمَا)
أَنَّهُ لَا يَجِبُ فِيهِ التَّرْتِيبُ . (وَالثَّانِيَةُ) إِذَا أُسْقِطَ الْبَعْضُ لَا يَتَعَيَّرُ
حُكْمُ الْبَاقِي . وَمِنْهُ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :
كَانَ قُرْبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَاسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي
وَفِيهِ نَظَرٌ

المبحث التاسع عشر

في التشابيه المستعملة عند العرب

(من كتاب الصناعتين للمصري وعن البديعات)

أَمَّا الطَّرِيقَةُ الْمَسْلُوكَةُ فِي التَّشْبِيهِ وَالْتَفْهِجِ الْقَاصِدُ فِي التَّشْبِيلِ
عَنِ الْقَدَمَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ فَتَشْبِيهُ الْجَوَادِ بِالْجِرِّ وَالطَّرِّ . وَالشَّجَاعِ بِالْأَسَدِ .
وَالْحَسَنِ بِالسَّنَسِ وَالْقَمَرِ . وَالْفَهْمِ بِالْمَاضِي بِالسَّيْفِ . وَالْعَالِي الرَّتَبَةِ
بِالنَّجْمِ . وَالْحَلِيمَ الرَّزِينَ بِالْجَبَلِ . وَالْحَيَّ بِالْكَرِّ . ثُمَّ يُشَبِّهُونَ الْأَشْيَاءَ
بِالْكَلْبِ . وَالْجَبَانَ بِالصَّفَرِ . وَالطَّائِشَ بِالْفَرَّاشِ . وَالذَّائِلَ بِالْقَدِ
وَالْعَمَلِ . وَالْفَعْلَ بِالْوَتْدِ . وَالْقَائِيَّ بِالْحَدِيدِ وَالصَّخْرَ . وَالنَّبِيدَ بِالْجَمَادِ .
وَشَهْرَ قَوْمٍ بِخِصَالِ مَحْمُودَةٍ فَصَادُوا فِيهَا أَعْلَامًا فَجَرَوْا وَتَجَرَّى مَا قَدَّمَاهُ
كَالسَّمْوَلِ فِي الْوَفَاءِ وَحَاتِمٍ فِي السَّخَاءِ . وَالْأَخْنَفَ فِي الْحِلْمِ . وَسَحْبَانَ
فِي الْبَلَاغَةِ . وَقَسَ فِي الْخَطَايَةِ . وَلُفْئَانَ فِي الْحِكْمَةِ . وَشَهْرَ
آخَرُونَ بِأَضْدَادِ هَذِهِ الْخِصَالِ فَشَبَّهَ بِهِمْ فِي حَالِ الدَّيَمِ كَبَاقِلَ فِي
الْعِي . وَهَبَّتَعَةً فِي الْحَقِّ . وَالْكُسْعِيَّ فِي النَّدَامَةِ . وَمَادِرَ فِي الْبُخْلِ .

وَاللَّشْيْءُ يَزِيدُ الْمَعْنَى وَضُوحًا وَيُكْسِبُهُ تَأْكِيدًا . وَقَدْ يَأْتِي تَارَةً
لَيَّانَ إِسْكَانٍ وَجُودِ الشَّيْءِ عِنْدَ ادِّعَاءِ مَا لَا يَكُونُ إِمْكَانُهُ يَنِينًا .
كَقَوْلِ الْمُتَنَبِّئِيِّ :

فَإِنْ تَفَقَّ الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمَسْكَ بَعْضُ دَمِ الْقَزَالِ
وَيَكُونُ لَيَّانٍ وَمَقْدَارُ الشَّيْءِ كَمَا إِذَا حَاوَلْتَ تَفِي الْقَائِدَةِ مِنْ
فِعْلِ الْإِنْسَانِ قُلْتَ : هُوَ كَالْقَابِضِ عَلَى أَلْمَاءِ . وَقَدْ أَطْبَقَ جَمِيعُ الْمُتَكَلِّمِينَ
مِنَ الْعَرَبِ وَالْجَحْمِ عَلَى قَوَائِدِ اللَّشْيْءِ . وَلَمْ يَسْتَعْنِ أَحَدٌ مِنْهُمْ
عَمَهُ . وَقَدْ جَاءَ عَنِ الْقَدَمَاءِ وَأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ كُلِّ جِيلٍ مَا يُسْتَدَلُّ
بِهِ عَلَى شَرْفِهِ وَفَضْلِهِ وَمَوْقِعِهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ بِكُلِّ لِسَانٍ . مِنْ ذَلِكَ مَا
قَالَ صَاحِبُ كَلِيلَةِ وَدِمْنَةِ : الدُّنْيَا كَالْمَاءِ كُلَّمَا أَزْدَدْتَ مِنْهُ شُرْبًا
أَزْدَدْتَ مِنْهُ عَطَشًا . وَقَالَ : صُحْبَةُ الْأَشْرَارِ تُورِثُ الشَّرَّ كَالزَّرْعِ إِذَا
مَرَّتْ عَلَى الْأَنْبَتِ لَتَتْ نَتْنًا . وَإِذَا مَرَّتْ عَلَى الطَّيِّبِ حَمَلَتْ طَيِّبًا .
وَقَالَ : مَنْ أَنْعَمَ لِمَنْ لَا يَشْكُرُ كَانَ كَمَنْ نَثَرَ بَذَرَهُ فِي السِّبَاخِ .
وَقَدْ نَظَّمْتُ هَذَا الْمَعْنَى :

أَلَا إِنَّمَا أَلْتَعَمَّى تَجَارَى بِمِثْلِهَا إِذَا كَانَ مُسْدَاهَا إِلَى مَا جِدَ حَرِي
فَإِذَا كَانَتْ إِلَى غَيْرِ مَا جِدَ فَقَدْ ذَهَبَتْ فِي غَيْرِ حَمْدٍ وَلَا شُكْرِ
إِذَا أَلْمَرْتُ أَلْتَقَى فِي السِّبَاخِ بُذُورُهُ أَضَاعَ فَلَمْ يَرْجِعْ بِزَرْعٍ وَلَا بِذَرٍ
وَقَالَ أَيْضًا : لَا يَخْفَى فَضْلُ ذِي الْعِلْمِ وَإِنْ أَخْفَاهُ كَالْمَسْكَ
يُحِبُّ وَيُسَرُّهُمْ لَا يَنْعَمُ ذَلِكَ رَائِحَتُهُ أَنْ تَفُوحَ . أَخَذَهُ الصَّاحِبُ فَكَتَبَ :
أَمْتُ آدَامَ اللَّهُ عَزَّكَ . وَإِنْ طَوَيْتَ عَنَّا خَاوَكُ . وَجَعَلْتَ وَطَنَكَ وَطَرَكُ .

فَأَنْبَأَكَ تَأْتِيَا كَمَا وَشَى بِأَنْسِكَ رِيَاهُ . وَتَمَّ عَلَى الصَّاحِ حُجِّيَاهُ .
وَقَالَ : الرَّجُلُ ذُو الْمُرُوءَةِ يُكْرَمُ عَلَى غَيْرِ مَالٍ . كَأَلَسَدٍ يَهَابُ وَإِنْ
كَانَ رَابِضًا . وَالرَّجُلُ الَّذِي لَا مُرُوءَةَ لَهُ يَهَانُ وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا .
كَالْكَلْبِ يَهُونُ عَلَى النَّاسِ وَإِنْ طُوقَ . وَقَالَ : لَا يَحِبُّ الْمَذْنُوبُ
أَنْ يُفْخَصَ عَنْ أَمْرِهِ لَشَيْءٍ مَا يَكْشِفُ مِنْهُ كَأَلْشَيْءٍ أَلْتَنِينَ كَلَّمَا أَثِيرَ
أَزْدَادَ نَتْنَا . وَقَالَ أَيْضًا : مَنْ يَضْمَعِ الْمَعْرُوفَ لِعَاجِلِ الْخِزَاءِ فَهُوَ
كَمُلْقِي الْحَبِّ لِلطَّيْرِ لَا يَنْفَعُهُ بَلْ لِيَصِيدَهَا بِهِ . وَقَالَ أَيْضًا : أَلْمَالُ إِذَا
أَجْتَمَعَ وَلَمْ يُصْرَفْ فِي الْحَقِّوْقِ أَسْرَعَ إِلَيْهِ الْهَلَاكُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ كَأَلْمَاءِ
إِذَا اجْتَمَعَ فِي مَوْضِعٍ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ طَرِيقٌ إِلَى التَّفَوُّذِ تَجَرَّ مِنْ جَوَانِبِهِ
فَضَاعَ . وَقَالَ أَيْضًا : يَبْقَى الصَّالِحُ مِنَ الرِّجَالِ صَالِحًا حَتَّى يُصَاحِبَ
فَاسِدًا فَإِذَا صَاحَبَهُ فَسَدَ وَمِثْلُ مِيَاهِ الْأَنْهَارِ تَكُونُ عَذْبَةً حَتَّى تَحَاطَّ
مَاءُ الْبَحْرِ فَإِذَا خَالَطَتْهُ مِلْحَتُ . وَمِنْ أَلشَّائِبَةِ الْحَسَنَةِ قَوْلُ جَعْفَرِ بْنِ
مُحَمَّدٍ : أَلْأَدَبُ عِنْدَ الْأَحْقَقِ كَأَلْمَاءِ الْعَذْبِ فِي أَصُولِ الْخَنْظَلِ كَلَّمَا
أَزْدَادَ رِيًّا أَزْدَادَ مَرَادَةٍ . وَمِنْ أَلشَّائِبَةِ الشَّعْرِيَّةِ الْبَدِيعَةِ قَوْلُ لَيْدٍ :
وَمَا أَلْمَرُ إِلَّا كَأَلشَّهَابِ وَضَوْؤُهُ يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ
وَمَا أَلْمَالُ وَلَا أَهْلُؤْنَ إِلَّا وَدِيعَةٌ وَلَا بَدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ أَلْوَدَاعُ
مُحَمَّدٌ قَالَ :

وَأَصْبَحْتُ مِثْلَ السَّيْفِ أَخْلَقَ جَفَنُهُ تَقَادُمُ عَهْدِ الْقَيْنِ وَالنَّضْلُ قَاطِعُ
وَكَقَوْلِ بَالِغِ بْنِ جَنَاحِ الْعَبْسِيِّ :
أَلَا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ غَدَّةٌ لِقَلْبِهِ وَلَا خَيْرَ فِي غَدَةٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ نَضْلُ

وَقَالَ مُتَمِّمٌ :

وَبَعْضُ الرِّجَالِ نَحْلَةٌ لَاجِنَى لَهَا وَلَا ظِلَّ إِلَّا أَنْ يُعَدَّ مِنَ النَّحْلِ

وَقَالَ الْأَخْطَلُ النَّصْرَانِيُّ :

وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الدَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ دُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ

وَكَقَوْلِ النَّابِغَةِ فِي النُّعْمَانِ :

فَإِنَّكَ شَسْنٌ وَالْأَنَامُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَكَبٌ

وَمَنْ بَدِيعِ تَسَاهِيهِ الْخُذَّيْنِ قَوْلُ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ :

وَرَأَيْتِي وَإِسْمَاعِيلَ يَوْمَ ودَاعِهِ فَكَأَلَعِدُ يَوْمِ الرَّوْعِ فَارَقَهُ النَّضْلُ

وَكَقَوْلِ بَدِيعِ الزَّمَانِ أَهْمَدَانِي :

قَدْ كَادَ يَحْكِيكَ صَوْبُ الْقَيْثِ مُنْسَكِبًا

لَوْ كَانَ طَلَقَ الْحَيَا يُطِرُ الذَّهَبَا

وَالدَّهْرُ لَوْ لَمْ يَخْنُ وَالشَّسْنُ لَوْ نَطَقَتْ

وَاللَّيْثُ لَوْ لَمْ يُصَدِّ وَالْحَجْرُ لَوْ عَذَّبَا

وَالْمُتَمِّمِيُّ فِي وَصْفِ ظَنِي :

أَغْنَاهُ حُسْنُ الْجِيدِ عَنْ ثَبَسِ الْحُلِيِّ وَعَادَةُ الْعُرْيِ عَنِ التَّقْضُلِ

كَأَنَّهُ مُضَحَّخٌ بِصُدُلِ

وَكَقَوْلِهِ فِي سُرْعَةِ الْأَوَايَةِ وَتَقْلِيلِ اللَّبِثِ :

وَمَا أَنَا غَيْرُ سَهْمٍ فِي هَوَاءٍ يَعُودُ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ أَمْتِسَاكًا

وَلَهُ قَوْلُهُ :

وَأَنْتَ حُسَامُ الْمَلِكِ وَاللَّهُ ضَارِبٌ وَأَنْتَ لِرِوَاءِ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدٌ

وَلَهُ أَيْضًا وَهُوَ مِنْ جِنْسِ الْأَبْدَاعِ :

مَلِكٌ سِنَانٌ قَكَاتِهِ وَبَكَاتُهُ يَبَارِيَانِ دَمًا وَعَرَفًا سَاكِبًا
كَأَبْدَرٍ مِنْ حَيْثُ أَلْفَتْ رَأْيَتُهُ يُهْدِي إِلَى عَيْنِكَ نُورًا ثَاقِبًا
كَالشَّمْسِ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ وَغَوَّهَا يَغْشَى أَلْبِلَادَ مَسَارِقًا وَمَعَارِبًا
كَالْحَجَرِ يَقْدِفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِرًا جُودًا وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحَابًا
وَكثيرًا مَا يَتَلَطَّفُ الشُّعْرَاءُ بِأَنْشِيهِهِ فَيُشَبِّهُونَ الشَّيْءَ أَلْوَا حِدَ
بِشَيْنَيْنِ وَثَلَاثَةً . وَرَبَّمَا شَبَّهُوا شَيْنَيْنِ بِشَيْنَيْنِ وَثَلَاثَةً بِثَلَاثَةٍ وَآرَبَعَةً
بِآرَبَعَةٍ . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ فِي الْفَرَسِ :

لَهُ أَیْطَلَا ظَنِي وَسَاقًا نَعَامَةً وَارْحَاءُ يَرْحَانِ وَتَقْرِيبُ تَنْقُلِ
وَكَقَوْلِ بَشَّارِ بْنِ بَرْدٍ :

كَأَنَّ مُثَارَ الْأَنْعَرِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
وَلَا بِنِ الْمَعَرِّ فِي تَشْبِيهِهِ حُبَابِ الرِّيحِ :

يَجُولُ حُبَابُ الرِّيحِ فِي جَنَابَاتِهَا كَمَا جَالَ دَمْعٌ فَوْقَ خَدِّ مُورَدٍ
وَلَا خَرَفَ قَدْ شَبَّهَ آرَبَعَةً أَشْيَاءَ بِآرَبَعَةٍ :

لِلَّهِ طَرَسٌ عَنْ سَطُورٍ جَادَهَا مَ أَلْفِكْرُ السَّلِيمِ بِصُوبِ وَسْكَ أَذْفَرِ
فَكَأَنَّمَا هُوَ رَوْضَةٌ أَوْ جَدُولٌ أَوْ سَيْطٌ ذَرٍ أَوْ قِلَادَةٌ عَنْسَبَرِ
وَمِنْ أَنْوَاعِ التَّشْبِيهِ التَّمْثِيلُ وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ تَشْبِيهًُا وَاحِدًا
مُقَيَّدًا بِمُؤَيَّدٍ وَيُظَنُّ أَنَّهَا تَشْبِيهَاتٌ مُجْمُوعَةٌ كَقَوْلِهِ :

كَمَا أَبْرَقَتْ قَوْمًا عَطَاشًا غَمَامَةٌ فَلَمَّا رَجَوْهَا أَقْشَعَتْ وَنَجَّاتِ
فَإِنَّ مُجَرَّدَ قَوْلِهِ : أَبْرَقَتْ قَوْمًا عَطَاشًا غَمَامَةٌ لَيْسَ تَشْبِيهًُا مُسْتَقِلًّا

بِذَاتِهِ . لِأَن مَّقْصُودَ الشَّاعِرِ أَنْ يَصِفَ أَتِّدَاءَ مُطِيعٍ أَدَّى إِلَى أَنْتِهَاءِ
مُؤَيِّسٍ . وَذَلِكَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِجُمْلَةٍ فَإِنَّ تَأْدِيَةَ الشَّيْءِ إِلَى غَيْرِهِ حُكْمٌ
ذَائِدٌ عَلَى ذَاتِهِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ مِنَ التَّشْبِيهِ ضَرْبًا يُسَمَّى الطَّرْدَ وَالْعَكْسَ . وَهُوَ أَنْ يُجْعَلَ
الْمُشَبَّهُ بِهِ مُشَبَّاهًا وَالْمُشَبَّهُ شَيْبًا بِهِ . وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّيهِ : غَلَبَةَ الْفُرُوعِ عَلَى
الْأَصُولِ . وَلَا يُجِدُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا وَأَلْفَرَضُ بِهِ الْمُبَالَغَةُ . كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :
وَبَدَأَ الصَّبَاحُ كَانَ غَرَّتُهُ وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حِينَ يَمْتَدِّحُ
فَجَعَلَ الْأَصْلَ فُرْعًا وَالْفُرْعَ أَصْلًا . وَهَذَا أَبْلَغُ وَأَحْسَنُ وَأَمْدَحُ
مِنْ تَشْبِيهِ الْوَجْهِ بِالصَّبَاحِ . لِأَنَّ تَشْبِيهِ الْوَجْهِ بِالصَّبَاحِ أَصْلٌ مُتَقَرِّفٌ
عَلَيْهِ لَا يَنْكَرُ وَلَا يُسْتَكْرَرُ . وَأَمَّا الَّذِي يُسْتَكْرَرُ تَشْبِيهِ الصَّبَاحِ
بِالْوَجْهِ

البحث العشرون

في معاييب التشبيه

(من المثل السائر لابن الاثير باختصار وتصرف)

وَإِذَا ذَكَرْنَا أَقْسَامَ التَّشْبِيهِ وَبَيَّنَّا الْخَطُوءَ مِنْهَا الَّذِي يَتَّبِعِي إِقْتِفَاءُ
آثَرِهِ وَاتِّبَاعُ مَذْهَبِهِ فَلَنُشِيعُهُ بِضِدِّهِ بِمَا يَتَّبِعِي اجْتِنَابُهُ وَالْأَضْرَابَ عَنْهُ .
عَلَى أَنَّهُ قَدْ قَدِّمْنَا الْقَوْلَ بِأَنَّ حَدَّ التَّشْبِيهِ هُوَ أَنْ يُثَبَّتَ لِلْمُشَبَّهِ
حُكْمٌ مِنْ أَحْكَامِ الْمُشَبَّهِ بِهِ . فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ أَوْ كَانَ
بَيْنَ الْمَشَبِّهِ وَالْمُشَبَّهِ بِهِ بَعْدُ ذَلِكَ الَّذِي يُطْرَحُ وَلَا يُسْتَعْمَلُ . وَالَّذِي
يُرَدُّ مِنْهُ مُضَرَّ الْأَدَاةِ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي التَّوَسُّعِ . كَقَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

مَا لِلرَّجُلِ أَمْثَالِ أَمَسْتَ تَشْتَكِي مِنْكَ الْكَذَلَا
فَجَعَلَ لِلْمَالِ رَجُلًا وَذَلِكَ تَشْبِيهُ بَعِيدٌ. وَمِنْ أَقْبَحِ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ
ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي نَعْمَانَ :

وَتَعَلَّمَ النَّاسُ السَّخَاءَ مُجَرَّأً وَذَهَبَتْ أَنْتَ يَرَأْسِهِ وَسَنَامِهِ
وَتَرَكْتَ لِلنَّاسِ الْآهَابَ وَمَا بَقِيَ مِنْ قَرْيَةٍ وَعُرُوقِهِ وَعِظَامِهِ
وَأَقْبَحُ الْفَاحِشِ فِي أَلْيَتِ الثَّانِي وَكُلُّ هَذَا التَّعَسُّفُ فِي التَّشْبِيهِ
الْبَعِيدِ دَهْدَةٌ حَوْلَ مَعْنَى لَيْسَ بِطَائِلٍ. فَإِنْ غَرَضُهُ أَنْ يَقُولَ : ذَهَبَتْ
بِالْأَعْلَى وَتَرَكْتَ لِلنَّاسِ الْآدَتِي. أَوْ : ذَهَبَتْ بِالْحَيِّدِ وَتَرَكْتَ لِلنَّاسِ الرَّدِيَّ.
وَأَمَّا التَّشْبِيهُ الْمُظْهَرُ الْآدَاةُ فَهَذِهِ أَمْثَالُ أَوْرَدْتُهَا لِتُسْتَدِلَّ بِهَا عَلَى
أَشْبَاهِهِ فَإِنَّ لِدِكْرِ الْمَثَالِ قَائِدَةً لَا تَكُونُ لِدِكْرِ أَحَدٍ وَحْدَهُ . فَمِنْ
ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

لَا حَاجَتِكَ الشَّيْبُ حَتَّى كَانَهُ طِبَاءُ جَرَتْ مِنْهَا سَنِيحٌ وَبَارِحٌ
وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْآخَرِ يَصِفُ السَّهَامَ فَشَبَّهَا بِأَعْنَاقِ الطُّبَاءِ .
وَذَلِكَ مِنْ أَعْدِ التَّشْبِيهَاتِ :

كَسَاهَا رَطِيبُ الرِّيشِ فَأَعْتَدْتَ لَهُ قِدَاحُ كَأَعْنَاقِ الطُّبَاءِ أَلْفَوَارِقِ
وَعَلَى نَحْوِ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

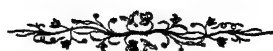
يَمُشُونَ فِي حَلَقِ الْحَدِيدِ كَمَا مَشَتْ جُرْبُ الْجَمَالِ بِهَا الْكَيْلُ الْتُشْعَلُ
فَشَبَّ الرِّجَالُ فِي دُرُوعِ الزَّرْدِ بِالْجَمَالِ الْجُرْبِ. وَهَذَا مِنْ التَّشْبِيهِ
الْبَعِيدِ السَّخِيفِ فَضْلًا عَنْ أَنْ لَا مُقَارَبَةَ بَيْنَهُمَا فِي اللَّوْنِ. وَمِنْ التَّشْبِيهَاتِ
الْبَارِدَةِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي :

وَجَرَى عَلَى الْوَرَقِ الْجَمْعُ الْفُلَانِي فَكَأَنَّهُ النَّارُ تَنُجُّ فِي الْأَغْصَانِ
وَهَذَا تَشْبِيهُ يُكْرَهُ أَهْلُ الْجَسَمِ . وَقَدْ عَدُوا مِنْ التَّشَابِيهِ الَّتِي
هِيَ غَيْرُ بَلِيغَةٍ قَوْلَ الشَّاعِرِ فِي وَصْفِ الرُّوضِ :

كَانَ شَقَائِي الثُّغْمَانِ فِيهِ ثِيَابٌ قَدْ رَوَيْنَ مِنَ الدِّمَاءِ
فَهَذَا وَإِنْ كَانَ تَشْبِيهًا مُضِيًّا فَإِنَّ فِيهِ بَشَاعَةً كَثْرَتِ الدِّمَاءُ
الَّتِي تَعَاثُ الْأَنْفُسُ الْطَيِّفَةُ رُؤُوسَهَا . وَفِي أَقْوَالِ الْعَرَبِ تَشَابِيهِ
تَجَمُّهَا الْأَذْوَاتُ الصَّحِيحَةُ وَتَنْفَرُ مِنْهَا الطَّيَاعُ السَّالِيَةُ . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ
الْبَاقِعَةِ وَقَدْ عَابَهُ الْأَصْمَعِيُّ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ :

ظَهَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا ظَهَرَ الْمَرِيضُ إِلَى وَجْهِ الْعُودِ
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قَدْ يُكْرَهُ تَشْبِيهُ الْمَدْحُوحِ بِالْمَرِيضِ . وَمِثْلُهُ
قَوْلُ أَبِي مِخْنَجٍ الثَّقَفِيِّ فِي قَبْنَةٍ :

وَتَرْجِعُ الْعُودَ أَحْيَانًا وَتَحْفَظُهُ كَمَا يَطِيرُ ذُبَابُ الرُّوضَةِ الْغَرْدُ
فَإِنَّ الْقَبْنَةَ لَمْ تَرْضَ أَنْ تُشَبَّهَ نَفْسُهَا بِالذَّبَابِ . وَلِذَلِكَ رَغِبَ
الْمَوْلَدُونَ عَنْ تَشَابِيهِ الْعَرَبِ لِأَنَّهَا مَعَ عَقَادَةِ التَّرْكِيبِ لَمْ تُسْفِرْ عَنْ
كَثِيرٍ أَمَرَ فُحْلُوها فِي كَثِيرٍ مِنَ الشَّعْرِ إِلَى مَا هُوَ أَلْيَقُ بِالْوَقْتِ
وَأَمْسُ بِأَهْلِهِ



البحث الحادي والعشرون

في المذهب الكلامي

(من شرح بديعة العيان لابن حابر الاندلسي باحتصار)

(راجع صفحة ٢٨ من علم الادب)

الْمَذْهَبُ الْكَلَامِيُّ عِنْدَ أَهْلِ الْيَمَنِ هُوَ إِيرَادُ حُجَّةٍ لِلْمَطْلُوبِ
عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْكَلَامِ . وَهُوَ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ تَسْلِيمِ الْمَقْدَمَاتِ
مُقَدِّمَةً مُسْتَلْزَمَةً لِلْمَطْلُوبِ . وَقِيلَ : هُوَ أَنْ يَأْتِيَ الْبَلِغُ فِي صِحَّةِ
دَعْوَاهُ وَإِبْطَالِ دَعْوَى خَصْمِهِ بِحُجَّةٍ قَاطِعَةٍ عَقْلِيَّةٍ تَصَحُّ نِسْبَتُهَا إِلَى
عِلْمِ الْكَلَامِ . إِذْ عِلْمُ الْكَلَامِ عِبَارَةٌ عَنْ إِثْبَاتِ أَصُولِ الدِّينِ
بِالْبُرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ الْقَاطِعَةِ . وَمِنْ أَوْضَحِ الشَّوَاهِدِ فِي هَذَا النَّوعِ
قَوْلُ الْقُرْآنِ : لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا .
فَهَذَا دَلِيلٌ قَاطِعٌ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ جَلَّ جَلَالُهُ . وَتَمَامُ الدَّلِيلِ أَنْ تَقُولَ
لَكِنَّمَا لَمْ تَفْسُدَا فَلَيْسَ إِذَا فِيهِمَا إِلَهَةٌ غَيْرَ اللَّهِ . وَمِنْ أَهْمَةِ هَذَا
الْبَابِ قَوْلُ أَغْرَابِيِّ لِجَلِّ : إِنِّي لَمْ أَرَدْ وَجْهِي عَنْ الطَّلَبِ إِلَيْكَ
فَضَنُّ نَفْسِكَ عَنْ رَدِّي وَضَعْنِي مِنْ كَرَمِكَ بِحَيْثُ وَضَعْتَ نَفْسِي مِنْ
رَجَائِكَ . وَمِنْهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ يَعْتَدِرُ إِلَى الثُّغَمَانِ :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ
لَيْتَ كُنْتُ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً لِمَلِئِكَ الْوَايِي أَغْشُ وَأَكْذَبُ
وَلَكِنِّي كُنْتُ أَمْرًا لِي جَانِبُ مِنْ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ

مُلُوكٌ وَإِخْوَانٌ إِذَا مَا مَدَحْتَهُمْ أَحْكَمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَقْرَبُ
كَفْعِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ أَصْطَنَعْتَهُمْ فَلَمْ تَرْهَمْ فِي مَدْحِهِمْ لَكَ أَذُنُورَا
يَقُولُ لِهَذَا أَلَمَّا : أَنْتَ أَحْسَنْتَ إِلَى قَوْمٍ قَدْ حُوكَ . وَأَنَا
أَحْسَنَ إِلَى قَوْمٍ قَدْ حُوكَهُمْ . فَكَمَا أَنَّ مَدْحَ مَنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ لَكَ
لَا يُعَدُّ ذَنْبًا فَكَمَا مَدْحِي لَكَ أَحْسَنَ إِلَيَّ لَا يُعَدُّ ذَنْبًا . قَالَ ابْنُ أَبِي
الْإِصْبَعِ : وَمِنْ شَوَاهِدِ هَذَا أَلْبَابِ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

لِكُلِّ أَمْرٍ نَفْسَانِ نَفْسٌ كَرِيَّةٌ وَنَفْسٌ يُعَاصِيهَا أَلْتَقَى وَطِيعُهَا
وَنَفْسُكَ مِنْ نَفْسِيكَ تَشْفَعُ لِلنَّدَى إِذَا قَلَّ مِنْ أَحْرَارِهِنَّ شَفِيعُهَا
يَقُولُ : لِكُلِّ إِنْسَانٍ نَفْسٌ مُطِئَةٌ تَأْمُرُ بِالْخَيْرِ . وَنَفْسٌ أَمَارَةٌ
تَأْمُرُ بِالسُّوءِ . وَالْإِنْسَانُ يُعَاصِي الْأَمَارَةَ مَرَّةً وَطِيعُهَا أُخْرَى . وَأَنْتَ
إِذَا أَمَرْتِكَ الْأَمَارَةُ بِتَرْكِ النَّدَى شَفَعَتْ الْمُطِئَةُ إِلَيْهَا فِي النَّدَى
فِي الْحَالَةِ الَّتِي يَقُلُّ فِيهَا الشَّفِيعُ فِي النَّدَى مِنَ النَّفُوسِ . فَأَنْتَ
أَكْرَمُ النَّاسِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ قِيَاسَ الْمَذْهَبِ الْكَلَامِيِّ إِمَّا حَلِّيٌّ . وَإِمَّا شَرْطِيٌّ .
فَالْأَقْبَسُ الْخَلْقِيَّةُ قَدْ اسْتَبْطَوَهَا عَلَى صُورٍ : مِنْهَا مَا يُرَوَى أَنَّ أَبَا دُلْفَ
قَصَدَهُ شَاعِرٌ تَمِيمِيٌّ . فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ . فَقَالَ مِنْ تَمِيمٍ . فَقَالَ
أَوْ دُلْفَ :

تَمِيمٌ بِطَرِيقِ اللُّؤْمِ أَهْدَى مِنْ أَلْقَطَا وَلَوْ سَلَكْتَ سُبُلَ الْهَدَايَةِ ضَلَّتْ
فَقَالَ لَهُ التَّمِيمِيُّ : نَعَمْ بِتِلْكَ الْهَدَايَةِ حِثُّ إِلَيْكَ . فَافْتَحَهُ بِدَلِيلِ
حَلِّيِّهِ الزَّهْمَ فِيهِ أَنَّ الْحَلِّيَّ إِلَيْهِ ضَلَالٌ . وَلَعَنَرِي إِنْ أَلْقِيَاسَ الشَّرْطِيَّ

أَوْضَحُ دَلَالَةٍ فِي هَذَا أَلْبَابٍ مِنْ غَيْرِهِ وَأَعَذَبُ فِي الذُّوقِ وَأَسْهَلُ
فِي التَّرْكِيبِ . فَلَا تَهْجُلُهُ وَاقِعَةٌ بَعْدَ (لَوْ) وَجَوَابِهَا . وَمَعْنَاهُ الْجُمْلَةُ عَلَى
أَصْطِلَاحِهِمْ مُقَدِّمَةٌ شَرْطِيَّةٌ مُتَّصِلَةٌ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ الْحُكْمِ
كَمَا جَاءَ : لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ (يُرِيدُ أُمُورَ الْآخِرَةِ) لَصَحَّحْتُمْ
قَلِيلًا وَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا . وَقَامَ الدَّلِيلُ أَنْ يُقَالَ : لَكِنَّكُمْ صَحَّحْتُمْ
كَثِيرًا وَبَكَيْتُمْ قَلِيلًا فَلَمْ تَعْلَمُوا مَا أَعْلَمُ

وَلَقَدْ زَادُوا عَلَى هَذَيْنِ الْقِيَاسَيْنِ الْقِيَاسَ الْفَقْهِيَّ وَذَلِكَ أَنْ يُقَاسَ
قَرَعٌ عَلَى أَصْلِ بِجَامِعٍ بَيْنَهُمَا قِيلَزْمٌ لِلتَّسَاوِي فِي الْحُكْمِ . كَمَا يُحْكَمُ
أَنَّ الْوَلِيدَ قَالَ لِبَعْضِهِمْ : أَنْشِدْ مِنْ قَوْلِكَ فِي الْخَمْرِ . فَأَنْشَدَهُ :

كُمَيْتٍ إِذَا نُحِتَ وَفِي الْكَأْسِ وَرَدُّهَا

لَهَا فِي عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَيْبٌ

ثُرَيْكَ الْفَدَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونُهُ

لَوْجِهِ أَخِيهَا فِي الْإِنَاءِ قُطُوبٌ

فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : مَرَبَّتَهَا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ . فَقَالَ : لَيْنٌ كَانَ

وَعَنِي لَهَا رَأْبُكَ لَقَدْ رَأَيْتُ مَعْرِفَتَكَ بِهَا . (يَقُولُ) : كَمَا أَنَّ عَرَفَتِي
بِوَضْفِهَا رَأْبُكَ كَذَلِكَ مَعْرِفَتَكَ بِهَا رَأْبَتِي



الفصل الخامس

في محاسن الانشاء ومعايه

البحث الاول

في تميز الكلام جيده من رديته ونادره من بارده

(عن كتاب الصناعتين للعسكري باختصار)

(راجع صفحة ٥١ من علم الادب)

اَلْكَلَامُ اَيْدِكَ اَللّٰهُ يَحْسُنُ بِسَلَاسَتِهِ وَسُهُولَتِهِ وَنَصَاعَتِهِ وَتَحْسِينِ
لَفْظِهِ وَرَاصَاتِهِ مَعْنَاهُ وَجُودَتِهِ مَقَاطِعِهِ وَلَيْنِ مَعَاطِفِهِ وَاسْتِوَاءِ تَقَاسِيْمِهِ
وَتَعَادُلِ اَطْرَافِهِ وَتَشَبُّهِ اَعْجَازِهِ بِهَوَادِيهِ وَمُوَافَقَةِ مَا خَيْرِهِ لِمَبَادِيهِ مَعَ
قَلَّةِ ضُرُورَاتِهِ بَلْ عَدَوِيهَا اَصْلَاحَتِي لَا يَكُونُ لَهَا فِي اَلْاَلْفَاظِ اَثَرٌ .
فَقَبْحُ اَلْمَنْظُومِ مِثْلُ اَلْمَشْوَرِ فِي سُهُولَةِ مَطْلَعِهِ وَجُودَةِ مَقْطَعِهِ وَحُسْنِ
رَضْفِهِ وَتَأْلِيْفِهِ وَكَمَالِ صَوْنِهِ وَتَرْكِيبِهِ . فَاِذَا كَانَ اَلْكَلَامُ كَذَاكَ
كَانَ بِاَلْقَبُولِ حَقِيْقًا وَبِاَلْتَحْفُظِ خَلِيْقًا كَقَوْلِ اَلْاَوَّلِ :

هُمْ اَلْاَوَّلَى وَهَبُوا لِلْجَدِّ اَنَّهُمْ
وَقَوْلِ مَعْنِ بْنِ اَوْسٍ :

لَعَنُوكَ مَا اَهْدَيْتُ كَفِّي لِرِيْبَةٍ
وَلَا قَادِنِي سَمْعِي وَلَا بَصْرِي لَهَا
وَأَعْلَمُ اَنِّي لَمْ تُصْنِئْ مُصِيْبَةً
وَلَا حَمَلْتَنِي نَحْوَ فَاحِشَةٍ رِجْلِي
وَلَا دَلِّي رَأْيِي عَلَيْهَا وَلَا عَقْلِي
بِنَ الدَّهْرِ اِلَّا قَدْ اَصَابَتْ فِتْنِي قَبْلِي

وَكُنْتُ بِمَا شِ مَا حَيَّتْ لِنُكْرٍ مِنْ أَلَامٍ لَا يَمِثِّي إِلَى وَثِيلِهِ وَثِيلِي
وَلَا مُؤَيِّرٍ نَفْسِي عَلَى ذِي قَرَابَةٍ وَأُوْثِرُ صَفِينِي مَا أَقَامَ عَلَى أَهْلِي
وَقَوْلِ الْآخِرِ :

وَكُنْتُ بِنَظَارٍ إِلَى جَانِبِ الْغَنَى إِذَا كَانَتْ أَعْلَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ
وَقَالَ الْآخَرُ :

ذَرِينِي أَسِيرٌ فِي أَلْسَادٍ لَعْنِي أَصِيبُ غِنَى فِيهِ لَدَى أَحَقِّ مُجَلِّ
فَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَسْطِغْ دِفَاعًا لِحَادِثِ تَحِيُّ بِهِ الْأَيَّامُ فَالْصَبْرُ أَجَلُ
أَلَيْسَ كَثِيرًا أَنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْحُقُوقِ مُعَوَّلُ
وَمِمَّا هُوَ فَصِيحٌ فِي لَفْظِهِ جَيِّدٌ فِي رَدِّهِ قَوْلُ الشَّنْفَرِيِّ :

أَطِيلُ وَطَالَ الْجُلُوعُ حَتَّى أُمِيتَهُ وَأَضْرِبُ عَنْهُ الْقَلْبَ صَفْحًا فَيَنْهَلُ
وَلَوْ لَا اجْتِنَابُ الْعَالِمِ يُلْفَ مَشْرَبُ يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَيْ وَمَا كَلُ
وَلَكِنَّ نَفْسًا مُرَّةً لَا تُقِيمُنِي عَلَى الضَّمِّ إِلَّا رَيْبًا أَتَحَوَّلُ
وَقَوْلِ آخَرَ :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مَرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَلِمْتُ وَآيُ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ
وَقَوْلِ الْآخِرِ :

وَمَا إِنْ قَتَلْنَاهُمْ بِأَكْثَرِ مِنْهُمْ وَلَكِنْ بِأَوْفَى لِلطَّعَانِ وَأَكْرَمًا
وَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

وَكُنْتُ بِمُسْتَبْرَأٍ أَحَا لَا تُلْهُ عَلَى شَعَثِ آيُ الرِّجَالِ أَلْهَدَبُ
وَلَيْسَ لِهَذَا أَلْبَيْتِ تَغْيِيرٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : تَغْيِيرُهُ
قَوْلُ أَوْسِ بْنِ حُجْرٍ :

وَكُنْتُ بِحَاجَتِي أَبَدًا طَعَامًا حِذَارَ غَدٍ لِكُلِّ غَدٍ طَعَامٌ
وَهَذَا وَإِنْ كَانَ ظَهْرُهُ فِي التَّأْلِيفِ فَإِنَّهُ دُونَهُ لِمَا تَكَرَّرَ فِيهِ مِنْ
لَفْظٍ غَدٍ . فَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ قَدْ جَمَعَ الْعُذُوبَةَ وَالْجَرَائِلَ وَالْأَسْهُوَةَ
وَالرَّصَانَةَ مَعَ السَّلَاسَةِ وَالنَّصَاعَةِ . وَاشْتَمَلَ عَلَى الرُّوتَنِ وَالطَّلَاوَةِ .
وَسَلِمَ مِنْ سَخْفِ التَّأْلِيفِ . وَبَعْدَ مِنْ سَجَاجَةِ التَّرْكِيبِ . وَرَدَّ عَلَى
أَفْهَمِ الثَّاقِبِ فَقِيلَهُ وَلَمْ يَرُدَّهُ . وَعَلَى السَّمْعِ الْمَصِيبِ اسْتَوْعَبَهُ وَلَمْ
يُحْجِهِ . وَالنَّفْسُ تَقْبَلُ اللَّطِيفَ وَتَتَّبِعُ عَنِ الْغَلِيزِ وَتَقْلُقُ مِنَ الْجَلِيلِ
الْبَشِيعِ . وَجَمِيعُ جَوَارِحِ الْبَدَنِ وَحَوَاسِيهِ يَسْكُنُ إِلَى مَا يُؤَافِقُهُ وَيَقْرُ
عَمَّا يُضَادُّهُ وَيُخَالِفُهُ . وَالْعَيْنُ تَأْتِي الْحَسَنَ وَتَقْذِي بِالْقَبِيحِ . وَالْأَنْفُ
يَرْتَاحُ لِلطَّيِّبِ وَيَضُرُّ لِلْمُنْتَنِ . وَالْقَمُ يَلْتَذُّ بِالْخُلُوِّ وَيَجُوعُ الْمُرُّ . وَالسَّمْعُ
يَتَشَوَّقُ لِلصَّوَابِ الرَّائِعِ وَيَتَرَوَّى عَنِ الْجَهْرِ الْهَائِلِ . وَالْيَدُ تَعْمَلُ
بِالْيَدَيْنِ وَتَتَأَدَّى بِالْحَشَنِ . وَالْقَمُ يَأْتِسُ مِنَ الْكَلَامِ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَسْكُنُ إِلَى الْمَأْلُوفِ وَيُضْغِي إِلَى الصَّوَابِ وَيَهْرُبُ مِنَ الْخِلَالِ وَيَنْقِضُ
عَنِ الْوَجْهِ وَيَتَأَخَّرُ عَنِ الْجَائِي الْغَلِيزِ . وَلَا يَقْبَلُ الْكَلَامَ الْمُضْطَرِبَ
إِلَّا أَفْهَمُ الْمُضْطَرِبِ وَالرُّوْيَةُ الْفَاسِدَةُ . وَلَيْسَ الشَّانُ فِي إِيْرَادِ الْإِعْلَانِي
لِأَنَّ الْإِعْلَانِي يَعْرِفُهَا الْعَرَبِيُّ وَالْعَجَمِيُّ وَالْقُرَوِيُّ وَالْبَدَوِيُّ وَإِنَّمَا هُوَ فِي
جُودَةِ اللَّفْظِ وَصِفَاتِهِ وَحُسْنِهِ وَبَهَائِهِ وَتَرَاهُتِهِ وَنَقَائِهِ وَكَثْرَةِ طُلَاوَتِهِ
وَمَائِهِ مَعَ صِحَّةِ السَّبْكِ وَالتَّرْكِيبِ وَالْخُلُوِّ مِنْ أَرْدِ النَّظْمِ وَالتَّأْلِيفِ
وَلَيْسَ يُطْلَبُ مِنَ الْمَعْنَى إِلَّا أَنْ يَكُونَ صَوَابًا . وَلَا يُتَمَعُّ مِنَ اللَّفْظِ
بِذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ عَلَى مَا وَصَفْنَاهُ مِنْ نُعُوتِهِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ . إِلَّا تَرَى

إِلَى قَوْلِ حَبِيبٍ :

سُتْسَلِّمُ لِلَّهِ سَائِسُ أُمَّةٍ بِذَوَى نُجْهَضُهَا لَهُ اسْتِسْلَامُ
فِيهِ صَوَابُ اللَّفْظِ وَلَيْسَ هُوَ بِحَسَنٍ وَلَا مَقْبُولٍ . وَمِنْ الدَّلِيلِ عَلَى
أَن مَدَارَ الْبَلَاغَةِ عَلَى تَحْسِينِ اللَّفْظِ أَنَّ الْخُطْبَ الرَّائِعَةَ وَالْأَشْعَارَ الرَّائِقَةَ
مَا عَمِلَتْ لِإِفْهَامِ أَلْمَاعِي فَقَطْ لِأَنَّ الرَّدِيَّ مِنْ أَلْفَاظٍ يَقُومُ مَقَامُ
جَيِّدِهَا فِي الْإِفْهَامِ وَأَمَّا يَدُلُّ حُسْنُ الْكَلَامِ وَإِحْكَامُ صَنْعَتِهِ
وَرَوْنُ أَلْفَاظِهِ وَجُودَةُ مَطَالِعِهِ وَحُسْنُ مَقَاطِعِهِ وَبَدِيعُ مَبَادِيهِ وَغَرِيبُ
مَبَانِيهِ عَلَى فَضْلِ قَائِلِهِ وَفَهْمِ مُنْشِئِهِ . وَكَثُرَ هَذِهِ الْأَوْصَافُ تَرْجِعُ
إِلَى أَلْفَاظٍ دُونَ أَلْمَاعِي . وَتَوَجَّحِي صَوَابُ أَلْمَعَى أَحْسَنُ مِنْ تَوَجَّحِي
هَذِهِ الْأُمُورِ فِي أَلْفَاظٍ . فَلِهَذَا تَأْتَى الْكَاتِبُ فِي الرِّسَالَةِ وَالْخُطْبِ
فِي الْخُطْبَةِ وَالشَّاعِرُ فِي الْقَصِيدَةِ وَهُمْ يُبَالِغُونَ فِي تَجْوِيدِهَا . وَيَقُولُونَ فِي
تَرْتِيلِهَا لِيَسْدُلُوا عَلَى بَرَاعَتِهِمْ وَحَذَقِهِمْ بِصَنَاعَتِهِمْ . وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ فِي
أَلْمَاعِي لَطَرَحُوا أَكْثَرَ ذَلِكَ فَرَجَحُوا كَثِيرًا وَاسْقَطُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ
تَعَبًا طَوِيلًا . وَلِهَذَا دَلِيلٌ آخَرُ : أَنَّ الْكَلَامَ إِذَا كَانَ لَفْظُهُ حُلُوءًا عَذْبًا
وَسَلِسًا سَهْلًا وَمَعْنَاهُ وَسَطًا دَخَلَ فِي جُمْلَةِ الْحَيِّدِ وَجَرَى مَعَ الرَّائِعِ النَّادِرِ
كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَزْكَانِ مَنْ هُوَ مَا سَحَ
وَشُدَّتْ عَلَى حُذْبِ التَّهَارِي رِحَالُنَا وَلَمْ يَنْظُرِ الْعَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحُ
أَخَذَنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ أَطْيَى الْأَبَاطِحِ
وَأَيْسَ تَحْتَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ كَثِيرٌ غَنَى وَهِيَ رَائِقَةٌ مُنْجِبَةٌ . وَإِنَّ

هِيَ : وَلَمَّا قَضَيْتَا الْحَجَّ وَمَسَّحَا الْأَرْكَانَ وَشُدَّتْ رِحَالُهُمَا عَلَى مَهَابِلِ
الْإِبِلِ وَلَمْ يَنْتَظِرْ بَعْضُهُمَا بَعْضًا جَعَلْنَا نَحْدَثُ وَتَسِيرُ بَنَاتُ الْإِبِلِ فِي
بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ . وَإِذَا كَانَ الْمَعْنَى صَوَابًا وَاللَّفْظُ بَارِدًا وَقَاتِرًا وَالْقَاتِرُ
شَرٌّ مِنَ الْبَارِدِ كَانَ مُسْتَهْجَأًا مَلْفُوظًا وَمَذْمُومًا مَرْدُودًا . وَالْبَارِدُ مِنْ
الشِّعْرِ كَقَوْلِ عُمَرَ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ :

قَدْ عَلِمْتَ سَلَمَى وَجَارَاتِهَا مَا قَطَّرَ الْفَارِسُ إِلَّا آتَا
شَكَتُ بِالرُّمَحِ سَرَابِيلَهُ وَلَخَيْلُ تَعْدُوزِيَا حَوْلَنَا
وَقَوْلِ أَبِي الْقَتَاهِيَةِ :

مَاتَ وَاللَّهِ سَعِيدُ بْنُ وَهَبٍ رَجِمَ اللَّهُ سَعِيدَ بْنَ وَهَبٍ
يَا أَبَا عُمَانَ أَبَكَيْتَ عَيْنِي يَا أَبَا عُمَانَ أَوْجَعْتَ قَلْبِي
وَلَا خَيْرَ فِي الْمَعَانِي إِذَا اسْتَكْرَهَتْ قَهْرًا وَفِي الْأَلْفَاظِ إِذَا جَرَتْ
قَسْرًا . وَلَا خَيْرَ فِيمَا أُجِيدَ لَفْظُهُ إِذَا سَخَفَ مَعْنَاهُ . وَلَا فِي غَرَابَةِ الْمَعْنَى
إِلَّا إِذَا شَرَفَ لَفْظُهُ مَعَ وَضُوحِ الْمَغْرَى وَظُهُورِ الْقَصْدِ . وَقَدْ غَلَبَ
الْجَهْلُ عَلَى قَوْمٍ فَصَارُوا يَسْتَحْيِدُونَ الْكَلَامَ إِذَا لَمْ يَفْقَهُوا عَلَى مَعْنَاهُ
بِكَرٍّ وَيَسْتَهْجِئُونَهُ إِذَا وَجَدُوا أَلْفَاظَهُ كَثْرَةً غَلِيظَةً وَجَاسِيَةً غَرِيبَةً .
وَيَسْتَحْيِرُونَ الْكَلَامَ إِذَا رَأَوْهُ سَلِسًا عَذْبًا وَسَهْلًا حَاضِرًا . وَلَمْ يَعْلَمُوا
أَنَّ السَّهْلَ أَمْنَعُ جَانِبًا وَأَعَزُّ مَطْلَبًا وَهُوَ أَحْسَنُ سَوْقًا وَأَعَذْبُ سَمْعًا
وَلِهَذَا قِيلَ : أَحْوَدُ الْكَلَامِ السَّهْلُ الْمُسْتَعِ . وَصَفَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ عُمَرَ
ابْنَ مَسْعَدَةَ فَقَالَ : هُوَ أَبْلَغُ النَّاسِ . وَمِنْ بَلَغَتِهِ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَطْنُ
أَنْ يَكْتُبُ مِثْلَ كُتُبِهِ فَإِذَا رَامَهَا تَعَدَّرَ عَلَيْهِ . حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ

مُحَمَّدٍ قَالَ : أَنَشَدَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ لِخَالِهِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَخْنَفِ :
 إِنْ قَالَ لَمْ يَفْعَلْ وَإِنْ سَأَلَ لَمْ يَنْدُلْ وَإِنْ عُوِثَ لَمْ يُعْتَبَرْ
 صَبُّ بَعْضِيَانِي وَلَوْ قَالَ لِي لَا تُشْرَبِ الْبَسَارِدَ لَمْ أَشْرَبِ
 ثُمَّ قَالَ : هَذَا الشَّعْرُ الْحَسَنُ الْفَعْيُ السَّهْلُ الْفَعْيُ الْعَذْبُ الْمُسْتَعِ
 الْقَلِيلُ الظَّيْرِ الْغَزِيرُ الشَّيْبَةُ الطُّيْعُ الْمُسْتَعِ الْبَعِيدُ مَعَ قُرْبِهِ الصَّغْبُ
 فِي سُهُولِهِ . (قَالَ) فَجَعَلْنَا نَقُولُ : هَذَا الْكَلَامُ أَحْسَنُ مِنْ شِعْرِهِ . وَمِنْ
 الْكَلَامِ الطُّيْعِ السَّهْلِ مَا وَقَعَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى : قَدْ بَلَّغْتُكَ
 أَقْصَى طَلَّتِكَ وَأَتَلْتُكَ غَايَةَ بُغْيَتِكَ وَأَنْتَ مَعَ ذَلِكَ تَسْتَقِيلُ كَهْرِي
 لَكَ وَتَسْتَشِجُ حَسَنِي فِيكَ . فَأَنْتَ كَمَا قَالَ رُوْبَةُ :

كَأَخْلَوْتُ لَا يَكْفِيهِ شَيْءٌ يَلْهَمُهُ يُضِجُ ظَمَانٌ وَفِي النَّجْرِ قَهْ
 وَمِنْ الْمَنْظُومِ الطُّيْعِ قَوْلُ الْبُخَيْرِيِّ :

أَيُّهَا الرَّاعِبُ الَّذِي طَلَبَ الْجَوَّ	دَ قَاتِلِي كَوْمَ الْمَطَايَا وَأَنْصِي
رِدْ حِيَاضَ الْأَمَامِ تَلَقَّ نَوَالًا	يَسْعُ الرَّاعِينَ طُولًا وَعَرْضًا
هُوَ أَنْدَى مِنَ الْعَمَامِ وَأَوْحَى	وَقَعَاتٍ مِنَ الْحُسَامِ وَأَنْصِي
يَتَوَخَّى الْإِحْسَانَ قَوْلًا وَفِعْلًا	وَيُطِيعُ الْإِلَاهَ بَسْطًا وَقَضًا
فَضَّلَ اللَّهُ جَعْفَرًا بِجَلَالٍ	جَعَلَتْ حُبَّهُ عَلَى النَّاسِ قَرْضًا
وَأَدَّى الْحَجْدَ بَيْنَ عَارِقَةٍ مِنْكَ	مَ تُرْجَى وَعَزْمَةٍ مِنْكَ تَقْضَى

وَقَوْلُهُ :

خَلَقَ اللَّهُ جَعْفَرًا قِيمَ الدُّنْيَا مَ سَدَادًا وَقِيمَ الدِّينِ رُشْدًا
 أَكْرَمَ النَّاسُ شَيْئَةً وَأَتَمَّ مَ النَّاسُ جِلْمًا وَأَكْثَرُ النَّاسِ رِفْدًا

هُوَ تَجَرُّ السَّاحِ وَالْجُودُ فَازْدَدَ مِنْهُ قُرْبًا تَزْدَدُ مِنَ الْفَقْرِ بُعْدًا
يَا ثَمَالَ الدُّنْيَا عَطَاءٌ وَبَذْلًا وَكَمَالَ الدُّنْيَا سَنَاءٌ وَمَجْدًا
إِنِّي عُمَرُ الزَّمَانِ حَتَّى نُودِي شُكْرَ إِحْسَانِكَ الَّذِي لَا يُودَى
وَأَمَّا الْجَزَلُ الْمُخْتَارُ مِنَ الْكَلَامِ فَهُوَ الَّذِي تَعْرِفُهُ الْعَامَّةُ إِذَا
سَمِعَتْهُ وَلَا تَسْتَعْمِلُهُ فِي مُحَاوَرَاتِهَا . فَمِنْ الْجَزَلِ الْجَيِّدِ الْمُخْتَارِ قَوْلُ مُسْلِمٍ :
وَرَدَّ نَارِ وَاقَ الْفَضْلِ فَضْلَ بْنِ جَعْفَرٍ فَحُطَّ إِلَيْنَا الْجَزَلُ نَائِلُهُ الْجَزَلُ
يَكْفِي أَبِي الْعَبَّاسِ يُسْتَنْطَرُ الْغِنَى وَيُسْتَنْزَلُ الْتَعْنَى وَيُسْتَرْعَفُ النُّضْلُ
وَيُسْتَنْطَفُ الْأَمْرُ الْأَيُّ بِحُزْمِهِ إِذَا الْأَمْرُ لَمْ يَعْطِفْ نَفْضٌ وَلَا قَتْلُ
وَبِمَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ هَذَا قَوْلُ الْمَرَارِ الْفَقْعِيِّ :
لَا تَسْأَلِي الْقَوْمَ عَنْ مَالٍ وَكَثْرَتِهِ قَدْ يُقْتَرُ الْمَرْءُ يَوْمًا وَهُوَ مُحْمُودُ
أَمْضِي عَلَى سُنَّةٍ مِنَ وَالِدِي سَلَفَتْ وَفِي أَرْوَمَتِهِ مَا يُنْبِتُ الْعُودُ
فَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ كَلَامِ الْعَامَّةِ فَإِنَّهُمْ يَعْرِفُونَ الْقَرَضَ
وَيَقْفُونَ عَلَى أَكْثَرِ مَعَانِيهِ لِحُسْنِ تَرْتِيبِهِ وَجُودَةِ نَسْجِهِ
وَمِنْ النَّثَرِ قَوْلُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ : أَعْطَانَا الدَّهْرُ فَانْسَرَفَ . ثُمَّ
عَطَفَ عَائِيًا فَعَسَفَ . وَقَوْلُ سَعِيدِ بْنِ جَمِيدٍ : وَأَنَا مَنْ لَا يُحَاجُّكَ
عَنْ نَفْسِهِ . وَلَا يُعَالِطُكَ عَنْ جُزْمِهِ . وَلَا يَلْتَمِسُ رِضَاكَ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِ .
وَلَا يَسْتَدْعِي بِرِّكَ إِلَّا مِنْ طَرِيقَتِهِ . وَلَا يَسْتَعْطِفُكَ إِلَّا بِالْإِقْرَارِ
بِالدَّنْبِ . وَلَا يَسْتَمِيحُكَ إِلَّا بِالْإِعْتِرَافِ . ثَبَّتَ لِي عَنْكَ غِرَّةُ الْخِدَانَةِ .
رَدَدَتْ بَنِي إِلَيْكَ الْخُنْكَةَ . وَبَاعَدَتْ بَنِي مِنْكَ الْبَقَّةَ بِالْأَيَّامِ فَادَّتْ بَنِي
إِلَيْكَ الضَّرُورَةَ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْتَقِيلَ الصَّنِيعَةَ بِقَبُولِ الْعُذْرِ

وَتَجِدُ النَّعْمَةَ بِأَطْرَاحِ الْحِلْدِ فَإِنَّ قَدِيمَ الْحُرْمَةِ وَحَدِيثَ التَّوْبَةِ يَحْتَمِلَانِ
مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْأَسَاءَةِ . فَإِنَّ أَيَّامَ الْقُدْرَةِ وَإِنْ طَالَتْ قَصِيرَةٌ وَالنَّعْمَةُ
بِهَا وَإِنْ كَثُرَتْ قَلِيلَةٌ فَعَلَتْ . وَفِي هَذَا الْكَلَامِ وَمَا قَبْلَهُ قُوَّةٌ فِي
سُهُولَةٍ . وَمِمَّا هُوَ أَجْزَلُ مِنْ هَذَا قَوْلُ الشَّعْبِيِّ لِلْحَاجِّ وَأَرَادَ قَتْلَهُ
لِخُرُوجِهِ عَلَيْهِ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ : أَجَدُّ بِنَا الْجَبَابُ وَأَخْزَنُ بِنَا الْأَمْلِيلُ
وَأَسْتَحْسِنُ أَخْذَرُ وَأَسْتَحْتَلِنُ السَّهَرُ . وَأَصَابْنَا فِتْنَةً وَلَمْ نَكُنْ فِيهَا بَرَّةً
أَنْتَقِيَاءَ وَلَا فَجْرَةً أَقْرِيَاءَ . فَعَقَّا عَنْهُ . وَأَجُودُ الْكَلَامِ مَا يَكُونُ جَزْلاً
سَهْلاً لَا يَنْفَلِقُ مَعْنَاهُ وَلَا يُسْتَبْهِمُ مَعْرَاهُ . وَلَا يَكُونُ مَكْدُوداً مُسْتَكْرَهاً
وَمُتَوَعِراً مُتَعَبِراً . وَيَكُونُ بَرِيئاً مِنَ الْعَنَاءَةِ عَارِياً مِنَ الرِّثَاءَةِ .
وَالْكَلَامُ إِذَا كَانَ أَفْظُهُ عَثَا وَمَعْرِضُهُ رَثَا كَانَ مَرْدُوداً وَلَوْ اخْتَوَى
عَلَى أَجَلٍ مَعْنَى وَأَنْبَلَهُ وَأَرْفَعَهُ وَأَفْضَلُهُ كَقَوْلِهِ :
لَمَّا أَطْعَمْنَاكُمْ فِي سُحُطٍ خَالِقِنَا لَأَشْكُ سُلَّ عَلَيْنَا سَيْفُ نِقْمَتِهِ
وَقَوْلِ الْآخَرِ :

أَرَى رِجَالاً بِأَذَى الَّذِينَ قَدْ قَنِعُوا وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي الْعَيْشِ بِالْذُّونِ
فَأَسْتَعْنِ بِالَّذِينَ عَنْ دُنْيَا الْمُلُوكِ كَمَا مَ اسْتَعْنَى الْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الَّذِينَ
وَلَا يَدْخُلُ هَذَا فِي جُمْلَةِ الْخُتَارِ وَمَعْنَاهُ كَمَا تَرَى نَبِيلٌ فَاضِلٌ
جَلِيلٌ . وَأَمَّا أَجْزَلُ الرَّدِيِّ : أَلْفُ الَّذِي يَبْغِي تَرْكُ اسْتِعْمَالِهِ فَتَقُلُ قَوْلُ
تَأَبَّطُ شَرًّا وَكَانَ خَرَجَ مَعَ صَاحِبَيْنِ لَهُ قَتِيلَا فِي الْأَعْزِ وَرَجَعَ هُوَ سَالِماً :
إِذَا مَا تَرَكْتُ صَاحِبِي لِشَلَانَةٍ أَوْ أَشْنَيْنِ وَثَانِيَا فَلَا أَتُ آبَتْ أَوْثَانَا
وَلَمَّا سَمِعْتُ أَعْوَصَ تَدْعُو تَفْعَّرَتْ عَصَافِيرُ رَأْيِي مِنْ غَوَاةٍ فَرَاتِنَا

وَحُفَّتْ مَشْعُوفَ النَّجَاءِ سَكَتِي هَبْتُ رَأَى قَصْرًا سِمَاكَ وَدَاجِنَا
 مِنْ الْخَصِّ هَزْزُوفُ كَانَ عَفَاءُهُ إِذَا اسْتَدْرَجَ الْفَيْقَا وَمَدَّ الْفَنَانَا
 آجَ زُلُجْ هَزْزِي زَفَازِفْ هَزَفْتُ يَدُ النَّجَاحَاتِ الصَّوْافِنَا
 فَهَذَا مِنْ الْجَزْلِ الْبَغِيضِ الْجَلْفِ الْقَاسِدِ الشَّجِ الْفَسِيحِ الرُّضْفِ
 الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُجَنَّبَ مِثْلُهُ وَتُمَيِّزُ الْأَلْفَازِ شَدِيدُهُ . وَلَوْ لَا كَرَاهَةُ
 الْأَطَالَةِ وَتَخَوُّفُ الْأَمَلَالِ لَرُدَّتْ مِنْ هَذَا التَّنَوُّعِ وَلَكِنْ يَكْفِي مِنَ
 التَّجَرُّعَةِ . قَالُوا : وَجِيزَ الْكَلَامِ مَا قَلَّ وَجَلَّ وَدَلَّ وَلَمْ يَلَّ

البحث الثاني

في التنبيه على خطأ المعاني وصوابها

(من كتاب (الصاعنين للمسكري)

إِنَّ الْكَلَامَ أَلْفَازٌ تَشْتَبِلُ عَلَى مَعَانٍ تَدُلُّ عَلَيْهَا وَتَعْبُرُ عَنْهَا
 فَيَتِمُّ صَاحِبُ الْبَلَاغَةِ إِلَى إِصَابَةِ الْمَعْنَى كَحَاجَتِهِ إِلَى تَحْسِينِ الْفَظِّ .
 لِأَنَّ الْمَدَارَ بَعْدَ الْفَظِّ عَلَى إِصَابَةِ الْمَعْنَى . وَالْمَعْنَى تَحُلُّ مِنَ الْكَلَامِ مَحَلًّا
 الْأَبْدَانِ وَالْأَلْفَازِ تَجْرِي مَعَهَا تَجْرَى الْكُسُوفِ . وَمَرْتَبَةٌ أَحَدَاهُمَا عَلَى
 الْأُخْرَى مَعْرُوفَةٌ وَمَنْ عَرَفَ تَرْتِيبَ الْمَعْنَى وَاسْتِعْمَالَ الْأَلْفَازِ عَلَى
 وَجُوهٍ بَاقَةٍ مِنَ الْأَلْفَازِ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى لُغَةٍ أُخْرَى تَهَيَّأَ لَهُ فِيهَا مِنْ صُنْعَةِ
 الْكَلَامِ مِثْلُ مَا تَهَيَّأَ لَهُ مِنَ الْأَوَّلَى . أَلَا تَرَى أَنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ
 الْكَاتِبَ اسْتَخْرَجَ أَمَلَةً الْكِتَابَةِ الَّتِي رَسَمَهَا لِمَنْ بَعْدَهُ مِنَ اللِّسَانِ
 الْقَارِسِيِّ فَحَوَّلَهَا إِلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ . فَلَا يَكْمُلُ إِصْنَاعُ الْكَلَامِ
 إِلَّا مَنْ يَكْمُلُ لِإِصَابَةِ الْمَعْنَى وَتَضَحُّجِ الْفَظِّ وَالْمَعْرِفَةِ بِوُجُوهِ الِاسْتِعْمَالِ .

وَالْعَلَّامِي عَلَى صَرِيحٍ : ضَرْبٌ يَتَّسِعُهُ صَاحِبُ الصَّاعَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ
يَكُونَ لَهُ إِمَامٌ يَقْتَدِي بِهِ فِيهِ أَوْ رُسُومٌ قَائِمَةٌ فِي أَمْثَلِهِ مَا يَكُونُ يَعْمَلُ
عَلَيْهَا . وَهَذَا الضَّرْبُ رُبَّمَا يَقَعُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْخُطُوبِ الْخَالِدَةِ وَيَتَّبَعُهُ لَهُ
عِنْدَ الْأُمُورِ الطَّارِئَةِ . وَالْآخَرُ مَا يَحْتَذِيهِ عَلَى مِثَالِ تَقَدُّمِ وَرَنَمِ فُرُضَ .
وَيَنْبَغِي أَنْ تُطْلَبَ الْأَصَابَةُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ وَتُتَوَخَّى فِيهِ الصُّورَةُ
الْمَقْبُولَةُ وَالْعِبَارَةُ الْمُسْتَحْسَنَةُ وَلَا يَتَّكِلَ فِيهَا أَبْتَكْرَهُ عَلَى فَضِيلَةٍ
أَبْتِكَارِهِ إِيَّاهُ . وَلَا يَغْرُهُ ابْتِدَاعُهُ لَهُ فَيَسَاهِلَ نَفْسَهُ فِي تَهْنِئِ
صُورَتِهِ فَيَتَهَبُّ حُسْنُهُ وَيُطَمِّسُ نُورَهُ وَيَكُونُ فِيهِ أَقْرَبُ إِلَى الْأَذَمِّ مِنْهُ
إِلَى الْحَمْدِ . وَالْعَلَّامِي بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِهِ : مِنْهَا مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ حَسَنٌ
نَحْوُ قَوْلِكَ : رَأَيْتُ زَيْدًا . وَمِنْهَا مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ قَبِيحٌ نَحْوُ قَوْلِكَ :
قَدْ زَيْدًا رَأَيْتُ . وَأَمَّا قَبِيحٌ لِأَنَّكَ أَفْسَدْتَ النِّظَامَ بِالتَّعْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ .
وَمِنْهَا مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ الظُّنْمِ وَهُوَ كَذِبٌ مِثْلُ قَوْلِكَ : حَمَلْتُ الْجَبَلَ
وَسَرَرْتُ نَاءَ الْحَجَرِ . وَمِنْهَا مَا هُوَ مُحَالٌ كَقَوْلِكَ : آتِيكَ أُنْسَ وَأَتِيَنَّكَ
غَدًا . وَكُلُّ ذَلِكَ مُحَالٌ فَاسِدٌ . وَلَيْسَ كُلُّ فَاسِدٍ مُحَالًا . أَلَا تَرَى أَنَّ
قَوْلَكَ : قَامَ زَيْدٌ . فَاسِدٌ وَلَيْسَ بِمُحَالٍ . وَالْمُحَالُ مَا لَا يَجُوزُ كَوْنُهُ
أَلَيْسَ كَقَوْلِكَ : أَلَدْنَا فِي بَيْضَةٍ . وَأَمَّا قَوْلَكَ : حَمَلْتُ الْجَبَلَ وَأَشْبَاهَهُ
وَأَمْثَالَهُ فَكَذِبٌ . وَلَيْسَ بِمُحَالٍ إِنْ جَاءَ أَنْ يَرِيدَ اللَّهُ فِي قُدْرَتِكَ
فَتَحْمِلُهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ الْوَاحِدُ كَذِبًا مُحَالًا وَهُوَ قَوْلُكَ :
رَأَيْتُ قَاعِدًا قَائِمًا وَعَرَرْتُ بَيْضَانًا نَائِمًا . فَتَصِلُ كَذِبًا بِمُحَالٍ فَصَارَ
الَّذِي هُوَ الْكَذِبُ هُوَ الْمُحَالُ بِالْجَمْعِ بَيْنَهُمَا . وَإِنْ كَانَ لِكُلِّ

مِنْهُمَا مَعْنَى عَلَى حَيَالِهِ . وَذَلِكَ لِأَنَّ بَعْضَهَا عَقْدٌ بِبَعْضٍ حَتَّى صَادَا كَلَامًا
وَاحِدًا . وَمِنْهَا أَلْغَطُ وَهُوَ أَنْ تَقُولَ : ضَرَبَنِي زَيْدٌ . وَأَنْتَ تُرِيدُ : ضَرَبْتُ
زَيْدًا . فَطَلَطْتُ . فَإِنْ تَعَدَّتْ ذَلِكَ كَانَ كَذِبًا . وَلِلْخَطَا صُورٌ مُخْتَلِفَةٌ
نَبَّهْتُ عَلَى أَشْيَاءٍ مِنْهَا فِي هَذَا الْفَصْلِ وَبَيَّنْتُ وَجُوهَهَا وَشَرَحْتُ أَبْوَابَهَا
لِتَقِفَ عَلَيْهَا فَتَجَنَّبَهَا كَمَا عَرَفْتُكَ بِمَوَاضِعِ الصَّوَابِ لِتَعْتَمِدَ عَلَيْهَا . وَلِيَكُونَ
فِيهَا أَوْرَدْتُ دَلَالَةً عَلَى أَمْثَالِهِ بِمَا تَرَكْتُ . وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الْخَطَا كَانَ
جَدِيرًا بِالْوُضُوعِ فِيهِ . فَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبَّ الْقَدِيمَ بَعْسًا سَكَتِي أَنَادِي أَوْ أُكَلِّمُ آخِرَسًا
هَذَا مِنَ التَّشْبِيهِ الْقَائِدِ لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ : كَلَّمْتُ حَجْرًا فَلَمْ يُجِبْ
فَكَانَتْ كَأَنَّ حَجْرًا . وَالَّذِي جَاءَ بِهِ أَمْرُ الْقَيْسِ مَقْبُولٌ . وَاجِدُ قَوْلَ
كَثِيرٍ فِي أَمْرَةٍ :

فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزَّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وَطَنْتِ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ
سَكَتِي أَنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَرْضَتْ مِنْ الصَّمِّ لَوْ تَمَشَّى بِهَا الْعُصْمُ ذَلَّتْ
فَشَبَّ الْمَرْأَةُ عِنْدَ السُّكُوتِ وَالتَّغَافُلِ بِالصَّخْرَةِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ ابْنِ أَحْمَرَ :
لَمْ يَذِرْ مَا نَسِجُ الْيَرَنْدَجِ قَبْلَهَا وَدِرَاسَ آغَوَسَ دَارِسٍ مُتَجِدِّدٍ
ظَنَّ أَنَّ الْيَرَنْدَجَ يَنْسِجُ . وَالْيَرَنْدَجُ جِلْدٌ أَسْوَدٌ يَغْسَلُ مِنْهَا
الْخُفَافُ فَارِيزِي مُرَبَّبٌ وَأَصْلُهُ : رَنَدَةٌ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَوْسٍ بْنِ حَجْرٍ :

وَمَنْ أَنَابِيْبِ تُفَاحٍ وَرَمَانٍ

ظَنَّ أَنَّ الرُّمَانَ وَالْتِفَاحَ أَنَابِيْبُ . وَقِيلَ : إِنَّ الْأَنَابِيْبَ الطَّرَائِقُ
الَّتِي فِي الرُّمَانِ . وَإِذَا أُحْمِلَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ صَحَّ الْمَعْنَى . وَمِمَّا اخْتُدَّ عَلَى

أَمْرِي أَتَقْنِسُ قَوْلُهُ فِي الْفَرَسِ :
فَلْيَسْطُوطِ الْهُوبُ وَالسَّاقِ دِرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِثْهُ وَقَعُ أَخْرَجَ مَهْدِبِ
فَلَوْ وَصَفَ أَحْسَنَ حِمَارٍ وَأَضَعَهُ مَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ . وَالْجَيْدُ قَوْلُهُ :
عَلَى سَابِجٍ يُعْطِيكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ أَفَايِنَ جَرِيٍّ غَيْرِ كَرٍّ وَلَا وَايِنِ
وَمَا سَمِعْنَا أَجْوَدَ وَلَا أَبْلَغَ مِنْ قَوْلِهِ : أَفَايِنَ جَرِيٍّ . وَقَوْلُ عَلْقَمَةَ :
فَاذْرَكْهُنَّ ثَانِيًا مِنْ عِنَانِهِ يُؤْ كَمَرِ الرَّائِحِ الْمُتَحَلِّبِ
فَاذْرَكْ طَرِيدَتَهُ وَهُوَ كَانِ مِنْ عِنَانِهِ لَمْ يَضْرِبْهُ بِسَوْطٍ وَلَمْ يُؤْرَهُ
بِسَاقٍ وَلَمْ يَزْجُرْهُ بِصَوْتٍ وَيَمَا يُعَابُ قَوْلُ الْأَخْطَلِ :
وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْخِلَافَةَ مِنْهُمْ لَا بَلِجَ لَا عَارِي الْجَوَانِ وَلَا جَذْبِ
يَقُولُهُ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ . وَمِثْلُ هَذَا لَا يَدُخُّ بِهِ الْمُلُوكُ . وَأَمَّا تَمْدَحُ
الْمُلُوكُ بِمِثْلِ قَوْلِ الشَّاعِرِ :
لَهُ هِمَمٌ لَا مُتَهَيَّ لِكِبَارِهَا وَهَمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلُ مِنَ الدَّهْرِ
لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مِعْشَارَ جُودِهَا عَلَى الْبَرِّ كَانَ الْبَرُّ أُنْدَى مِنَ النَّجْرِ
وَمِنْ الْأَخْطَلِ قَوْلُ جُنَادَةَ :
مِنْ حُبِّهِ أَتَمَّنَى أَنْ يُلَاقِيَنِي مِنْ تَحْوِ بَلَدَتِهِ نَاعٍ قَيْعَاهُ
لِسَكْنِي يَكُونُ فِرَاقٌ لَا لِقَاءَ لَهُ وَتَضْمِيرُ النَّفْسِ يُأْسَأُ ثُمَّ تَسْلَاهُ
فَإِذَا تَمَّنَى أَنْحَبَ لِحُبِّهِ الْمَوْتَ فَمَا عَسَى أَنْ يَتَمَنَّى التَّبَغُّضُ لِبَغِيضِهِ .
وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ مَنْ يَقُولُ :
أَلَا لَيْتَنَا عَشْنَا جَمِيعًا وَكَانَ بَيْنِي مِنَ الدَّاءِ مَا لَا يَعْرِفُ النَّاسُ مَا بَيْنَا
فَهَذَا أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ وَلَوْ أَنَّ جُنَادَةَ كَانَ يَتَمَنَّى وَصْلَهُ وَلِقَاءَهُ

لَكَانَ قَدْ قَضَى وَطَرًا مِنَ الْمُنَى وَلَمْ تَلْزِمَهُ الْفُجْهَةَ . كَمَا قَالَ الْعَبَّاسُ
ابْنُ الْأَخْنَفِ :

فَإِنْ تَجَلَّوْا عَنِّي بِبَذْلِ تَوَالِكُمْ وَبِالْوَصْلِ مِنْكُمْ كَيْ أُصَبَّ وَأُخْزَنَا
فَارْتِي بِلَذَاتِ الْمُنَى وَنَعِيمِهَا أَعِيشُ إِلَى أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا
وَمَنْ وَضَعَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

يَمِشِي بِهَا كُلُّ مُوشِيٍّ أَكْرَعُهُ مَشْيَ الْأَرَايِدِ تَحْجُوا بَيْعَةَ الْأُرُودِ
فَالْقَلَطُ فِي هَذَا أَلَيْتَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ : أَحَدُهَا أَنَّ الْأَرَايِدَ
الْحَبُوسَ لَا النَّصَارَى . وَالثَّانِي أَنَّ الْبَيْعَةَ لِلنَّصَارَى لَا لِلْحَبُوسِ . وَالثَّلَاثُ
أَنَّ النَّصَارَى لَا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَلَا الْحَبُوسَ . وَمِنْ الْحَالِ الَّذِي
لَا وَجَهَ لَهُ قَوْلُ الْقَسِّ :

وَلِيَّ إِذَا مَا أَمُوتُ حَلَّ بِنَفْسِهَا يُزَالُ بِنَفْسِي قَبْلَ ذَلِكَ فَاقْبُرْ
وَهَذَا شَبِيهُ بِقَوْلِ قَائِلٍ لَوْ قَالَ : إِذَا دَخَلَ زَيْدٌ الدَّارَ دَخَلَ عَمْرُو
قَبْلَهُ وَهَذَا عَيْنُ الْحَالِ الْمُنْتَبِعِ الَّذِي لَا يَجُوزُ كَوْنُهُ . وَمِنْ عُيُوبِ الْمَعْنَى
مُخَالَفَةُ الْعُرْفِ وَذِكْرُ مَا لَيْسَ فِي الْعَادَةِ كَقَوْلِ الْمُرَّارِ :

وَحَالَ عَلَى حَدِيثِهِ يَبْدُو كَأَنَّهُ سَنَا الْبَذْرَ فِي دَنْجَبَةٍ بَادٍ دُجُونُهَا
وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ الْخِيلَانَ سُودٌ أَوْ سُمرٌ وَالْحُدُودَ الْحَسَنَةَ إِنَّمَا هِيَ
أَلْيَظُ . فَاتَى هَذَا الشَّاعِرُ بِقَلْبِ الْمَعْنَى . وَمِنْ أَلْعَانِي مَا يَكُونُ مُقْصَرًّا
غَيْرَ بِالْعَرَبِ مَبْلَغُ غَيْرِهِ فِي الْإِحْسَانِ . وَمِنْ عُيُوبِ الْمَدِيحِ غُدُولُ الْمَادِحِ
عَنِ الْقَضَائِلِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِالنَّفْسِ مِنَ الْعَقْلِ وَالْعِفَّةِ وَالْعَدْلِ وَالشَّجَاعَةِ
إِلَى مَا يَلِيْقُ بِأَوْصَافِ الْجِسْمِ مِنَ الْحُسْنِ وَالْبَهَاءِ وَالزَّيْنَةِ . كَمَا قَالَ

أَبْنُ قَيْسٍ الرَّقِيَّاتِ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ :
يَأْتِيكَ أَلْتَّاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ عَلَى جَبِينِ سَكَاةِ الذَّهَبِ
فَقَضِبَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ : قَدْ قُلْتَ فِي مُضْعَبِ :

إِنَّمَا مُضْعَبُ شِهَابٍ مِنْ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
فَاعْطَيْتَهُ الْمَدْحَ يَكْشِفُ الْعُتَمَ وَجَلَاءُ الظُّلَمِ وَأَعْطَيْتَنِي مَا لَا فُخْرَ
فِيهِ وَهُوَ أَعْتَدَالُ أَلْتَّاجِ فَوْقَ جَبِينِي الَّذِي هُوَ كَالذَّهَبِ فِي النَّضَارَةِ :
وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُ آيِنَ بْنِ خَزِيمٍ فِي بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ :

يَا أَبْنَ الْمَكَارِمِ مِنْ قُرَيْشٍ كُلِّهَا وَأَبْنَ الْخَلَائِفِ وَأَبْنَ كُلِّ قَلَسٍ
مِنْ فَرْعِ آدَمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ حَتَّى آتَيْتَ إِلَى آيِيكَ الْعَنْبَسِ
مَرْوَانَ إِنَّ قَسَاةَ خَطِيئَةٍ غُرِسَتْ أَرْوَمُهَا أَغْرَأَ الْمَغْرَسِ
وَبَنَيْتَ عِنْدَ مَقَامِ رَبِّكَ قُبَّةً خَضْرَاءَ كُلَّلَ تَاجُهَا بِالْفِئْفِئِ
فَسَمَّوْهَا ذَهَبٌ وَأَسْفَلُ أَرْضِهَا وَرَقٌ يُلَالُ فِي صَمِيمِ الْحَدِيدِ
فَمَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ تَبَيُّهُ يَتَعَلَّقُ بِالْمَدْحِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِالنَّفْسِ
وَأَمَّا ذِكْرُ سُودَدَ الْأَبَاءِ وَفِيهِ فُخْرٌ لِلْأَبْنَاءِ . وَلَكِنْ لَيْسَ الْعَصَامِيُّ
كَأَلِطَامِي . وَرَبَّمَا كَانَ سُودَدُ الْوَالِدِ وَفَضِيلَتُهُ نَقِصَةً لِلْوَلَدِ إِذَا تَأَخَّرَ
عَنْ رُتْبَةِ الْوَالِدِ . وَيَكُونُ ذِكْرُ الْوَالِدِ الْفَاضِلِ تَقْرِيبًا لِلْوَلَدِ الْفَاقِصِ .
وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : لِمَ لَا تَكُونُ كَأَيِّكَ . فَقَالَ : لَيْتَ أَبِي لَمْ يَكُنْ
ذَا فَضْلٍ فَإِنَّ فَضْلَهُ صَارَ نَقْصًا لِي . وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ :

إِنَّمَا الْحَجْدُ مَا بَنَى وَالِدُ الصِّدْقِ وَاحِيَا فَعَالَهُ الْمَوْلُودُ
وَقَالَ غَيْرُهُ فِي خِلَافِهِ :

لَئِنْ فَحَرْتِ أَبَاءَ ذَوِي نَعْرِفٍ لَقَدْ صَدَقْتَ وَلَكِنْ بَأْسَ مَا وَلَدُوا
وَقَالَ آخَرُ :

عَلَتْ مَقَالِحُ أَخْلَاقٍ خُصِصَتْ بِهَا عَلَى مُحَاسِنِ أَبْقَاهَا أَبُوكَ لَكَ
لَئِنْ تَقَدَّمَ أَبَاءُ الْكَرَامِ بِهِ لَقَدْ تَقَدَّمَ أَبَاءُ اللَّئَامِ بِكَ
ثُمَّ ذَكَرَ آيِنُ بِنَاءَ قُبَّةِ حَسَنَةٍ وَلَيْسَ بِنَاءُ الْقِبَابِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى
جُودٍ وَكَرَمٍ . بَلْ يَجُوزُ أَنْ يَبْنِيَ اللَّئِيمُ الْخَيْلُ الْأَنْبِيَةَ النَّفِيسَةَ وَيَتَوَسَّعَ
فِي النَّفَقَةِ عَلَى الدُّورِ الْحَسَنَةِ مَعَ مَنَعِ الْحَقِّ وَرَدِّ السَّائِلِ وَلَيْسَ الْإِسَارُ
بِمَا يُدْخِلُ بِهِ مَدْحًا حَقِيقِيًّا . الْآتِرَى كَيْفَ يَقُولُ أَشْجَعُ السَّلْمِيِّ :
يُرِيدُ أَلْمُوكَ مَدَى جَفَرٍ وَلَا يَضْنَعُونَ كَمَا يَضْنَعُ
وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْغِنَى وَلَكِنْ مَعْرُوفُهُ أَوْسَعُ
وَالْجِدُّ فِي الْمَدِيحِ قَوْلُ زُهَيْرٍ :

هَذَاكَ إِنْ يَسْتَحْوِزُوا أَلْمَالُ يَحْوِلُوا وَإِنْ يُسْتَلَوْا يُعْطُوا وَإِنْ يَنْسُرُوا يُغْلُوا
وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حَسَنٌ وَجُوهُهُمْ وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ
فَلَمَّا اسْتَمَّ وَصَفَهُمْ بِحُسْنِ الْمَقَالِ وَتَصْدِيقِ الْقَوْلِ بِالْفِعْلِ
وَصَفَهُمْ بِحُسْنِ الْوُجُوهِ ثُمَّ قَالَ :

عَلَى مُكَثَرِيهِمْ حَقٌّ مَنْ يَعْتَرِيهِمْ وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ السَّامَةِ وَالْبَسْذِلِ
فَلَمْ يُحْلِ مُكَثَرًا مِنْهُمْ وَلَا مُقْلًا مِنْ بَرٍّ وَفَضْلٍ . ثُمَّ قَالَ :
وَأَنْ جِثَّتْهُمْ أَلْقَيْتَ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ تَحَالَسَ قَدْ يُشْقَى بِأَحْلَامِهَا الْجَهْلُ
فَوَصَفَهُمْ بِالْجُلْمِ ثُمَّ قَالَ :

وَأَنْ قَامَ وَنَهْمٌ قَائِمٌ قَالَ قَاعِدٌ رَشَدْتَ فَلَا غُرْمَ عَلَيْكَ وَلَا خَذُلُ

فَوَصَّيَهُمْ أَيْضًا بِالْتَّضَافِرِ وَالتَّعَاوُنِ فَلَمَّا آتَى بِهَذِهِ الصِّفَاتِ النَّفْسِيَّةِ
ذَكَرَ فَضْلَ آبَائِهِمْ فَقَالَ :

وَمَا يَكُ مِنْ فَضْلٍ آتَوْهُ فَلَانًا فَوَارَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ
وَهَلْ يُنَبِّتُ الْخَطِيئَةَ إِلَّا وَشِيحُهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا الْخُلُ
وَقَوْلُ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ اللَّقَاءِ كَانَتْهُمْ
هُمُ الْمَانِعُونَ أَتْجَارَ حَتَّى كَانُوا
بِهَابِلٍ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ
هُمُ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا
وَلَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فِعْلَهُمْ
ثَلَاثٌ بِأَمْثَالِ الْجِبَالِ جِبَاهُهُمْ
وَكَقَوْلُ الْآخَرِ :

عَلَّمَ الْغَيْثُ أَنْتَدَى حَتَّى إِذَا
فَلَهُ الْغَيْثُ مُقَرَّرٌ بِالنَّدَى
وَمَعَ مَا ذَكَرْنَاهُ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُجْلُوَ الْمَدْحُ مِنْ مَنَاقِبِ
أَنَاءِ الْمَدْحِ وَتَقْرِيطِ مَنْ يُعْرِفُ بِهِ وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ . وَأَنْشَدَ مَرْوَانَ
أَبْنُ أَبِي حَفْصَةَ :

نَقَرْتُ فَلَا شُكَّ يَدَ خَالِدِيَّةٍ رَدَعْتُ بِهَا الْفَتَى الَّذِي بَيْنَ هَاشِمٍ
فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ قُلْ : بِرَمَكِيَّةٍ . فَقَدْ يَشْرِكُنَا فِي خَالِدٍ بَشَرٌ كَشِيرٌ
وَلَا يَشْرِكُنَا فِي بَرَمَكٍ أَحَدٌ

وَالْهَجَاءُ أَيْضًا إِذَا لَمْ يَكُنْ بِسَلْبِ الصِّفَاتِ الْمُسْتَحْسَنَةِ الَّتِي تَحْتَضُّهَا
النَّفْسُ وَرَأَتْ أَنَّ الصِّفَاتِ الْمُسْتَحْسَنَةِ الَّتِي تَحْتَضُّهَا أَيْضًا لَمْ يَكُنْ مُخْتَارًا .
وَالِاخْتِيَارُ أَنْ تَنْسَبَ الْمَجْهُورُ إِلَى اللَّوْمِ وَالْجَلِّ وَالشَّرِّ وَمَا أَشَبَّهُ
ذَلِكَ . وَلَيْسَ بِالْمُخْتَارِ فِي الْهَجَاءِ أَنْ يَنْسَبَهُ إِلَى قُبْحِ أَلْوَجِهِ وَصِغَرِ
الْجَنَمِ وَضُؤُولَةِ الْجَنَمِ وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ الْقَائِلُ :

قُلْتُ لَهَا لَيْسَ الشُّحُوبُ عَلَى أَلْقَى بَعَادٍ وَلَا خَيْرُ الرِّجَالِ سَمِينُهَا
وَقَوْلُ الْآخَرِ :

تَمَالُ الْخَيْرُ مِنْ تَرْدِيرِهِ وَيُخْلِفُ ظَنَّاكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ
وَقَوْلُ الْآخَرِ :

رَأَوْهُ فَازْدَرَوْهُ وَهُوَ حَذَقٌ وَيَنْفَعُ أَهْلَهُ الرَّجُلُ الْقَبِيحُ
وَذَكَرَ السَّمُولُ أَنَّ قَلَّةَ الْعَدَدِ لَيْسَ بِغَيْبٍ فَقَالَ :

تُعَيِّرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا قُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلٌ
وَمِنْ الْهَجَاءِ الْحَيِّدِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

اللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَوَالِدِهِ وَاللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَمَا وَلَدَا
قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَى جَانِيهِمْ آمَنُوا مِنْ لُؤْمٍ أَحْسَابِهِمْ أَنْ يُقْتَلُوا قَوْدًا
وَقَوْلُ آعَشَى بِأَهْلَةٍ :

بُوَيْتُمْ قَرَارَةً كُلِّ لُؤْمٍ كَذَلِكَ لِكُلِّ سَائِلَةٍ قَرَارُ
وَقَوْلُ الْآخَرِ :

لَوْ كَانَ يَخْفَى عَلَى الرَّحْمَنِ خَافِيَةٌ مِنْ خَلْقِهِ خَفِيََتْ عَنْهُ بَنُو أَسَدٍ
وَمِنْ حَيْثُ الْهَجَاءِ قَوْلُ الْآخَرِ :

إِنْ يَنْدِرُوا أَوْ يَجْبِنُوا أَوْ يَنْحِلُوا لَا يَحْفَلُوا
يَعْدُوا عَلَيْكَ مُرَجَّلِينَ كَانَهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا
وَقَوْلُ الْآخِرِ :

لَوْ أَطْلَعَ الْغُرَابُ عَلَى نَجْمٍ وَمَا فِيهَا مِنَ السُّوءَاتِ شَابَا
وَمِنْ خَطَايَا اللَّفْظِ قَوْلُ الْآخِرِ :

ذَكَرْتُ أَخِي فَعَاوِدِي صُدَاعُ الرَّأْسِ وَالْوَصْبُ
فَذِكْرُ الرَّأْسِ مَعَ الصُّدَاعِ فَضْلٌ لِأَنَّ الصُّدَاعَ لَا يَكُونُ فِي
الرَّجْلِ وَلَا فِي غَيْرِهَا مِنَ الْأَعْضَاءِ . وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرٌ مِنَ الْغَيْبِ :
وَهُوَ أَنَّ الدَّاكِرَ لَمَّا قَدْ قَاتَ مِنْ مَحَبُوبٍ يُوصَفُ بِأَلَمِ الْقَلْبِ
وَأَخْتِرَاقِهِ لَا بِالصُّدَاعِ . وَمِنْ عُيُوبِ اللَّفْظِ ارْتِكَابُ الضَّرُورَاتِ فِيهِ
كَمَا قَالَ التَّلَاسُّ :

إِنْ تَسْلُكِي سُبُلَ التَّجَاوُزِ مُجْدَةً مَا عَاشَ عُمُرُو وَمَا عَمَرَتْ قَابُوسُ
أَرَادَ (وَمَا عَمَّرَ قَابُوسُ) . وَقَوْلُ الْأَعَشَى حَكَاهُ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ
وَعَابَهُ

وَمِنْ الْقَاصِرَاتِ شُجُوفُ الْحِجَالِ فَلَمْ تَرَشَّسْ وَلَا زَمَّهَرِيرًا
قَالَ : لَا تَوْضَعُ الشَّمْسُ مَعَ الزَّمْهَرِيرِ (قَالَ :) وَكَانَ يَجِبُ أَنْ
يَقُولَ : لَمْ تَرَشَّسْ وَلَا قَمَرًا وَلَمْ يُصْبَحْ وَلَا قَرٌّ وَقَدْ أَخْطَأَ .
وَكَقَوْلِ عُلَقَمَةَ :

يَحْمِلُنَ أُرْجَةً تَضْحُ الْبَعِيرُ بِهَا كَانَ تَطْيِيبًا فِي الْأَنْفِ مَشْمُومٌ
وَالْتَطْيِيبُ هَاهُنَا عَلَى غَايَةِ السَّاجَةِ وَالطَّيْبُ أَيْضًا مَشْمُومٌ لِمَا لَحَاقَهُ

فَقَوْلُهُ: (كَأَنَّهُ مَشْمُومٌ) هُجَّةٌ وَقَوْلُهُ: (فِي الْأَلْبِ أَاهِنٌ). لِأَنَّ اللَّهَ
لَا يَكُونُ بِأَلْعَيْنِ. وَمِنْ أَلْسَاقِضِ قَوْلُ عُرْوَةَ بْنِ أَدْنَةَ :
تَزَلُّوا ثَلَاثَ مَنَى بِمَزَلِ غِبْطَةٍ وَهُمْ عَلَى غَرَضِ لَعْنِكَ مَا هُمْ
مُتَجَاوِرِينَ بَعِيدَ دَارِ إِقَامَةٍ لَوْ قَدْ أَجَدَّ رَحِيلُهُمْ لَمْ يَنْدُمُوا
(فَقَالَ) لَبِثُوا فِي دَارِ غِبْطَةٍ ثُمَّ قَالَ: لَوْ رَحَلُوا لَمْ يَنْدُمُوا. وَبِمَا جَاءَ
فِي ذَلِكَ مِنْ أَشْعَارِ الْمُحَدِّثِينَ قَوْلُ بَشَّارٍ :

وَإِذَا أَدْنَيْتَ مِنْهَا بَصَلًا غَلَبَ أَلْمَسُكَ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ
وَمِنْ أَلْمَاعِي أَلْبِشَةَ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ :
بِأَحْمَدَ أَلْتَوَجَّيْ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ ثُمَّ سَيِّدِي نَعَصَ جَبَّارَ السَّمَاوَاتِ
فَهَذَا مَعَ كُفْرِهِ تَمَقُّوتٌ . وَمِنْ الْخَطَا قَوْلُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ :
غَنَيْتَ عَلَى أَلْوَمِ الْقَدِيمِ غَنِيَّتًا وَضَعْتَ وَدًّا كَانَ لِي وَنَسِيَّتًا
وَمِنْ أَتَجَبِ الْأَشْيَاءِ أَنْ مَاتَ مَا لَفِي وَمَا كُنْتُ تَرَعَانِي لَهُ وَبَقِيَّتَا
تَجَاهَلْتِ عَمَّا كُنْتُ تُحْسِنُ وَضَفَةً وَمَتَّ عَنْ الْأَحْسَانِ حِينَ حَيَّتَا
وَلَيْسَ مِنَ التَّجَبِّ أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَيَبْقَى بَعْدَهُ إِنْسَانٌ آخَرُ .
بَلْ هَذِهِ عَادَةُ الدُّنْيَا وَالْعَهْدُ مِنْ أَمْرِهَا وَلَوْ قَالَ : (مِنْ ظَلَمِ
الْأَيَّامِ) كَانَ أَلْمَعَى سُتُورِيَا . وَسَيِّغَتْ بَعْضُ الْأُدْبَاءِ يَقُولُ : وَمِنْ
أَلْمَاعِي أَلْبَارِدَةِ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ فِي صِفَةِ أَلْبَازِي :

فِي هَامَةِ غَلَبَاءِ تَهْدِي مِنْسَرًا كَعَطْفَةِ الْجِيمِ بِكَفَرٍ أَعْسَرَا
ثُمَّ قَالَ :

يَقُولُ مَنْ فِيهَا بِعَقْلٍ فَكَّرَا لَوْ زَادَهَا عَيْنًا إِلَى فَاءِ وَرَا

فَأَتَصَلَّتْ بِالْحَلِيمِ صَارَ جَعْفَرًا
 مَنْ يَجْهَلُ أَنَّ الْحَلِيمَ إِذَا أُضِيفَ إِلَيْهَا أَلْعَيْنُ وَالْفَاءُ وَالرَّاءُ يَصِيرُ
 (جَعْفَرًا) وَمَا يَدْخُلُ فِي صِفَةِ الْبَارِزِيِّ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ شَيْءٌ وَتَبِعَهُ قَوْلُ
 أَبِي تَمَّامٍ :

هَنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَاةَ مَنْ حَانِهِنَّ فَأَنْهِنَّ جَمَامُ
 مَنْ ذَا الَّذِي جَهَلَ أَنَّ الْحَمَامَ إِذَا كُسِرَتْ حَاوُهَا صَارَ جَمَامًا .
 وَإِنَّمَا أَرَادَ أَبُو نُوَّاسٍ أَنَّهُ يُشَبِّهُ الْحَلِيمَ لَا يُعَادِرُ مِنْ شَبَّهَا شَيْئًا حَتَّى
 لَوْ زِدَتْ عَلَيْهَا هَذِهِ الْأَحْرُفُ صَارَتْ جَعْفَرًا لِشِدَّةِ شَبَّهٍ بِهِ وَهُوَ عِنْدِي
 صَوَابٌ . إِلَّا أَنَّهُ لَوْ أَكْتَفَى بِقَوْلِهِ : (كَعْطَفَةُ الْحَلِيمِ بِكَفِّ أَعْسَرَ) وَلَمْ
 يَزِدْ الزِّيَادَةَ الَّتِي بَعْدَهَا كَانَ أَجْوَدَ وَارْتَقَى وَأَدْخَلَ فِي مَذَاهِبِ
 الْأَصْحَاءِ وَأَشَبَّهَ بِالشَّعْرِ الْقَدِيمِ . وَإِنَّمَا قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ : فَلَهُ مَعْنَى
 خِلَافَ مَا ذَكَرَهُ ذَلِكَ أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّكَ إِذَا أَرَدْتَ الزَّجْرَ وَالْعِيَاةَ أَذَلِكَ
 الْحَمَامُ إِلَى الْحَمَامِ كَمَا أَنَّ صَوْتَهَا الَّذِي تَهْنُ أَنَّهُ بُكَاءٌ إِنَّمَا هُوَ
 طَرَبٌ وَيُؤَدِّيكَ إِلَى الْبُكَاءِ الْحَقِيقِيِّ وَهَذَا مَعْنَى صَحِيحٌ . إِلَّا أَنَّ
 أَلْمَعْنَى إِذَا صَارَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةُ مِنَ الدَّقِيقَةِ كَانَ كَالْمَعْنَى وَالتَّعْنِيَةِ حَيْثُ
 يُرَادُ الْيَتِيمَانُ عِيٌّ . وَمِنْ غُيُوبِ الْمَعْنَى قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ فِي صِفَةِ الْأَسَدِ :

كَأَنَّمَا عَيْنُهُ إِذَا نَظَرَتْ بَارِزَةَ الْجَفْنِ عَيْنٌ مَخْنُوقٌ
 فَوَصَفَ عَيْنَ الْأَسَدِ بِالْمُخْنُوقِ وَهِيَ تُوصَفُ بِالْعَوْدِ كَقَوْلِ أَبِي زَيْدٍ :
 وَعَيْنَانِ كَالْوَقَيْنِ فِي قَلْبِ صَخْرَةٍ تَرَى فِيهِمَا كَالْجَمْرَتَيْنِ تَسْعَرَانِ
 وَمِنْ أَلْعَلَطِ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

رَقِيقُ حَوَاشِيِ الْحِلْمِ لَوْ أَنَّ حِلْمَهُ يَكْفِيكَ مَا مَادَيْتَ فِي أَنَّهُ يُرَدُّ
وَمَا وَصَفَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَلَا أَهْلِ الْإِسْلَامِ الْحِلْمَ
بِالرِّقَّةِ وَإِنَّمَا يُوصَفُ بِالرَّجْحَانِ وَالرَّزَانَةِ كَمَا قَالَ أَبُو ذُوئَيْبٍ :

وَصَبْرٌ عَلَى حَدَثِ النَّاتِبَاتِ وَحِلْمٌ رَزِينٌ وَعَقْلٌ ذَكِيٌّ
وَوَثْلٌ هَذَا كَثِيرٌ وَإِذَا ذَمُّوا الرَّجُلَ قَالُوا : خَفَّ حِلْمُهُ وَطَاشَ .
وَمِنْ أَخْطَأِ قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

ظَنُّوا فَكَانَ بُكَايَ حَوْلًا بَعْدَهُمْ ثُمَّ ارْتَعَوَيْتَ وَذَلِكَ حِلْمٌ لَيْسَ
أَجْدَرُ بِجَمْرَةٍ لَوْعَةٍ إِطْفَؤُهَا بِالْدَّمْعِ أَنَّ تَزْدَادَ طُولَ وَفُودِ
هَذَا خِلَافَ مَا يَعْرِفُهُ النَّاسُ لِأَنَّهُمْ قَدْ أَجْعَلُوا أَنَّ الْبُكَاءَ يُطْفِئُ
الْغَيْلَ وَيُبْرِدُ حَرَارَةَ الْحَزَنِ وَيُزِيلُ شِدَّةَ التَّوَجُّدِ . وَقَدْ شَهِدَ أَبُو تَمَّامٍ
بِصِحَّةِ مَا ذَكَرْنَاهُ وَخَالَفَ قَوْلَهُ الْأَوَّلَ فَقَالَ :

تَأَثَّرْتُ فَرِيدَ مَدَامِعٍ لَمْ يُنْظَمْ . وَالْدَّمْعُ يُحْمِلُ بَعْضَ ثِقَلِ الْمَغْرَمِ
وَمِنْ أَخْطَأِ قَوْلِ النُّجَّارِيِّ :

بَدَتْ صُفْرَةٌ فِي لَوْنِهِ إِنْ حَمَدَهُمْ مِنْ الدَّرِّ مَا أَصْفَرَّتْ حَوَاشِيهِ فِي الْعَقْدِ
وَإِنَّمَا يُوصَفُ الدَّرُّ بِشِدَّةِ الْبَيَاضِ وَإِذَا أُرِيدَ الْمُبَاقَعَةُ فِي وَصْفِهِ
وُصِفَ بِالنُّصُوعِ . وَمِنْ أَعْيَبِ عِيُوبِهِ الصُّفْرَةُ . وَقَالُوا : كَوَكَبٌ ذَرِيٌّ
لِلْبَيَاضِ . وَإِذَا أَصْفَرَ لَحْيَيْهِ فِي إِزَالَةِ صُفْرَتِهِ لِيَتَّضَوْا وَاسْتَعْمَالُ
الْحَوَاشِي فِي الدَّرِّ أَيْضًا خَطَأٌ . وَلَوْ قَالَ : (تَوَاجِيهِ) لَكَانَ أَجْوَدَ .
وَالْحَاشِيَةُ لِلزُّرْدِ وَالثُّوبِ . فَأَمَّا حَاشِيَةُ الدَّرِّ فَغَيْرُ مَعْرُوفٍ . وَفِيهَا :
وَحَرَّتْ عَلَى الْأَيْدِي حَبْسُهُ جَنْبِهِ كَذَلِكَ مَوْجُ الْبَحْرِ مَتَابُ الْوَقْدِ

وَهَذَا غَلَطٌ لِأَنَّ الْبَجَرَ غَيْرُ مُلْتَهَبِ الْمَوْجِ وَلَا مُتَّعِدِ الْمَاءِ . وَلَوْ
كَانَ مُتَّعِدًا لَمَا امْكَنَ ذِكْوَتُهُ . وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَعْظِمَ أَمْرَ الْمُدْوَحِ فَجَاءَ
بِمَا لَا يُعْرَفُ . وَفِيهَا :

وَكُنْتَ تَرَى شَوْكَ الْقَتَادَةِ خَائِفًا سَمُومَ رِيَّاحِ الْقَادِحَاتِ مِنْ الزُّنْدِ
وَهَذَا خَطَأٌ لِأَنَّهُ شَبَّهَ الْغَلِيلَ بِشَوْكِ الْقَتَادِ لَا يَخَافُ النَّارَ الَّتِي
تُقَدِّحُ بِالزَّرْبَادِ . وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ النَّارَ تَفْلِقُ الصَّخْرَ وَتُلِينُ الْحَدِيدَ
فَكَيْفَ يَسْلُمُ مِنْهَا الْقَتَادُ . وَلَيْسَ لِدِكْرِ السَّمُومِ وَالزَّرِّيَّاحِ أَيْضًا فِي
هَذَا الْبَيْتِ فَائِدَةٌ وَلَا مَوْقِعٌ . وَنُورِدُ هَاهُنَا جُمْلَةً تَتِمُّ بِهَا مَعَانِي هَذَا
الْبَابِ : يَتَبَيَّنُ أَنَّ تَعْرِفَ أَنَّ أَجَوَدَ الْوَصْفِ مَا يَسْتَوْعِبُ أَكْثَرَ
مَعَانِي الْمَوْصُوفِ حَتَّى كَأَنَّهُ يُصَوِّرُ الْمَوْصُوفَ لَكَ فَتَرَاهُ نَضْبَ عَيْنِكَ
وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ يَرْيَدُ بْنُ عَمْرِو الْأَطَّيْنِيِّ :

أَلَا مَنْ رَأَى قَوْمِي كَانَ رِجَالَهُمْ نَحِيلُ أَنَاهَا عَاضِدٌ فَأَمَّا هَا
فَهَذَا الشَّيْءُ كَأَنَّهُ يُصَوِّرُ لَكَ الْقَتْلَى مُصْرَعِينَ . وَقَوْلِ الْعِتَابِيِّ
فِي السَّحَابِ :

وَالْعَيْمُ كَالثَّوْبِ فِي الْأَفَاقِ مُنْتَشِرٌ مِنْ فَوْقِهِ طَبَقٌ مِنْ نَحْنِهِ طَبَقٌ
إِنْ مَعَ الرِّعْدِ فِيهِ قُلْتُ مُخْرَقٌ أَوْ لَأَلَّا الْبَرْقُ فِيهِ قَاتٌ مُحْتَرِقٌ
وَلَمَّا كَانَتْ أَغْرَاضُ الشُّعْرَاءِ كَثِيرَةً وَمَعَانِيهَا مُتَشَعِّبَةً جَمَّةً لَا يَبْلُغُهَا
الْإِحْصَاءُ . كَانَ مِنْ أَلْوَجْهِ أَنْ نَذْكُرَ مَا هُوَ أَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا وَأَطْوَلُ
مُدَاوِمَةً وَهُوَ الْمَدْحُ . وَالْهَجَاءُ . وَالْوَصْفُ . وَالْمَرَاثِي . وَالْفُحْرُ . وَقَدْ
ذَكَرْتُ قَبْلَ هَذَا الْمَدِيحَ وَالْهَجَاءَ وَمَا يَتَّبِعِي اسْتِعْمَالُهُ فِيهِمَا . ثُمَّ

ذَكَرْتُ الْآنَ الْوَصْفَ وَتَرَكْتُ الْمَرَايِي وَالْفَخْرَ . لِأَنَّهُمَا دَاخِلَانِ فِي
الْمَدِيحِ وَذَلِكَ أَنَّ الْفَخْرَ مَدْحُكَ نَفْسَكَ بِأَطْهَارَةٍ وَالْعَافِ وَالْحِلْمِ
وَالْعِلْمِ وَالْحَسْبِ وَمَا يَجْرِي مَجْرَى ذَلِكَ . وَالْمَرِثَةَ مَدْحُ أَلَيْتِ وَالْفَرْقَ
بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْمَدِيحِ أَنْ تَقُولَ : كَانَ كَذَا وَكَذَا . وَتَقُولَ فِي الْمَدِيحِ :
هُوَ كَذَا وَأَنْتَ كَذَا . فَيَنْبَغِي أَنْ يُتَوَخَّى فِي الْمَرِثَةِ مَا يُتَوَخَّى فِي
الْمَدِيحِ . إِلَّا أَنَّكَ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَذْكُرَ أَلَيْتَ بِالْجُودِ وَالشَّجَاعَةِ
تَقُولُ : مَاتَ الْجُودُ وَهَلَكَتِ الشَّجَاعَةُ . وَلَا تَقُولُ : كَانَ فُلَانٌ جَوَادًا
وَشَجَاعًا فَإِنَّ ذَلِكَ بَارِدٌ غَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ . وَكَذَلِكَ سَاكِنَ أَلَيْتَ يُرَكِّبُهُ فِي
حَيَاتِهِ . فَيَنْبَغِي أَنَّهُ لَا يُذَكَّرُ أَنَّهُ يَبْكِي عَلَيْهِ مِثْلَ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ وَهَذَا
يَجْرِي مَجْرَاهُمَا وَإِنَّمَا يُذَكَّرُ أَغْتَابُهَا بِمَوْتِهِ . وَقَدْ أَحْسَنْتَ الْخُفْسَا
حَيْثُ تَقُولُ :

فَقَدْ فَقَدْتُكَ طَلْقَةً وَأَسْتَرَأَحْتُ فَلَيْتَ الْخَيْلَ فَارِسُهَا يَرَاهَا
بَلْ يُوصَفُ بِالْبُكَاءِ عَلَيْهِ مَنْ كَانَ يُحْسِنُ إِلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ . كَمَا
قَالَ الْغَنَوِيُّ :

لَيْسَ بِكَ شَيْخٌ لَمْ يَحْذَنْ يُعِينُهُ وَطَاوِي الْحَشَى نَائِي الْمَزَارِ غَرِيبٌ
فَهَذِهِ جَمَلَةٌ إِذَا تَدَبَّرَهَا صَانِعُ الْكَلَامِ اسْتَفْتَى بِهَا عَنْ غَيْرِهَا .
وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ



البحث الثالث

في كيفية نظم الكلام وما ينبغي استعماله في تأليفه

(عن كتاب الصناعتين باختصار)

إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَصْنَعَ كَلَامًا فَأَخْطِرْ مَعَانِيَهُ بِبَالِكَ وَتَمَوَّقْ لَهُ
كَرَائِمَ اللَّفْظِ وَأَجْعَلْهَا عَلَى ذِكْرِ مِنْكَ لِيَقْرُبَ عَلَيْكَ تَسَاوُهَا وَلَا يُتَعَبَكَ
تَطْلُبُهَا . وَاعْمَلْهُ مَا دُمْتَ فِي شَبَابٍ نَشَاطِكَ فَإِذَا غَشِيَكَ الْفُتُورُ
وَتَحَوَّنَكَ أَلْمَلَالُ فَأَمْسِكْ . فَإِنَّ الْكَبِيرَ مَعَ أَلْمَلَالِ قَلِيلٌ وَالنَّفِيسَ
مَعَ الصَّخْرِ خَسِيسٌ وَالْخَوَاطِرَ كَالنَّايِيعِ يُسْقَى مِنْهَا شَيْءٌ بَعْدَ شَيْءٍ
فَتُحْدِثُ حَاجَتَكَ مِنَ الزَّيِّ وَتَنَالُ أَرْبَكَ مِنَ الْنَفْعَةِ . فَإِذَا أَكْثُرَتْ
عَلَيْهَا نَضَبَ مَاوُهَا وَقَلَّ عَنْكَ غَنَاوُهَا . وَيَنْبَغِي أَنْ تَجْرِيَ مَعَ الْكَلَامِ
مُعَاوَضَةً فَإِذَا مَرَزَتْ بِلَفْظٍ حَسَنٍ أَخَذْتَ بِرَقِيَّتِهِ أَوْ بِمَعْنَى بَدِيْعٍ
تَعَلَّقْتَ بِذَنَبِهِ . وَتَحْذَرُ أَنْ يَسْبِقَكَ فَإِنَّهُ إِنْ سَبَقَكَ تَعَبْتَ فِي تَتَبُعِهِ
وَنَصَبْتَ فِي طَلَبِهِ وَلَعَلَّكَ لَا تَلْحُظُهُ عَلَى طُولِ الطَّلَبِ وَمُواصَلَةِ الدُّبَابِ
وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا ضَيَّعْتَ أَوَّلَ كُلِّ أَمْرٍ أَبَتْ أَنْجَارُهُ إِلَّا أَلْتَوَاءَ
وَقَالُوا : يَنْبَغِي لِصَانِغِ الْكَلَامِ أَنْ لَا يَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ نَقْدًا
وَلَا يَتَّبِعَ ذُنَابَاهُ تَتَبُعًا وَلَا يَحْمِلَهُ عَلَى لِسَانِهِ حَمْلًا فَإِنَّهُ إِنْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ
لَمْ تَتَّبِعْهُ حَقِيقَتُهُ وَهَزِيلُهُ وَأَعْجَفُهُ وَالشَّارِدُ مِنْهُ . وَإِنْ تَتَّبِعَهُ فَاتَتْهُ سَوَاقُهُ
وَلَوَاحِجُهُ وَتَبَاعَدَتْ عَنْهُ جَيَادُهُ وَغُرَرُهُ . وَإِنْ حَمَلَهُ عَلَى لِسَانِهِ ثَقُلَتْ
عَلَيْهِ أَوْسَاقُهُ وَأَعْبَاؤُهُ وَدَخَلَتْ مَسَاوِيهِ فِي مُحَاسِنِهِ وَلَكِنَّهُ يَجْرِي مَعَهُ

فَلَا تَبْدَعْ عَنْ نَادَةِ مُحِبَّةٍ سَهْمًا إِلَّا كَجَهَا وَلَا تَخْلَفْ عَنْهُ مُثْقَلَةً هَزِيلَةً
إِلَّا أَرْهَقَهَا فَطَوْرًا تَفَرُّقُهُ لِيَجْتَازَ أَحْسَنَهُ وَطَوْرًا تَجَمُّعُهُ لِيُقَرِّبَ عَلَيْكَ
خُطْوَةَ الْفِكْرِ وَيَتَنَاوَلَ الْلَفْظُ مِنْ تَحْتِ لِسَانِهِ وَلَا يُسَلِّطُ اللَّمْلُ عَلَى
قَلْبِهِ. وَالْإِكْتِنَادُ عَلَى تَفَكُّرِهِ فَيَأْخُذُ عَفْوَهُ وَلَا يَسْتَعْرِذُ دَرَهُ وَلَا يُكْرِهُ
آيَا وَلَا يَدْفَعُ آيَا. وَقَالَ إِشْرَبْنِ الْمُغْتَبِرِ : خُذْ مِنْ نَفْسِكَ سَاعَةً
إِنْ شِطَّاكَ وَفَرَاغِ بَالِكَ وَاجَايِبَهَا لَكَ . فَإِنَّ تِلْكَ السَّاعَةَ أَكْرَمُ
جَوْهَرًا وَأَشْرَفُ حُسْنًا وَأَحْسَنُ فِي الْأَسْمَاعِ وَأَحْلَى فِي الصُّدُورِ وَأَسْلَمُ
مِنْ فَاحِشِ الْخَطَايَا وَأَجْلَبُ لِكُلِّ عَيْنٍ وَغُرَّةٍ مِنْ لَفْظٍ كَرِيمٍ
وَمَعْنَى بَدِيع . وَأَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ آجَدَى عَلَيْكَ مِمَّا يُعْطِيكَ يَوْمَكَ
أَلَّا تَطُولُ بِالْكَدِّ وَالْمُطَالَبَةِ وَالْمُجَاهَدَةِ وَالتَّكْلُفِ وَالْمُعَاوَدَةِ. وَمَهْمَا
أَخْطَاكَ لَمْ يُخْطِطْكَ أَنْ يَكُونَ مَقْبُولًا قَصْدًا أَوْ خَفِيًّا عَلَى اللِّسَانِ سَهْلًا
وَكَمَا خَرَجَ مِنْ يَنْبُوعِهِ وَنَجَمَ عَنْ مَعْدِنِهِ . وَإِيَّاكَ وَالتَّوَعُّرَ فَإِنَّ التَّوَعُّرَ
يُسَلِّدُكَ إِلَى التَّعْقِيدِ وَالتَّعْقِيدُ هُوَ الَّذِي يَسْتَهْلِكُ مَعَانِيكَ وَيَشِينُ
الْفَاقِذَ . وَمَنْ أَرَادَ مَعْنَى كَرِيمًا فَلْيَلْتَمِسْ لَفْظًا كَرِيمًا فَإِنَّ حَقَّ الْمَعْنَى
الشَّرِيفِ الْلَفْظُ الشَّرِيفُ وَمِنْ حَقِّهِمَا أَنْ يَصُونَهُمَا عَمَّا يَدْرُسُهُمَا
وَيُفْسِدُهُمَا وَيُنْجِيهِمَا فَيَصِيرُ بِهِمَا إِلَى حَدٍّ يَكُونُ فِيهِ أَسْوَأَ حَالًا مِنْكَ
قَبْلَ أَنْ تَلْتَمِسَ الْبَلَاغَةَ وَتَرْتَبِنَ نَفْسَكَ فِي مَلَابِسِهَا . فَكُنْ فِي
ثَلَاثٍ مَنَازِلَ . فَأَوَّلُ الثَّلَاثِ : أَنْ يَكُونَ لَفْظُكَ شَرِيفًا عَذْبًا وَفَحْمًا
سَهْلًا وَيَكُونَ مَعْنَاكَ دَاهِرًا مَكْشُوفًا وَقَرِيبًا مَعْرُوفًا . فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ
لَا تَوَاتِيكَ وَلَا تَسْنَحُ لَكَ عِنْدَ أَوَّلِ خَاطِرٍ وَتَجِدُ الْلَفْظَةَ لَمْ تَقَعْ مَوْفِعَهَا

وَلَمْ تَصِلْ إِلَى مَرْكَزِهَا وَلَمْ تَتَّصِلْ بِسِلْكِهَا وَكَانَتْ قَلَمَةً فِي مَوْضِعِهَا
 نَافِرَةً عَنْ مَكَانِهَا فَلَا تُكْرِهَهَا عَلَى اغْتِصَابِ الْأَمَاكِينِ وَالْأَزْوَاجِ فِي
 غَيْرِ أَوْطَانِهَا . فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَتَعَاطَ قَرِيضَ الشَّعْرِ الْمَنْظُومِ وَلَمْ
 تَتَكَلَّفْ اخْتِيَارَ الْكَلَامِ الْمَنْشُورِ لَمْ يَبْعَكَ بِذَلِكَ أَحَدٌ . وَإِنْ
 نَكَلَفْتَهُ وَلَمْ تَكُنْ حَازِقًا مَطْبُوعًا وَلَا مُخَيَّمًا لِشَأْنِكَ بِصِيرًا عَابَكَ
 مَنْ أَنْتَ أَقْلَرُ عَيْنًا مِنْهُ وَزَدَى عَلَيْكَ مَنْ هُوَ دُونَكَ . فَإِنْ أَبْثَلَيْتَ
 بِتَكْلُفِ الْقَوْلِ وَتَعَاطِي الصَّاعَةِ وَلَمْ تَسْمَحْ لَكَ الطَّبِيعَةُ فِي أَوَّلِ
 وَهَلَةٍ وَتَعَصَى عَلَيْكَ بَعْدَ إِبَالَةِ الْفِكْرَةِ فَلَا تَعْجَلْ وَدَعُهُ سَحَابَةَ يَوْمِكَ
 وَلَا تَعْجِرْ وَأَهْلُهُ سَوَادٌ لَيْلَتِكَ وَعَاوِذُهُ عِنْدَ نَشَاطِكَ فَإِنَّكَ لَا تَعْدُمُ
 الْإِجَابَةَ وَالْمَوَاتَةَ . وَإِنْ كَانَتْ هُنَاكَ طَبِيعَةٌ وَأُجْرِيَتْ مِنَ الصَّنَاعَةِ
 عَلَى عُرْفٍ فِيهِ الْمَنْزِلَةُ الثَّانِيَّةُ . فَإِنْ تَمَعَّ عَلَيْكَ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَ تَرْوِيحِ
 الْخَاطِرِ وَطُولِ الْأَمْهَالِ فَالْمَنْزِلَةُ الثَّلَاثَةُ . أَيَّ أَنْ تَتَحَوَّلَ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ
 إِلَى أَشْهُى الصَّنَاعَاتِ إِلَيْكَ وَأَخْفَهَا عَلَيْكَ فَإِنَّكَ لَمْ تَشْهَبْهَا إِلَّا
 وَبَيْنَكُمَا نَسَبٌ . وَالشَّيْءُ لَا يَجْنُ إِلَّا إِلَى مَا شَاكَهُ وَإِنْ كَانَتْ
 الْمَشَاكَلَةُ قَدْ تَكُونُ فِي طَلَقَاتٍ فَإِنَّ الْأَنْفُسَ لَا تَجُودُ بِمَكُونِهَا
 وَلَا تَسْمَحُ بِجُزْئِهَا مَعَ الرَّهْبَةِ كَمَا تَجُودُ مَعَ الرَّغْبَةِ وَالْحُبَّةِ . وَيَلْبِغِي
 أَنْ تَعْرِفَ أَقْدَارَ أَلْعَانِي قُتُوزَيْنَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَوْزَانِ الْمُسْتَمِيعِينَ وَبَيْنَ
 أَقْدَارِ الْحَالَاتِ فَتَجْعَلَ لِكُلِّ طَبَقَةٍ كَلَامًا وَلِكُلِّ حَالٍ مَقَامًا حَتَّى
 تَقْسِمَ أَقْدَارَ أَلْعَانِي عَلَى أَقْدَارِ أَلْقَمَاتٍ وَأَقْدَارِ الْمُسْتَمِيعِينَ عَلَى أَقْدَارِ
 الْحَالَاتِ . وَأَعْلَمْ أَنَّ الْمُنْفَعَةَ مَعَ مُوَافَقَةِ الْحَالِ وَمَا يَجِبُ لِكُلِّ مَقَامٍ

مِنَ الْقَالِ . فَإِنْ كُنْتَ مُتَكَلِّمًا أَوْ أُخِجْتَ إِلَى عَمَلٍ خُطْبَةٍ لِبَعْضِ
مَنْ تَضَلَّحَ لَهُ الْخُطْبُ أَوْ قَصِيدَةً لِبَعْضِ مَا يُرَادُ لَهُ الْقَصْدُ فَحُطَّ
الْفَاطَةُ الْمُتَكَلِّمِينَ مِثْلَ الْجِسْمِ وَالْعَرَضِ وَالْكَوْنِ وَالْتَّأْلِيفِ
وَالْجَوْهَرِ فَإِنَّ ذَلِكَ هُجَّةٌ ...

البحث الرابع

في خواص الكلام الحرِّ

(من ابن المعتز والرماني)

قِيلَ إِنَّ أَحْسَنَ الْكَلَامِ مَا كَانَ تَرْجُمَانًا لِلْقُلُوبِ وَصَيْقَلًا لِلْعُقُولِ
وَمَجَلًى لِلشَّيْءِ وَمَوْجِبًا لِلْحُجَّةِ . وَالْحَاكِمَ عِنْدَ اخْتِصَاصِ الظُّنُونِ وَالْمُفَرِّقَ
بَيْنَ الشَّكِّ وَالْيَقِينِ . يَتَقَادُّ بِهِ الْمُسْتَضَعُّ وَيَسْتَقِيمُ لَهُ الْأَصِيدُ .
وَحَيْرُ الْبَيَانِ مَا كَانَ مُضَرِّحًا عَنِ الْمَعْنَى لِيُسْرَعَ إِلَى الْفَهْمِ تَلْقِيهِ .
وَمَوْجَزًا لِيُخَفِّفَ عَلَى اللَّفْظِ تَعَاطِيهِ الَّذِي هُوَ الْبَلِّغُ الَّذِي لَا يَعِلُّ وَالْجَدِيدُ
الَّذِي لَا يَحْتَلِقُ . وَآخِذٌ السَّاطِعُ . وَالْمُلَاحِظُ لِظُلْمِ الضَّلَالِ . وَلِسَانُ
الْبَصْدِقِ الْبَاقِي لِلْكَذِبِ . إِنْ أَوْجَزَ كَانَ كَافِيًا وَإِنْ أَكْثَرَ كَانَ
مُدْكِرًا . وَإِنْ أَوْفَا كَانَ مُفْنِعًا . وَإِنْ أَطَالَ كَانَ مُفْهِمًا . وَإِنْ
أَمَرَ فَنَاصِحًا . وَإِنْ حَكَمَ فَعَادِلًا . وَإِنْ أَخْبَرَ فَصَادِقًا . وَإِنْ بَيَّنَّ
فَسَافِيًا . سَهْلٌ عَلَى الْفَهْمِ . صَغْبٌ عَلَى الْمُتَعَاظِي . قَرِيبٌ لِلْمَأْخِذِ بَعِيدٌ
الْأَرَامِ . سِرَاجٌ تَسْتَضِيُّ بِهِ الْقُلُوبُ حُلُوٌّ إِذَا تَدَوَّقَتَهُ الْعُقُولُ . وَقَدْ
قِيلَ : أَبْلَغُ الْكَلَامِ مَا حُطَّ التَّكْلُفُ عَنْهُ وَبُنِيَ عَلَى التَّنْيِينِ وَكَانَتْ
الْقَائِدَةُ أَغَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْقَافِيَةِ بِأَنْ جُمِعَ مَعَ ذَلِكَ سُهولةُ الْخُرُوجِ

مَعَ قُرْبِ الْمُتَنَاولِ . وَعُدُوبَةُ اللَّفْظِ مَعَ رَشَاقَةِ الْمَعْنَى . وَأَنَّ يَكُنْ
حُسْنُ الْإِبْتِدَاءِ كَحُسْنِ الْإِنْتِهَاءِ . وَحُسْنُ الْوَصْلِ كَحُسْنِ الْقَطْعِ .
الْمَعْنَى وَالسَّعَرُ . وَكَانَتْ كُلُّ كَلِمَةٍ قَدْ وَقَعَتْ فِي حَقِّهَا وَإِلَى جَنْدِ
أُخْتِهَا حَتَّى لَا يُقَالَ : لَوْ كَانَ كَذَا فِي مَوْضِعٍ كَذَا لَكَانَ أَوْلَى .
لَا يَكُونُ فِيهِ لَفْظٌ مُخْتَلِفٌ وَلَا مَعْنَى مُسْتَكْرَهَةٌ . ثُمَّ أَلِيسَ بِهَاءِ الْحِ
وَنُورِ الْعُرْفَةِ وَشَرَفِ الْمَعْنَى وَجَرَالَةِ اللَّفْظِ وَكَانَتْ حِلَالُوتُهُ فِي اللَّهِ
وَجَلَالَتُهُ فِي النَّفْسِ تَقْتَضِي الْقَهْمَ وَتَنْتَزِدُّ قَائِقَ الْحُكْمِ . وَكَانَ ظَا
الْنَّفْعِ شَرِيفَ الْقَصْدِ مُعْتَدِلَ الْوِزْنِ جَمِيلَ الْمَذْهَبِ كَرِيمَ الْمَطْلَبِ
فَصِيحًا فِي مَعْنَاهُ بَيِّنًا فِي فُحْوَاهُ وَجَاءَ أَيْضًا فِي كُتُبِ الْأَدَبِ
إِنَّ لَحْظَةَ الْقَلْبِ أَسْرَعُ خَطَرَةً مِنْ لَحْظَةِ الْعَيْنِ وَأَبْعَدُ مَجَالًا وَأَ
أَلْفَافَةً فِي أَعْمَاقِ أَوْدِيَةِ الْفِكْرِ وَالْمُتَامِلَةِ لُجُوجِ الْعَوَاقِبِ . وَأَلْجَأَ
بَيِّزَ مَا غَابَ وَحَصَرَ . وَأَلْيَزَانُ الشَّاهِدُ عَلَى مَا نَفَعَ وَضَرَ . وَاللَّهَ
كَالْمُلِي الْكَلَامِ عَلَى اللِّسَانِ إِذَا نَطَقَ وَالْيَدِ إِذَا كَتَبَتْ . وَالْعَلَا
يَكْسُو أَلْمَاعِي وَشَيِ الْكَلَامِ فِي قَلْبِهِ ثُمَّ يُبْدِيهَا بِأَلْفَافٍ كَيْسَةٍ بِأَحْ
زِينَةٍ . وَالْجَاهِلُ يَسْتَعْجِلُ بِإِظْهَارِ أَلْمَاعِي قَبْلَ الْعِنَايَةِ بِتَرْيِينِ مَعَارِضِ
وَأَسْتِكْمَالِ مُحَاسِنِهَا . قِيلَ لِشَارِبِ بْنِ بُرْدٍ : يَمُ فُتَّتْ أَهْلَ عَصْرِ
فِي حُسْنِ مَعَانِي الشَّعْرِ وَتَهْذِيبِ أَلْفَافِهِ . فَقَالَ : لِأَيِّ لَمْ أَقْبَلْ
وَأَتُورِدُهُ عَلَيَّ قَرِيبِي وَبِتَاجِي بِطَبْعِي وَيَبْعُهُ فِكْرِي . وَنَظَرُ
إِلَى غَارِسِ الْفُطْنِ وَمَعَادِنِ الْحَقَائِقِ وَلَطَائِفِ التَّشْبِيهَاتِ فَيَسِرُ
إِلَيْهَا بِقَهْمٍ جَيِّدٍ وَغَرِزَةٍ قَوِيَّةٍ فَاحْكُمْتُ سَيْرَهَا وَأَتَقَّتْ حُرُ

وَكَشَفْتُ عَنْ حَقَائِقِهَا وَأَحَرَزْتُ عَنْ مُتَكَلِّفِهَا . وَمَا مَلَكَ قَطُّ
قِيَادِي أَلَا عَجَابُ بَشِيءٍ بِمَا آتَى بِهِ . قَالَ أَلْجَاحِظُ : إِنْ أَلْعَنَى إِذَا
كَانَ شَرِيفًا وَكَانَ أَلْفَظُ بَلِغًا وَكَانَ صَحِيحُ الطَّبَعِ بَعِيدًا مِنْ
الِاسْتِكْرَاهِ مُتَرَهًا عَنِ الْإِخْتِلَالِ مَصُونًا عَنِ التَّكَلُّفِ صَنَعَ فِي الْقَلْبِ
صَنِيعَ الْفَيْثِ فِي التَّرَبِّهِ الْكَرِيمَةِ . وَمَتَى فُصِّلَتِ الْكَلِمَةُ عَلَى هَذِهِ
السَّرِيطَةِ وَنَقَذَتْ مِنْ قَائِلِهَا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ كَمَا هَا اللَّهُ مِنَ التَّوْفِيقِ
وَمَنْحَهَا مِنَ التَّائِيدِ مَا لَا يَمْتَنِعُ مِنْ تَعْظِيمِهَا بِهِ صُدُورُ الْجَبَابَرَةِ وَلَا
يَذْهَلُ عَنْ فَهْمِهَا مَعَ عُقُولِ الْجَهْلَةِ

البحث الخامس

في تهذيب الكلام وتنقيحه

(عن خزانة الادب للمحموي وزهر الآداب للحصري)

وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ تَرْدَادِ النَّظَرِ فِي الْكَلَامِ بَعْدَ عَمَلِهِ وَالشَّرُوعِ فِي
تَهْذِيبِهِ وَتَنْقِيحِهِ نَظْمًا كَانَ أَوْ نَثْرًا وَتَغْيِيرِ مَا يَجِبُ تَغْيِيرُهُ وَحَذْفِ مَا
يَلْبَغِي حَذْفَهُ وَإِصْلَاحِ مَا يَتَعَيَّنُ إِصْلَاحُهُ وَكَشْفِ مَا يُشْكَلُ عَنْ
غَرِيبِهِ وَاعْرَاقِهِ . وَتَحْرِيرِ مَا يَدِقُّ مِنْ مَعَانِيهِ . وَأَطْرَاحِ مَا يَجْتَفَى عَنْ
مَضَاجِعِ الرِّقَّةِ مِنْ غَلِيظِ أَلْفَازِهِ لِشَرْقِ شُبُوسِ التَّهْذِيبِ فِي سَمَاءِ
بَلَاجَتِهِ وَتَرْشُفِ الْأَنْعَامِ عَلَى الطَّرَبِ رَفِيقِ سُلَاقَتِهِ . فَإِنَّ الْكَلَامَ
إِذَا كَانَ مَوْصُوفًا بِالْمُهَذَّبِ مَنُوعًا بِالْمُنْتَحِجِ عِلَّتْ رُبَّتُهُ . وَإِنْ كَانَتْ
مَعَانِيهِ غَيْرَ مُبْتَكِرَةٍ . وَكُلُّ كَلَامٍ قِيلَ فِيهِ : لَوْ كَانَ مَوْضِعُ هَذِهِ

الْكَلِمَةِ غَيْرَهَا . وَلَوْ نَقَدَمَ هَذَا الْمُنَاجِرُ وَتَأَخَّرَ هَذَا الْمُتَقَدِّمُ . أَوْ لَوْ
تَمَّ هَذَا النَّقْصُ بِكَذَا . أَوْ لَوْ تَكَمَّلَ هَذَا الْوَصْفُ بِكَذَا . أَوْ لَوْ
حُدِفَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ . أَوْ لَوْ اتَّضَحَ هَذَا الْقَصْدُ وَسَهِّلَ هَذَا الْمَطْلَبُ
لَكَانَ الْكَلَامُ أَحْسَنَ وَالْعَنَى أَيْنَ . كَانَ ذَلِكَ الْكَلَامُ غَيْرَ
مُنْتَظَمٍ فِي سِلْكِ نَوْعِ التَّهْذِيبِ وَالتَّلْأِيبِ . وَكَانَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي
سَلَمَى مَعْرُوفًا بِالتَّنْقِيعِ وَالتَّهْذِيبِ . وَلَهُ قَصَائِدُ تُعْرَفُ بِالْحَوَلِيَّاتِ .
قِيلَ : إِنَّهُ كَانَ يَنْظُمُ الْقَصِيدَةَ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَيَهْدِيهَا وَيُنْقِئُهَا فِي
أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَيَعْرِضُهَا عَلَى عُلَمَاءَ قَبِيلَتِهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ . وَيُرَوَّى : أَنَّهُ
كَانَ يَعْمَلُ الْقَصِيدَةَ فِي شَهْرٍ وَيُنْقِئُهَا وَيَهْدِيهَا فِي أَحَدِ عَشَرَ شَهْرًا
وَلَا جَرَمَ أَنَّهُ قَلَّمَا يَنْقُطُ مِنْهُ شَيْءٌ . وَلِهَذَا كَانَ الْإِمَامُ عُمرُ بْنُ
الْخَطَّابِ مَعَ جَلَالَتِهِ فِي الْعِلْمِ وَتَقَدُّمِهِ فِي النَّفْذِ يُقَدِّمُهُ عَلَى سَائِرِ أَهْلِ
مِنْ طَبَقَتِهِ . وَمَا أَحْسَنَ مَا أَشَارَ أَبُو التَّمَامِ إِلَى التَّهْذِيبِ بِقَوْلِهِ :
خُذْهَا ابْنَةُ الْفِكْرِ الْمُهْذَبِ فِي الدُّجَى وَاللَّيْلِ أَسْوَدَ رُقْعَةٍ الْجَلْبَابِ
فَإِنَّهُ خَصَّ تَهْذِيبَ الْفِكْرِ بِالْدُّجَى لِكَوْنِ اللَّيْلِ تَهْدًا فِيهِ الْأَضْوَاتُ
وَتَسْكِينِ الْحَرَكَاتِ فَيَكُونُ الْفِكْرُ فِيهِ مُجْتَمِعًا وَمِرَاةَ التَّهْذِيبِ فِيهِ
صَقِيَّةَ الْحُلُوفِ الْخَاطِرِ وَصَفَاءَ الْقَرِيحَةِ . لَا سِيَّامَا وَسَطَ اللَّيْلِ وَالنَّفْسُ قَدْ
أَخَذَتْ حَظَّهَا مِنَ الرَّاحَةِ بَعْدَ نَيْلِ قَسْطِهَا مِنَ الْتَرَمِ وَخَفَّ عَلَيْهَا نَقْلُ
الْعِزَاءِ وَصَحَّ ذَهْنُهَا وَصَارَ صَدْرُهَا مُنْشَرِحًا وَقَلْبُهَا بِالتَّلْأِيفِ مُبْسِطًا .
وَمَا قَدَّمُوا وَسَطَ اللَّيْلِ فِي التَّلْأِيفِ عَلَى السَّحَرِ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ أَنْبِيَاءِ
أَكْثَرِ الْخَيَوَانِ الْمَاطِقِ وَارْتِفَاعِ الْأَضْوَاتِ وَجَرَشِ الْحَرَكَاتِ وَتَقَشُّعِ

الظلماء بطلائع الأنواء . ويدون ذلك يتقسم الفكر ويستغل
 القلب ووسط الليل خالي بما ذكرناه . ولهذا خص أبو تمام تهذيب
 الفكر بالدحي عادلا عن الطرفين لما فيهما من الشواغل المذمومة .
 وحكت الثقات عن أبي عبادة الجعفي قال : كنت في حديثي أروم
 الشعر وكنت أرجع فيه إلى طبع سليم ولم أكُن وقفت له على
 تسهيل مأخذ ووجه اقتضاب حتى قصدت أبا تمام وأنقطعت إليه
 وأتكلت في تعريفه عليه فكان أول ما قال لي : يا أبا عبادة
 تحير الأوقات وانت قليل النوم صغر من النوم . وأعلم أن
 العادة في الأوقات إذا قصد الإنسان تأليف شيء أوجفطه أن يختار
 وقت السحر . وذلك أن النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة
 وقسطها من النوم وخفت عنها ثقل الغذاء . وصفا من أكثر الأنجرة
 والأذخية جسم الهواء . وسكنت الغمام . ورقت السائم . وتفتت
 الحمايم . وإذا سرعت في التأليف تعن بالشعر فإن الغناء وضار الذي
 يجري فيه . واجتهد في إيضاح معانيه . فإن أردت ذكر الأحباب
 فأجعل اللفظ رقيقا والمعنى رشيقا وأكثر فيه من بيان الكابة .
 وقلق الأسواق . ولوعة الفراق والتعلل باستنشاق السائم . وغناء
 الحمايم . والبرق اللامعة . والنجوم الطالعة . والتبرم من العذل .
 والوقوف على الأطلال . وإذا أخذت في مدح سيد فاشهر بناقه
 وأظهر ماسبه وأذهب من عزائه وأرغب في مكارمه . وأحذر
 الجهول من المعاني وإياك أن تشين شعرك بالعبادة والألفاظ

الْوَحْشِيَّةَ وَنَاسِبَ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعْنَى فِي تَأْلِيفِ الْكَلَامِ وَكَانَ
كَأَنَّكَ خِيَاطُ تُقَدِّرُ أَثْيَابَ عَلَى مَقَادِيرِ الْأَجْسَامِ . وَإِذَا عَارَضَكَ
الصَّجَرُ فَارْحَ نَفْسَكَ وَلَا تَعْمَلْ إِلَّا وَأَنْتَ فَارِحٌ الْقَلْبِ وَلَا تَنْظُمَ
إِلَّا بِشَهْوَةٍ فَإِنَّ الشَّهْوَةَ نِعَمُ الْمُعِينِ عَلَى حُسْنِ النَّظْمِ . وَحَمَلَةُ الْحَالِ
أَنْ تَعْتَدَّ شِعْرَكَ بِمَا سَلَفَ مِنْ أَشْعَارِ الْمَاضِينَ فَمَا اسْتَحْسَنَ الْعُلَمَاءُ
فَأَقْصِدْهُ وَمَا اسْتَقْبَحُوهُ فَأَحْتَنِبْهُ

وَأُورِدَ الْعَلَامَةُ زَيْدُ الدِّينِ بْنُ أَبِي الْأَضْبَعِ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى
بِتَحْرِيرِ الْخَيْرِ وَصِيَّةً لِنَفْسِهِ أَوْرَدَهَا أَيْضًا عَلَى نَوْعِ التَّهْذِيبِ وَالتَّأْدِيبِ
فَأَخَذَتْ مِنْهَا مَا هُوَ الْأَلْفَاقُ بِالْحَالِ وَأَوَّلُهَا : يَتَّبِعِي لَكَ أَيُّهَا الرَّأْغِبُ فِي
الْعَمَلِ السَّائِلُ عَنْ أَوْضَحِ السُّبُلِ أَنْ تُحْصَلَ الْمَعْنَى قَبْلَ الشَّرُوعِ فِي
النَّظْمِ وَالْقَوَافِي قَبْلَ الْأَيَّاتِ (قُلْتُ وَهَذَا مَذْهَبُنَا) . ثُمَّ قَالَ أَيْضًا :
وَلَا تُكْرِهِ الْخَاطِرَ عَلَى وَزْنٍ مُخْصُوصٍ وَرَوِيٍّ مَقْصُودٍ وَتَوَخَّ الْكَلَامَ
الْجَزَلَ دُونَ الرَّذَلِ وَالسَّهْلَ دُونَ الصَّعْبِ وَالْعَذْبَ دُونَ الْمُسْتَكْرَوِ
وَالْمُسْتَحْسَنَ دُونَ الْمُسْتَهْجَنِ . وَلَا تَعْمَلْ نَظْمًا وَلَا نَثْرًا عِنْدَ الْكُلِّ
فَإِنَّ الْكَثِيرَ مَعَهُ قَلِيلٌ وَالنَّفِيسَ مَعَهُ خَسِيسٌ . وَلِخَوَاطِرِ يَنَابِيعُ إِذَا
رَفِقَ بِهَا حَمَتْ وَإِذَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهَا تَرَحَّتْ . وَاسْكُتْ كُلَّ مَعْنَى كَسَمْعُ
وَقَيْدُ كُلِّ فَائِدَةٍ تَعْرِضُ فَإِنَّ تَتَابُجَ الْأَفْكَارِ كَلِمَةً أَلْبَدِيَّةً وَلِخَبَةِ
الْطَّرَفِ إِنْ لَمْ تُقَيِّدْهَا سَرَدَتْ وَنَدَّتْ وَإِنْ لَمْ تَسْتَغْطِفْ بِالتَّكْرَارِ
عَلَيْهَا صَدَّتْ وَاللَّزِمُ بِالشَّعْرِ بِمَا يُعِينُ عَلَيْهِ . فَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :
تَعْنُ بِالشَّعْرِ إِمَّا كُنْتَ قَائِلُهُ إِنْ أَلْغَاءَ لِقَوْلِ الشَّعْرِ مَضَامُ

البحث السادس

في شروط الكلام

(عن ادب الدنيا والدين للآوردى)

إِعْلَمَنَّ أَنَّ لِلْكَلامِ شُرُوطًا لَا يَسْلَمُ اَلْمُتَكَلِّمُ مِنْ اَلزَّلَلِ اِلَّا بِهَا
وَلَا يَعْرِى مِنَ اَلنَّقْصِ اِلَّا بَعْدَ اَنْ يَسْتَوْفِيَهَا وَهِيَ اَرْبَعَةٌ : (اَلشَّرْطُ
اَلْأَوَّلُ) اَنْ يَكُونَ اَلْكَلامُ لِدَاعٍ يَدْعُو اِلَيْهِ اِمَّا فِي اَجْتِلَابٍ تَقَعُ
اَوْ فِي دَفْعِ ضَرَرٍ . (وَالشَّرْطُ اَلثَّانِي) اَنْ يَأْتِيَ بِهِ فِي مَوْضِعِهِ وَيَتَوَخَّى
بِهِ اِصَابَةَ فُرْصَتِهِ . (وَالشَّرْطُ اَلثَّالِثُ) اَنْ يَتَّقِصَرَ مِنْهُ عَلَى قَدَرِ حَاجَتِهِ .
(وَالشَّرْطُ الرَّابِعُ) اَنْ يَتَّخِذَ اَللَّفْظَ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ فَهَذِهِ اَرْبَعَةُ شُرُوطٍ
مَتَى اَحَلَّ اَلْمُتَكَلِّمُ بِشَرْطٍ مِنْهَا فَقَدْ اَوْهَنَ فَضِيلَةً بَاقِيَهَا . وَسَنَذْكُرُ
تَقْلِيلَ كُلِّ شَرْطٍ مِنْهَا بِمَا يُبْنَى عَنْ لُزُومِهِ . فَاَمَّا اَلشَّرْطُ اَلْأَوَّلُ وَهُوَ
اَلدَّاعِي اِلَى اَلْكَلامِ فَلَا نَمَّا لَا دَّاعِيَ لَهُ هَذِيانُ وَمَا لَأَسَبَبَ لَهُ هُجْرٌ
وَمَنْ سَامَحَ نَفْسَهُ فِي اَلْكَلامِ إِذَا عَنَّ وَلَمْ يَرَاعِ صِحَّةَ دَوَاعِيهِ وَاصَاتِهِ
مَعَانِيهِ كَانَ قُوَاهُ مَرْدُودًا وَرَأْيُهُ مَعْلُوبًا . كَأَلَّذِي حَكَى ابْنُ عَابِشَةَ :
إِنْ شَابَا كَانَ يُجَالِسُ اَلْأَخْفَ وَيُطِيلُ الصَّمْتَ فَاَنْجَبَ ذَلِكَ اَلْأَخْفَ
فَخَلَّتِ اَلْخَلْقَةُ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ اَلْأَخْفُ : تَكَلَّمْ يَا ابْنَ أَخِي . فَقَالَ :
يَا عَمُّ لَوْ اَنْ رَجُلًا سَقَطَ مِنْ شَرَفٍ هَذَا اَلْمَسْجِدِ هَلْ كَانَ يَضُرُّهُ
شَيْءٌ . فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي لَيْتَنَّا تَرَكَكَ مَسْتَوْرًا . ثُمَّ تَمَثَّلَ اَلْأَخْفُ
قَوْلِ اَلْأَعْوَرِ الشَّيْخِيِّ :

كَاتِنٌ تَرَى مِنْ صَاحِبِ لَكَ مُغِيبٌ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ
لِسَانِ أَفْتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فَوَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْأَدَمِ
وَكَا لَّذِي حُكِي عَنْ أَبِي الْفَقِيهِ : إِنَّ رَجُلًا كَانَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ
فَيُطِيلُ الصَّنْتَ فَقَالَ لَهُ أَبُو يُوسُفَ : أَلَا تَسْأَلُ . قَالَ : بَلَى ، مَتَى يُفْطِرُ
الصَّائِمُ . قَالَ : إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ . قَالَ : فَإِنْ لَمْ تَغْرُبْ إِلَى
نِصْفِ اللَّيْلِ . (قَالَ) فَتَبَسَّمَ أَبُو يُوسُفَ وَتَمَثَّلَ بَيْنِي الْخَطْفِيُّ جَدَّ
جَرِيرٍ :

عَجِثُ لِإِذْرَاءِ الْعِيِّ بِنَفْسِهِ وَصَمْتُ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالْعِلْمِ أَعْلَمًا
وَرَفِي الصَّنْتَ سِثْرٌ لِلْعِيِّ وَإِنَّمَا صَحِيقَةُ لُبِّ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَ
فَإَنْظُرْ إِلَى هَؤُلَاءِ كَيْفَ أَبَانُوا بِالْكَلَامِ عَنْ جَهْلِهِمْ وَأَعْرَبُوا
بِالسُّؤَالِ عَنْ نَقِصِهِمْ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ دَاعٍ إِلَيْهِ وَلَا رَوِيَّةٌ فِيمَا تَكَلَّمُوا
بِهِ وَلَوْ صَدَرَ عَنْ رَوِيَّةٍ دَعَا إِلَيْهَا دَاعٍ لَسَاوُوا مِنْ شَيْنِهِ وَبَرُّوا مِنْ
عَيْنِهِ . وَلِذَلِكَ قِيلَ : لِسَانُ الْعَاقِلِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ فَإِذَا أَرَادَ الْكَلَامَ
رَجَعَ إِلَى قَلْبِهِ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَكَلَّمَ وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ أَمْسَكَ . وَقَالَ
أَجَاهِلٌ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا عَرَضَ لَهُ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ
عَبْدِ الْعَزِيزِ : مَنْ لَمْ يَعُدْ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ كَثُرَتْ خَطَايَاهُ . وَقَالَ بَعْضُ
الْحُكَمَاءِ : عَقْلُ الْمَرْءِ مَحْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : أَحْسَنُ
لِسَانِكَ قَبْلَ أَنْ يُطِيلَ حَبْسَكَ أَوْ يُثْلِفَ نَفْسَكَ فَلَا شَيْءَ أَوْلَى بِطُولِ
حَبْسٍ مِنْ لِسَانٍ يُقْصَرُ عَنِ الصَّوَابِ وَيُسْرَعُ إِلَى الْجَوَابِ . وَقَالَ
أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِي :

وَبِمَا كَانَتْ الْحُكَمَاءُ قَالَتْ لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ تَبَعِ الْقَوْلِ إِذَا
وَكَانَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ يَحْسِمُ الرُّخْصَةَ فِي الْكَلَامِ وَيَقُولُ: إِذَا
جَالَسْتَ الْجُهَالَ فَأَنْصِتْ لَهُمْ وَإِذَا جَالَسْتَ الْعُلَمَاءَ فَأَنْصِتْ لَهُمْ. فَإِنَّ
فِي أَنْصَاتِكَ لِلْجُهَالِ زِيَادَةً فِي الْإِلْهِمْ وَفِي أَنْصَاتِكَ لِلْعُلَمَاءِ زِيَادَةً فِي
الْعِلْمِ. وَأَمَّا (الشَّرْطُ الثَّانِي) فَهُوَ أَنْ يَأْتِيَ بِالْكَلَامِ فِي سَوْضِيهِ
لِأَنَّ الْكَلَامَ فِي غَيْرِ حِينِهِ لَا يَقَعُ مَوْقِعَ الْإِتِّفَاعِ بِهِ وَمَا لَا يَتَقَعُ مِنْ
الْكَلَامِ فَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ بِأَنَّهُ هَذِيانٌ وَهَجْرٌ. فَإِنْ قَدِمَ مَا يَقْتَضِي
الْتَّخِيرَ كَانَ عَجَلَةً وَخُرْقًا. وَإِنْ أُخِّرَ مَا يَقْتَضِي التَّقْدِيمَ كَانَ تَوَانِيًا وَخَجْرًا
لِأَنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ قَوْلًا وَفِي كُلِّ زَمَانٍ عَمَلًا. وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

يَضَعُ الْحَدِيثَ عَلَى مَوَاضِعِهِ وَكَلَامُهُ مِنْ بَعْدِهَا تَرْدُ
وَأَمَّا (الشَّرْطُ الثَّلَاثُ) وَهُوَ أَنْ يَقْتَصِرَ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِ .
فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنْ لَمْ يَخْصُرْ بِالْحَاجَةِ وَلَمْ يَقْدَرْ بِالْكِفَايَةِ لَمْ يَكُنْ
لِحَدِّهِ غَايَةً وَلَا لِقَدْرِهِ نِهَايَةً وَسَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْكَلَامِ مُحْصُورًا كَانَ
حَصْرًا وَإِنْ قَصُرَ وَهَدَّرَ وَإِنْ كَثُرَ. وَرَوِي: أَنَّ أَعْرَابِيًا تَكَلَّمَ عِنْدَ
بَعْضِهِمْ وَطَوَّلَ فَقَالَ لَهُ: كَمْ دُونَ لِسَانِكَ مِنْ حِجَابٍ. قَالَ: شَفَتَايَ
وَلِسَانِي. قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَكْرَهُ الْإِنْبَعَاثَ فِي الْكَلَامِ
فَنَضَرَ اللَّهُ وَجْهَ أَمْرِي أَوْجَزَ فِي كَلَامِهِ فَأَقْتَصَرَ عَلَى حَاجَتِهِ. وَحُكِيَ
أَنَّ بَعْضَ الْحُكَمَاءِ رَأَى رَجُلًا يُكْثِرُ الْكَلَامَ وَيَقِلُّ السُّكُوتَ فَقَالَ:
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا خَلَقَ لَكَ أُذُنَيْنِ وَلِسَانًا وَاحِدًا لِيَكُونَ مَا تَسْمَعُهُ
ضِعْفَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: مِنْ كَثُرَ كَلَامُهُ

كَثُرَتْ آثَامُهُ . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : أَنْذِرْكُمْ فُضُولَ الْمَنْطِقِ . وَقَالَ
بَعْضُ الْأَبْلَغَاءِ : كَلَامُ الْمَرْءِ بَيَانُ فَضْلِهِ وَتَرْجَانُ عَقْلِهِ فَأَقْصِرْهُ عَلَى
الْجَوِيلِ وَأَقْصِرْ مِنْهُ عَلَى الْقَلِيلِ وَإِيَّاكَ مَا يُنْخِطُ سُلْطَانُكَ وَيُوحِشُ
إِخْوَانُكَ . فَمَنْ أَسْخَطَ سُلْطَانَهُ تَعَرَّضَ لِلْمَنِيَّةِ . وَمَنْ أَوْحَشَ إِخْوَانَهُ
تَبَرَّأَ مِنَ الْحَرِيَّةِ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ فَلَنَّمَا يُبْدِي عُيُوبَ ذَوِي الْعُيُوبِ الْمَنْطِقُ
وَلِحَالِكَلَّةٍ قَدَرِ الْحَاجَةِ مِنَ الْكَلَامِ حَالَتَانِ : تَقْصِيرٌ يَكُونُ حَصْرًا
وَتَكْثِيرٌ يَكُونُ هَذَرًا . وَكِلَاهُمَا شَيْنٌ وَشَيْنُ الْهَذَرِ أَشْنَعُ وَرَبَّمَا كَانَ فِي
الْقَالِبِ أَخُوفٌ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَقْتُلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكْنِهِ .
وَقَالَ بَعْضُ الْأَبْلَغَاءِ : الْحَصْرُ خَيْرٌ مِنَ الْهَذَرِ لِأَنَّ الْحَصْرَ يُضَعِّفُ النُّجَّةَ
وَالْهَذَرَ يُنْفِلُ الْمَحْجَةَ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ إِذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ لَيْثًا مُغِيرًا
وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : يَارُبَّ السِّنَةِ كَالسُّيُوفِ تَنْقَطِعُ أَعْنَاقُ
أَفْصَحِيهَا وَمَا يَنْقُصُ مِنْ هَيْئَاتِ الرِّجَالِ يَزِيدُ فِي هَيْئَاتِهَا وَالْبَاطِلُ . وَقَدْ
ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ إِذَا كَثُرَ عَنْ قَدَرِ الْحَاجَةِ وَزَادَ عَلَى
الْكِفَايَةِ وَكَانَ صَوَابًا لَا يَشُوهُ خَطْلٌ وَسَلِيمًا لَا يَتَعَوَّدُهُ زَلَلٌ فَهُوَ
الْبَيَانُ وَالسَّجَرُ الْخَلَالُ . وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَدْ دُمَّ الْكَلَامُ
فِي مَجْلِسِهِ : كَلَّا إِنَّ مَنْ تَكَلَّمَ فَاحْسَنَ قَدَرَ عَلَى أَنْ يَسْكُتَ فَيُحْسِنَ
وَلَيْسَ مَنْ سَكَتَ فَاحْسَنَ قَدَرَ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ فَيُحْسِنَ . وَوَصَفَ
بَعْضُهُمُ الْكَاتِبَ فَقَالَ : مَنْ إِذَا أَخَذَ شِبْرًا كَفَاهُ وَإِذَا وَجَدَ طُومَارًا

أَمْلَاهُ . وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ فِي خُطْبَاءِ إِيَادٍ :
يَرْمُونَ بِالْخُطْبِ الطُّوَالَ وَتَارَةً وَخِي الْمَلِاحِظِ خَيْفَةَ الرُّقْبَاءِ
وَقَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ صَالِحٍ لِأَبْنَيْهِ : يَا بُنَيَّ إِذَا أَقَلَّتْ مِنْ أَلْكَلامِ
أَكْثَرْتَ مِنَ الصَّوَابِ . فَقَالَ : يَا أَبَتِ فَإِنِ أَنَا أَكْثَرْتُ وَأَكْثَرْتُ
(يَعْنِي كَلَامًا وَصَوَابًا) . فَقَالَ : يَا بُنَيَّ مَا رَأَيْتُ مَوْعُظًا أَحَقَّ بِأَنْ
يَكُونَ وَاعِظًا مِنْكَ . وَأَنْشَدْتُ لِأَبِي الْقَتْمِحِ الْبُسَيْتِيِّ :
تَكَلَّمْ وَسَدِّدْ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا كَلَامُكَ حَيٌّ وَالسُّكُوتُ جَمَادُ
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَوْلًا سَدِيدًا تَقُولُهُ فَصْنَتُكَ عَنْ غَيْرِ السَّدَادِ سَدَادُ
وَقِيلَ لِإِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ : مَا فِيكَ عَيْبٌ إِلَّا كَثْرَةُ أَلْكَلامِ .
فَقَالَ : أَقَسَمُوعُونَ صَوَابًا أَوْ خَطَأً . قَالُوا : لَا بَلْ صَوَابًا . قَالَ :
فَالزِّيَادَةُ مِنَ الْخَيْرِ خَيْرٌ . وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ الْجَاهِظُ : لِلْكَلامِ غَايَةٌ
وَلِلنَّسَاطِ السَّامِعِينَ نِهَايَةٌ وَمَا فَضَّلَ عَنْ مِثْدَارِ الْإِحْتِمَالِ وَدَعَا إِلَى
الِاسْتِثْقَالِ وَاللَّامِلِ فَذَلِكَ الْقَاضِلُ هُوَ الْهَذْرُ . وَصَدَقَ أَبُو عُثْمَانَ لِأَنَّ
الْأَكْثَارَ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ صَوَابًا يُمِلُّ السَّامِعُ وَيَكِلُ الْخَاطِرُ وَهُوَ صَادِرٌ
عَنْ انْجِبَابٍ بِهِ لَوْلَاهُ قَصْرُ عَنْهُ . وَمَنْ انْجَبَّ بِكَلَامِهِ اسْتَرْسَلَ فِيهِ
وَأَسْتَرْسَلَ فِي أَلْكَلامِ كَثِيرِ الزَّلَلِ دَائِمُ الْعَثَارِ . وَقَالَ بَعْضُ
الْحُكَمَاءِ : مَنْ انْجَبَّ بِقَوْلِهِ أَصِيبَ بِعَقْلِهِ وَلَيْسَ لِكثْرَةِ الْهَذْرِ رَجَاءُ
يُقَابِلُ خَوْفَهُ وَلَا نَفْعَ يُؤَاوِي ضَرَّهُ لِأَنَّهُ يُخَافُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّلَلَ وَمِنْ
سَامِعِيهِ الْمَلَلَ وَلَيْسَ فِي مُقَابَلَةِ هَذَيْنِ حَاجَةٌ دَائِمَةٌ وَلَا نَفْعٌ مَرْجُو .
قَالَ جَعْفَرُ بْنُ يُحْيَى : إِذَا كَانَ الْإِيحَازُ كَافِيًا كَانَ الْإِسْثَارُ عِيًّا وَإِنْ

كَانَ الْأَكْثَرُ وَاجِبًا كَانَ التَّقْصِيرُ عَجْزًا. وَقِيلَ فِي مَثُورِ الْحَكَمِ :
إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ . وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : مَنْ أَطَالَ
صَمْتَهُ اجْتَلَبَ مِنْ أَهْيَةِ مَا يَنْقُصُهُ وَمِنْ الْوَحْشَةِ مَا لَا يَضُرُّهُ . وَقَالَ
بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : عِيٌّ تَسْلَمُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنْ مَنْطِقٍ تَنْدَمُ عَلَيْهِ فَأَقْتَصِرْ مِنْ
الْكَلَامِ عَلَى مَا يُقِيمُ حُجَّتَكَ وَيُبْلِغُ حَاجَتَكَ وَإِيَّاكَ وَفُضُولَهُ فَإِنَّهُ يَزِلُّ
الْقَدَمَ وَيُورِثُ النَّدَمَ . وَقَالَ بَعْضُ الْفَصَحَاءِ : قَمُ الْعَاوِلِ مُجْمَمٌ إِذَا
هَمَّ بِالْكَلَامِ أَنْجَمَ وَفَمُ الْجَاهِلِ مُطْلَقٌ كُلَّمَا شَاءَ أُطَاقَ . وَقَالَ
بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

إِنَّ الْكَلَامَ يُبْعِدُ الْقَوْمَ جَلَوْتُهُ حَتَّى يَلِجَ بِهِ عِيٌّ وَإِكْثَارُ
وَأَمَّا (الشَّرْطُ الرَّابِعُ) وَهُوَ اخْتِيَارُ اللَّفْظِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ
فَلَا نَ الْلِسَانَ عَنْوَانُ الْإِنْسَانُ يُرْجَمُ عَنْ مَجْهُولِهِ وَيُتْرَهُنُ عَنْ مَحْصُولِهِ
فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ بِتَهْدِيدِ الْفَاطِظِ حَرِيًّا وَتَقْوِيمِ لِسَانِهِ مَلِيًّا . وَقَالَ خَالِدُ
ابْنُ صَفْوَانَ : مَا الْإِنْسَانُ لَوْلَا الْلِسَانُ هَلِ إِلَّا بِهَيْمَةٍ مُهْمَلَةٍ أَوْ صُورَةٍ
مُمَثَّلَةٍ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْلِسَانُ وَزِيرُ الْإِنْسَانِ . وَقَالَ بَعْضُ
الْبُلَغَاءِ : يُسْتَدَلُّ عَلَى عَقْلِ الرَّجُلِ بِقَوْلِهِ وَعَلَى أَصْلِهِ بِفِعْلِهِ . وَقَالَ
بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

وَأَنَّ لِسَانَ الْمَرْءِ مَا لَمْ تَكُنْ لَهُ حَصَاةٌ عَلَى عَوْرَاتِهِ لَدَائِلُ
وَلَيْسَ يَصِحُّ اخْتِيَارُ الْكَلَامِ إِلَّا لِمَنْ أَخَذَ نَفْسَهُ بِالْبَلَاغَةِ وَكَالَفَهَا
لِزُومَ الْفَصَاحَةِ حَتَّى يَصِيرَ مُتَدَرِّبًا بِهَا مُعْتَادًا لَهَا فَلَا يَأْتِي بِكَلَامٍ
مُسْتَكْرَهٍ اللَّفْظِ وَلَا مُحْتَمَلٍ الْمَعْنَى لِأَنَّ الْبَلَاغَةَ لَيْسَتْ عَلَى مَعَانٍ

مُفْرَدَةٍ وَلَا لِفَالِقَاطِهَا غَايَةً . وَإِنَّمَا الْبَلَاغَةُ أَنْ تَكُونَ بِالْمَعَانِي الصَّحِيحَةِ
مُسْتَوْدَعَةً فِي أَلْفَاطٍ فَصِيحَةٍ فَتَكُونَ فَصَاحَةً الْإِلْفَاطُ مَعَ صِحَّةِ الْمَعَانِي
هِيَ الْبَلَاغَةُ

البحث السابع

في عيوب الكلام

(عن الجاحظ والعسكري)

(راجع صفحة ٢٨ من علم الادب)

قَالَ بَعْضُ الْأَوَائِلِ : لَا تَكْمُلُ آلَةُ الْبَلِيغِ إِلَّا إِذَا خَلَا كَلَامُهُ
مِنَ التَّكْلُفِ وَسُوءِ الصَّنْعَةِ وَكَانَ غَنِيًّا عَنِ التَّأَمُّلِ مُتَبَاعِدًا عَنِ الْحُشْوِ .
فَقَوْلُهُ : (يَكُونُ سَلِيمًا مِنَ التَّكْلُفِ) فَالتَّكْلُفُ طَلَبُ الشَّيْءِ
بِضَعُوبَةٍ لِلْجَهْلِ بِطَرَائِقِ طَلَبِهِ بِالسَّهْوَةِ . فَالْكَلَامُ إِذَا جُمِعَ بِتَعَبٍ
وَجُهْدٍ وَذُوِلَتْ أَلْفَاطُهُ مِنْ بُعْدٍ فَهُوَ مُتَكَلِّفٌ . وَقَالُوا : لَيْسَ
أَلْفَقُهُ بِالْتَّفَقُّهِ وَلَا أَلْفَصَاحُهُ بِالْتَّفَضُّحِ لِأَنَّهُ لَا يَزِيدُ مُتَزِيدٌ فِي كَلَامِهِ إِلَّا
لِنَقْصِ يَجِدُهُ فِي نَفْسِهِ . وَمِمَّا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الْأَعْرَبُ وَالْعَجَمُ قَوْلُهُمْ :
أَلْطَبُّعُ أَمْلَكُ . قَالَ الْأَعْرَجِيُّ :

يَا أَيُّهَا الْمُتَحَلِّي غَيْرِ شَيْمِيهِ وَمَنْ شَمَانُهُ التَّبْدِيلُ وَالْمَلَقُ
ارْجِعْ إِلَى خُلُقِكَ الْمَعْرُوفِ دَيْدُهُ إِنَّ الْخُلُقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ
وَقَالَ آخَرُ :

وَمَنْ يَتَّبِعْ مَا لَيْسَ مِنْ سُوسِ نَفْسِهِ يَدَعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمُهَا

وَقَالَ آخِرُ :

كُلُّ أَمْرٍ رَاجِعٌ يَوْمًا لِشَيْئِهِ . وَإِنْ تَحَقَّقَ أَخْلَاقًا إِلَى حِينٍ
وَمِثَالُ التَّكَلُّفِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ فِي دُعَائِهِ : اَللّٰهُمَّ رَبَّنَا وَاهِنَا
مَنْ أَرَادَ بِنَا سُوءًا فَاحْطُ ذَاكَ السُّوءَ بِهِ وَأَرْسِخْهُ فِيهِ كَوَسْخِ السَّجِيلِ
فِي أَصْحَابِ الْفِيلِ . وَأَنْصُرْنَا عَلَى كُلِّ بَاغٍ وَحُسُودٍ كَمَا اتَّصَرَّتْ لِنَاقَةِ
مُحَمَّدٍ . ثُمَّ قَالَ : (بَرِيئًا مِنْ سُوءِ الصَّنْعَةِ) فَسُوءِ الصَّنْعَةِ يَتَصَرَّفُ عَلَى وَجْهِهِ
مِنْهَا : سُوءُ التَّفْسِيرِ وَفَسَادُ التَّفْسِيرِ وَفُجْهُ الْإِسْتِعَارَةِ وَالْإِطْلَاقِ وَفَسَادُ
الْمُسْتَحْسَنِ وَالسَّبَكِ . فَإِذَا أَحَلَّ الْكَاتِبُ بِذَلِكَ فَاتَتْهُ فَضِيلَتُهُ وَعَلَقَتْ
بِهِ رَذِيلَتُهُ قُوَّتُهُ فَعَمِيَ عَلَى جَمِيعِ مُحَاسِنِهِ وَعَمَى سَائِرَ فَضَائِلِهِ . لِأَنَّهُ إِذَا
لَمْ يَفَرِّقْ بَيْنَ كَلَامٍ حَسَنٍ وَآخَرٍ رَدِيٍّ وَلَفْظٍ حَسَنٍ وَآخَرٍ قَبِيحٍ وَشِعْرِ
نَادِرٍ وَآخَرٍ بَارِدٍ بَانَ جِهَانُهُ وَظَهَرَ نَقْصُهُ . وَهُوَ أَيْضًا إِذَا أَرَادَ أَنْ
يَضَعُ قَصِيدَةً أَوْ يُنْشِئَ رِسَالَةً وَقَدْ فَاتَهُ هَذَا الْعِلْمُ مِنْ جِذْرِ الصَّفْوَةِ
بِالْكَدْرِ وَخَلَطَ الْغَرَرَ بِالْغَرِّ وَأَسْتَعْلَلَ الْوَحْشِيَّ الْعَكِرَ فَجَعَلَ نَفْسَهُ
مَهْرَاقَةً لِلْجَاهِلِ وَعِبْرَةً لِلْعَاقِلِ . وَإِذَا أَرَادَ أَيْضًا تَضْيِيفَ كَلَامٍ مَشْهُورٍ
أَوْ تَأْلِيفَ شِعْرِ مَنْظُومٍ وَتَحَطَّى حُسْنَ الصَّنْعَةِ سَاءَ اخْتِيَارُهُ لَهُ وَقَبِجَتْ
آثَارُهُ فِيهِ فَأَخَذَ الرَّدِيَّ الْمُرْدُولَ وَتَرَكَ الْحَسَنَ الْقَبُولَ فَذَلَّ عَلَى
قُصُورِ فَهْمِهِ وَتَأَخَّرَ مَعْرِفَتِهِ وَعَلَيْهِ . وَقَدْ قِيلَ : اخْتِيَارُ الرَّجُلِ قِطْعَةً
وَمِنْ عَلَيْهِ . وَمَا أَكْثَرَ مَا وَقَعَ مِنْ عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ فِي هَذِهِ الرَّذِيلَةِ .
وَقَوْلُهُ : (بَرِيئًا مِنَ التَّعْقِيدِ) فَالتَّعْقِيدُ وَالْإِغْلَاقُ سُوءٌ وَهُوَ اسْتِعْمَالُ
الْوَحْشِيِّ وَشِدَّةُ تَغْلِيقِ الْكَلَامِ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ حَتَّى يَسْتَبْهِمَ الْغَلَى .

قَالَ حَبِيبُ الطَّائِي :

فَمَا لَكَ بِالْعَرِيبِ يَدٌ وَلَكِنْ تَعَاطَيْكَ الْعَرِيبَ مِنَ الْعَرِيبِ
أَمَا لَوْ أَنَّ جَهْلَكَ عَادَ عِلْمًا إِذَا كَرَسَخْتَ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ

قَالَ آخَرُ يَمْدَحُ رَجُلًا بِاسْتِهْهَالِ الْآفَظِ :

قَوْلٌ كَانَ فِرْنَدَةُ سَخَذَ عَلَى ذَهْنِ اللَّيْبِ

لَمْ يَشْمَزْ عَلَى اللِّسَا نِ وَلَا يَشْذُ عَلَى الْقُلُوبِ

لَمْ يَغْلُ فِي شَنْعِ اللَّغَا تِ وَلَا يُوحِشُ بِالْعَرِيبِ

وَقَوْلُهُ: (غَنِيًّا عَنِ التَّأَمُّلِ) أَيُّ هُوَ مُسْتَعِنٌ لِبُضُوحِهِ عَنِ تَأَمُّلِ
مَعَانِيهِ وَتَرْدِيدِ النَّظَرِ فِيهِ. قَالَ الْجَلِيزِيُّ: إِنَّ مَنْ آعَارَهُ اللَّهُ مِنْ مَعُونَتِهِ
صَبِيًّا وَافْرَغَ عَلَيْهِ مِنْ مَحَبَّتِهِ ذُبُوبًا حَبَبَ إِلَيْهِ أَلْمَعَانِي وَسَلَسَ لَهُ نِظَامَ
الْأَفْظِ وَكَانَ قَبْلُ قَدْ أَغْنَى الْمُسْتَعِينُ مِنْ كَدِّ التَّلَطُّفِ وَارَاحَ
قَارِيءَ الْكِتَابِ مِنْ كَدِّ التَّفْهَمِ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ أَلْبَلَاغَةَ التَّقَرُّبِ
مِنْ أَلْمَعْنَى أَلْبَعِيدِ وَالتَّبَاعُدِ مِنْ حَشْوِ الْكَلَامِ وَقُرْبِ أَلْمَأْخِذِ وَإِيجَازِ
فِي صَوَابِ وَقَصْدِ إِلَى الْحُجَّةِ وَحَسَنِ الْإِسْتِعَارَةِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ:
أَلْبَلَاغَةُ تَقْرِيبُ مَا بَعْدَ مِنَ الْحِكْمَةِ بِأَيْسَرِ الْخُطَابِ وَالتَّقَرُّبُ مِنْ
أَلْمَعْنَى أَلْبَعِيدِ . وَهُوَ أَنَّ يَمِيدَ إِلَى أَلْمَعْنَى أَللطيفِ فَيَكْشِفُهُ وَيَنْفِي
أَلشَّوْاعِلَ عَنْهُ فَيَفْهَمُهُ السَّامِعُ مِنْ غَيْرِ فِكْرٍ فِيهِ وَتَدَبُّرٍ لَهُ . وَقَوْلُهُ :
(مُتَبَاعِدًا مِنَ الْحَشْوِ) فَاحْشَوْ عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرِبٍ : أَثْنَانِ مِنْهَا
مَذْمُومَانِ وَوَاحِدٌ مَحْمُودٌ . فَاحْدُ الْمَذْمُومَيْنِ هُوَ : إِدْخَالُكَ فِي الْكَلَامِ
أَفْظًا لَوْ أَسْقَطْتَهُ لَكَانَ الْكَلَامُ تَامًا . وَمِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

أَعْنِي قَتَّى لَمْ تَذَرِ الشَّمْسُ طَالِعَةً يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا ضَرَّ أَوْ نَقَعَا
قَقُولُهُ : (يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ) حَشَوُا لَا يُجْتَنَّبُ إِلَيْهِ لِأَنَّ الشَّمْسَ
لَا تَطْلُعُ لَيْلًا . وَالضَّرْبُ الْآخَرُ الْعِبَارَةُ عَنِ الْمَعْنَى بِكَلَامٍ طَوِيلٍ
لَا فَايِدَةَ فِي طَوِيلِهِ وَيُمْكِنُ أَنْ يُعَبَّرَ بِأَقْصَرِ مِنْهُ كَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

تَبَيَّنَتْ آيَاتُهَا فَعَرَفْتُهَا لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَذَا الْعَامُ سَابِعُ
فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ : لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ . وَيُتِمُّ أَلْبَيْتَ بِكَلَامٍ
آخَرَ يَكُونُ فِيهِ فَايِدَةٌ فَجَزَّ عَنْ ذَلِكَ فَحَشَا أَلْبَيْتَ بِمَا لَا وَجْهَ لَهُ .
وَأَمَّا الضَّرْبُ الْخَامِسُ فَكَقَوْلُ كَثِيرٍ :

لَوْ أَنَّ الْبَلْبِلَيْنِ وَأَنْتَ مِنْهُنَّ رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْإِطْلَالَ
قَوْلُهُ : (وَأَنْتَ مِنْهُنَّ) حَشَوُا إِلَّا أَنَّهُ مَلِيحٌ وَيَسِيءُ أَهْلُ الصَّنْعَةِ
هَذَا الْجِنْسَ اعْتِرَاضَ كَلَامٍ فِي كَلَامٍ . وَهُنَا قَوْلُ الْآخَرِ :
إِنَّ الثَّمَانِينَ وَلَيْتَهُمَا قَدْ أَخَوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ

المبحث الثامن

في الالتباس والاسباب المانعة من فهم المعاني

(عن الماوردي باختصار)

إِنْ لَمْ يَفْهَمْ الْعَاقِلُ مَعَانِي مَا سَمِعَ كَشَفَ عَنِ السَّبَبِ الْمَانِعِ
مِنْهَا لِيَعْلَمَ الْعِلَّةَ فِي تَعَذُّرِ فَهْمِهَا فَإِنَّ بِمَعْرِفَةِ أَسْبَابِ الْأَشْيَاءِ وَعِلَلِهَا
يَصِلُ إِلَى تَلَا فِي مَا شَدَّ وَصَلَّاحِ مَا فَسَدَ وَلَيْسَ يَخْجُو السَّبَبُ الْمَانِعُ
مِنْ ذَلِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِعِلَّةٍ فِي الْكَلَامِ

الْمُتَرَجِّمَ عَنْهَا . وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعَلَّةٍ فِي الْمُسْتَوْدَعِ فِيهَا . وَإِمَّا أَنْ
يَكُونَ لِعَلَّةٍ فِي السَّمْعِ الْمُسْتَخْرَجِ . فَإِنْ كَانَ السَّبَبُ الْمَانِعُ مِنْ
فَهْمِهَا لِعَلَّةٍ فِي الْكَلَامِ الْمُرْجَمِ عَنْهَا لَمْ يَخُلْ ذَلِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ :
(أَحَدُهَا) أَنْ يَكُونَ لِتَقْصِيرِ اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى فَيَقْصُرُ التَّقْصِيرُ اللَّفْظِ
عَنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى سَبَبًا مَانِعًا مِنْ فَهْمِ ذَلِكَ الْمَعْنَى . وَهَذَا يَكُونُ مِنْ
أَحَدِ وَجْهَيْنِ : إِمَّا مِنْ حَصْرِ الْمُتَكَلِّمِ وَعَيْتِهِ . وَإِمَّا مِنْ بِلَادِيَّةِ وَقَلَّةِ
فَهْمِهِ . (أَحَالُ الثَّانِي) أَنْ يَكُونَ لِرِيَادَةِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى قَتْصِيرُ
الرِّيَادَةِ عِلَّةً مَانِعَةً مِنْ فَهْمِ الْقَصُودِ مِنْهُ وَهَذَا قَدْ يَكُونُ مِنْ أَحَدِ
وَجْهَيْنِ : إِمَّا مِنْ هَذَرِ الْمُتَكَلِّمِ وَكَثْرَتِهِ . وَإِمَّا لِسُوءِ ظَنِّهِ بِفَهْمِ
سَامِعِهِ . (وَأَحَالُ الثَّلَاثُ) أَنْ يَكُونَ لِمُوَاضَعَةِ يَقْصِدُهَا الْمُتَكَلِّمُ
بِكَلَامِهِ فَإِذَا لَمْ يَعْرِفْهَا السَّمْعُ لَمْ يَفْهَمْ مَعَانِيَهَا . وَإِمَّا تَقْصِيرُ اللَّفْظِ
وَرِيَادَتُهُ فَمِنْ الْأَسْبَابِ الْخَاصَّةِ دُونَ الْعَامَّةِ لِأَنَّكَ لَسْتَ تَحْدُ ذَلِكَ
عَامًّا فِي كُلِّ الْكَلَامِ وَإِنَّمَا تَحْدُهُ فِي بَعْضِهِ فَلِذَا عَدَلْتَ عَنْ الْكَلَامِ
الْمُقْصَرِّ إِلَى الْكَلَامِ الْمُسْتَوْدَعِ وَعَنْ الزَّائِدِ إِلَى الْكَافِي أَرَحْتَ
نَفْسَكَ مِنْ تَكَلُّفِ مَا يَكُنُّ خَاطِرَكَ وَإِنْ أَقْبَتَ عَلَى اسْتِخْرَاجِهِ إِمَّا
لِضُرُورَةٍ دَعَتْكَ إِلَيْهِ عَمْدًا غَوَاةً غَيْرَهُ أَوْ لِحَيْسَةٍ دَاخِلَتِكَ عِنْدَ تَعَدُّرِ
فَهْمِهِ فَانْظُرْ فِي سَبَبِ الرِّيَادَةِ وَالتَّقْصِيرِ . فَإِنْ كَانَ التَّقْصِيرُ لِحَصْرِ
وَالرِّيَادَةُ لِهَذَرٍ سَهَّلَ عَلَيْكَ اسْتِخْرَاجَ الْمَعْنَى لِأَنَّ مَا لَهُ مِنَ الْكَلَامِ
مَحْضُولٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُخْتَلُّ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنَ الصَّحِيحِ وَفِي
الْأَكْثَرِ عَلَى الْأَقَلِّ دَلِيلٌ . وَإِنْ كَانَتْ زِيَادَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى

دَلِيلًا يَسُوءُ ظَنِّ الْمُتَكَلِّمِ بِهِمُ السَّامِعِ كَانَ اسْتِخْرَاجُهُ أَسْهَلَ .
وَأِنْ كَانَ تَقْصِيرُ اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى لِسُوءِ فَهْمِ الْمُتَكَلِّمِ فَهُوَ أَضْعَبُ
الْأُمُورِ حَالًا وَأَبْعَدُهَا اسْتِخْرَاجًا لِأَنَّ مَا لَمْ يَفْهَمْهُ مُكَلِّمُكَ فَإِنَّتَ مِنْ
فَهْمِهِ أَبْعَدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ يَقْرَظُ ذَلِكَ وَجُودَهُ خَاطِرُكَ تَتَنَبَّهُ
بِإِشَارَتِهِ عَلَى اسْتِنبَاطِ مَا عَجَزَ عَنْهُ وَاسْتِخْرَاجِ مَا قَصَرَ فِيهِ فَتَكُونُ
فَضِيلَةُ الْإِسْتِيفَاءِ لَكَ وَحَقُّ التَّقَدُّمِ لَهُ . وَأَمَّا الْمَوَاضِعُ فَضَرْبَانِ :
عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ . (أَمَّا الْعَامَّةُ) فَهِيَ مُوَاضِعُ الْعُلَمَاءِ فِيمَا جَعَلُوهُ أَلْقَابًا لِمَعَانٍ
لَا يَسْتَعْنِي الْمُتَعَلِّمُ عَنْهَا وَلَا يَتَّبِعُ عَلَى مَعْنَى كَلَامِهِمْ إِلَّا بِهَا كَمَا جَعَلَ
الْمُتَكَلِّمُونَ الْجَوَاهِرَ وَالْأَعْرَاضَ وَالْأَجْسَامَ أَلْقَابًا تَوَاضَعُوهَا لِمَعَانٍ
اتَّفَقُوا عَلَيْهَا . وَلَسْتَ تَجِدُ مِنَ الْعُلُومِ عِلْمًا يَخْلُو مِنْ هَذَا . وَهَذِهِ
الْمَوَاضِعُ الْعَامَّةُ تُسَمَّى عُرُوفًا . (وَأَمَّا الْخَاصَّةُ) فَمَوَاضِعُ الْوَاحِدِ يَقْصِدُ
بِبَاطِنِ كَلَامِهِ غَيْرَ ظَاهِرِهِ . فَإِذَا كَانَتْ فِي الْكَلَامِ كَانَتْ رَمْزًا .
وَأِنْ كَانَتْ فِي الشَّعْرِ كَانَتْ لُغْزًا . فَأَمَّا الرَّمْزُ فَلَسْتَ تَجِدُهُ فِي عِلْمٍ
سَعْنَوِيٍّ . وَلَا فِي كَلَامٍ لُغَوِيٍّ . وَإِنَّمَا يَخْتَصُّ غَالِبًا بِأَحَدِ شَيْئَيْنِ : أَمَّا
بِمَنْهَبِ شَيْعٍ يُخْفِيهِ مُعَقِّدُهُ وَيَجْعَلُ الرَّمْزَ سَبَبًا لِنَطَاقِ النُّفُوسِ إِلَيْهِ
وَأَحْصَالِ التَّأْوِيلِ فِيهِ سَبَبًا لِدَفْعِ الشَّكِّ عَنْهُ . وَأَمَّا لِمَا يَدَّعِي أَرْبَابُهُ
أَنَّهُ عِلْمٌ مُعَوِّزٌ . وَأَنَّ إِدْرَاكَهُ يَدَّعِي مُعْجَزَ كَالصَّنْعَةِ آتِي وَضَعَهَا
أَرْبَابُهَا أَسْمَاءَ لِعِلْمِ الْكِيمَاءِ قَرَمَزُوا بِإِرْصَانِهِ وَأَخْفَوْا مَعَانِيَهُ لِيُوهَمُوا
الشَّحَّ بِهِ وَالْأَسَفَ عَلَيْهِ خَدِيعَةً لِلْعُقُولِ الْوَاهِيَةِ وَالْأَرَاءِ الْفَاسِدَةِ .
وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

نُيْنَتُ شَيْئًا فَكَثُرَتْ أَلْوُوعُ بِهِ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا
ثُمَّ لِيَكُونُوا بَرَاءً مِنْ عَهْدَةٍ مَا قَالُوهُ إِذَا جُزِبَ وَلَوْ كَانَ مَا تَضَمَّنَ
هَذَيْنِ التَّوَعَيْنِ وَأَشْبَاهَهُمَا مِنَ الرُّمُوزِ مَعْنَى صَحِيحًا وَعِلْمًا مُسْتَقَادًا خَرَجَ
مِنَ الرَّمْزِ الْخَفِيِّ إِلَى الْعِلْمِ الْجَلِيِّ . فَإِنَّ أَغْرَاضَ النَّاسِ مَعَ اخْتِلَافِ
أَهْوَائِهِمْ لَا تَتَّفِقُ عَلَى سِرِّ سَلِيمٍ وَإِخْفَاءٍ مُفِيدٍ . وَقَدْ قَالَ زُهَيْرٌ :
الْبَسْتُ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَلَا يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِثْرِ
وَرَبَّمَا اسْتَعْمَلَ الرَّمْزُ مِنَ الْكَلَامِ فِيمَا يُرَادُ تَخْفِيسُهُ مِنَ الْعَلَانِيَةِ
وَتَعْظِيمُهُ مِنَ الْإِلْفَاطِ لِيَكُونَ أَحَلَى فِي الْقَلْبِ مَوْقِعًا . وَاجْلَلٌ فِي
الْأَنْفُسِ مَوْضِعًا . فَيَصِيرُ بِالرَّمْزِ سَارًا وَفِي الصُّحُفِ مُحَلَّدًا . كَالَّذِي
حُكِيَ عَنْ فَيثاغورسٍ فِي وَصَايَاهُ الْمُرُورَةِ إِنَّهُ قَالَ : أَخْظِظْ مِيزَاتِكَ
مِنَ الْبَدَى وَأَوْزَانِكَ مِنَ الصَّدَى . يُبْدِ بِحِفْظِ الْمِيزَانِ مِنَ الْبَدَى
حِفْظَ اللِّسَانِ مِنَ الْخُتَا وَبِحِفْظِ الْأَوْزَانِ مِنَ الصَّدَى حِفْظَ الْعَقْلِ
مِنَ الْهَوَى . فَصَارَ هَذَا الرَّمْزُ مُسْتَحْسَنًا وَمُدَوَّنًا وَلَوْ قَالَهُ بِاللَّفْظِ الصَّرِيحِ
وَالْمَعْنَى الصَّحِيحِ لَمَا سَارَ عَذُّهُ وَلَا اسْتَحْسِنَ مِنْهُ . وَعِلَّةُ ذَلِكَ أَنَّ
الْمَحْجُوبَ عَنِ الْإِفْهَامِ كَانَ مَحْجُوبٍ عَنِ الْإِبْصَارِ فِيمَا يَحْصُلُ لَهُ فِي
الْأَنْفُسِ مِنَ التَّعْظِيمِ . وَفِي الْقُلُوبِ مِنَ التَّخْفِيمِ . وَمَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَمْ
يَخْتَبِ هَانَ وَأَسْتُرْ ذِلَّ . وَهَذَا إِنَّمَا يَصِحُّ سِتْرُوهَ فِيمَا قَلَّ وَهُوَ بِاللَّفْظِ
الصَّرِيحِ مُسْتَقِيلٌ . فَأَمَّا أَلْعُومُ الْمُنْتَشِرَةُ الَّتِي تَتَطَّلَعُ الْأَنْفُسُ إِلَيْهَا فَقَدْ
اسْتَعْنَتْ بِقُوَّةِ الْبَاعِثِ عَلَيْهَا وَشِدَّةِ الدَّاعِي إِلَيْهَا . عَنِ الْإِسْتِدْعَاءِ إِلَيْهَا
بِرَّمْزٍ مُسْتَحْتَمِلٍ وَلَفْظٍ مُسْتَعْرَبٍ . بَلْ ذَلِكَ مُنْفَرِّدٌ لِمَا فِي الشَّائِلِ بِاسْتِخْرَاجِ

رُمُوزَهَا مِنْ الْإِبْطَاءِ عَنْ دَرْكِهَا فَهَذَا حَالُ الرَّمَزِ . وَأَمَّا اللَّغْزُ فَهُوَ
تَحْرِي أَهْلِ الْقِرَاعِ وَشُغْلُ ذَوِي الْبَطَالَةِ لِيَتَنَافَسُوا فِي تَبَايُنِ قَوَائِمِهِمْ
وَيَتَفَاخَرُوا فِي سُرْعَةِ خَوَاطِرِهِمْ فَيَسْتَكِدُّوا خَوَاطِرَ قَدْ مُنِحُوا صِحَّتَهَا فِيمَا
لَا يُجِدِي نَفْعًا وَلَا يُفِيدُ عِلْمًا كَأَهْلِ الصِّرَاعِ الَّذِينَ قَدْ صَرَفُوا مَا مُنِحُوهُ
مِنْ صِحَّةِ أَجْسَادِهِمْ إِلَى صِرَاعِ كَدُودٍ يَصْرَعُ عُقُولَهُمْ وَيَهْدُ أَجْسَادَهُمْ
وَلَا يُكْسِبُهُمْ حِمْدًا وَلَا يُجِدِي عَلَيْهِمْ نَفْعًا . أَنْظِرْ إِلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ :

رَجُلٌ مَاتَ وَخَلَفَ رَجُلًا ابْنُ أُمِّ ابْنِ أَبِي أُخْتِ أَبِيهِ
مَعَهُ أُمُّ بَنِي أَوْلَادِهِ وَأَبَا أُخْتِ بَنِي عَمِّ أَخِيهِ

أَخْبَرَنِي عَنْ هَذَيْنِ الْبَلِيَّتَيْنِ وَقَدْ رَوَعَكْ صُعُوبَةُ مَا تَضَنَّهُمَا مِنْ
السُّوَالِ إِذَا اسْتَكْدَيْتَ الْفِكَرَ فِي اسْتِخْرَاجِهِ فَلَمِنتَ أَنَّهُ أَرَادَ مِيتًا
خَلَفَ أَبَا وَزَوْجَةً وَعَمًّا . مَا الَّذِي آفَاكَ مِنْ الْعِلْمِ وَنَقَى عَنْكَ مِنَ
الْجَهْلِ . أَلَسْتَ بَعْدَ عِلْمِهِ تَجْهَلُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا مِنْ قَبْلِهِ وَلَوْ أَنَّ
السَّائِلَ قَلَبَ لَكَ السُّوَالِ فَأَخَّرَ مَا قَدَّمَ وَقَدَّمَ مَا أَخَّرَ لَكُنْتَ فِي
الْجَهْلِ بِهِ قَبْلَ اسْتِخْرَاجِهِ كَمَا كُنْتَ فِي الْجَهْلِ الْأَوَّلِ وَقَدْ كَدَدْتَ
نَفْسَكَ وَأَتَعَبْتَ خَاطِرَكَ . ثُمَّ لَا تَعْدَمُ أَنْ يَرِدَ عَلَيْكَ مِثْلُ هَذَا يَمَّا
تَجْهَلُهُ فَتَكُونُ فِيهِ كَمَا كُنْتَ قَبْلَهُ . فَأَصْرِفْ نَفْسَكَ تَوَلَّى اللَّهُ رُشْدَكَ
عَنْ غُلُومِ التُّوَكَّى وَتَكَلُّفِ الْبَطَالَيْنِ . ثُمَّ اجْعَلْ مَا مِنْ اللَّهِ بِهِ عَلَيْكَ
مِنْ صِحَّةِ الْقَرِيحَةِ وَسُرْعَةِ الْخَاطِرِ مَصْرُوفًا إِلَى عِلْمٍ مَا يَكُونُ إِنْفَاقَ
خَاطِرِكَ فِيهِ مَذْخُورًا وَكَدُّ فِكْرِكَ فِيهِ مَشْكُورًا . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ :
مَنْ أَمَضَى يَوْمَهُ بِغَيْرِ حَقِّ قَضَائِهِ . أَوْ فَرَضَ آدَاءَهُ . أَوْ حَجَّ أَكْلَهُ .

أَوْ حَمْدٍ حَصَلَهُ . أَوْ خَيْرِ آسَسَهُ أَوْ عِلْمٍ اقْتَبَسَهُ . فَقَدْ عَقَّ يَوْمَهُ وَظَلَمَ
نَفْسَهُ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

لَقَدْ هَاجَ الْفَرَاغُ عَلَيْكَ شُغْلًا وَأَسْبَابُ الْبَلَاءِ مِنَ الْفَرَاغِ
فَهَذَا تَعْلِيلُ مَا فِي الْكَلَامِ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمَانِعَةِ مِنْ فَهْمِ
مَعَانِيهِ حَتَّى خَرَجَ بِنَا الْإِسْتِيفَاءِ وَالْكَشْفِ إِلَى الْأَعْمَاضِ . (وَأَمَّا
الْقِسْمُ الثَّانِي) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ السَّبَبُ الْمَانِعُ مِنْ فَهْمِ السَّامِعِ لِعِلَّةٍ
فِي الْمَعْنَى الْمُسْتَوْدَعِ فَلَا يَخْلُو حَالُ الْمَعْنَى مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : إِمَّا
أَنْ يَكُونَ مُسْتَقْلَلًا بِنَفْسِهِ أَوْ يَكُونَ مُقَدِّمَةً لِغَيْرِهِ أَوْ يَكُونَ نَتِيجَةً
مِنْ غَيْرِهِ . فَأَمَّا الْمُسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ فَضَرْبَانِ : جَلِيٌّ وَخَفِيٌّ . فَأَمَّا الْجَلِيُّ
فَهُوَ يَسْبِقُ إِلَى فَهْمِ مُتَصَوِّرِهِ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ . وَلَيْسَ هُوَ مِنْ أَقْسَامِ
مَا يُشْكَلُ عَلَى مَنْ تَصَوَّرَهُ . وَأَمَّا الْخَفِيُّ فَيَحْتَاجُ فِي إِدْرَاكِهِ إِلَى
زِيَادَةٍ تَأْمُلُ وَفَضْلٍ مُعَانَاةٍ لِيَجْلِيَ عَمَّا أَخْفَى وَيُكْشِفُ عَمَّا أَعْمَضَ .
وَبِاسْتِعْمَالِ الْفِكْرِ فِيهِ يَكُونُ الْأَرْتِياضُ بِهِ وَبِالْأَرْتِياضِ بِهِ يَسْهُلُ
مِنْهُ مَا اسْتَضَعَبَ وَيَقْرُبُ مِنْهُ مَا بَعُدَ . فَإِنَّ الرِّيَاضَةَ جَرَاءَةٌ وَلِلدَّرَايَةِ
تَأْثِيرٌ . وَأَمَّا مَا كَانَ مُقَدِّمَةً لِغَيْرِهِ فَضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا أَنْ تَقُومَ
الْمُقَدِّمَةُ بِنَفْسِهَا وَإِنْ تَعَدَّتْ إِلَى غَيْرِهَا فَتَكُونُ كَالْمُسْتَقِلِّ بِنَفْسِهِ
فِي تَصَوُّرِهِ وَفَهْمِهِ مُسْتَدْعِيًا لِنَتِيجَتِهِ . وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ مُفْتَقِرًا إِلَى
نَتِيجَةٍ فَيَتَعَدَّرُ فَهْمُ الْمُقَدِّمَةِ إِلَّا بِمَا يَلْبِغُهَا مِنَ النَّتِيجَةِ لِأَنَّهَا تَكُونُ
بَعْضًا . وَبَعْضُ الْمَعْنَى أَشْكَلُ لَهُ وَبَعْضُهُ لَا يُغْنِي عَنْ كُلِّهِ . وَأَمَّا
مَا كَانَ نَتِيجَةً لِغَيْرِهِ فَهُوَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِأَوَّلِهِ وَلَا يَتَصَوَّرُ عَلَى حَقِيقَتِهِ

إِلَّا يُقَدِّمَتِهِ وَالْإِسْتِغَالُ بِهِ قَبْلَ الْمُقَدِّمَةِ عَنْهُ . وَاتَّعَابُ الْفِكْرِ فِي
 اسْتِنْبَاطِهِ قَبْلَ قَاعِدَتِهِ أَدَّى . فَهَذَا يُوضَحُ تَعْيِيلُ مَا فِي الْمَعَانِي مِنْ
 الْأَسْبَابِ الْمَانِعَةِ مِنْ فَهْمِهَا . (وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّالِثُ) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ
 السَّبَبُ الْمَانِعُ لِعِلَّةٍ فِي الْمُسْتَعْمَلِ فَذَلِكَ ضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا مِنْ ذَاتِهِ .
 وَالثَّانِي مِنْ طَرَفٍ عَلَيْهِ . (فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ ذَاتِهِ) فَيَتَنَوَّعُ نَوْعَيْنِ : أَحَدُهُمَا
 مَا كَانَ مَانِعًا مِنْ تَصَوُّرِ الْمَعْنَى . وَالثَّانِي مَا كَانَ مَانِعًا مِنْ حِفْظِهِ
 بَعْدَ تَصَوُّرِهِ وَفَهْمِهِ . فَأَمَّا مَا كَانَ مَانِعًا مِنْ تَصَوُّرِ الْمَعْنَى وَفَهْمِهِ فَهُوَ
 الْأَبْلَادَةُ وَقِلَّةُ الْفِطْنَةِ وَهُوَ الدَّاءُ الْأَعْيَاءُ . وَتَدَقُّ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ :
 إِذَا فَقَدَ الْعَالِمُ الذِّهْنَ قَلَّ عَلَى الْأَضْدَادِ اخْتِجَاجُهُ . وَكَثُرَ إِلَى الْكُتُبِ
 اخْتِجَاجُهُ . وَلَيْسَ لِمَنْ يُبْلَى بِهِ إِلَّا الصَّبْرُ وَالْإِقْلَالُ . لِأَنَّهُ عَلَى الْقَلِيلِ
 أَقْدَرُ . وَبِالصَّبْرِ أُخْرَى أَنْ يُبَالَ وَيُظْفَرُ . وَأَمَّا الْمَانِعُ مِنْ حِفْظِهِ بَعْدَ
 تَصَوُّرِهِ وَفَهْمِهِ فَهُوَ النِّسْيَانُ الْحَادِثُ عَنْ غَفْلَةِ التَّفْصِيرِ وَإِهْمَالِ التَّوَاتُّ
 فَيَنْبَغِي لِمَنْ يُبْلَى بِهِ أَنْ يَسْتَدْرِكَ تَفْصِيرَهُ بِكَثْرَةِ الدَّرْسِ وَيُوقِظَ
 غَفْلَتَهُ بِإِدَاةِ النَّظَرِ . فَقَدْ قِيلَ : لَا يُدْرِكُ الْعِلْمُ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرَسَهُ
 وَيَكْدُ نَفْسَهُ . وَكَثْرَةُ الدَّرْسِ كَدُودٌ لَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ يَرَى
 الْعِلْمَ غَنَمًا وَالْجَهَالَةَ مَغْرَمًا . فَيَحْتَمِلُ تَعَبَ الدَّرْسِ لِيُدْرِكَ رَاحَةَ الْعِلْمِ
 وَيَنْفِي عَنْهُ مَعَرَّةَ الْجَهْلِ . فَإِنَّ نَيْلَ الْعَظِيمِ بِأَمْرِ عَظِيمٍ . وَعَلَى قَدْرِ
 الرِّغْبَةِ تَكُونُ الْمَطَالِبُ وَبِحَسَبِ الرَّاحَةِ يَكُونُ التَّعَبُ . وَقَدْ قِيلَ :
 طَلَبُ الرَّاحَةِ قَالَةُ الْأَسْرَاحَةِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : اكْمَلِ الرَّاحَةَ
 مَا كَانَتْ عَنْ كَدِّ التَّعَبِ وَاعْرِضْ الْعِلْمَ مَا كَانَ عَنْ ذَلِّ الطَّالِبِ ..

وَقَالَ بَعْضُ أَلْبَلَاءِ : إِنَّ هَذِهِ الْأَدَابَ نَوَافِرٌ تَبْدَعُ عَنْ أَهْلِ الْأَذْهَانِ
فَأَجْعَلُوا الْكُتُبَ عَنْهَا حِمَاةً . وَأَلَا قَلَامَ لَهَا رِعَاةً . (وَأَمَّا الطَّوَارِي)
فَنَوْعَانِ : (أَحَدُهُمَا) شُبْهَةٌ تَعَارِضُ الْمَعْنَى فَتَمْنَعُ عَنْ نَفْسِ تَصَوُّرِهِ وَتَدْفَعُ
عَنْ إِذْرَاكِ حَقِيقَتِهِ . فَيُبْنِي أَنْ يُزِيلَ تِلْكَ الشُّبْهَةَ عَنْ نَفْسِهِ بِالسُّوَالِ
أَوْ النَّظَرِ لِيَصِلَ إِلَى تَصَوُّرِ الْمَعْنَى وَإِذْرَاكِ حَقِيقَتِهِ . وَلِذَاكَ قَالَ بَعْضُ
الْعُلَمَاءِ : لَا تُخْلِ قَلْبَكَ مِنَ الْمَذَاكِرَةِ فَتَعُودَ عَقِيماً . وَلَا تُعْفِ
طَبْعَكَ مِنَ الْمُنَاطَرَةِ فَيَعُودَ سَقِيماً . وَقَالَ بَشَّارُ بْنُ بَرْدٍ :

شِقَاءُ الْعَمَى طُولُ السُّوَالِ وَإِنَّمَا

دَوَامُ الْعَمَى طُولُ السُّكُوتِ عَلَى الْجَهْلِ
فَكُنْ سَائِلًا عَمَّا عَكَكَ فَإِنَّمَا دَعَيْتَ أَخَا عَقْلٍ لِيَتَجَثَّ بِأَلْعَقْلِ
(وَالثَّانِي) أَفْكَارٌ تُعَارِضُ الْخَاطِرَ فَيَذْهَلُ عَنْ تَصَوُّرِ الْمَعْنَى .
وَهَذَا سَبَبٌ قَلَّ مَا يَعْرِى مِنْهُ أَحَدٌ لِأَسِيَا فِيمَنْ أَنْبَسَطَتْ أَمَانُهُ
وَأَتَّسَعَتْ أَمَانِيَّتُهُ . وَقَدْ يَقُولُ فِيمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي غَيْرِ الْعِلْمِ أَرَبٌ
وَلَا فِيمَا سِوَاهُ هِمَّةٌ فَإِنَّ طَرَاتِ عَلَى الْإِنْسَانِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى مُكَابَرَةِ
نَفْسِهِ عَلَى الْفَهْمِ وَغَلَبَتْ قَلْبَهُ عَلَى التَّصَوُّرِ لِأَنَّ الْقَلْبَ مَعَ الْإِكْرَاهِ
أَشَدُّ ثَقُورًا وَأَبْعَدُ قُبُولًا . وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَثَرِ : بِأَنَّ الْقَلْبَ إِذَا
أُكْرِهَ عَمِيَ . وَلَكِنْ يُعْمَلُ فِي دَفْعِ مَا طَرَأَ عَلَيْهِ مِنْ هَمٍّ نَذْهَلُ
أَوْ فِكْرٍ قَاطِعٍ لِيَسْتَجِيبَ لَهُ الْقَلْبُ مُطِيعًا . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَيْسَ يُنْفَعُ فِي الْمَوَدَّةِ شَافِعٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الضُّلُوعِ شَفِيعُ
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِنَّ لِهَذِهِ الْقُلُوبِ تَمَافًا كَتَمَافٍ أَوْ لَوْحَشَ

فَتَأْتِيهَا بِالْإِقْتِصَادِ فِي التَّعْلِيمِ وَالتَّوَسُّطِ فِي التَّقْدِيمِ لِيَحْسَنَ طَاعَتَهَا
وَيَدُومَ كَسَاطُهَا . فَهَذَا تَعْلِيلُ مَا فِي الْمُسْتَعِجِ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمَانِعَةِ
مِنْ فَهْمِ الْعَالِي

البحث التاسع

في المعاظلة

(من المثل السائر لابن الاثير باختصار وتصرف)

إِنَّ الْمَعَاظِلَةَ مَأْخُودَةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : تَعَاظَلَتِ الْجُرَادُ تَانِ إِذَا رَكِبَتْ
إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى . فَسَبَّيَ الْكَلَامَ التَّرَاكِبُ فِي الْفَاعِلِ وَفِي
مَعَانِيهِ الْمَعَاظِلَةَ مَأْخُودًا مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ أَنَّهُ لَا نَقْصَ بِمُسَمَّاهُ . وَوَصَفَ
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ زُهَيْرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ فَقَالَ : كَانَ لَا يُعَاظِلُ بَيْنَ
الْكَلَامِ . وَقَدْ اخْتَلَفَ عُلَمَاءُ الْبَيَانِ فِي حَقِيقَةِ الْمَعَاظِلَةِ فَقَالَ قُذَامَةُ
ابْنُ جَعْفَرٍ الْكَاتِبُ : التَّعَاظُلُ فِي الْكَلَامِ هُوَ أَنْ يَدْخُلَ بَعْضُ
الْكَلَامِ فِيمَا لَيْسَ مِنْ جِنْسِهِ وَلَا يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا فَاحِشٌ الْإِسْتِعَارَةِ .
كَقَوْلِ أَوْسٍ بْنِ حُجْرٍ :

وَذَاتِ هَيْدَمٍ عَارٍ نَوَاسِرُهَا تُضْمِتُ بِالْمَاءِ تَوَابًا جَدَعًا
فَسَبَّيَ الظَّنِّيَ تَوَابًا وَالتَّوَلَّبُ وَلَكِنَّ الْحِمَارَ وَهَذَا مَا ذَكَرَهُ قُذَامَةُ
ابْنُ جَعْفَرٍ وَهُوَ خَطَأٌ إِذْ لَوْ كَانَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ صَوَابًا لَكَانَتْ حَقِيقَةُ
الْمَعَاظِلَةِ دُخُولَ الْكَلَامِ فِيمَا لَيْسَ مِنْ جِنْسِهِ . وَلَيْسَتْ حَقِيقَتُهَا هَذِهِ بَلْ
حَقِيقَتُهَا مَا تَقَدَّمَ وَهُوَ التَّرَاكِبُ مِنْ قَوْلِهِمْ : تَعَاظَلَتِ الْجُرَادُ تَانِ

إِذَا رَكِبْتَ إِحْدَاهُمَا الْآخَرَى . وَهَذَا الْمَثَلُ الَّذِي مَثَلَ بِهِ قُدَامَةُ
لَا تَرَكَبَ فِي الْفَاعِلِ وَلَا فِي مَعَانِيهِ . وَأَمَّا غَيْرُ قُدَامَةِ فَإِنَّهُ خَالَفَهُ
فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَنْقَسِمِ الْمَعَاظِلَةُ إِلَى لَفْظِيَّةٍ وَمَعْنَوِيَّةٍ وَلَكِنَّهُ
ضَرَبَ لَهَا مَثَلًا . كَقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُلْكًا أَبُو أُمِّهِ حَيُّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ
وَهَذَا مِنْ الْقِسْمِ الْمَعْنَوِيِّ لَا مِنْ الْقِسْمِ اللَّفْظِيِّ . أَلَا تَرَى
إِلَى تَرَكَبٍ مَعَانِيهِ بِتَقْدِيمِ مَا كَانَ يَجِبُ تَأْخِيرُهُ وَتَأْخِيرِ مَا كَانَ
يَجِبُ تَقْدِيمُهُ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي مَعْنَاهُ : وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ حَيُّ يُقَارِبُهُ
إِلَّا مُلْكًا أَبُو أُمِّهِ أَبُوهُ . وَإِذَا حَقَّقْتَ الْقَوْلَ فِي بَيَانِ الْمَعَاظِلَةِ
وَالْكَشْفِ عَنْ حَقِيقَتِهَا فَاقُولُ : إِنَّ الْمَعَاظِلَةَ مُعَاظِلَتَانِ لَفْظِيَّةٌ وَمَعْنَوِيَّةٌ
(فَالْمَعْنَوِيَّةُ) أَنْ يُقَدَّمَ مَا الْأَوَّلَى بِهِ التَّأْخِيرُ وَهُوَ مِنْ عُيُوبِ الْكَلَامِ
لِأَنَّ الْأَعْنَى مُحْتَمِلٌ بِذَلِكَ وَمُضْطَرِبٌ وَذَلِكَ كَتَقْدِيمِ الصِّفَةِ أَوْ مَا
يَتَعَلَّقُ بِهَا عَلَى الْمَوْصُوفِ وَتَقْدِيمِ الصِّلَةِ عَلَى الْمَوْصُولِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .
كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ :

فَقَدْ وَاللَّكُ بَيْنَ لِي عَنَاءٍ بَوْشَكَ فِرَاقِهِمْ صُرْدٌ يَصِيحُ
فَإِنَّهُ قَدَّمَ قَوْلَهُ (بَوْشَكَ فِرَاقِهِمْ) . وَهُوَ مَعْمُولٌ يَصِيحُ وَيَصِيحُ
صِفَةً لِصُرْدٍ عَلَى صُرْدٍ وَذَلِكَ قَبِيحٌ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ :
هَذَا مِنْ مَوْضِعٍ كَذَا رَجُلٌ وَرَدَّ الْيَوْمَ . وَإِنَّمَا يَجُوزُ وَتَوَعُّعُ الْمَعْمُولِ
بِحَيْثُ يَجُوزُ وَتَوَعُّعُ الْعَامِلِ فَكَمَا لَا يَجُوزُ تَقْدِيمُ الصِّفَةِ عَلَى مَوْصُوفِهَا
فَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ تَقْدِيمُ مَا اتَّصَلَ بِهَا عَلَى مَوْصُوفِهَا . وَمِنْ هَذَا النَّحْوِ

قَوْلُ الْآخَرِ :

فَاصْبَتْ بَعْدَ خَطِّ بَهْجَتِهَا كَانَ قَفْرًا رُسُومَهَا قَلَمًا
فَلَيْتَهُ قَدَّمَ خَبَرَ كَانَ عَلَيْهَا وَهُوَ قَوْلُهُ : خَطٌّ . وَهَذَا وَأَمثَالُهُ يَمَّا
لَا يَجُوزُ قِيَاسُ عَلَيْهِ وَالْأَصْلُ فِي هَذَا أَلَيْتَ (فَاصْبَتْ بَعْدَ بَهْجَتِهَا
قَفْرًا كَانَ قَلَمًا خَطٌّ رُسُومَهَا) إِلَّا أَنَّهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ الْأُولَى فِي الشَّعْرِ
مُحْتَلٌّ مُضْطَرَبٌ . وَالْمَعَاظِلَةُ فِي هَذَا أَلْبَابِ نَتَفَاوَتْ دَرَجَاتُهَا فِي الْفَتْحِ
وَهَذَا أَلَيْتُ الْمَشَارِ إِلَيْهِ مِنْ أَفْجَحِهَا لِأَنَّ مَعَانِيَهُ قَدْ تَدَاخَلَتْ وَرَكِبَ
بَعْضُهَا بَعْضًا . وَبِمَا يَجْرِي هَذَا الْخَجَرَى قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

إِلَى مَلِكٍ مَا أَمَّهُ مِنْ مُحَارِبٍ أَبُوهُ وَلَا كَانَتْ كُتَيْبٌ تُصَاهِرُهُ
(وَهُوَ يُرِيدُ إِلَى مَلِكٍ أَبُوهُ مَا أَمَّهُ مِنْ مُحَارِبٍ) . وَهَذَا أَفْجَحُ
مِنَ الْأَوَّلِ وَاصْنَعْتُ اخْتِلَافًا ... وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْفَرَزْدَقُ مِنَ التَّعَاطُلِ
كَثِيرًا كَأَنَّهُ كَانَ يَقْصِدُ ذَلِكَ وَيَتَعَمَّدُهُ . لِأَنَّ مِثْلَهُ لَا يَجِيءُ إِلَّا مُتَكَافَأًا
مَقْصُودًا وَلَا فَإِذَا تَرَكَ . وَوَلَّفُ الْكَلَامَ نَفْسَهُ تَجَرِي عَلَى سَمْعَيْهَا
وَطَبْعَيْهَا فِي الْإِسْتِزْسَالِ لَمْ يَعْزُضْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا التَّنْقِيدِ . إِلَّا
تَرَى أَنَّ الْقُصُودَ مِنَ الْكَلَامِ مَعْدُومٌ فِي هَذَا الضَّرْبِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ
إِذَا الْقُصُودَ مِنَ الْكَلَامِ إِنَّمَا هُوَ الْإِيضَاحُ وَالْإِبَانَةُ وَافْهَامُ الْمَعْنَى .
فَإِذَا ذَهَبَ هَذَا الْوَصْفُ الْقُصُودَ مِنَ الْكَلَامِ ذَهَبَ الْمُرَادُ بِهِ وَلَا
فَرَقَ عِنْدَ ذَلِكَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ مِنَ اللُّغَاتِ كَالْفَارِسِيَّةِ وَالْهُنْدِيَّةِ
وغيرهما . وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الضَّرْبَ مِنَ الْكَلَامِ هُوَ ضِدُّ الْقَصَاحَةِ لِأَنَّ
الْقَصَاحَةَ هِيَ الظُّهُورُ وَالْيَبَانُ وَهَذَا عَارٍ عَنْ هَذَا الْوَصْفِ . وَأَمَّا الْقِسْمُ

الْلَفْظِيُّ مِنَ الْمَعَاظِلِ) فَإِنِّي تَأَمَّلْتُهُ بِالِاسْتِقْرَاءِ مِنَ الْأَشْعَارِ قَدِيمِهَا
وَمُحَدِّثِهَا وَمِنَ النَّظَرِ فِي حَقِيقَتِهَا نَفْسِهَا فَوَجَدْتُهَا تَنْقَسِمُ إِلَى خَمْسَةِ
أَقْسَامٍ : (الْأَوَّلُ) مِنْهَا يَخْتَصُّ بِأَدَوَاتِ الْكَلَامِ . مِنْ وَالِي وَعَنْ وَعَلَى
وَأَشْبَاهِهَا . فَإِنَّ مِنْهَا مَا يَسْهَلُ الْتَطْقُ بِهِ إِذَا وَرَدَ مَعَ أَخَوَاتِهِ .
وَمِنْهَا مَا لَا يَسْهَلُ كُلُّ يَرْدٍ ثَقِيلًا عَلَى اللِّسَانِ وَلِكُلِّ مَوْضِعٍ يَخُصُّهُ
مِنَ السَّبكِ . فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

إِلَى خَالِدٍ رَاحَتْ بِنَا أَرْحِيَّةٌ مَرَاتِفُهَا مِنْ عَن كَرَاكِهَا نَكْبُ
قَعْلُوهُ : (مِنْ عَن كَرَاكِهَا) مِنَ الْكَلَامِ الْمُتَعَاظِلِ الَّذِي
تَثْقُلُ التَّطْقُ بِهِ عَلَى أَنَّهُ قَدْ وَرَدَتْ هَاتَانِ اللَّفْظَتَانِ وَهُمَا : مِنْ وَعَنْ
فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فَلَمْ يَثْقُلِ التَّطْقُ بِهِمَا كَقَوْلِ الْقَائِلِ : مِنْ عَنْ يَمِينِ
الْطَّرِيقِ . وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمَا وَرَدَا فِي بَيْتِ أَبِي تَمَّامٍ مُضَافَتَيْنِ إِلَى
لَفْظَةِ الْكَرَاكِ قَعْلَتْ مِنْهُمَا وَجَعَلَتْهُمَا مَكْرُوهَتَيْنِ كَمَا تَرَى وَالْأَوَّلَى
فَقَدْ وَرَدَا فِي شِعْرِ قَطْرِي بْنِ النُّجَّاءِ فَكَانَتَا خَفِيفَتَيْنِ كَقَوْلِهِ :

وَلَقَدْ أَرَانِي لِلرِّمَاحِ دَرِيَّةً مِنْ عَن يَمِينِي مَرَّةً وَأَمَامِي
وَالْأَوَّلَى فِي ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى السَّبكِ فَإِذَا سُبِكَتْ هَاتَانِ
الْلَفْظَتَانِ أَوْ مَا يَجْرِي مَجْرَاهُمَا مَعَ أَلْفَاظٍ تَسْهَلُ مِنْهُمَا لَمْ يَكُنْ بِهِمَا
مِنْ ثِقَلٍ كَمَا جَاءَ تَا فِي بَيْتِ قَطْرِي . وَإِذَا سُبِكَتَا مَعَ أَلْفَاظٍ تَثْقُلُ
مِنْهُمَا جَاءَ تَا كَمَا جَاءَ تَا فِي بَيْتِ أَبِي تَمَّامٍ . وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ قَوْلُ
أَبِي تَمَّامٍ أَيْضًا :

كَأَنَّهُ لِاجْتِمَاعِ الرُّوحِ فِيهِ أَهٌ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْ جِسْمِهِ رُوحٌ

فَقَوْلُهُ (فِي) بَعْدَ قَوْلِهِ (فِيهِ لَهُ) يَمَّا لَا يَحْسُنُ وَرُودُهُ. وَكَذَلِكَ
وَرَدَّ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُنْتَبِي :

وَتُسَعِّدُنِي فِي عَمْرٍاءَ بَعْدَ عَمْرٍاءَ سُبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ
فَقَوْلُهُ : (لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا) مِنْ الثَّقِيلِ الثَّقِيلِ الثَّقِيلِ
(الْقِسْمُ الثَّانِي مِنَ الْمَعَاظِلِ اللَّفْظِيَّةِ) تَخْتَصُّ بِتَكْرِيرِ الْحُرُوفِ
وَلَيْسَ ذَلِكَ يَمَّا يَتَعَلَّقُ بِتَكْرِيرِ الْأَلْفَاظِ وَلَا بِتَكْرِيرِ الْمَعْنَى يَمَّا يَأْتِي
ذِكْرُهُ فِي بَابِ التَّكْرِيرِ فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ . وَأَمَّا هُوَ تَكْرِيرُ حَرْفٍ
وَاحِدٍ أَوْ حَرْفَيْنِ فِي كُلِّ لَفْظَةٍ مِنْ الْأَلْفَاظِ الْكَلَامِ الْمُنْشُورِ أَوْ
الْمَنْظُومِ فَيَنْقَلِبُ حِينَئِذٍ الْأُتْقَانُ بِهِ . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

وَقَبْرُ حَرْبٍ فِي مَكَانٍ قَفْرٍ وَلَيْسَ قُرْبُ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ
فَهَذِهِ أَلْفَاظَاتٌ وَالْأَلْفَاظَاتُ كَانَتْهَا فِي تَتَابُعِهَا سِلْسِلَةً وَلَاخْفَاءَ يَمَّا
فِي ذَلِكَ مِنَ الثَّقَلِ . وَكَذَا وَرَدَّ قَوْلُ الْحَرِيرِيِّ فِي مَقَامَاتِهِ :

وَأَذُورَ مَنْ كَانَ لَهُ زَائِرًا وَعَافَ عَافِي الْعُرْفِ عُرْفَانَهُ
فَقَوْلُهُ : (وَعَافَ عَافِي الْعُرْفِ عُرْفَانَهُ) مِنْ التَّكْرِيرِ الْمُنْشَرِّ إِلَيْهِ .
وَكَذَلِكَ وَرَدَّ قَوْلُهُ أَيْضًا فِي رِسَالَتَيْهِ اللَّتَيْنِ صَاغَهُمَا عَلَى حَرْفِي السَّيْنِ
وَالشَّيْنِ : فَإِنَّهُ أَتَى فِي إِحْدَاهُمَا بِالسَّيْنِ فِي كُلِّ لَفْظَةٍ مِنْ أَلْفَاظِهَا .
وَأَتَى بِالْأُخْرَى بِالشَّيْنِ فِي كُلِّ لَفْظَةٍ مِنْ أَلْفَاظِهَا فَجَاءَ تَأْكُنُهُمَا رَفْعُ
الْعُقَارِبِ أَوْ خُذْرُوقَةُ الْعَزَائِمِ . وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ خَفِيَ مَا فِيهِمَا مِنْ
الْقُنْجِ عَلَى مِثْلِ الْحَرِيرِيِّ مَعَ مَعْرِفَتِهِ بِالْجِدِّ وَالرَّدِيِّ مِنَ الْكَلَامِ . . .
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَرَبَ الَّذِينَ هُمْ الْأَصْلُ فِي هَذِهِ اللُّغَةِ قَدْ عَدَلُوا عَنْ

تَكْرِيرِ الْحُرُوفِ فِي كَثِيرٍ مِنْ كَلَامِهِمْ . وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَكَرَّرَ الْحَرْفُ
عِنْدَهُمْ أَدْعَمُوهُ اسْتَحْسَاءً فَقَالُوا فِي : (جَعَلَ لَكَ) جَعَلَكَ . وَفِي :
(تَضَرَّبُونِي) تَضَرَّبُونِي . وَكَذَلِكَ قَالُوا : اسْتَعَدَّ فُلَانٌ لِلْأَمْرِ إِذَا
تَأَهَّبَ لَهُ وَالْأَصْلُ فِيهِ اسْتَعَدَّ . وَاسْتَبَّ الْأَمْرُ إِذَا تَهَيَّأَ . وَالْأَصْلُ
فِيهِ اسْتَبَّ . وَآشَبَهُ ذَلِكَ فِي كَلَامِهِمْ حَتَّى أَنَّهُمْ لَشِدَّةِ كَرَاهَتِهِمْ
لِتَكْرِيرِ الْحُرُوفِ أَبَدَلُوا أَحَدَ الْحَرْفَيْنِ الْمَكْرَرَيْنِ حَرْفًا آخَرَ غَيْرَهُ فَقَالُوا :
أَمَلَيْتُ الْكِتَابَ . وَالْأَصْلُ فِيهِ أَمَلْتُ . فَأَبَدَلُوا اللَّامَ يَاءً طَلَبًا
لِلخِفَةِ وَفَرَارًا مِنَ الثَّقَلِ . وَإِذَا كَانَ قَدْ فَعَلُوا ذَلِكَ فِي اللَّفْظَةِ الْوَاحِدَةِ
فَمَا طَنَكَ بِالْأَفْظَاطِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي يَلْبِغُ نَعْضُهَا بَعْضًا

(الْقِسْمُ الثَّلَاثُ مِنَ الْمَعَاظِلِ) أَنْ تَرِدَ أَفْظَاطٌ عَلَى صِيغَةِ الْفِعْلِ
يَلْبِغُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَنَهَا مَا يَخْتَلِفُ بَيْنَ مَاضٍ وَمُسْتَقْبَلٍ . وَنَهَا مَا
لَا يَخْتَلِفُ . فَالْأَوَّلُ كَقَوْلِ الْقَاضِي الْأَرَجَائِيِّ فِي آيَاتٍ يَصِفُ فِيهَا
السَّمْعَةَ فَقَالَ :

بِالنَّارِ فَرَّقَتْ الْحَوَادِثُ بَيْنَنَا وَبِهَا نَذَرْتُ أَعُوذُ أَقْتُلُ رُوحِي
فَقَوْلُهُ : (نَذَرْتُ أَعُوذُ) مِنَ الْمَعَاظِلِ الْمَشَارِ إِلَيْهَا . وَأَمَّا مَا
يَرِدُ عَلَى نَهْجٍ وَاحِدٍ مِنَ الصِّيغَةِ الْفِعْلِيَّةِ . فَكَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ
الْمُتَنَبِّي :

أَقِلْ أَيْلَ أَقْطِعْ أَخِلْ عَلَى سَلٍّ أَعِذْ زِدْهِشَ بِشٍّ تَفْضُلْ أَدْنِ سُرْ صِلْ
فَهَذِهِ أَفْظَاطٌ جَاءَتْ عَلَى صِيغَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ صِيغَةُ الْأَمْرِ كَأَنَّهُ
قَالَ : (أَفْعَلْ أَفْعَلْ) هَكَذَا إِلَى آخِرِ الْبَيْتِ . وَهَذَا تَكْرِيرٌ لِلصِّيغَةِ

وَأَنْ لَمْ يَكُنْ تَكْرِيزًا لِلْخُرُوفِ إِلَّا أَنَّهُ أَخُوهُ وَلَا أَقُولُ : أَيْبُنُ عَتِيهِ .
وَهَذِهِ أَلْفَاظُ مُتَرَاكِبَةٍ مُتَدَاخِلَةٌ وَلَوْ عَطَفَهَا بِالْوَاوِ لَكَانَتْ أَقْرَبَ
حَالًا . كَمَا قَالَ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ رَعْبَانَ :

فَسَدَ النَّاسُ فَاطْلُبِ الرِّزْقَ بِالسَّيْفِ م وَالْأَمْتُ شَدِيدَ الْهَزَالِ
جِلٌّ وَأَمْرٌ وَضَرٌّ وَأَنْفَعُ وَلِنْ وَأَخْشَنُ م وَأَبْرَزُ ثُمَّ أَنْتَدِبُ لِلْمَعَالِي
أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمَّا عَاطَفَ هَهُنَا بِالْوَاوِ لَمْ تَتَرَاكِبِ الْأَلْفَاظُ
كَتَرَاكِبِهَا فِي بَيْتِ أَبِي الطَّيِّبِ أَلْتَقَدَّمَ ذِكْرُهُ

(أَلْقِسْمُ الرَّابِعُ مِنَ الْمُعَاظَلَةِ) وَهُوَ الَّذِي يَتَضَنُّ مُضَافَاتٍ
كَثِيرَةً كَقَوْلِهِمْ : سَرَجٌ فَرَسٍ غَلَامٍ زَيْدٍ . وَإِنْ زِيدَ عَلَى ذَلِكَ
قِيلَ : لَبْدٌ سَرَجٍ فَرَسٍ غَلَامٍ زَيْدٍ . وَهَذَا أَشَدُّ فُجَاءً وَأَثَقَلُ عَلَى اللِّسَانِ .
وَعَلَيْهِ وَرَدَ قَوْلُ ابْنِ بَابِيكَ الْأَشْعَرِيِّ فِي مُفْتَحِ قَصِيدَةِ لَهُ :

حَمَامَةٌ جَرَعًا حَوْمَةً الْجُبْدِلِ أَنْجَبِي فَأَنْتِ بَرَأَى مِنْ سَعَادٍ وَمَسْمَعٍ
(أَلْقِسْمُ الْخَامِسُ مِنَ الْمُعَاظَلَةِ) أَنْ تَرِدَ صِفَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ عَلَى
نَحْوِ وَاحِدٍ . كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ مِنْ قَصِيدَةٍ يَصِفُ رُحْمًا :

وَمَرٌّ تَهْمُو ذَوَابْتَاهُ عَلَى أَسَرٍّ مَاتِي يَوْمَ الْوَعَى جَسَدِهِ
مَارِنُهُ لَدَنُّهُ مُثَقَّفُهُ عِرَاضُهُ فِي الْأَكْفِ مَطْرَدُهُ
وَهَذَا كَانَ أَوَّلَ فِي فُجْجِهِ وَثِقَلِهِ فَقَاتَلَهُ اللَّهُ مَا أَمَتَنَ شِعْرَهُ وَمَا
أَنْحَقَّهُ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ وَعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ
أَلْتَسَنِّي :

دَانٍ بَعِيدٍ مُحِبِّ مُبْغِضٍ بِهِمْ أَغَرَّ حُلُوِّ مُرٍّ لَيْسَ شَرِّسٍ

نَدِ ابْنِي غَرٍّ وَافٍ اخِي شَقِيٍّ جَعَدِ سِرِّي نَهْ نَذْبِ رَضِي نَدُسِ
وَهَذَا كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ بِلا سَلَكٍ وَقَلِيلًا مَا يُوجَدُ فِي أَشْعَارِ الشُّعْرَاءِ . وَلَمْ
أَجِدْهُ كَثِيرًا إِلَّا فِي شِعْرِ الْقَرَزْدَقِ وَتِلْكَ مُعَاظَلَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ وَهَذِهِ
مُعَاظَلَةٌ لَفْظِيَّةٌ وَهِيَ تُوجَدُ فِي شِعْرِ ابْنِي الطَّبَبِ كَثِيرًا

البحث العاشر

في المنافرة بين الالفاظ في السبك

(عن المثل السائر لابن الاثير باختصار)

وَهَذَا النَّوعُ لَمْ يُحَقِّقْ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ الْقَوْلَ فِيهِ . وَغَايَةُ
مَا يُقَالُ : أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ لَا تَكُونَ الْإِلْفَاضُ نَافِرَةً عَنْ مَوَاضِعِهَا ثُمَّ
يُكْتَفَى بِهَذَا الْقَوْلِ مِنْ غَيْرِ بَيَانٍ وَلَا تَفْصِيلٍ حَتَّى إِنَّهُ قَدْ خَلِطَ
هَذَا النَّوعُ بِالْمُعَاظَلَةِ وَكُلٌّ مِنْهَا نَوْعٌ مُفْرَدٌ بِرَأْسِهِ لَهُ حَقِيقَةٌ مُخْصَصَةٌ . إِلَّا
أَنَّهُمَا قَدْ اشْتَبَهَا عَلَى عُلَمَاءِ الْبَيَانِ فَكَيْفَ عَلَى جَاهِلٍ لَا يَعْلَمُ . وَقَدْ
بَيَّنْتُ هَذَا النَّوعَ وَفَصَّلْتُهُ فِي فِصْلِ الْمُعَاظَلَةِ وَضَرَبْتُ لَهُ أَمْثَلَةً يُسْتَدَلُّ
بِهَا عَلَى أَخَوَاتِهَا وَمَا يَجْرِي تَجَرُّاها . وَحَمَلَةُ الْأَمْرِ أَنَّ مَدَارَ سَبْكِ الْإِلْفَاضِ
عَلَى هَذَا النَّوعِ وَالَّذِي قَبْلَهُ دُونَ غَيْرِهِمَا مِنْ تِلْكَ الْأَنْوَاعِ
الْمَذْكُورَةِ . لِأَنَّ هَذَيْنِ النَّوعَيْنِ أَصْلًا سَبْكِ الْإِلْفَاضِ وَمَا عَدَاهُمَا
فَرَعٌ عَلَيْهِمَا . وَإِذَا لَمْ يَكُنِ النَّائِرُ أَوْ النَّاطِقُ عَارِفًا بِهَمَا فَإِنَّ مَقَاتِلَهُ
كَثِيرَةٌ . وَحَقِيقَةُ هَذَا النَّوعِ الَّذِي هُوَ الْمُنَافَرَةُ أَنْ يُذَكَّرَ لَفْظًا أَوْ
إِلْفَاضًا يَكُونُ غَيْرَهَا بِمَاهُوٍ فِي مَعْنَاهَا أَوَّلَى بِالذِّكْرِ . وَعَلَى هَذَا

فَإِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُعَاظَلَةِ أَنَّ الْمُعَاظَلَةَ هِيَ التَّرَاكُّبُ وَالتَّدَاخُلُ
إِمَّا فِي الْأَلْفَاظِ أَوْ فِي أَلْمَعَانِي عَلَى مَا أَشْرْتُ إِلَيْهِ . وَهَذَا الَّذِي
لَا تَرَاكُّبَ فِيهِ وَإِنَّمَا هُوَ إِيْرَادُ الْفَظِّ غَيْرِ لَا نِقَّةَ بِمَوْضِعِهَا الَّذِي تَرُدُّ
فِيهِ . وَهُوَ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : أَحَدُهُمَا يُوجَدُ فِي اللَّفْظَةِ الْوَاحِدَةِ وَالْآخَرُ
فِي الْأَلْفَاظِ الْمُتَعَدِّدَةِ . (فَأَمَّا الَّذِي يُوجَدُ فِي اللَّفْظَةِ الْوَاحِدَةِ) فَإِنَّهُ
إِذَا وَرَدَ فِي الْكَلَامِ امْكُنَ تَبْدِيلُهُ بِغَيْرِهِ بِمَا هُوَ فِي مَعْنَاهُ سِوَاهُ
كَانَ ذَلِكَ الْكَلَامُ نَثْرًا أَوْ نَظْمًا . وَأَمَّا الَّذِي يُوجَدُ فِي الْأَلْفَاظِ
الْمُتَعَدِّدَةِ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ تَبْدِيلُهُ بِغَيْرِهِ فِي الشَّعْرِ بَلْ يُمْكِنُ ذَلِكَ فِي
النَّثْرِ خَاصَّةً لِأَنَّهُ يَعْسُرُ فِي الشَّعْرِ مِنْ أَجْلِ الْوِزْنِ . فِيمَا جَاءَ مِنْ
الْقِسْمِ الْأَوَّلِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي :

فَلَا يُبْرِمُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ حَالِلٌ وَلَا يَحْلُلُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ يُبْرِمُ
فَلَفْظَةُ حَالِلٌ نَافِرَةٌ عَنْ مَوْضِعِهَا وَكَانَتْ لَهُ مَتَدُوحَةٌ عَنْهَا لِأَنَّهُ لَوْ
اسْتَعْمَلَ عَرَضًا عَنْهَا لَفْظَةً (نَاقِضٌ) جَلَّتِ اللَّفْظَةُ قَارَةً فِي مَكَانِهَا
غَيْرَ قَلَمَةٍ وَلَا نَافِرَةٍ . وَبَلَّغَنِي عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ : أَنَّهُ كَانَ يَتَعَصَّبُ لِأَبِي
الطَّيِّبِ حَتَّى أَنَّهُ كَانَ يُسَمِّيهِ الشَّاعِرَ وَيُسَمِّي غَيْرَهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ بِاسْمِهِ
وَكَانَ يَقُولُ : لَيْسَ فِي شِعْرِهِ لَفْظَةٌ يُمْكِنُ أَنْ يُقْرَمَ عَنْهَا مَا هُوَ فِي
مَعْنَاهَا فَيُجْمَعُ حَسَنًا مِثْلَهَا . فَيَا لَيْتَ شِعْرِي أَمَا وَقَفَ عَلَى هَذَا أَلْبَيْتِ
الْمُشَارِ إِلَيْهِ اكُنَّ أَلْمَوَى كَمَا يُقَالُ أَعْمَى . وَكَانَ أَبُو الْعَلَاءِ أَعْمَى
أَلْعَيْنِ خِلَاقَةً وَأَعْمَاهَا عَصِيَّةٌ فَاجْتَمَعَ لَهُ أَلْعَمَى مِنْ جِهَتَيْنِ . وَهَذِهِ
الْلَفْظَةُ الَّتِي هِيَ (حَالِلٌ) وَهِيَ تَجْرِي بِجَوَاهِهَا قَبِيحَةٌ اِلِاسْتِعْمَالِ وَهِيَ فَكُّ

الْأَدْنَامِ فِي الْفِعْلِ الثَّلَاثِي وَنَقْلُهُ إِلَى أَنْتُمْ الْفَاعِلِ . وَعَلَى هَذَا فَلَا
يَحْسُنُ أَنْ يُقَالَ : بَلَّ الثَّوْبَ فَهُوَ بِالٌّ . وَلَا : سَلَّ السَّيْفَ فَهُوَ سَالٌ .
وَهَذَا لَوْ عُرِضَ عَلَى مَنْ لَا ذَوْقَ لَهُ لَأَدْرَكَهُ وَفَهِمَهُ فَكَيْفَ مَنْ لَهُ
ذَوْقٌ صَحِيحٌ كَأَيِّ الطَّيِّبِ . لَكِنْ لَا بُدَّ لِكُلِّ جَوَادٍ مِنْ كِبَوَةٍ .
وَأَنْشَدَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ نَيْتًا لِلدُّعِيلِ وَهُوَ :

شَفِيعَكَ فَاشْكُرْ فِي الْحَوَائِجِ إِنَّهُ يَصُونُكَ عَنْ مَكْرُوهَيْهَا وَهُوَ يَخْلُقُ
فَقُلْتُ لَهُ : عَجَزُ هَذَا أَلَيْتَ حَسَنُ وَأَمَّا صَدْرُهُ فَقَبِيحٌ . لِأَنَّ
سَبْكَهُ قَلْبِي نَافِرٌ . وَتِلْكَ أَلْفَاءُ أَلْتِي فِي قَوْلِهِ : شَفِيعَكَ فَاشْكُرْ
كَأَنَّمَا رُكْبَةُ الْبَعِيرِ وَهِيَ فِي زِيَادَتِهَا كَزِيَادَةِ الْكَرْشِ وَمِثْلُ
هَذِهِ الدَّقَائِقِ أَلْتِي تَرُدُّ فِي الْكَلَامِ نَظْمًا كَانَ أَوْ نَثْرًا لَا يَتَفَتَّنُ لَهَا
إِلَّا الرَّاسِخُ فِي عِلْمِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ . وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ وَضَعْتُ هَمْزَةً
أَلْقَطَعُ وَهِيَ مُحْسُوبَةٌ مِنْ جَائِزَاتِ الشَّعْرِ أَلْتِي لَا تَجُوزُ فِي الْكَلَامِ
أَلْتَشْوِيرُ . وَكَذَلِكَ قَطْعُ هَمْزَةِ الْوَصْلِ لَكِنْ وَضَعْتُ هَمْزَةً أَلْقَطَعُ أَقْبَحُ
لِأَنَّهُ أَثْقَلُ عَلَى اللِّسَانِ . فِيمَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ
أَلْتَسْتِي :

يُوسِطُهُ أَلْفَاوَزُ كُلِّ يَوْمٍ جِلَابُ الطَّالِبِينَ لَا أُنْتَظَرُ
فَقَوْلُهُ : (لَا أُنْتَظَرُ) كَلَامٌ نَافِرٌ مِنْ مَوْضِعِهِ . وَمِنْ هَذَا
الْقِسْمِ أَنْ يُفْرَقَ بَيْنَ الْمَوْصُوفِ وَالصِّفَةِ بِضَمِيرٍ مِنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .
كَقَوْلِ الْجَحْثَرِيِّ :

حَلَفْتُ لَهُ بِاللَّهِ يَوْمَ التَّفَرُّقِ وَإِلَّا لَوَجَدَ مِنْ قَلْبِي بِهِ أَلْتَعَلَّقُ

تَقْدِيرُهُ (مِنْ قَلْبِي اَلْمُتَعَلِّقُ بِهِ) فَلَمَّا فَصَلَ بَيْنَ الْمُوصُوفِ
اَلَّذِي هُوَ (قَلْبِي) وَالصِّفَةِ الَّتِي هِيَ (اَلْمُتَعَلِّقُ) بِالْضَمِيرِ اَلَّذِي هُوَ (بِهِ)
قُبِّحَ ذَلِكَ . وَلَوْ كَانَ قَالَ مِنْ قَلْبِهِ بِهِ مُتَعَلِّقٌ لَزَالَ ذَلِكَ اَلْقُبْحُ
وَذَهَبَتْ تِلْكَ اَلْفُجْئَةُ . وَمِنْ هَذَا اَلْقِسْمِ اَيْضًا اَنْ تُرَادَ اَلْآلِفُ
وَاللَّامُ فِي اَسْمِ اَلْفَاعِلِ وَيُقَامُ اَلضَّمِيرُ فِيهِ مُقَامَ اَلْمَفْعُولِ . كَقَوْلِ
اَبِي تَمَّامٍ :

فَلَوْ عَايَنْتَهُمُ وَالزَّائِرِينَ لَمَا مَزَتْ اَلْعِيْدَ مِنَ اَلْحَمِيمِ
قَوْلُهُ : (اَلزَّائِرِي) اَسْمُ فَاعِلٍ . وَقَوْلُهُ : (وَالزَّائِرِينَ) هُوَ
اَلضَّمِيرُ فِي مَوْضِعِ اَلْمَفْعُولِ . تَقْدِيرُهُ : (اَلزَّائِرِينَ اَرْضَهُمْ اَوْ دَارَهُمْ
اَوْ اَلزَّائِرِينَ اِيَّاهُمْ) فَاسْتِعْمَالُ هَذَا مَعَ اَلْآلِفِ وَاللَّامِ قَبِيحٌ جِدًّا .
وَإِذَا حَدِّقْنَا زَالَ ذَلِكَ اَلْقُبْحُ . وَقَدْ اسْتَعْمَلَهَا الشُّعْرَاءُ اَلْمُتَقَدِّمُونَ
كَثِيرًا

(وَمِمَّا جَاءَ مِنْ اَلْقِسْمِ اَلثَّانِي) اَلَّذِي يُوجَدُ فِي اَلْأَلْفَاظِ اَلْمُتَعَدِّدَةِ
قَوْلِ اَبِي الطَّيِّبِ اَيْضًا :

لَا خَلْقَ اَكْرَمَ مِنْكَ اِلَّا عَارِفٌ بِكَ رَأَى نَفْسَكَ لَمْ يَقُلْ لَكَ هَاتِيهَا
فَإِنَّ عَجْزَ هَذَا اَلْبَيْتِ نَافِرٌ عَنْ مَوَاضِعِهِ . وَامْتَالَ هَذَا فِي اَلْأَشْعَارِ
كَثِيرٌ



الفصل السادس

في وجوه الكلام
(راجع صفحة ٦٦ من علم الادب)

البحث الاول

في وجوه البلاغة وطبقات الكلام

(من العقد العريد لابن عبد ربه)

الْبَلَاغَةُ تَكُونُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ : تَكُونُ بِاللَّفْظِ وَالْحَظِّ
وَالْإِشَارَةِ وَالِدَّلَالَةِ . وَكُلُّ مِنْهَا لَهُ حَظٌّ مِنْ أَلْبَاغَةِ وَالتَّيَّانِ وَمَوْضِعٌ
لَا يَجُوزُ فِيهِ غَيْرُهُ . وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ وَلِكُلِّ كَلَامٍ
جَوَابٌ . وَرَبَّ إِشَارَةٍ أَبْلَغُ مِنْ لَفْظٍ . فَأَمَّا الْحَظُّ وَالْإِشَارَةُ
فَمَفْهُومَانِ عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَكَثِيرِ الْعَامَّةِ . وَأَمَّا الدَّلَالَةُ فَكُلُّ شَيْءٍ
دَلَّكَ عَلَى شَيْءٍ فَقَدْ أَخْبَرَكَ بِهِ وَقَالَ أَبُو بَرَزٍ لِكَاتِبِهِ :
أَعْلَمَ أَنَّ دَعَائِمَ الْمَقَالَاتِ أَرْبَعٌ : إِنْ أَلْتَمِسَ لَهَا خَامِسٌ لَمْ يُوجَدْ فَإِنْ
نَقَصَ مِنْهَا وَاحِدَةً لَمْ تَتِمَّ وَهِيَ : سُؤَالُكَ الشَّيْءَ وَآمُرُكَ بِالشَّيْءِ
وَإِخْبَارُكَ عَنِ الشَّيْءِ وَسُؤَالُكَ عَنِ الشَّيْءِ . فَإِذَا طَلَبْتَ فَأَسْجِمْ .
وَإِذَا سَأَلْتَ فَأَوْضِحْ وَإِذَا أَمَرْتَ فَأَحْكَمْ . وَإِذَا أَخْبَرْتَ فَحَقِّقْ .
وَاجْمَعْ الْكَثِيرَ بِمَا تُرِيدُ فِي الْقَلِيلِ مِمَّا تَقُولُ (يُرِيدُ الْكَلَامَ الَّذِي
تَقُلُّ حُرُوفَهُ وَتَكْثُرُ مَعَانِيهِ) . وَقَالَ رَبِيعَةُ : أَرَأَيْتُ أَنْ لَا أَسْمَعَ
الْحَدِيثَ عَطَلًا فَأَسْتَفِهُهُ وَأَقْرَطَهُ فَيَحْسُنُ وَمَا زِدْتُ فِيهِ شَيْئًا وَلَا غَيَّرْتُ

لَهُ مَعْنَى . وَقَالُوا : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا لَمْ يُخْتَجَّ بِهِ إِلَى كَلَامٍ وَلِلْعَرَبِ
 مِنْ مُوجِزِ اللَّفْظِ وَلَطِيفِ الْمَعْنَى فُصُولٌ عَجِيبَةٌ وَبِدَائِعُ غَرِيبَةٌ . قَالَ
 إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّيْبَانِيُّ : إِذَا اخْتَجَّتْ إِلَى مُحَاطَبَةِ الْمُلُوكِ وَالْوُزَرَاءِ
 وَالْعُلَمَاءِ وَالْكَتَّابِ وَالْخُطَبَاءِ وَالْأَدَبَاءِ وَالشُّعَرَاءِ وَأَوَسَاطِ النَّاسِ
 وَسُوقَتِهِمْ مُحَاطَبَةٌ كَلَّاءٌ عَلَى قَدَرِ أَهْلِيهِ وَجَلَالَتِهِ وَعُلُوِّهِ وَارْتِفَاعِهِ
 وَفُظَّتِهِ وَأَتْبَاهِهِ وَأَجْعَلَ طَبَقَاتِ الْكَلَامِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَقْسَامٍ : مِنْهَا
 الطَّبَقَاتُ الْأَلْفِيَّةُ أَرْبَعٌ وَالطَّبَقَاتُ الْآخَرُ وَهِيَ دُونَهَا أَرْبَعٌ لِكُلِّ
 طَبَقَةٍ مِنْهَا دَرَجَةٌ وَلِكُلِّ قِسْمَةٍ لَا يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ يُقْصَرَ
 بِأَهْلِهَا عَنْهَا وَيَقْلَبَ مَعْنَاهَا إِلَى غَيْرِهَا . (فَالْحَدُّ الْأَوَّلُ) الطَّبَقَاتُ الْعُلْيَا
 وَغَايَتُهَا الْقُضُوصُ الْخَلَاقَةُ الَّتِي آجَلَ اللَّهُ قَدْرَهَا وَاعْلَى شَأْنَهَا عَنْ مُسَاوَاتِهَا
 بِأَحَدٍ مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فِي التَّعْظِيمِ وَالتَّوْقِيرِ . (وَالطَّبَقَةُ الثَّانِيَّةُ)
 لُوزَرَاتُهَا وَكُتَّابُهَا الَّذِينَ يُحَاطَبُونَ الْخُلَفَاءَ بِعُقُولِهِمْ وَالسُّلُوكَ وَيَرْتُقُونَ
 الْفُتُوحَ بِأَرَادِهِمْ . (وَالطَّبَقَةُ الثَّلَاثَةُ) أُمَرَاءُ تُعَوَّرُهُمْ وَقُوَادُ جُنُودِهِمْ
 فَإِنَّهُ يَجِبُ مُحَاطَبَةُ كُلِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى قَدْرِهِ وَمَوْجِعِهِ وَحَظِّهِ وَغَايَةِ
 وَجَرَانِهِ وَأَضْطِلَاعِهِ بِإِحْمَالٍ مِنْ أَعْبَاءِ أُمُورِهِمْ وَجَلَانِلِ أَعْمَالِهِمْ .
 (وَالرَّابِعَةُ) الْقَضَاةُ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ كَانَ لَهُمْ تَوَاضَعُ الْعُلَمَاءِ وَحِيلَةُ
 الْفُضَلَاءِ فَعَمَّهُمْ أَهْلُ السَّاطِنَةِ وَهَيْبَةُ الْأُمَرَاءِ . وَأَمَّا الطَّبَقَاتُ الْأَرْبَعُ
 الْآخَرُ فَهُمْ الْمُلُوكُ الَّذِينَ أَوْجَبَتْ رِعْمَتُهُمْ تَعْظِيمَهُمْ فِي الْكُتُبِ إِلَيْهِمْ
 وَأَفْضَالُهُمْ تَفْضُلُهُمْ فِيهَا . (وَالثَّانِيَّةُ) وَزَرَائِهِمْ وَكُتَّابُهُمْ وَأَتْبَاعُهُمْ
 الَّذِينَ تُشْرَعُ أَبْوَابُهُمْ وَبِعِنَايَتِهِمْ تُسْتَبَاحُ أَمْوَالُهُمْ . (وَالثَّلَاثَةُ) هُمْ الْعُلَمَاءُ

يَجِبُ تَوْقِيرُهُمْ فِي الْكُتُبِ بِشَرَفِ الْعِلْمِ وَعُلُوِّ دَرَجَةِ أَهْلِهِ .
 (وَالطَّبَقَةُ الرَّابِعَةُ) لِأَهْلِ الْقَدْرِ وَالْجَلَالَةِ وَالْخَلَائِفَةِ وَالطَّلَاوَةِ وَالظَّرْفِ
 وَالْأَدَبِ فَإِنَّهُمْ يَضْطَرُّونَكَ بِحِدَّةِ أَذْهَانِهِمْ وَشِدَّةِ تَمْيِزِهِمْ وَاتِّقَادِهِمْ
 وَأَدَبِهِمْ وَتَصَفِيهِمْ إِلَى الْأَسْتِقْصَاءِ عَلَى نَفْسِكَ فِي مَكَاتِبِهِمْ وَأَسْتَعْنِيْنَا
 عَنْ التَّرْتِيبِ لِلشُّوْقَةِ وَالْعَوَامِّ وَالْجَارِ بِأَسْتَعْنَائِهِمْ بِمَهَاتِهِمْ مِنْ هَذِهِ
 الْأَلَاتِ وَأَسْتَغْلَاهُمْ بِمَهَاتِهِمْ عَنْ هَذِهِ الْأَدَوَاتِ . وَلِكُلِّ طَبَقَةٍ
 مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَاتِ مَعَانٍ وَمَذَاهِبٌ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَرَعَاهَا فِي
 مُرَاسَلَتِكَ إِيَّاهُمْ فِي كُتُبِكَ فَتَرَى كَلَامَكَ فِي مُحَاطَتِهِمْ بِمِزَانِهِ
 وَتُعْطِيَهُ قِسْمَهُ وَتُوفِيَهُ نَصِيبَهُ . فَإِنَّكَ مَتَى أَهْمَلْتَ ذَلِكَ وَاضْعَعْتَهُ لَمْ
 آمَنْ عَلَيْكَ أَنْ تُعَدِّلَ بِهِمْ عَنْ كَلَامِكَ فِي غَيْرِ مَسْلَكِهِ فَلَا تَعْتَدِ
 بِالْمَعْنَى الْجَزُلِ مَا لَمْ تُنْلِسْهُ لَفْظًا لَانْتِقَاءً بَيْنَ كَاتِبَتِهِ وَمَلَسًا بِعَنْ رَاسَلَتِهِ .
 فَإِنَّ إِبْهَاسَكَ الْمَعْنَى وَإِنْ صَحَّ وَصَرَفَ لَفْظًا مُخْتَلِفًا عَلَى قَدْرِ
 الْكُتُوبِ إِلَيْهِ لَمْ تَجْرِ بِهِ رَادَّتُهُمْ تَهْنِئُ لِلْمَعْنَى وَإِخْلَالُ بِقَدْرِهِ
 وَلَمْ يَحَقِّ الْكُتُوبِ إِلَيْهِ وَنَقْصُ بِمَا يَجِبُ لَهُ كَمَا أَنَّ فِي اتِّبَاعِ
 تَعَارُفِهِمْ وَمَا أَنْشَرَتْ بِهِ عَادَاتِهِمْ وَجَرَتْ بِهِ أَسْنَتُهُمْ قَطْعًا لِعُذْرِهِمْ
 وَخُرُوجًا مِنْ حُقُوقِهِمْ وَبُلُوغًا إِلَى غَايَةِ مُرَادِهِمْ وَإِسْقَاطًا لِلْحُجَّةِ أَدَبِهِمْ .
 فَمَنْ الْأَلْفَاظِ الْمَرْغُوبِ عَنْهَا وَالصُّدُورِ الْمُسْتَوْحَشِ مِنْهَا فِي كُتُبِ
 السَّادَاتِ وَالْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ عَلَى اتِّفَاقِ الْأَعْيَانِ مِثْلُ : أَبْقَاكَ اللَّهُ
 طَوِيلًا وَعَمَّرَكَ وَلِيًّا . وَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ لَافِرْقَ بَيْنَ قَوْلِهِمْ : أَطَالَ
 اللَّهُ بَقَاكَ . وَبَيْنَ قَوْلِهِمْ : أَبْقَاكَ اللَّهُ طَوِيلًا . وَلَكِنَّهُمْ جَعَلُوا هَذَا

أَرْجَحَ وَزَنَّا وَأَنبَهَ قَدْرًا فِي الْمُخَاطَبَةِ كَمَا أَنَّهُمْ جَعَلُوا : أَكْرَمَكَ
 اللَّهُ وَأَبْقَاكَ . أَحْسَنَ مَثَرًا فِي كُتُبِ الْفَضْلَاءِ وَالْأَدْبَاءِ مِنْ جُعِلَتْ
 فِدَاكَ عَلَى أَشْرَاكَ مَعْنَاهُ وَأَحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ فِدَاهُ مِنْ الْخَيْرِ كَمَا
 يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ فِدَاهُ مِنَ الشَّرِّ . عَلَى أَنْ كُتِّبَ الْعَسْكَرُ وَعَوَامُّهُمْ
 قَدْ وَلِعُوا بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ حَتَّى اسْتَعْمَلُوهَا فِي جَمِيعِ مُحَاوَرَاتِهِمْ وَجَعَلُوهَا
 هِجْرَانَهُمْ فِي مُخَاطَبَةِ الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ . وَلِذَلِكَ
 قَالَ مُحَمَّدٌ الْوَرَّاقُ :

كُلُّ مَنْ حَلَّ سُرَّ مِنْ رَأْيِ النَّاسِ وَمَنْ قَدْ يَدْخُلُ الْأَمَلَاكَ
 لَوْ رَأَى الْكَلْبَ مَائِلًا بِطَرِيقِ قَالَ لِلْكَلْبِ يَا جُعِلْتُ فِدَاكَ
 وَكَذَلِكَ لَمْ يُجِزُوا أَنْ يَكْتُبُوا بِمِثْلِ أَبْقَاكَ اللَّهُ وَأَمْتَعَ بِكَ إِلَّا
 فِي الْإِثْنِ وَالْخَادِمِ الْمُنْقَطِعِ إِلَيْكَ . وَأَمَّا فِي كُتُبِ الْإِخْوَانِ فَغَيْرُ
 جَائِزٍ بَلْ مَذْمُومٌ مَرْغُوبٌ عَنْهُ . . . وَلِكُلِّ مَكْتُوبٍ إِلَيْهِ قَدْرٌ وَوزنٌ
 يَلْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ لَا يُجَاوِزَهُ عَنْهُ وَلَا يُقَصِّرَ بِهِ دُونَهُ . وَقَدْ رَأَيْتُهُمْ
 عَابُوا الْأَخْوَصَ حِينَ خَاطَبَ الْمُلُوكَ خِطَابَ الْعَوَامِّ فِي قَوْلِهِ :

وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ مَذِقُ الْحَدِيثِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ
 وَهَذَا مَعْنَى صَحِيحٍ فِي الْمَدْحِ وَلَكِنَّهُمْ أَجَلُوا قَدْرَ الْمُلُوكِ أَنْ
 يَدْحَ بِمَا تَدْحُ بِهِ الْعَوَامُّ لِأَنَّ صِدْقَ الْحَدِيثِ وَإِنْجَازَ الْوَعْدِ وَإِنْ كَانَ
 مِنَ الْمَدْحِ فَهُوَ وَاجِبٌ عَلَى الْعَامَّةِ . وَالْمُلُوكُ لَا يَمْدَحُونَ بِالْقَرَأِضِ
 الْوَاجِبَةِ . إِنَّمَا يَحْسُنُ مَدْحُهُمْ بِالْوَافِلِ لِأَنَّ الْمَدْحَ لَوْ قَالَ لِبَعْضِ
 الْمُلُوكِ : إِنَّكَ لَا تَحُونُ مَا اسْتَوْدَعْتَ وَإِنَّكَ لَتَصْدُقُ فِي وَعْدِكَ وَتَنفِي

بَعْدِكَ . فَكَأَنَّهُ قَدْ أَتَنَى بِمَا يَجِبُ وَلَوْ قَصَدَ بِشَائِهِ إِلَى مَقْصِدِهِ
كَانَ أَشْبَهَ بِالْمُلُوكِ . وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ أَمِيرٍ يَتَوَلَّى مِنْ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا فَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَمْ يُطْلِقُوا هَذِهِ اللفظة إِلَّا
فِي الْخُلَفَاءِ خَاصَّةً . وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْكَاسِيَّ هُوَ الْعَقْلُ . وَلَكِنْ إِنْ
وَصَفَتْ رَجُلًا فَقُلْتَ : إِنَّهُ لِعَاقِلٌ . كُنْتَ مَدَحْتَهُ عِنْدَ النَّاسِ . وَإِنْ
قُلْتَ : إِنَّهُ لِكَاسِيٌّ كُنْتَ قَدْ قَصَرْتَ بِهِ عَنْ وَصْفِهِ وَصَغُرَتْ مِنْ
قَدْرِهِ . إِلَّا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِاللُّغَةِ لِأَنَّ الْعَامَّةَ لَا تَلْتَفِتُ إِلَى مَعْنَى
الْكَلِمَةِ وَلَكِنْ إِلَى مَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ مِنْ اسْتِعْمَالِهَا فِي الظَّاهِرِ
إِذَا كَانَ اسْتِعْمَالُ الْعَامَّةِ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ مَعَ الْحَدَاثَةِ وَالْفِرَةِ وَخَسَاسَةِ
الْقَدْرِ وَصِغَرِ السِّنِّ فَأَمَثَلُ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ وَأَجْرٌ عَلَى هَذِهِ
الْقِيَامِ وَتَحْفَظُ فِي صُدُورِ كُنُيْكَ وَفُصُوحِهَا وَخَوَاطِمِهَا وَضَمُّ كُلِّ مَعْنَى
فِي مَوْضِعٍ يَلِيقُ بِهِ وَتَحْيِيزُ لِكُلِّ لَفْظَةٍ مَعْنَى يُشَاقُّهَا وَلَيْكُنْ مَا
تَحْمِيهِ بِهِ فُضُولُكَ فِي مَوْضِعٍ ذِكْرُ الْبَلَوَى بِمَثَلِ : (نَسَأَلُ اللَّهَ دَفْعَ
الْحَزَنِ وَصَرْفَ الْكُرْهِ) وَأَشْبَاهُ هَذَا . وَفِي مَوْضِعٍ ذِكْرُ
الْأُصْبِيَةِ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . وَفِي مَوْضِعٍ ذِكْرُ النِّعْمَةِ :
(الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِصًا وَالشُّكْرُ لِلَّهِ وَاجِبًا) . فَإِنَّ هَذِهِ الْمَوَاضِعَ يَجِبُ عَلَى
الْكَاتِبِ أَنْ يَتَّقِدَّهَا وَيَحْتَفِظَ بِهَا . فَإِنَّ الْكَاتِبَ إِنَّمَا يَصِيرُ كَاتِبًا
بِأَنْ يَضَعَ كُلَّ مَعْنَى فِي مَوْضِعِهِ فَيَعَاقِبُ كُلَّ لَفْظَةٍ عَلَى طَبَقِهَا مِنْ
الْعَنَى . وَاعْلَمْ أَنَّه لَا يَجُوزُ فِي الرِّسَالِ اسْتِعْمَالُ الْإِقْتِصَارِ وَالْحَذَفِ
وَمُخَاطَبَةُ الْخَاصِّ بِالْعَامِّ وَالْعَامِّ بِالْخَاصِّ . وَكَذَلِكَ يَتَّبِعِي لِلْكَاتِبِ

أَنْ يَجْتَبِ الْلفظَ الشَّرَكَ وَالْمَعْنَى الْمَلْتَبِسَ . . . وَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ
 أَيْضًا فِي الرِّسَالِ وَالْبَلَاغَاتِ الْمَشْهُورَةِ مَا يَجُوزُ فِي الْأَشْعَارِ الْمَوْزُونَةِ
 لِأَنَّ الشَّاعِرَ مُضْطَرٌّ وَالشَّعْرَ مَقْصُودٌ مُقَيَّدٌ بِالْوِزْنِ وَالْقَوَافِي . فَكَذَلِكَ
 أَجَازُوا لَهُمْ صَرْفَ مَا لَا يَنْصَرِفُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَحَذَفَ مَا لَا يُحْذَفُ
 مِنْهَا وَاعْتَمَرُوا فِيهِ سُوءَ التَّظْلُمِ وَأَجَازُوا فِيهِ التَّقْدِيمَ وَالتَّأْخِيرَ وَالْإِضْمارَ
 فِي مَوْضِعِ الْإِظْهَارِ وَذَلِكَ كُلُّهُ غَيْرُ سَانِعٍ فِي الرِّسَالِ وَلَا جَائِزٍ فِي
 الْبَلَاغَاتِ . . . وَكَذَلِكَ لَا يَبْغِي فِي الرِّسَالِ أَنْ يُصَغَّرَ الْأَنْسَمُ فِي
 مَوْضِعِ التَّعْظِيمِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا مِثْلُ قَوْلِهِمْ : دُوَيْبِيَّةٌ تَصْغِيرُ
 دَاهِيَةٍ . وَجَذَلٌ تَصْغِيرُ جَذَلٍ . وَعَذِيقٌ تَصْغِيرُ عَذْقٍ . وَقَالَ لَيْدٌ :
 وَكُلُّ أَنَاسٍ سَوْفَ تَنْخُلُ بَيْنَهُمْ دُوَيْبِيَّةٌ تَصْغُرُ مِنْهَا الْأَنَامِلُ
 وَقَالَ الْحَبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ يَوْمَ سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ : أَنَا عَذِيقُهَا
 الْمَرْجَبُ وَجَذَلُهَا الْمُحْكَكُ . وَقَالَ سَرَحَةُ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَمَا لَا يَجُوزُ
 فِي الرِّسَالِ وَكَرْهُهُ فِي الْكَلَامِ أَيْضًا مِثْلُ قَوْلِهِمْ : كَلَّمْتُ إِيَّاكَ
 وَاعْنِي إِيَّاكَ وَهُوَ جَائِزٌ فِي الشَّعْرِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

وَإِخْلُ وَأَحْسِنُ فِي أَسِيرِكَ إِنَّهُ ضَعِيفٌ وَلَمْ يَلْبِسْ كَأَيْكَ أَسِيرُ
 فَتَحَيَّرَ مِنَ الْأَلْفَافِ أَرْجَحَهَا لَفْظًا وَأَجْزَلَهَا وَأَشْرَفَهَا جَوْهَرًا
 وَأَكْرَمَهَا حَسَبًا وَالْيَقَهَا فِي مَكَانِهَا وَأَشْكَلَهَا فِي مَوْضِعِهَا فَإِنْ
 حَادَتْ صَنْعَةَ رِسَالَةٍ فَرَنِ الْلفظةَ قَبْلَ أَنْ تُخْرِجَهَا بِمِيزَانِ التَّضْرِيفِ إِذَا
 عَرَضَتْ . وَعَايِرَ الْكَلِمَةَ بِمِيعَارٍ إِذَا سَمَحَتْ . فَإِنَّهُ رَبَّمَا مَرَّ بِكَ مَوْضِعٌ
 يَكُونُ مَخْرَجُ الْكَلَامِ إِذَا كَتَبْتَ : أَنَا فَاعِلٌ . أَحْسَنُ مِنْ أَنْ

تَكْتَسِبُ : أَنَا أَفْعَلُ . وَمَوْضِعُ آخِرِ يَكُونُ فِيهِ (اسْتَفْعَلْتُ) أَخْلَى
 مِنْ (فَعَلْتُ) فَأَدِرِ الْكَلَامَ عَلَى أَعْكَانِهِ وَقَلِّبْهُ عَلَى جَمِيعِ وُجُوهِهِ
 فَإِنَّ لَفْظَةً رَأَيْتَهَا فِي الْمَكَانِ الَّذِي نَدَبْتَهَا إِلَيْهِ فَاتْرَعِهَا إِلَى الْمَكَانِ
 الَّذِي أوردَتْهَا عَلَيْهِ وَأَوْقِعْهَا فِيهِ . وَلَا تَجْعَلِ اللَّفْظَةَ قَلَقَةً فِي مَوْضِعِهَا
 نَافِرَةً عَنْ مَكَانِهَا فَإِنَّكَ مَتَى فَعَلْتَ هَجَنْتَ الْمَوْضِعَ الَّذِي حَاوَلْتَ
 تَحْسِينَهُ وَأَفْسَدْتَ الْمَكَانَ الَّذِي أَرَدْتَ إِصْلَاحَهُ فَإِنَّ وَضْعَ الْأَلْفَظِ
 فِي غَيْرِ أَمَاكِينِهَا وَقَصْدُكَ بِهَا إِلَى غَيْرِ مَصَابِيهَا إِنَّمَا هُوَ كَتَرْقِيعِ الثُّوبِ
 الَّذِي لَمْ يُشَابِهْ رِقَاعَهُ وَلَمْ تَتَقَارَبْ أَجْزَاؤُهُ وَخَرَجَ مِنْ حَدِّ الْجِدَّةِ
 وَتَغَيَّرَ حُسْنُهُ . كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

إِنَّ الْجَلِيدَ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلْقِي بَيْنَ النَّاسِ أَنَّ الثُّوبَ مَرْقُوعٌ
 كَذَلِكَ كُلَّمَا أَحْوَلَى الْكَلَامَ وَعَذِبَ وَرَاقَ وَسَهَلْتَ تَحَارِجُهُ كَانَ
 أَسْهَلَ وَارْجَى فِي الْأَنْجَاعِ وَأَشَدَّ اتِّصَالًا بِالْقُلُوبِ وَأَخَفَ عَلَى الْأَفْوَاهِ
 لَا سِيَّامَا إِنْ كَانَ الْمَعْنَى الْبَدِيعُ مُتَرَجِّمًا بِلَفْظِ مُؤَرِّقٍ شَرِيفٍ وَمُعَارَا
 بِكَلَامٍ عَذِيبٍ لَمْ يَسِمَهُ التَّكْلِيفُ عَيْسِيَةً وَلَمْ يُفْسِدْهُ التَّعْقِيدُ
 بِاسْتِهْلَاقِهِ ... وَقَدْ رَأَيْتُهُمْ شَبَّهُوا الْمَعْنَى الْحَقِيَّةَ بِالرُّوحِ الْحَقِيقِيِّ .
 وَاللَّفْظَ الظَّاهِرَ بِالْجَمْعِ الظَّاهِرِ . وَإِذَا لَمْ يَهْتِضْ بِالْمَعْنَى الشَّرِيفِ
 الْجَزُلِ لَفْظٌ شَرِيفٌ جَزُلٌ لَمْ تَكُنِ الْعِبَارَةُ وَاضِحَةً وَلَا اتِّظَامُ مُنْسَقًا .
 وَتَضَاوُلُ الْمَعْنَى الْحَسَنِ تَحْتَ اللَّفْظِ الْقَبِيحِ كَتَضَاوُلِ الْحُسْنَاءِ فِي
 الْأَطْيَارِ الرَّثِيَّةِ . وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى أَرْبَعَةُ أَصْنَافٍ : أَلْفُظٌ وَإِشَارَةٌ
 وَعَقْدٌ وَخَطٌّ . وَقَدْ ذَكَرَ لَهُ أَرِسْطَاطَالِسُ صِنْفًا خَامِسًا فِي كِتَابِ

أَلَمْ نُنطِقْ بِهِ الَّذِي يُسَمَّى النَّصْبَ . وَالنَّصْبُ أَحَالُ الدَّالَّةِ الَّتِي تَقُومُ
مَقَامَ تِلْكَ الْأَصْنَافِ الْأَرْبَعَةِ وَهِيَ النَّاطِقَةُ بِغَيْرِ لَفْظٍ وَمُشِيرَةٌ إِلَيْكَ
بِغَيْرِ يَدٍ وَذَلِكَ ظَاهِرٌ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكُلِّ صَامِتٍ وَنَاطِقٍ .
وَجَمِيعُ هَذِهِ الْأَصْنَافِ الْخَمْسَةِ كَاشِفَةٌ عَنْ أَعْيَانِ الْعَالَمَيْنِ وَسَافِرَةٌ عَنْ
وُجُوهِمَا وَأَوْضَحُ هَذِهِ الدَّلَائِلِ وَأَقْصَمُ هَذِهِ الْأَصْنَافِ صَنْفَانِ : هُمَا
أَلْقَلَمُ وَاللِّسَانُ وَكِلَاهُمَا رَجُلَانُ . فَأَمَّا اللِّسَانُ فَهُوَ أَلَاةٌ الَّتِي يُخْرَجُ
الْإِنْسَانُ بِهَا عَنْ حَدِّ الْأَسْتِيْهَامِ إِلَى حَدِّ الْإِنْسَانِيَّةِ بِالْكَلَامِ . وَلِذَلِكَ
قَالَ صَاحِبُ الْمُنْطِقِ : حَدُّ الْإِنْسَانِ الَّتِي الْمُنْطِقُ

البعث الثاني

في بيان المطبوع من الكلام والمصنوع (١)

(من مقدمة ابن خلدون باختصار)

إِغْلَمَ أَنَّ الْكَلَامَ الَّذِي هُوَ الْعِبَارَةُ وَالْخَطَابُ إِنَّمَا سِرُّهُ وَرَوْحُهُ
فِي إِفَادَةِ الْمَعْنَى . وَأَمَّا إِذَا كَانَ مُهْمَلًا فَهُوَ كَالْمَوْتِ الَّذِي لَا عِبْرَةَ
بِهِ وَكَأَنَّ الْإِفَادَةَ هُوَ الْبَلَاغَةُ عَلَى مَا عَرَفْتَ مِنْ حَدِّهَا عِنْدَ أَهْلِ
الْبَيَانِ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : هِيَ مُطَابَقَةُ الْكَلَامِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ . وَمَعْرِفَةُ
الشُّرُوطِ وَالْأَحْكَامِ الَّتِي بِهَا تُطَابِقُ التَّرَاكِبُ الَّلَفْظِيَّةُ مُقْتَضَى
الْحَالِ هُوَ فَنُ الْبَلَاغَةِ . وَتِلْكَ الشُّرُوطُ وَالْأَحْكَامُ تُؤْخَذُ مِنْ عِلْمِي

(١) ان هذا الفصل لا يوجد في نسخة مقدمة ابن خلدون المطبوعة في مصر
وببروت بل في طبعة باريز

العلماني واللياني فعلم العلماني وعلم اللياني هما جزءا البلاغة وبهما
كمال الافادة والمطابقة لقصى الحال. فالبلغة على هذا هي اصل
الكلام العربي وسحيته وروحه وطبيعته . ثم اعلم انهم اذا قالوا
الكلام المطبوع فانهم ينون به الكلام الذي كملت طبيعته
وسحيته من افادة مدلوله المقصود منه لانه عبارة وخطاب ليس
المقصود منه انطق فقط . بل المتكلم يتصد به ان يفيد سامعه
ما في صدره افادة تامة ويدل به عليه دلالة وثيقة . ثم يبع تراكيب
الكلام في هذه السحبة التي له بالاصالة ضرب من التحسين
والترزين بعد كمال الافادة وكانها تعطى روتى الفصاحة من
تنسيق الانجاع والموازنة بين جميل الكلام وتقسيمه بالاقسام
المتخلفة الاحكام والتورية باللفظ المشترك عن الخفي من معانيه
والمطابقة بين المتضادات ليقع التجانس بين الالفاظ والعلمي فيحصل
بالكلام روتى ولذة في الاستماع وحلاوة وجمال كلها زائدة على
الافادة . وهذه الصنعة موجودة في الكلام المنجز في مواضع
متعددة مثل : والليل اذا ينشى والنهار اذا تجلى . ومثل : فاما
من اعطى واتقى وصدق بالحقى الى آخر التقسيم . وكذا : فاما
من طمى واثر الحياة الدنيا الى آخره . وكذا : وهم يحسبون انهم
يخسنون صنعا . وامثاله كثير . وذلك بعد كمال الافادة في اصل
هذه التراكيب قبل وقوع هذا البديع فيها . وكذا وقع في
كلام الجاهلية منه اسكن عفوًا وننير قُصد ولا تعمد . ويقال

إِنَّهُ وَقَعَ فِي شَعْرِ زُهَيْرٍ . وَأَمَّا الْإِسْلَامِيُّونَ فَوَقَعَ لَهُمْ عَفْوًا وَقَصْدًا
وَأَتَوَاتِيهِ بِالْحَجَائِبِ . وَأَوَّلَ مَنْ أَخْكَمَ طَرِيقَتَهُ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ
وَالْحُثَيْرِيُّ وَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فَقَدْ كَانُوا مُوَلَّعِينَ بِالصَّنْعَةِ وَيَأْتُرْنَ مِنْهَا
بِالْحَبِّ . وَقِيلَ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ ذَهَبَ إِلَى مُعَاتَاتِهَا بَشَادُ بْنُ يَزِيدٍ وَأَبْنُ
هَرَمَةَ وَكَانَا آخِرَ مَنْ يُسْتَشْهَدُ بِشَعْرِهِ فِي الْأَلْسَانِ الْعَرَبِيَّةِ . ثُمَّ
اتَّبَعَهُمَا كَثُومُ بْنُ عَمْرٍو وَالْعَتَابِيُّ وَمَنْصُورُ النَّبَخِيِّ وَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ
وَأَبُو نَوَاسٍ . وَجَاءَ عَلَى آثَارِهِمْ حَبِيبُ وَالْحُثَيْرِيُّ . ثُمَّ ظَهَرَ أَبُو الْعَتَاةِ
فَحْتَمَ عَلَى الْبَدِيعِ وَالصَّاعَةِ أَجْمَعَ

فَتَأَمَّلْ قَوْلَهُمُ الْمُطْبُوعَ الْقَفِيدَ الصَّنْعَةَ فِي إِحْكَامِ تَأْلِيلِهِ وَدَقَاقَةِ
تَرْكِيبِهِ فَلَوْ جَاءَتْ فِيهِ الصَّنْعَةُ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْأَصْلِ زَادَتْ حُسْنًا .
وَأَمَّا الْمَضْبُوعُ فَكَثِيرٌ مِنْ لَدُنْ بَشَارِثُ حَبِيبٍ وَطَبَقَتُهُمَا أَبُو
الْعَتَاةِ خَاتِمُ الصَّنْعَةِ الَّذِينَ جَرَى الْمَتَاخِرُونَ بَعْدَهُمْ فِي مِثْلَانِهِمْ
وَنَسَجُوا عَلَى مَنَواهِجِهِمْ . وَقَدْ تَمَدَّدَتْ أَصْنَافُ هَذِهِ الصَّنْعَةِ عِنْدَ أَهْلِهَا
وَاخْتَلَفَتْ أَصْطِلَاحَاتُهُمْ فِي أَلْقَابِهَا . وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَجْعَلُهَا مُنْدَرِجَةً فِي
الْبَلَاغَةِ عَلَى أَنَّهَا غَيْرُ دَاخِلَةٍ فِي الْأَقَادَةِ وَإِنَّمَا هِيَ تُعْطَى التَّحْسِينَ
وَالرَّوْقَ . وَأَمَّا الْمُتَقَدِّمُونَ مِنْ أَهْلِ الْبَدِيعِ فَهِيَ عِنْدَهُمْ خَارِجَةٌ
عَنِ الْبَلَاغَةِ وَذَلِكَ يَذْكُرُونَهَا فِي الْقُنُونِ الْأَدَبِيَّةِ الَّتِي لَا مَوْضُوعَ
لَهَا . وَهِيَ رَأْيُ أَبِي رَشِيقٍ فِي كِتَابِ الْعُمَدَةِ لَهُ وَأَبَاءُ الْأَنْدَاسِ .
وَذَكَرُوا فِي اسْتِعْمَالِ هَذِهِ الصَّنْعَةِ شُرُوطًا مِنْهَا أَنْ تَقَعَ مِنْ غَيْرِ
تَكْلُفٍ وَلَا اكْتِرَافٍ فِيمَا يُقْصَدُ مِنْهَا . وَأَمَّا أَلْعَنُو فَلَا كَلَامَ فِيهِ

لَانْهَا إِذَا بَرَّتْ مِنْ التَّكْلِيفِ سَلِمَ الْكَلَامُ مِنْ عَيْبِ الْإِسْتِجَانِ
لَانَّ تَكْلِفَهَا وَمُعَانَتَهَا يَصِيرُ إِلَى الْغَفْلَةِ عَنْ التَّرَاصُّبِ الْأَصْلِيَّةِ
لِلْكَلَامِ فَتُخْلُ بِالْإِفَادَةِ مِنْ أَصْلِهَا وَتَذْهَبُ بِالْبَلَاغَةِ رَأْسًا وَلَا يَبْقَى
فِي الْكَلَامِ إِلَّا تِلْكَ التَّحْسِينَاتُ. وَهَذَا هُوَ الْغَالِبُ الْيَوْمَ عَلَى أَهْلِ
الْعَصْرِ وَأَصْحَابِ الْأَذْوَاقِ فِي الْبَلَاغَةِ يَنْحَرُونَ مِنْ كَلْفِهِمْ بِهَذِهِ الْفُنُونِ
وَيَعُدُّونَ ذَلِكَ مِنَ الْقُصُورِ عَنْ سِوَاهُ. ثُمَّ مِنْ شُرُوطِ اسْتِعْمَالِهَا عِنْدَهُمْ
الْإِقْلَالُ مِنْهَا وَأَنْ نَكُونَ فِي بَيِّنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ مِنَ الْقَصِيدِ فَتُكْفَى فِي
زِيَةِ الشَّعْرِ وَرَوِّقِهِ وَالْإِكْتَادُ مِنْهَا عَيْبٌ. قَالَهُ ابْنُ رَشِيْقٍ وَغَيْرُهُ. وَكَانَ
شَيْخُنَا أَبُو الْقَسَمِ الشَّرِيفُ السَّنْبُكِيُّ مُنْفِقُ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ بِالْأَنْدَلُسِ لَوْ قَتَبَهُ
يَقُولُ : هَذِهِ الْفُنُونُ الْأَبْدِيَّةُ إِذَا وَقَعَتِ لِلشَّاعِرِ أَوْ لِلْكَاتِبِ قَبِيحٌ
أَنْ يُسْتَكْثَرَ مِنْهَا لِأَنَّهَا مِنْ مُحَسَّنَاتِ الْكَلَامِ وَمُزَيَّنَاتِهِ فَهِيَ بِمَثَابَةِ
الْخِلَافِ فِي الْوَجْهِ يَحْسُنُ بِالْوَاحِدِ وَالْإِثْنَيْنِ وَنَهَا وَيَقْبُحُ بِتَعْدَادِهَا
وَعَلَى نِسْبَةِ الْكَلَامِ الْمَنْظُومِ هُوَ الْكَلَامُ الْمُنْشُورُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
وَالْإِسْلَامِ كَانَ أَوَّلًا مُرْسَلًا مُعْتَبَرًا الْمَوَازِنَةَ بَيْنَ جَمَلِهِ وَتَرَاصُّبِهِ .
مُشَاهِدَةً مُوَازِنَتَهُ بِقَوَائِلِهِ مِنْ غَيْرِ التَّرَامِ سَجْعٍ وَلَا أَكْثَرَاتٍ بِصَنْعَةٍ .
حَتَّى نَبَغَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِلَالٍ الصَّائِلِيُّ كَاتِبُ بَنِي بُؤْيَةِ قَتَاعِي الصَّنْعَةِ
وَالثَّقَفِيَّةِ وَآتَى مِنْ ذَلِكَ بِالْعَجَبِ وَعَابَ النَّاسُ عَلَيْهِ كَلْفَهُ بِذَلِكَ فِي
الْمُخَاطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ . وَإِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَيْهِ مَا كَانَ فِي مُلُوكِهِ مِنَ النُّجْمَةِ
وَالْبَعْدُ عَنْ صَوْلَةِ الْخِلَاقَةِ الْمُنْفَقَةِ لِسُوءِ الْبَلَاغَةِ . ثُمَّ أَنْتَشَرَتِ الصَّنَاعَةُ
فِي مَنْشُورِ الْمُتَأَخِّرِينَ وَنُسِيَ عَهْدُ التَّرْسِيلِ وَتَشَابَهَتِ السُّلْطَانِيَّاتُ

وَالْإِخْوَانِيَّاتُ وَالْعَرَبِيَّاتُ بِالسُّوْقِيَّاتِ وَاخْتَلَطَ الْمَرْعِيُّ بِالْمَهْلِ . وَهَذَا كُلُّهُ يَدُّهُ عَلَى أَنَّ الْكَلَامَ الْمَنْصُوعَ بِالْمَعَانَةِ وَاتِّكْلِيفِ قَاصِرٌ عَنِ الْكَلَامِ الْمَطْبُوعِ لِقَلَّةِ الْاِكْتِرَافِ فِيهِ بِأَصْلِ الْبَلَاغَةِ . وَالْحَاكِمُ فِي ذَلِكَ الذَّوْقُ

البحث الثالث

في السجع وأنواعه

(عن صناعة الترسل لشهاب الدين الحلبي باختصار)

(راجع صفحة ٧٢ من علم الادب)

كَلِمَاتُ الْأَسْجَاعِ مَوْضُوعَةٌ عَلَى أَنْ تَكُونَ سَائِمَةً الْأَعْجَازِ مَوْثُوقًا عَلَيْهَا لِأَنَّ الْغَرَضَ أَنْ يُجَانَسَ بَيْنَ الْقَرَّائِنِ وَيُزَاجَ بَيْنَهَا وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ إِلَّا بِالْوُقُوفِ . الَّا تَرَى أَنَّ قَوْلَهُمْ : مَا أَبْعَدَ مَا فَاتَ . وَمَا أَقْرَبَ مَا هُوَ آتٍ . لَوْ أُعْطِيَ أَوَّخِرُ الْقَرَّائِنِ مَا يَنْتَضِيهِ حُكْمُ الْأَعْرَابِ لَأَخْتَلَفَ أَوَّخِرُ الْقَرَّائِنِ وَقَاتِ السَّاجِعِ غَرَضُهُ . وَإِذَا رَأَيْنَاهُمْ يُخْرَجُونَ الْكَلِمَةَ عَنْ أَوْضَاعِهَا لِلِإِزْدِوَاجِ فَيَقُولُونَ آتِيكَ بِالنَّدَوَاءِ أَوْ بِالنَّعْشَاءِ . وَهَذَا فِي الطَّعَامِ وَمَرَّائِي . وَأَنْصَرِفَنَّ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ يُرِيدُونَ : النَّعْدَوَاتِ وَأَمْرَائِي وَمَوْزُرَاتٍ . مَعَ أَنَّ فِيهِ أَرْتِكَابًا بِحَالَتِهِ اللَّعَنَةِ . وَكَذَلِكَ : أَعْطِ الْقَوْسَ بَارِيهَا . وَفِيهِ تَرْكُ الْأَعْرَابِ مِنْ أَشْنَاءِ الْكَلِمَةِ مَا الظَّنُّ بِأَوَّخِرِ الْكَلِمِ الْمَشْبَهَةِ بِالْقَوَائِي . وَالْأَوَّلَى أَنْ يُقَالَ فِي أَوَّخِرِ الْآيَاتِ الْفَوَاصِلِ إِذَا عُرِفَ هَذَا

فَالْأَسْبَاجُ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ : الْأَرْضِيعُ وَالْمُتَوَازِي وَالْمُطَرَّفُ وَالْمُتَوَازِنُ .
أَمَّا (الْأَرْضِيعُ) فَهُوَ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ مُسْتَوِيَةً الْأَوْدَانِ مُتَّفِقَةً
الْأَعْجَازُ كَقَوْلِهِ : إِنْ أَيْنَا إِيَابَهُمْ . ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا حِسَابَهُ . وَقَوْلِهِ : إِنْ
الْأَبْرَارَ لَنُحْيِي نَعِيمَ . وَإِنَّ الْفَجَارَ لَنُحْيِي جَحِيمَ . وَقَوْلِهِ : اللَّهُمَّ أَقْبِلْ تَوْبَتِي
وَأَغْسِلْ حَوْبَتِي . وَقَوْلِهِمْ : فُلَانٌ يَفْتَحُرُ بِالْهَمَمِ الْعَالِيَةِ . لَا بِالرِّمَمِ
الْأَلْبَانِيَةِ . وَقَوْلِهِمْ : حَتَّى عَادَ تَغْرِضُكَ وَتَغْرِضُكَ تَضْحِيحًا . وَمِنْ النَّظْمِ
قَوْلُ الْخَنَسَاءِ :

حَامِي الْحَقِيقَةِ مُحَمَّدُ الْحَلِيقَةِ مَهْدِي الطَّرِيقَةِ هَاجِ وَضَرَارِ
جَوَابَ قَاصِيَةِ خَزَارِ نَاصِيَةِ عَقَادِ أَلْوِيَةِ لِحَيْلِ جَرَارِ
وَكَقَوْلِ أَبِي فِرَاسٍ :

وَأَفْعَلْنَا لِلرَّاعِيَيْنِ كَرِيمَةً وَأَمَوَّلْنَا لِلطَّالِبِينَ نَهَابُ
وَقَوْلِ الْأَبْيُورْدِيِّ :

يَرْوَحُ إِلَيْهِمْ عَازِبُ الْحَمْدِ وَافِيَا وَيَعْدُو عَلَيْهِمْ طَالِبُ الرِّفْدِ عَافِيَا
وَقَدْ يَجِيئُ مَعَ التَّجْنِيسِ كَقَوْلِهِمْ : إِذَا قَلَّتِ الْأَنْصَارُ كَلَّتِ
الْأَبْصَارُ . وَمَا وَرَاءَ الْخَلْقِ الدَّيْمِ إِلَّا الْخَلْقُ الدَّيْمِ . وَمِنْ النَّظْمِ
قَوْلُ الْمُطَرِّزِيِّ :

وَدَرُّ جَلَالِهِ أَبَدًا يَمِينُ وَدَرُّ نَوَالِهِ أَبَدًا غَزِيرُ

(وَالْمُتَوَازِي) وَهُوَ أَنْ يُرَاعَى فِي الْكَلِمَتَيْنِ الْأَخِيرَتَيْنِ مِنَ
الْقَرِينَتَيْنِ وَالْأَوْدَانِ مَعَ اتِّفَاقِ الْحَرْفِ الْآخِرِ مِنْهُمَا كَقَوْلِهِ : فِيهَا سُرُورُ
مَرْفُوعَةٌ . وَأَكْوَابُ مَرْضُوعَةٌ . وَقَوْلِهِ : اللَّهُمَّ أَعْطِنَا نَفِيقًا خَلْفًا .

وَأَعْطَى ثَمْسِكًا تَلْفًا. وَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ : لَبَّائِي حُكْمُ دَهْرٍ قَاسِطٍ . إِلَى أَنْ
 أَنْتَجِعَ أَرْضَ وَاسِطٍ . وَقَوْلِهِ : وَآوَدَى الْأُنَاطِيُّ وَالصَّامِتُ . وَرَكِّي لَنَا
 الْحَاسِدُ وَالشَّامِتُ . (وَالْمُطَرَّفُ) وَهُوَ أَنْ يُرَاعَى الْحَرْفُ الْآخِرُ فِي
 كِلْتَا قَرِيئَتَيْهِ مِنْ غَيْرِ مُرَاعَاةِ الْوِزْنِ . كَقَوْلِهِ : مَا لَكُمْ لَا تَرْجِعُونَ
 إِلَهُهُ وَقَارًا . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا . وَقَوْلِهِمْ : خِيَامُهُ مَحَطُّ الرَّحَالِ . وَمُحِمْ
 الْأَمَالِ . (وَالْمُتَوَازِنُ) وَهُوَ أَنْ يُرَاعَى فِي الْكَلِمَتَيْنِ الْآخِيرَتَيْنِ
 مِنَ الْقَرِيئَتَيْنِ الْوِزْنُ مَعَ اخْتِلَافِ الْحَرْفِ الْآخِرِ مِنْهُمَا . كَقَوْلِهِ :
 وَتَأْرُقُ مَصْفُوفَةٌ . وَدَرَّائِي مَبْنُوتَةٌ . وَقَوْلِهِمْ : أَصْبِرْ عَلَى حَرِّ الْقِتَالِ .
 وَمَضْضِ الْإِذَالِ . وَشِدَّةِ الْمَصَاعِ وَمُدَاوِمَةِ الْمِرَاسِ . فَإِنْ رَاعَى الْوِزْنَ
 فِي جَمِيعِ كَلِمَاتِ الْقَرْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرِهَا وَقَابَلَ الْكَلِمَةَ مِنْهَا بِمَا
 تُعَادِلُهَا وَزَنَّا كَانَ أَحْسَنَ . كَقَوْلِهِ : وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ .
 وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . وَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ : أَسْوَدَ يَوْمِي الْأَبْيَضُ
 وَالْبَيْضُ يَوْمِي الْأَسْوَدُ . وَيُسَمَّى هَذَا فِي الشَّعْرِ الْمَوَازَنَةُ . كَقَوْلِ
 الْجُبَيْرِيِّ :

قَفِيفٌ مُسْعَدًا فَيَنْفَءُ إِنْ كُنْتُ غَادِرًا

وَسِرُّهُ مُبْعَدًا عَنْهُمْ إِنْ كُنْتُ عَادِلًا
 وَبِمَا هُوَ شَرْطُ الْحَسَنِ فِي هَذَا التَّحْفَظَةُ عَلَى تَنَاسُهِ وَهُوَ أَسْمُ
 جَامِعٌ لِلْمَلَاءِمَةِ وَالتَّنَاسُبِ . فَأَلْمَلَاءِمَةُ تَأْلِيفُ الْأَلْفَاظِ الْمَوَافِقَةِ
 بَعْضُهَا لِبَعْضٍ فِي ضَرْبِ الْأَعْتِدَالِ . كَقَوْلِ لَبِيدٍ :
 وَمَا أَلْمَزْهُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضَوْئِهِ يَعُودُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ

وَمَا أَمَلُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدِيعَةً وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ أَلْوَدَائِعُ
وَبَعْضُهُمْ يَعُدُّ التَّلْفِيقَ مِنْ بَابِ الْمَلَاءَمَةِ وَهُوَ أَنْ يَضُمَّ إِلَى
ذِكْرِ الشَّيْءِ مَا يَلِيْقُ بِهِ وَيَجْرِي تَجْرَاهُ وَأَنْ يَجْمَعَ الْأُمُورُ التَّنَاسِبَةَ
وَيُقَالُ لَهُ مُرَاعَاةُ التَّنْظِيرِ أَيْضًا. وَالتَّنَاسُبُ هُوَ تَرْتِيبُ أَلْمَعَانِي التَّنَاسِبَةُ
الَّتِي تَتَلَاوَمُ وَلَا تَتَنَافَرُ. كَقَوْلِ النَّبَاغَةِ :

وَالرَّفَقُ يُنَّ وَالْأَنَاءُ سَعَادَةٌ قَتَانٌ فِي رَفَقٍ تَنَالَتْ حَاجَا
وَالْيَاسُ يَمَّا فَاتَ يُعْقِبُ رَاحَةً وَلَرُبَّ مَطْعَمَةٍ تَعُودُ دَمَا
وَيُسَمَّى التَّنَاسُبُ أَيْضًا . وَقِيلَ التَّنَاسُبُ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ غَيْرَ
مُتَبَايِنَةٍ بَلْ مُتَقَارِبَةٍ فِي الْجَوَالَةِ وَالرَّفَقَةِ وَالتَّنَاسُبُ وَالسَّلَاسَةُ وَتَكُونَ
أَلْمَعَانِي مُنَاسِبَةً لِأَلْفَاظِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُكْسَى اللفظُ الشَّرِيفُ أَلْمَعْنَى
السَّخِيفَ أَوْ عَلَى الضَّدِّ بَلْ يُصَافَانِ مَعَاصِيَاغَةً تَنَاسُبٌ وَتَلَاوَمٌ حَتَّى
لَا يَكُونَ الْكَلَامُ كَمَا قِيلَ :

وَبَعْضُ قَرِيضِ الْمَرْءِ أَوْلَادُهُ يَكْدُ لِسَانَ الْبَاطِقِ السَّخِيفِ

البحث الرابع

في اقسام السجع وضروبه

(عن المثل السائر لابن الاثير باختصار)

(راجع صفحة ٧٣ من علم الادب)

اعْلَمْ أَنَّ السَّجْعَ قَدْ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : الْأَوَّلُ أَنْ
يَكُونَ الْفَصْلَانِ مُتَسَاوِيَيْنِ لَا يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ كَقَوْلِهِ :

وَالْعَادِيَّاتِ ضَبْجًا . فَأَلْوَدِيَّاتٍ قَدْحًا . فَأَلْمَغِيرَاتِ ضَبْجًا . فَأَثَرْنَ بِهِ نَشْعًا .
فَوَسَطْنَا بِهِ جُمَاعًا . أَلَا تَرَى كَيْفَ جَاءَتْ هَذِهِ الْفُصُولُ مُتَسَاوِيَةً الْأَجْزَاءُ
حَتَّى كَانَتْهَا أَقْوَعَتْ فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ . وَآمَنَالُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ وَهُوَ أَشْرَفُ
السَّبْعِ مَثَلَةٌ لِلْإِعْتِدَالِ الَّذِي فِيهِ

الْقِسْمُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ الْفَضْلُ الثَّانِي أَطْوَلَ مِنَ الْأَوَّلِ لَا
طَوْلًا يَخْرُجُ بِهِ عَنِ الْإِعْتِدَالِ خُرُوجًا كَثِيرًا فَإِنَّهُ يَنْبُجُ عِنْدَ ذَلِكَ
وَيُسْتَكْرَهُ وَيَعْدُ عَيْبًا . فَمَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ : بَلْ كَذَبُوا بِالسَّاعَةِ
وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا . إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ
سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّطًا وَزَفِيرًا . وَإِذَا أَلْقَوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيْقًا مُعَرِّينَ دَعْوًا
هَذَاكَ ثُبُورًا . أَلَا تَرَى أَنَّ الْفَضْلَ الْأَوَّلَ ثَمَانِي لَفْظَاتٍ وَالْفَضْلَ
الثَّانِيَّ وَالثَّلَاثَ تِسْعٌ تِسْعٌ . وَيُسْتَتْنَى مِنْ هَذَا الْقِسْمِ مَا كَانَ مِنَ
السَّبْعِ عَلَى ثَلَاثٍ فَقَرَّ فَإِنَّ الْفَقْرَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مُحْسَبَانِ فِي عِدَّةٍ
وَاحِدَةٍ . ثُمَّ تَأْتِي الثَّلَاثَةُ فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ طَوِيلَةً طَوْلًا يَزِيدُ عَلَيْهَا
فَإِذَا كَانَتْ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ أَرْبَعَ لَفْظَاتٍ تَكُونُ الثَّلَاثَةُ عَشَرَ لَفْظَاتٍ
أَوْ إِحْدَى عَشْرَةَ . إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَجْعَلَ ذَلِكَ قِيَاسًا مُطَرِّدًا فِي
السَّبْعَاتِ الثَّلَاثِ آيِنَ وَقَعَتْ مِنَ الْكَلَامِ بَلْ تَعْلَمُ أَنَّ الْجَوَازَ يَعُمُّ
الْجَائِزِينَ مِنَ التَّسَاوِيِ فِي السَّبْعَاتِ الثَّلَاثِ وَمِنْ زِيَادَةِ السَّبْعَةِ الثَّلَاثَةِ .
أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ ثَلَاثُ سَبْعَاتٍ مُتَسَاوِيَاتٍ كَقَوْلِهِ : وَأَصْحَابُ
الْيَمِينِ . مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ . فِي سِدْرِ مَخْضُودٍ . وَطَلْحٍ مَنضُودٍ .
وَوَيْلٌ مَمْدُودٍ . فَهَذِهِ السَّبْعَاتُ كُلُّهَا مِنْ لَفْظَتَيْنِ لَفْظَتَيْنِ وَلَوْ جُعِلَتْ

الثالثة ومنها خمس لفظات أو ستا لما كان ذلك معيباً
القسم الثالث أن يكون الفصل الآخر أقصر من الأول وهو
عندي عيب فاحش . وسبب ذلك : أن السجع يكون قد استوفى
أمدّه من الفصل الأول بحكم طوله . ثم يجيء الفصل الثاني
قصيراً عن الأول فيكون كالتسبيح المتبثر فيبقى الإنسان عند سماعه
كمن يريد ألا يتبها إلى غاية فيعثر دونها

وإذا اتبها إلى ههنا وبيننا أقسام السجع ولله وقشوره فسقول
فيه قولاً كلياً وهو أن السجع على اختلاف أقسامه ضربان : أحدهما
يسمى السجع القصير وهو أن تكون كل واحدة من السجعتين
مؤلفة من ألفاظ قليلة وكلما قلت الألفاظ كان أحسن لقرب
أنفواصل السجوعة من منسجم السامع . وهذا الضرب أوعر السجع
مذهباً وابعده متناولاً ولا يكاد يستعمله يقع إلا نادراً . والضرب
الآخر يسمى السجع الطويل وهو ضد الأول لأنه أسهل متناولاً .

وأما كان القصير من السجع أوعر من السجع الطويل لأن المعنى
إذا صيغ بألفاظ قصيرة عز مؤاناة السجع فيه لقصرت تلك الألفاظ
وضيق المجال في استجاليه . وأما الطويل فإن الألفاظ تطول فيه
ويستجلب له السجع من حيث ليس كما يقال وكان ذلك سهلاً .
وكل واحد من هذين الضربين تتفاوت درجته في عدة الألفاظ .
أما السجع القصير فاحسنه ما كان مؤلفاً من لفظتين لفظتين كقوله :
والمرسلات عرفاً . فالعاصفات عصفاً . وقوله : يا أيها المدثر . ثم

فَأَنذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ . وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ . وَمِنهُ مَا
يَكُونُ مَوْلًى لِّمَنْ ثَلَاثَةُ أَفْظَاحٍ وَأَرْبَعَةٌ وَخَمْسَةٌ وَكَذَلِكَ الْعَشْرَةُ . وَمَا زَادَ
عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ السَّبْعِ الطَّوِيلِ . فَمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ : وَإِنْ يَرَوْا آيَةً
يُغْرَضُوا وَيَقُولُوا : صِخْرٌ مُّسْتَقِيرٌ . وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ .
وَأَمَّا السَّبْعُ الطَّوِيلُ فَإِنَّ دَرَجَاتِهِ نَتَقَاتُ فِي الطَّوِيلِ أَيْضًا فَمِنْهُ مَا
يَقْرُبُ مِنَ السَّبْعِ الْقَصِيدِ . وَهُوَ أَنْ يَكُونَ تَأْلِيْفُهُ مِنْ إِحْدَى عَشْرَةٍ
إِلَى اثْنَتَيْ عَشْرَةٍ لَفْظَةً . وَكَثْرَةُ خَمْسٍ عَشْرَةٍ لَفْظَةً كَقَوْلِهِ : وَلَئِنْ
أَدَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ رَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْكُمْ كَفُورٌ . وَلَئِنْ
أَدَقْنَاهُ نَعْمَاءً بَعْدَ ضَرَاءٍ مَّسَّهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ
فَخُورٌ . فَالْأَوَّلَى إِحْدَى عَشْرَةَ لَفْظَةً . وَالثَّانِيَةُ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ لَفْظَةً . وَمِنْ
السَّبْعِ الطَّوِيلِ مَا يَكُونُ تَأْلِيْفُهُ مِنَ الْعِشْرِينَ لَفْظَةً فَمَا حَوَّلَهَا كَقَوْلِهِ :
إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَسْتُمْ وَلَتَنْدَعُمُ
فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ
إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَغْنِيكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَغْنِيَهُمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا
كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ . وَمِنْ السَّبْعِ الطَّوِيلِ أَيْضًا مَا
يَزِيدُ عَلَى هَذِهِ الْعِدَّةِ الْمَذْكُورَةِ وَهُوَ غَيْرُ مَضْبُوطٍ



البحث الخامس

في الإيجاز

(عن المثل السائر وكتاب الصنائع وغيرهما)

(راجع صفحة ٧٥ من علم الادب)

الِإِيجَازُ حَذْفُ زِيَادَاتِ الْأَلْفَافِ وَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الْكَلَامِ شَرِيفٌ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ إِلَّا فُرْسَانُ الْبَلَاغَةِ مَنْ سَبَقَ إِلَى غَايَتِهَا وَمَا صَلَّى . وَضَرَبَ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِهَا بِالْقِدْحِ الْعُلَى . وَذَلِكَ لِغُلُوِّ مَكَانِهِ . وَتَعَدُّرِ امْكَانِهِ وَالنَّظَرُ فِيهِ إِنَّمَا هُوَ إِلَى أَلْمَاعِي لَا إِلَى الْأَلْفَافِ . وَلَسْتُ أَغْنِي بِذَلِكَ أَنَّ تَهْلُ الْأَلْفَافُ بِحَيْثُ تَعْرِى عَنْ أَوْصَافِهَا الْحَسَنَةِ بَلْ أَغْنِي أَنَّ مَدَارَ النَّظَرِ فِي هَذَا النَّوعِ إِنَّمَا يَخْتَصُّ بِأَلْمَاعِي . قُرْبَ لَفْظٍ قَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى كَثِيرٍ . وَرُبَّ لَفْظٍ كَثِيرٍ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى قَلِيلٍ . وَمِثَالُ هَذَا كَالْجَوْهَرَةِ الْوَاحِدَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الدَّرَاهِمِ . مَنْ يَنْظُرُ إِلَى طُولِ الْأَلْفَافِ يُؤَيِّرُ الدَّرَاهِمَ لِكَثَرَتِهَا . وَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى شَرَفِ أَلْمَاعِي يُؤَيِّرُ الْجَوْهَرَةَ الْوَاحِدَةَ لِمَقَاسَتِهَا . قَالَ أَصْحَابُ الْإِيجَازِ : الْإِيجَازُ قُصُورُ الْبَلَاغَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَمَا تَجَاوَزَ مِقْدَارَ الْحَاجَةِ فَهُوَ فَضْلٌ دَاخِلٌ فِي بَابِ الْهَذَرِ وَالْخَطَلِ وَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ آذَوَاءِ الْكَلَامِ وَفِيهِمَا دَلَالَةٌ عَلَى بَلَادَةِ صَاحِبِ الصَّاعَةِ . وَفِي تَفْضِيلِ الْإِيجَازِ يَقُولُ جَعْفَرُ بْنُ يُحْيَى إِكْتَابِهِ : إِنْ قَدَرْنَا أَنْ نَجْعَلُوا كُتُبَكُمْ تَوْقِيعَاتٍ فَأَفْعَلُوا . وَقَالَ

بَعْضُهُمْ : الزِّيَادَةُ فِي الْحَدِّ نُقْصَانٌ . وَقَالَ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ : عَلَيْكُمْ
بِالْإِيحَازِ فَإِنَّ لَهُ إِفْهَامًا وَلِلْإِطَالَةِ اسْتِنْهَامًا . وَقَالَ شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ : الْقَلِيلُ
الْكَافِ . خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ غَيْرِ شَافٍ . وَقَالَ آخَرُ : إِذَا طَالَ الْكَلَامُ
عَرَضَتْ لَهُ أَسْبَابُ التَّكْلُفِ وَلَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ يَأْتِي بِهِ التَّكْلُفُ .
وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : مَا الْبَلَاغَةُ . فَقَالَ : الْإِيحَازُ . قِيلَ : وَمَا الْإِيحَازُ .
قَالَ : حَذْفُ الْفُضُولِ وَتَقْرِيبُ الْبَعِيدِ . وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : لِمَ لَا تُطِيلُ
الشَّعْرَ . فَقَالَ : حَسْبُكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنْتِ . وَقِيلَ ذَلِكَ
لِآخَرٍ . فَقَالَ : لَسْتُ أَيْعُهُ مُذَارَعَةً . وَقِيلَ لِلْفَرَزْدَقِ : مَا صَدْرَكَ إِلَى
الْقَصَارِ بَعْدَ الطَّوَالِ . قَالَ : لِأَيِّ رَأَيْتَهَا فِي الصُّدُورِ أَوْقَعَ وَفِي
الْحَمَافِلِ أَجْوَلَ . وَقَالَتْ بِنْتُ الْخَطِيبَةِ لِأَيِّهَا : مَا بَالُ قَصَارِكَ
أَكْثَرُ مِنْ طَوَالِكَ . قَالَ : لِأَنَّهَا بِالْأَذَانِ أَوْجُحُ وَبِالْأَفْوَاهِ أَعْلَى .
وَقَالَ أَبُو سُوَيْفَانَ لِابْنِ الزُّبَيْرِ : قَصُرْتَ فِي شَعْرِكَ . قَالَ : حَسْبُكَ
مِنَ الشَّعْرِ غُرَّةٌ لِأَحْمَةٍ وَسِمَةٌ وَاضِحَةٌ . وَقِيلَ لِلنَّبَاغَةِ الدُّبْيَانِي : أَلَا
تُطِيلُ الْقَصَائِدَ كَمَا أَطَالَ صَاحِبُكَ ابْنُ نُجَيْرٍ . قَالَ : مَنْ أَنْتَ تَحُلُّ أَنْتَقَرُ .
وَقِيلَ لِبَعْضِ الْمُتَحَدِّثِينَ : مَا لَكَ لَا تَرِيدُ عَلَى أَرْبَعَةٍ وَأَثْنَيْنِ . قَالَ :
هِيَ بِالْقُلُوبِ أَوْقَعُ وَإِلَى الْخِفْظِ أَسْرَعُ وَبِالْأَلْسُنِ أَعْلَى وَلِلْمَعَانِي
أَجْمَعُ وَصَاحِبُهَا أَبْلَغُ وَأَوْجَزُ . وَقِيلَ لِابْنِ حَازِمٍ : أَلَا تُطِيلُ الْقَصَائِدَ .
فَقَالَ :

أَبَى لِي أَنْ أُطِيلَ الشَّعْرَ قَصْدِي إِلَى الْمَعْنَى وَعِلْمِي بِالصَّوَابِ
وَإِيحَازِي مُخْتَصِرٌ قَرِيبٌ حَذَفْتُ بِهِ الْفُضُولَ مِنَ الْجَوَابِ

فَاتَّبَعْنَهُنَّ أَرْبَعَةً وَسِتًّا مُتَّفَقَةً بِالْفَاقِظِ عَذَابٍ
وَهُنَّ إِذَا وَسَمْتُهُنَّ قَوْمًا كَاطَوَاتِ الْحَكَامِ فِي الرِّقَابِ
وَقَالَ عَلِيٌّ : مَا رَأَيْتُ يَلِيغًا قَطُّ إِلَّا وَلَهُ فِي الْقَوْلِ إِيجَازٌ وَفِي
الْعَمَانِي إِطَالَةٌ . وَقِيلَ لِإِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ : مَا فِيكَ عَيْبٌ غَيْرَ أَنَّكَ
كَثِيرُ الْكَلَامِ . قَالَ : أَقْسَمُ صَوَابًا أَمْ خَطَأً . قَالُوا بَلْ صَوَابًا .
قَالَ : فَالزِّيَادَةُ مِنْ الْخَيْرِ خَيْرٌ . وَلَيْسَ كَمَا قَالَ لِأَنَّ الْكَلَامَ غَايَةٌ
وَلِلشَّاطِطِ السَّامِعِينَ نِهَايَةٌ . وَمَا فَضَّلَ عَنْ وَفْدَارِ الْإِحْتِمَالِ وَدَعَا إِلَى
الِاسْتِثْقَالِ وَصَادَرَسِيًّا لِلْمَلَالِ فَذَلِكَ الْهَذَرُ وَالْإِسْهَابُ وَالتَّخْطُّلُ وَهُوَ
مَعِيبٌ عِنْدَ كُلِّ لَيْبٍ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْبَلَاغَةُ بِالِإِيجَازِ أَجْعُ مِنْ الْبَيَانِ
بِالِإِطْنَابِ . وَقَالُوا : الْمَكْنَزُ كَالْحَاطِبِ اللَّيْلِ . وَمِثْلُ الْإِيجَازِ الْحَسَنِ
كَقَوْلِهِ : وَخِذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ . فَجَمَعَ جَمِيعَ
مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ بِأَسْرَعِهَا . لِأَنَّ فِي الْعَفْوِ صِلَةَ الْقَاطِعِينَ وَالصَّفْعَ عَنِ
الظَّالِمِينَ وَاعْطَاءَ الْمَائِعِينَ . وَفِي الْأَمْرِ بِالْعُرْفِ تَقْوَى اللَّهِ وَصِلَةَ
الرَّحِيمِ وَصَوْنَ اللِّسَانِ عَنِ الْكَذِبِ وَغَضَّ الطَّرْفِ عَنِ الْخُرُمَاتِ
وَالْتَبَرُّ مِنْ كُلِّ قَبِيحٍ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَأْمُرَ بِالْعُرْفِ وَهُوَ يَلَابِسُ
شَيْنًا مِنَ الْمَكْرِ . وَفِي الْأَعْرَاضِ عَنِ الْجَاهِلِينَ الصَّبْرُ وَالْحِلْمُ وَتَنْزِيهِ
النَّفْسِ عَنْ مُعَاقَبَةِ السَّيْفِ بِمَا يُؤْتَمُّ مِنَ الدِّينِ وَيُسْقِطُ الْقُدْرَةَ . وَقَوْلُهُ :
حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْبِي وَيُصَمِّمُ . وَقَوْلُهُ إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا . وَقَوْلُهُ :
نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ . وَقَوْلُهُ : تَرَكْتُ الشَّرَّ صَدَقَةً . فَمَعَانِي هَذَا
الْكَلَامِ أَكْثَرُ مِنْ الْفَاقِظِ . وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ صِحَّةَ ذَلِكَ

لَحْمَهَا وَأَنْبِئَا بِنَاءِ آخَرٍ فَإِنَّكَ تَجِدَهَا تَحِيًّا فِي أَنْعَافِ هَذِهِ الْأَلْفَافِ .
 وَقَوْلُهُ : إِذَا أَعْطَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَلْيَنْ عَلِيكَ وَأَبْدَأْ بِنَ تَعُولُ وَارْتَضِخْ
 مِنْ الْفَضْلِ وَلَا تَلَمَّ عَلَى الْكَفَافِ وَلَا تَعِزَّزْ عَنْ نَفْسِكَ . فَقَوْلُهُ :
 (فَلْيَنْ عَلِيكَ) أَيِ فَلْيُظْهِرْ آثَرَهُ عَلَيْكَ بِالْصَّدَقَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَدَلَّ
 عَلَى ذَلِكَ يَقُولُهُ : (وَأَبْدَأْ بِنَ تَعُولُ وَارْتَضِخْ مِنْ الْفَضْلِ) أَيِ
 أَسْرِ مِنْ مَالِكَ وَأَعْطِهِ (وَأَتَمَّ الشَّيْءَ الرِّضِيَّةُ) وَلَا تَعِزَّزْ عَنْ
 نَفْسِكَ) أَيِ لَا تَجْمَعْ لِعَظِيمِكَ وَتَتَجَلَّ عَنْ نَفْسِكَ فَلَا تُقَدِّمْ خَيْرًا .
 وَقَوْلُ أَغْرَابِيٍّ : أُولَئِكَ قَوْمٌ جَعَلُوا أَمْوَالَهُمْ مَسَادِيلَ لِأَعْرَاضِهِمْ فَالْحَيْرُ
 بِهِمْ زَائِدٌ وَالْمَعْرُوفُ لَهُمْ شَاهِدٌ . أَيِ يَقُونُ أَعْرَاضَهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ .
 وَقِيلَ لِأَغْرَابِيٍّ يَسُوقُ مَالًا كَثِيرًا : لِمَنْ هَذَا أَلْمَالُ . فَقَالَ : لِلَّهِ فِي
 يَدِي . وَقَالَ أَغْرَابِيٌّ لِرَجُلٍ يَدْعُهُ : إِنَّهُ لَيُعْطِي عَطَاءً مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ
 اللَّهُ مَادَّةُهُ . وَقَوْلُ آخَرَ : أَمَا بَعْدُ فَعِظِ النَّاسَ بِفِعْلِكَ وَلَا تَعْظُهُمْ
 بِقَوْلِكَ وَأَسْتَحْيِ مِنَ اللَّهِ بِقَدْرِ قُرْبِهِ مِنْكَ . وَخَفَهُ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ .
 وَقَالَ آخَرُ : إِنْ شَكَّكَتَ فِيَّ فَأَسْأَلِ قَلْبَكَ عَنِّي
 وَأَعْلَمُ أَنَّ حَمَاقَةَ مَنْ مُدَّعِي عِلْمِ أَلْيَانٍ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ
 يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : فَمَنْهُ مَا يَحْسُنُ فِيهِ الْإِيحَازُ كَالْأَشْعَارِ وَالْمَكَاتِبَاتِ .
 وَمَنْهُ مَا يَحْسُنُ فِيهِ التَّطْوِيلُ كَالْخُطَبِ وَالتَّقْلِيدَاتِ وَكُتُبِ الْفُتُوحِ
 الَّتِي تُقْرَأُ فِي مَسَاجِدٍ مِنْ عَوَاةِ النَّاسِ . فَإِنَّ الْكَلَامَ إِذَا طَالَ فِي
 مِثْلِ ذَلِكَ آثَرُ عِنْدَهُمْ وَأَفْهَمَهُمْ وَلَوْ أَقْتَصَرَ فِيهِ عَلَى الْإِيحَازِ وَالْإِشَارَةِ
 لَمْ يَقَعْ لِأَكْثَرِهِمْ حَتَّى يُقَالَ فِي ذِكْرِ الْحَرْبِ : أَلْتَمَى الْجَمْعَانِ وَتَطَاعَنَ

الْقَرِيقَانِ وَأَشْتَدَّ الْقِتَالُ وَجِيَّ الْتِصَالُ وَمَا جَرَى هَذَا الْحَجَرَى وَالْمَذْهَبُ
عِنْدِي فِي ذَلِكَ مَا أَذْكُرُهُ : وَهُوَ أَنَّ فَهْمَ الْعَامَّةِ لَيْسَ شَرْطًا
مُعْتَبَرًا فِي اخْتِيَارِ الْكَلَامِ . لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ شَرْطًا لَوَجِبَ عَلَى قِيَاسِهِ أَنْ
يُسْتَعْمَلَ فِي الْكَلَامِ الْأَلْفَاظُ الْعَامِيَّةُ الْمُبْتَدَأَةُ عَنْدهُمْ لِيَكُونَ ذَلِكَ
أَقْرَبَ إِلَى فَهْمِهِمْ . لِأَنَّ الْعِلَّةَ فِي اخْتِيَارِ تَطْوِيلِ الْكَلَامِ إِذَا كَانَتْ
فَهْمُ الْعَامَّةِ إِيَّاهُ فَكَذَلِكَ تَجْعَلُ تِلْكَ الْعِلَّةَ بَعِيْنَهَا فِي اخْتِيَارِ الْمُبْتَدَلِ
مِنَ الْكَلَامِ فَإِنَّهُ لِاخْتِلَافٍ فِي أَنَّ الْعَامَّةَ إِلَى فَهْمِهِ أَقْرَبُ مِنْ
فَهْمِهِ مَا يَقِلُّ أَنْتِدَاهُمْ إِيَّاهُ . وَهَذَا شَيْءٌ يَدْفُوعٌ وَأَمَّا الَّذِي يَحِبُّ
تَوْجِيْهِ وَاعْتِبَادَهُ فَهُوَ أَنْ يُسْلِكَ الْمَذْهَبُ الْقَرِيبُ فِي تَرْكِيبِ الْأَلْفَاظِ
عَلَى الْمَعْنَى بِحَيْثُ لَا تَرِيدُ هَذِهِ عَلَى هَذِهِ مَعَ الْإِيضَاحِ وَالْإِبَانَةِ
وَلَيْسَ عَلَى مُسْتَعْمِلِ ذَلِكَ أَنْ يَفْهَمَ الْعَامَّةُ كَلَامَهُ فَإِنَّ نَوْرَ الشَّمْسِ
إِذَا لَمْ يَرَهُ الْأَعْمَى لَا يَكُونُ ذَلِكَ نَقْصًا فِي اسْتِنَارَتِهِ وَإِنَّمَا النِّقْصُ فِي
بَصَرِ الْأَعْمَى حَيْثُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْظَرَ إِلَيْهِ :

عَلَى نَحْتِ الْقَوَائِي مِنْ مَعَادِنِهَا وَمَا عَلَيَّ بِأَنْ لَا نَفْهَمَ الْبَقَرُ
وَحَيْثُ انْتَهَى بِنَا الْقَوْلُ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ قُلْتُ رَجْعٌ إِلَى مَا هُوَ
غَرَضًا وَمَهْمُنَا مِنَ الْكَلَامِ عَلَى الْإِيحَازِ وَحَدِّهِ وَأَقْسَامِهِ وَتَوْضِيْحِ
ذَلِكَ إِيضَاحًا جَلِيًّا وَاللَّهُ الْمَوْقِفُ لِلصَّوَابِ فَنَقُولُ : حَدُّ الْإِيحَازِ هُوَ دَلَالَةُ
الْلَفْظِ عَلَى الْمَعْنَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرِيدَ عَلَيْهِ . وَالتَّطْوِيلُ هُوَ ضِدُّ ذَلِكَ
وَهُوَ أَنْ يُدَلَّ عَلَى الْمَعْنَى بِالْفِظِ يَكْفِيكَ بَعْضُهُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ . كَقَوْلِ
الْحَبِيزِ السَّلُولِيِّ مِنْ آيَاتِ الْحِمَاسَةِ :

طُلُوعُ الشَّيَا بِالطَّيَا وَسَابِقُ إِلَى غَايَةٍ مِنْ يَتَبَدَّرُهَا يُقَدِّمُ
فَصَدْرُ هَذَا أَلْبَيْتِ فِيهِ تَطْوِيلٌ لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ وَتَجْزُهُ مِنْ مُحَاسِنِ
الْكَلَامِ الْمُتَوَاصِفَةِ . وَمَوْضِعُ التَّطْوِيلِ مِنْ صَدْرِهِ أَنَّهُ قَالَ :
(طُلُوعُ الشَّيَا بِالطَّيَا) فَإِنَّ لَفْظَةَ الطَّيَا فَضْلَةٌ لَا حَاجَةَ إِلَيْهَا .
وَيَبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَخْلُو الْأَمْرُ فِيهَا مِنْ وَجْهَيْنِ : إِمَّا أَنْ يُرِيدَ أَنَّهُ سَابِقُ
أَهْمَةٍ إِلَى مَعَالِي الْأُمُورِ كَمَا قَالَ الْحَجَّاجُ عَلَى الْإِنْتِبَازِ عِنْدُ وُضُوءِهِ الْعِرَاقُ :
أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَّلَاعُ الشَّيَا . أَيْ أَنَا الرَّجُلُ الْمَشْهُورُ السَّابِقُ إِلَى
مَعَالِي الْأُمُورِ . فَإِنْ أَرَادَ الْحَجَّاجُ بِقَوْلِهِ : (طُلُوعُ الشَّيَا) مَا أَشْرَفَ
إِلَيْهِ فَذِكْرُ الطَّيَا يُفْسِدُ ذَلِكَ الْمَعْنَى لِأَنَّ مَعَالِي الْأُمُورِ لَا يُرْفَى
إِلَيْهَا بِالطَّيَا . وَإِنْ أَرَادَ الْوَجْهَ الْآخَرَ وَهُوَ أَنَّهُ كَثِيرُ الْأَسْفَارِ
فَاخْتِصَاصُهُ الشَّيَا بِالذِّكْرِ دُونَ الْأَرْضِ مِنَ الْمَقَاوِزِ وَغَيْرِهَا لَا فَائِدَةَ
فِيهِ . وَعَلَى كِلَا الْوَجْهَيْنِ فَإِنَّ ذِكْرَ الطَّيَا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ وَهُوَ
تَطْوِيلٌ بَارِذٌ غَثٌ . فَقَسْ عَلَى هَذَا الْمِثَالِ مَا يَجْرِي تَجَرُّاهُ مِنْ
التَّطْوِيلَاتِ الَّتِي إِذَا أُسْقِطَتْ مِنْ الْكَلَامِ بَقِيَ عَلَى حَالِهِ لَمْ يَتَغَيَّرْ
شَيْءٌ . وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْأَمْرُ فِي الْفَاقِظِ يُوصَلُ بِهَا الْكَلَامُ فَتَارَةً
تُجِيءُ لِفَائِدَةٍ وَذَلِكَ قَلِيلٌ وَتَارَةً تُجِيءُ لِفَيْدَةٍ فَائِدَةٌ وَذَلِكَ كَثِيرٌ . وَكَثَرَتْ
مَا تَرَدُّ فِي الْأَشْعَارِ لِيُوزَنَ بِهَا الْأَنْبَاءُ الشَّعْرِيَّةُ وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِهِمْ :
لَعَمْرِي وَلَعَمْرُكَ وَنَحْوُ : أَصْبَحَ وَأَمْسَى وَظَلَّ وَأَضْحَى وَبَاتَ وَأَشْبَاهُ
ذَلِكَ . وَنَحْوُ : يَا صَاحِبِي وَيَا حَلِيلِي وَمَا يَجْرِي هَذَا الْجَرَى . فِيمَا جَاءَ
مِنْهُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

أَقْرُوا لَعْنِي لِحُكْمِ السُّيُوفِ وَكَانَتْ أَحَقُّ بِفَضْلِ الْقَضَاءِ
فَإِنْ قَوْلُهُ : (لَعْنِي) زِيَادَةٌ لِحَاجَةِ الْمَعْنَى إِلَيْهَا وَهِيَ حَشْوٌ
فِي هَذَا الْبَيْتِ لَا فَائِدَةَ فِيهِ إِلَّا إِصْلَاحُ الْوِزْنِ لَا غَيْرَ . أَلَا تَرَى أَنَّهَا
مِنْ بَابِ الْقَسَمِ وَأَمَّا يَرِدُ الْقَسَمُ فِي مَوْضِعٍ يُؤَكِّدُ بِهِ الْمَعْنَى الْمُرَادُ
إِمَّا لِأَنَّهُ يُشَكُّ فِيهِ أَوْ يَمَّا يَعِزُّ وَجُودَهُ أَوْ مَا جَرَى هَذَا الْجَرَى .
وَهَذَا الْبَيْتُ الشَّعْرِيُّ لَا يَفْتَقِرُ مَعْنَاهُ إِلَى تَوْكِيدٍ قَسَمِيٍّ إِذْ لَا شَكَّ
أَنَّ السُّيُوفَ حَاصِلَةٌ وَأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُقَرُّ لِحُكْمِهَا وَيُذِنُّ لِطَاعَتِهَا .
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ أَيْضًا :

إِذَا أَنَا لَمْ أَلَمْ عَثَرَاتِ دَهْرٍ بُلَيْتُ بِهِ الْقَدَاةَ مِّنَ الْوَمِ
قَوْلُهُ : (الْقَدَاةَ) زِيَادَةٌ لِحَاجَةِ الْمَعْنَى إِلَيْهَا لِأَنَّهُ يَتِمُّ بِدُونِهَا
لِأَنَّ عَثَرَاتِ الدَّهْرِ لَمْ تَنْلُ الْقَدَاةَ وَلَا الْعِشْيَ وَأَمَّا نَأْتُهُ وَنَيْلُهَا إِيَّاهُ
لَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ فِي زَمَنِ مِنْ الْأَزْمَنِ سَكْنًا مَا كَانَ وَلَا حَاجَةَ إِلَى
تَعْيِينِهِ بِالذِّكْرِ . وَعَلَى هَذَا وَرَدَّ قَوْلُ الْجَهْزِيِّ :

مَا أَحْسَنَ الْأَيَّامَ إِلَّا أَنهَا يَا صَاحِبِي إِذَا مَضَتْ لَمْ تُرْجَعْ
قَوْلُهُ : (يَا صَاحِبِي) زِيَادَةٌ لِحَاجَةِ الْمَعْنَى إِلَيْهَا إِلَّا أَنَّهَا
وَرَدَّتْ لِتَضَحِّجِ الْوِزْنَ لَا غَيْرَ . وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ الَّتِي تَرِدُ فِي الْآيَاتِ
الشَّعْرِيَّةِ لِتَضَحِّجِ الْوِزْنَ لَا عَيْبَ فِيهَا . لِأَنَّا لَوْ عَيَّبْنَا عَلَى الشُّعْرَاءِ
لَسَجَّوْنَا عَلَيْهِمْ وَذَيَّقْنَا الْوِزْنَ وَيُضْطَرُّ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ إِلَى مِثْلِ
ذَلِكَ لَكِنْ إِذَا وَرَدَتْ فِي الْكَلَامِ الْمَثُورُ فَلَهَا أَنْ وَرَدَتْ حَشْوًا
وَلَمْ تَرُدَّ لِفَائِدَةٍ كَانَتْ عَيْنًا . وَقَدْ تَرِدُ فِي الْآيَاتِ الشَّعْرِيَّةِ وَيَكُونُ

طَلُوعُ الثَّنَائَا بِأَطْلَايَا وَسَابِقُ إِلَى غَايَةٍ مَن يَتَبَدَّرُهَا يُقَدِّمُ
فَصَدْرُ هَذَا أَلْبَيْتِ فِيهِ تَطْوِيلٌ لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ وَحُجْرَةٌ مِنْ مُحَاسِنِ
الْكَلَامِ الْمُتَوَاصِفَةِ . وَمَوْضِعُ التَّطْوِيلِ مِنْ صَدْرِهِ أَنَّهُ قَالَ :
(طَلُوعُ الثَّنَائَا بِأَطْلَايَا) فَإِنَّ لَفْظَةَ الْأَطْلَايَا فَضْلَةٌ لَا حَاجَةَ إِلَيْهَا .
وَيَبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَخْلُو الْأَمْرُ فِيهَا مِنْ وَجْهَيْنِ : إِمَّا أَنْ يُرِيدَ أَنَّهُ سَابِقُ
الْهَيْئَةِ إِلَى مَعَالِي الْأُمُورِ كَمَا قَالَ الْحَجَّاجُ عَلَى الْمُنْبَرِ عِنْدَ وُصُولِهِ الْعِرَاقَ :
أَنَا أَبْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَائَا . أَيْ أَنَا الرَّجُلُ الْأَشْهُورُ السَّابِقُ إِلَى
مَعَالِي الْأُمُورِ . فَإِنَّ أَرَادَ التَّجْيِيزَ بِقَوْلِهِ : (طَلُوعُ الثَّنَائَا) مَا أَشْرَفَتْ
إِلَيْهِ فَذِكْرُ الْأَطْلَايَا يُفْسِدُ ذَلِكَ الْمَعْنَى لِأَنَّ مَعَالِي الْأُمُورِ لَا يُرْقَى
إِلَيْهَا بِأَطْلَايَا . وَإِنْ أَرَادَ أَلَوَجَّةَ الْآخِرِ وَهُوَ أَنَّهُ كَثِيرُ الْأَسْفَارِ
فَاخْتِصَاصُهُ الثَّنَائَا بِالذِّكْرِ دُونَ الْأَرْضِ مِنَ الْمَقَاوِزِ وَغَيْرِهَا لَا فَائِدَةَ
فِيهِ . وَعَلَى كِلَا أَلَوَجْهَيْنِ فَإِنَّ ذِكْرَ الْأَطْلَايَا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ وَهُوَ
تَطْوِيلٌ بَارِذٌ غَثٌ . فَقَسَّ عَلَى هَذَا الْمِثَالِ مَا يَجْرِي مَجْرَاهُ مِنْ
التَّطْوِيلَاتِ الَّتِي إِذَا أُسْقِطَتْ مِنَ الْكَلَامِ بَقِيَ عَلَى حَالِهِ لَمْ يَتَغَيَّرْ
شَيْءٌ . وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْأَمْرُ فِي الْفَقَاطِ يُوصَلُ بِهَا الْكَلَامُ فَتَادَةٌ
تَحِيٍّ لِفَائِدَةٍ وَذَلِكَ قَلِيلٌ وَتَادَةٌ تَحِيٍّ لِعَنَرٍ فَائِدَةٍ وَذَلِكَ كَثِيرٌ . وَكَفَرَةٌ
مَا تَرِدُ فِي الْأَشْعَارِ لِيُوزَنَ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ الشَّعْرِيَّةُ وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِهِمْ :
لَعَمْرِي وَلَعَمْرُكَ وَنَحْوُ : أَصْبَحَ وَأَمْسَى وَظَلَّ وَأَضْحَى وَبَاتَ وَأَشْبَاهَ
ذَلِكَ . وَنَحْوُ : يَا صَاحِبِي وَيَا خَلِيلِي وَمَا يَجْرِي هَذَا الْجُرْيُ . فَمَا جَاءَ
مِنْهُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

اقْرَؤْا لَعْنَرِي لِحُكْمِ السُّيُوفِ وَكَانَتْ أَحَقُّ بِفَضْلِ الْقَضَاءِ
فَإِنْ قَوْلُهُ : (لَعْنَرِي) زِيَادَةٌ لِحَاجَةِ الْمَعْنَى إِلَيْهَا وَهِيَ حَشْوُ
فِي هَذَا أَلَيْتَ لَا فَائِدَةَ فِيهِ إِلَّا إِصْلَاحُ الْوِزْنِ لَا غَيْرَ . أَلَا تُرَى أَنَّهَا
مِنْ بَابِ الْقَسَمِ وَأَمَّا يَرِدُ الْقَسَمُ فِي مَوْضِعٍ يُؤَكِّدُ بِهِ الْمَعْنَى الْمُرَادُ
إِمَّا لِأَنَّهُ يُشَكُّ فِيهِ أَوْ يَمَّا يَعْرِضُ وَجُودُهُ أَوْ مَا جَرَى هَذَا الْجَرَى .
وَهَذَا أَلَيْتَ الشَّعْرِيُّ لَا يَفْتَقِرُ مَعْنَاهُ إِلَى تَوْكِيدٍ قَسَمِيٍّ إِذْ لَا شَكَّ
أَنَّ السُّيُوفَ حَاصِلَةٌ وَأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُقَرُّ لِحُكْمِهَا وَيَذِنُ لِطَاعَتِهَا .
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ أَيْضًا :

إِذَا أَنَا لَمْ أَلَمْ عَثَرَاتِ دَهْرٍ بُلَيْتُ بِهِ الْعُدَاةَ فَنَ الْوَمُ
فَقَوْلُهُ : (الْعُدَاةُ) زِيَادَةٌ لِحَاجَةِ الْمَعْنَى إِلَيْهَا لِأَنَّهُ يَتِمُّ بِدُونِهَا
لِأَنَّ عَثَرَاتِ الدَّهْرِ لَمْ تَنْلِ الْعُدَاةَ وَلَا الْعِشْيَ وَأَمَّا نَأْتُهُ وَنَيْلُهَا إِيَّاهُ
لَا بَدَّ أَنْ يَقَعَ فِي زَمَنٍ مِنَ الْأَزْمَنَةِ كَأَنَّمَا مَا كَانَ وَلَا حَاجَةَ إِلَى
تَعْيِينِهِ بِالذِّكْرِ . وَعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُ الْجُبَّارِيِّ :

مَا أَحْسَنَ الْأَيَّامِ إِلَّا أَنَّهُ يَا صَاحِبِي إِذَا مَضَتْ لَمْ تُزَجَعْ
فَقَوْلُهُ : (يَا صَاحِبِي) زِيَادَةٌ لِحَاجَةِ الْمَعْنَى إِلَيْهَا إِلَّا أَنَّهَا
وَرَدَتْ لِتَضَحِيحِ الْوِزْنِ لَا غَيْرَ . وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ الَّتِي تَرِدُ فِي الْآيَاتِ
الشَّعْرِيَّةِ لِتَضَحِيحِ الْوِزْنِ لَا عَيْبَ فِيهَا . لِأَنَّا لَوْ عَيَّنَّاها عَلَى الشُّعْرَاءِ
لَتَحَجَّرْنَا عَلَيْهِمْ وَضَيَّقْنَا الْوِزْنَ وَبُظْطِرَ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ إِلَى مِثْلِ
ذَلِكَ لَكِنْ إِذَا وَرَدَتْ فِي الْكَلَامِ أَلْتَشْوَرُ فَإِنَّهَا إِنْ وَرَدَتْ حَشْوًا
وَلَمْ تَرِدْ لِفَائِدَةٍ كَانَتْ عَيْبًا . وَقَدْ تَرِدُ فِي الْآيَاتِ الشَّعْرِيَّةِ وَيَكُونُ

وَرُودُهَا لِفَائِدَةٍ . . . فَأَعْلَمَ أَيُّهَا النَّاطِرُ فِي كِتَابِي هَذَا أَنَّ التَّطْوِيلَ
هُوَ زِيَادَاتُ الْأَلْفَظِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى أَلْمَاعِي وَمَهْمَا أَهَكُنْكَ حَذَفُ
شَيْءٍ مِنَ اللَّفْظِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى مِنَ أَلْمَاعِي فَإِنَّ ذَلِكَ اللَّفْظَ
هُوَ التَّطْوِيلُ بِعَيْنِهِ . وَأَمَّا الْأِيحَاظُ فَقَدْ عَرَّفْتُكَ أَنَّ دَلَالََةَ اللَّفْظِ عَلَى
أَلْمَعْنَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرِيدَ عَلَيْهِ . وَهُوَ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : (أَحَدُهُمَا)
الْإِيحَاظُ بِالْحَذَفِ وَهُوَ مَا يُحْذَفُ مِنْهُ الْمَفْرَدُ وَالْجُمْلَةُ لِدَلَالَةٍ فَحَوَى
الْكَلَامَ عَلَى الْحَذَفِ وَلَا يَكُونُ إِلَّا فِيمَا زَادَ مَعْنَاهُ عَلَى لَفْظِهِ .
(وَالْقِسْمُ الْآخَرُ) مَا لَا يُحْذَفُ مِنْهُ شَيْءٌ وَهُوَ ضَرْبَانِ : (أَحَدُهُمَا)
مَا سَادَى لَفْظُهُ مَعْنَاهُ وَيَسَمَّى التَّقْدِيرَ . (وَالْآخَرُ) مَا زَادَ مَعْنَاهُ
عَلَى لَفْظِهِ وَيَسَمَّى الْقَصْرَ . وَأَعْلَمَ أَنَّ الْقِسْمَ الْأَوَّلَ الَّذِي هُوَ الْإِيحَاظُ
بِالْحَذَفِ يُتَنَبَّهُ لَهُ مِنْ غَيْرِ كَبِيرٍ كُلِّفَةٍ فِي اسْتِخْرَاجِهِ لِمَكَانِ الْحَذَفِ
مِنْهُ . وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي فَإِنَّ التَّنَبُّهُ لَهُ عَسِرٌ لِأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى فَضْلِ
تَأَمُّلٍ وَطُولِ فِكْرَةٍ لِحَقَاءِ مَا يُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ وَلَا يَسْتَنْبِطُ ذَلِكَ إِلَّا
مَنْ رَسَتْ قَدَمُهُ فِي تِمَارَسَةِ عِلْمِ الْبَيَانِ وَصَارَ لَهُ خَلِيقَةٌ وَمَلَكَةٌ .
وَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا عَلمَ هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ بِعَلَامَةٍ وَلَا قِيْدَهُمَا بِقِيْدٍ . . .
فَقَوْلُ أَمَّا الْإِيحَاظُ بِالْحَذَفِ فَإِنَّهُ عَجِيبُ الْأَمْرِ شَيْءٌ بِالسَّخْرِ وَذَلِكَ
أَنَّكَ تَرَى فِيهِ تَرَكَ الذِّكْرَ أَفْصَحَ مِنَ الذِّكْرِ وَالصَّمْتُ عَنْ
الْإِفَادَةِ أَزِيدُ لِلْإِفَادَةِ وَتُجِدُكَ أَنْطَقَ مَا تَكُونُ إِذَا لَمْ تَنْطِقْ وَأَتَمَّ
مَا تَكُونُ مُبْتَنًى إِذَا لَمْ تُبَيِّنْ وَهَذِهِ جُمْلَةٌ تُسَكِّرُهَا حَتَّى تُخَيَّرَ وَتَدْفَعُهَا
حَتَّى تَنْظُرَ . وَالْأَعْلَى فِي الْحَذَوَفَاتِ جَمِيعُهَا عَلَى اخْتِلَافِ ضَرْبِهَا

أَنْ يَكُونَ فِي الْكَلَامِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْخَذُوفِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ دَلِيلٌ عَلَى الْخَذُوفِ فَإِنَّهُ تَعْوِيْنُ الْحَدِيثِ لَا يَجُوزُ بِهِ وَلَا سَبَبٌ .
وَمَنْ تَمَرَّطَ الْخَذُوفِ فِي حُكْمِ الْبَلَاغَةِ أَنَّهُ مَتَى أُظْهِرَ صَارَ الْكَلَامُ إِلَى شَيْءٍ غَثٍّ لَا يُنَاسِبُ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَوَّلًا مِنَ الطَّلَاوَةِ وَالْحُسْنِ وَقَدْ يَظْهَرُ الْخَذُوفُ بِالْأَعْرَابِ كَقَوْلِنَا: أَهْلًا وَسَهْلًا . فَإِنَّ نَضْبَ الْأَهْلِ وَالسَّهْلِ يَدُلُّ عَلَى نَاصِبِ خَذُوفٍ وَلَيْسَ لِهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا لِلَّذِي لَا يَظْهَرُ بِالْأَعْرَابِ وَإِنَّمَا يَظْهَرُ بِالنَّظَرِ إِلَى تَمَامِ الْمَعْنَى كَقَوْلِنَا : فَلَنْ يُحْلَ وَيَعْقِدُ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَظْهَرُ الْخَذُوفُ بِهِ بِالْأَعْرَابِ وَإِنَّمَا يَظْهَرُ بِالنَّظَرِ إِلَى تَمَامِ الْمَعْنَى أَيْ أَنَّهُ يُحْلُ الْأُمُورَ وَيَعْقِدُهَا . وَالَّذِي يَظْهَرُ فِي الْأَعْرَابِ يَقَعُ فِي الْفَرْدَاتِ مِنَ الْخَذُوفَاتِ كَثِيرًا وَالَّذِي لَا يَظْهَرُ بِالْأَعْرَابِ يَقَعُ فِي الْجُمْلِ مِنَ الْخَذُوفَاتِ كَثِيرٌ

البحث السادس

في المساواة

(عن كتاب الصناعتين باختصار)

(راجع صفحة ٧٥ من علم الادب)

الْمُسَاوَاةُ هِيَ أَنْ تَكُونَ الْمَعْنَى بِقَدْرِ الْأَلْفَاظِ وَالْأَلْفَاظُ بِقَدْرِ الْمَعْنَى لَا يَزِيدُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَهُوَ الْمَذْهَبُ الْمُتَوَسِّطُ بَيْنَ الْإِيجَازِ وَالْإِطْلَاقِ وَإِلَيْهِ أَشَارَ الْقَائِلُ بِقَوْلِهِ : كَانَ الْفَاظَةُ قَوْلِ الْبَلْعَانِيَةِ

أَيُّ لَا يَزِيدُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ . فَمَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ : لَا تَزَالُ
 أُمِّي بِخَيْرٍ مَا لَمْ تَرَ الْأَمَانَةَ مَغْنَمًا وَالرِّسْكَاءَ مَغْرَمًا . وَقَوْلُهُ : إِيَّاكَ
 وَالْمَشَاوِرَةَ فَلَانَهَا ثُمْتُ الْعِرَّةَ وَتُحْيِي الْعِزَّةَ . وَمِنْ أَلْفَاظِ هَذِهِ
 الْفُصُولِ مَا كَانَتْ مَعَانِيهِ أَكْثَرُ مِنَ أَلْفَاظِهِ وَإِنَّمَا يُكْرَهُ تَمِيزُهَا كَرَاهَةً
 لِإِلْطَالِهَا . وَمِنْ نَثَرِ الْكِتَابِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ : سَأَلْتُ عَنْ خَيْرِي وَأَنَا
 فِي عَافِيَةٍ لَا عَيْبَ فِيهَا إِلَّا فَقْدَكَ وَرَغْمَةَ لَا مَزِيدَ فِيهَا إِلَّا بِكَ . وَقَوْلُهُ :
 عَلَيْهِ ثَنِي نَبُوتَكَ سَلَوْتُكَ وَأَسْلَمَنِي يَا سَيِّدِي مِنْكَ إِلَى الصَّبْرِ عَلَيْكَ .
 وَقَوْلُهُ : فَحَفِظَ اللَّهُ الْبَعْثَةَ عَلَيْكَ وَفِيكَ وَتَوَلَّى إِصْلَاحَكَ وَالْإِصْلَاحَ
 إِلَيْكَ وَأَجَزَلَ . وَنَ الْخَيْرِ حَظَّكَ وَالْحَظَّ مِنْكَ وَمَنْ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا بِكَ .
 وَقَالَ آخَرُ يَسْتُ مِنْ صَلَاحِكَ بِي وَأَخَافُ فُسَادِي بِكَ وَقَدْ أَطْنَبَ
 فِي دَمِ الْحِمَارِ مِنْ شَبَّهِكَ بِهِ . وَمِنْ الْنَظْمِ قَوْلُ طَرَفَةٍ :
 سَتُبْدِيكَ أَلَا يَأْمُ مَا كُنْتُ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ يُزِدْ
 وَقَوْلُ الْآخَرِ :

تَهْدَا الْأُمُورَ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَلَحَتْ فَإِنْ تَابَتْ فَبِالْأَشْرَارِ تَمْقَادُ
 وَقَوْلُ الْآخَرِ :

أَمَّا الَّذِي يُخَصِّصُهُمْ فَمُكَثِّرٌ أَمَّا الَّذِي يُطْرِبُهُمْ فَمُقَلِّلٌ
 وَقَوْلُ الْآخَرِ :

أَهَابَكَ إِجْلَالًا وَابِكَ قُدْرَةً عَلَيَّ وَلَكِنْ مِنْ عَيْنِ حَبِيبِهَا
 وَمَا هَجَرَكَ النَّفْسُ أَلَمْكَ عِنْدَهَا قَلِيلٌ وَلَكِنْ قَلَّ مِنْكَ نَصِيبُهَا

البحث السابع

في الاطئاب

(من كتاب الصاعتين للعسكري)

(راجع صفحة ٧٦ من علم الادب)

قَالَ أَصْحَابُ الْأَطْنَابِ: أَلْمَنْطِقُ إِنَّمَا هُوَ بَيَانٌ وَأَلْبَيَانٌ لَا يَكُونُ إِلَّا بِإِشْبَاعٍ وَأَلشِّقَاءُ لَا يَفْعُ إِلَّا بِأَلْفِتْنَاعٍ . وَأَفْضَلُ الْكَلَامِ أَيْبُهُ وَأَيْبُهُ أَشَدُّ إِحَاطَةً بِالْمَعْنَى وَلَا يُحَاطُ بِالْمَعْنَى إِحَاطَةً تَامَةً إِلَّا بِأَلْأَسْتِثْنَاءِ . وَأَلْإِيحَازُ لِلْخَوَاصِّ وَالْأَطْنَابُ مُشْتَرِكٌ فِيهِ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ وَالْعَبِيُّ وَالْقَطْنُ وَالرَّيْضُ وَالرَّيْضُ وَلَمَعْنَى مَا أُطِيلَتْ أَلْكُتُبُ أَلْسُلْطَانِيَّةٌ فِي إِفْهَامِ الرِّعَايَا . وَأَلْقَوْلُ الْقَصْدُ أَنَّ أَلْإِيحَازَ وَالْأَطْنَابَ يُحْتَاجُ إِلَيْهِمَا فِي جَمِيعِ الْكَلَامِ وَكُلِّ نَوْعٍ مِنْهُ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَوْضِعٌ فَالْحَاجَةُ إِلَى أَلْإِيحَازِ فِي مَوْضِعِهِ كَالْحَاجَةِ إِلَى أَلْأَطْنَابِ فِي مَكَانِهِ . فَمَنْ أَرَادَ أَلْتَّذْيِيرَ فِي ذَلِكَ عَنْ وَجْهِهِ فَاسْتَعْمَلَ أَلْأَطْنَابَ فِي مَوْضِعِ أَلْإِيحَازِ وَاسْتَعْمَلَ أَلْإِيحَازَ فِي مَوْضِعِ أَلْأَطْنَابِ أَخْطَأَ . كَمَا رَوَى عَنْ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى أَنَّهُ قَالَ مَعَ عَجْبِهِ بِأَلْإِيحَازِ : مَتَى كَانَ أَلْإِيحَازُ أَلْبَلَّغَ كَانَ أَلْإِيحَازُ عِيًّا وَمَتَى كَانَتْ أَلْأَسْكَاتُ فِي مَوْضِعِ أَلْإِيحَازِ كَانَ أَلْإِيحَازُ تَقْصِيرًا . وَأَمْرُ خَالِدِ بْنِ يَحْيَى أَثْنَيْنِ أَنْ يَكْتُبَا كِتَابًا وَاحِدًا فِي مَعْنَى وَاحِدٍ فَأَطَالَ أَحَدُهُمَا وَأَخْتَصَرَ الْآخَرُ . فَقَالَ لِلْمُخْتَصِرِ وَقَدْ نَظَرَ فِي كِتَابِهِ : مَا أَرَى مَوْضِعَ مَزِيدٍ . وَقَالَ لِلْمُطِيلِ : مَا

أَرَى مَوْضِعَ نُقْصَانٍ . وَقَالَ غَيْرُهُ : أَلْبَلَاغُهُ أَلَا يَجَازِي فِي غَيْرِ عَجْزٍ
وَالْأَطْنَابُ فِي غَيْرِ خَطَلٍ . وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ أَلْكَشْبَ الصَّادِرَةَ عَنْ
السَّلَاطِينِ فِي الْأُمُورِ الْجَسِيمَةِ وَالْفَتْوحِ الْجَلِيلَةِ وَتَخْلِيمِ النَّعَمِ الْحَادِثَةِ
أَوْ التَّرْغِيبِ فِي الطَّاعَةِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ . سَبِيلُهَا أَنْ تَكُونَ
مُشَبَّعَةً مُسْتَقْصَاةً تَمَلُّ الصُّدُورَ وَتَأْخُذُ بِجَمَاعِ أَهْلِ لُوبٍ . فَأَلْأَطْنَابُ
بَلَاغَةٌ وَالتَّطْوِيلُ عِيٌّ . لِأَنَّ التَّطْوِيلَ بِمَثَلَةِ سُلُوكِ تَرَهُ يَحْتَوِي عَلَى زِيَادَةٍ
يَقْرُبُ . وَالْأَطْنَابُ بِمَثَلَةِ سُلُوكِ طَرِيقٍ بَعِيدٍ تَرَهُ يَحْتَوِي عَلَى زِيَادَةٍ
فَائِدَةٍ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : يُخْتَصَرُ الْكِتَابُ لِيُحْفَظَ وَيُبَسِّطَ لِيُفْهَمَ .
وَقِيلَ لِأَيِّ عَمْرٍو ابْنِ الْعَلَاءِ هَلْ كَانَتْ الْعَرَبُ تُطِيلُ . قَالَ : نَعَمْ
كَانَتْ تُطِيلُ لِيَسْمَعَ مِنْهَا وَتُوجِزُ لِيُحْفَظَ عَنْهَا . وَالْأَطْنَابُ إِذَا لَمْ يَكُنْ
مِنْهُ بُدْءٌ إِجْجَازٌ وَهُوَ فِي الْمَوَاضِعِ خَاصَّةً مُحَمَّدٌ كَمَا أَنَّ أَلَا يَجَازِي فِي
الْإِفْهَامِ مُحَمَّدٌ مَمْدُوحٌ . وَالْمَوْعِظَةُ كَقَوْلِهِ : أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ
بِأَسْنَأُ ضُحَى وَهُمْ يَأْمِنُونَ . أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ
بِأَسْنَأُ ضُحَى وَهُمْ يَلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا
الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ . فَتَكَرَّرَ مَا كَوَّرَ مِنَ الْأَلْفَاظِ هَاهُنَا فِي غَايَةِ حُسْنِ
الْمَوْقِعِ . وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : مَتَى يُحْتَاجُ إِلَى الْإِكْتِسَارِ . قَالَ : إِذَا عَظَّمَ
الْخُطْبُ وَأَنْشَدَ :

صَمُوتٌ إِذَا مَا الدَّهْرُ رَيْنَ أَهْلَهُ وَفَتَقَ أَبْكَارِ الْكَلَامِ الْحَبِيرَ
وَقَالَ آخَرُ :

رَمُونٌ بِالْخُطْبِ الطُّوَالِ وَتَارَةً وَخِي الْمَلَا حِظْ خَشْيَةَ الرُّقْبَاءِ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا مَا أَتَدَى خَاطِبًا لَمْ يَقُلْ لَهُ أَطْلِ الْقَوْلَ أَوْ قَصِّرْ
طَيِّبٌ بِدَاءِ قُنُونِ الْكَلَامِ لَمْ يَغِي يَوْمًا وَلَمْ يَسْزِرْ
فَإِنْ هُوَ أَطْلَبَ فِي خُطْبَةٍ قُضِيَ الطَّيْلُ عَلَى الْمُقْصِرِ
وَأِنْ هُوَ أَوْجَزَ فِي خُطْبَةٍ قُضِيَ لِلْقَلِّ عَلَى الْكَثْرِ
وَوَجَدَ النَّاسَ إِذَا خَطَبُوا فِي الصُّلْحِ بَيْنَ الْعَشَائِرِ أَطَالُوا . وَإِذَا
أَشْدُّوا الشَّعْرَ بَيْنَ النِّمَاطِينَ فِي مَدِيحِ الْمُلُوكِ أَطْنَبُوا . وَالْإِطَالَةُ
وَالْإِطْنَابُ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ إِيجَازٌ . وَقِيلَ لِقَيْسِ بْنِ خَارِجَةَ : مَا
عِنْدَكَ فِي حَمَلَاتِ دَاحِسٍ . قَالَ : عِنْدِي قَرَى كُلِّ نَازِلٍ وَرَضَى كُلِّ
سَاحِطٍ وَخُطْبَةٌ مِنْ لَدُنِّ مَطْلَعِ الشُّنْسِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ أَمْرٌ فِيهَا
بِالتَّوَاضُلِ وَانْهَى عَنِ التَّقَاطُعِ . فَقِيلَ لِأَبِي يَعْقُوبَ الْخَرَمِيِّ : هَلَّا
أَكْتَفَى بِقَوْلِهِ : أَمْرٌ فِيهَا بِالتَّوَاضُلِ فَقَالَ : وَانْهَى عَنِ التَّقَاطُعِ .
قَالَ : أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْكِنَايَةَ وَالتَّعْرِيزَ لَا تَعْمَلُ عَمَلِ الْأَطْنَابِ
وَالْتَكْشِيفِ . وَقَدْ رَأَيْنَا فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ : إِذَا خَاطَبَ الْعَرَبَ وَالْأَعْرَابَ
أَخْرَجَ الْكَلَامَ نَحْجَ الْإِشَارَةِ . وَإِذَا خَاطَبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْحَكَى
عَنْهُمْ جَعَلَ الْكَلَامَ مَبْسُوطًا . وَقُلْ مَا تَجِدُ قِصَّةَ لِبْنِي إِسْرَائِيلَ فِي
الْقُرْآنِ الْأَمْطُولَةَ ، شَرْوَحَةً وَمُكَرَّرَةً فِي مَوَاضِعَ مُعَادَةً لِبُعْدِ
فَهْمِهِمْ وَتَأْخِرَ مَعْرِفَتِهِمْ . وَكَلَامُ الْفَصَحَاءِ إِنَّمَا هُوَ سَوْبُ الْإِيجَازِ
بِالْإِطْنَابِ . وَالْفَصِيحُ الْعَالِي مَا دُونَ ذَلِكَ مِنَ الْقَصْدِ الْمُتَوَسِّطِ
إِسْتِدْلَالٌ بِالْقَصْدِ عَلَى الْعَالِيِ وَالنَّحْجِ السَّامِعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ فَيَدَادُ

نَشَاطُهُ وَتَتَوَفَّرَ رَغْبَتُهُ فَيَتَصَرَّفُوا فِي وُجُوهِ الْكَلَامِ بِإِجَازِهِ وَإِطْلَاقِهِ
حَتَّى اسْتَعْمَلُوا التَّكْرَارَ لِتَوْكِيدِ الْقَوْلِ لِلسَّامِعِ . وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
وَفِي فَصِيحِ الشَّعْرِ مِنْهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ : كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ
ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . وَقَدْ جَاءَ مِثْلُ ذَلِكَ عَنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ .
قَالَ مُهَاجِلٌ :

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كُتَيْبٍ
فَكَرَّرَهَا فِي أَكْثَرِ مِنْ عِشْرِينَ بَيْتًا . وَهَكَذَا قَوْلُ الْحَرْثِ
أَبْنِ عَبَّادٍ :

قَرَّبًا مَرَبَطَ النَّعَامَةِ وَتَنِي
كَرَّرَهَا فِي أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ هَذَا لَمَّا كَانَتْ الْحَاجَةُ إِلَى تَكْرِيرِهَا
مَاسَّةً وَالضَّرُورَةُ إِلَيْهِ دَاعِيَةً لِعَظَمِ الْخُطْبِ وَشِدَّةِ مَوْقِعِ الْفَيْعَةِ فَهَذَا
يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ الْإِطْلَاقَ فِي مَوْضِعِهِ عِنْدَهُمْ مُسْتَحْسَنٌ . كَمَا أَنَّ
الْإِجَازَ فِي مَكَانِهِ مُسْتَحَبٌّ وَلَا بُدَّ لِلْكَاتِبِ فِي أَكْثَرِ أَنْوَاعِ
مُكَاتَبَاتِهِ مِنْ شُعْبَةٍ مِنَ الْإِطْلَاقِ يَسْتَعْمِلُهَا إِذَا أَرَادَ الْمُرَاجَعَةَ بَيْنَ
الْفَضْلَيْنِ وَلَا يُعَاقِبُ ذَلِكَ مِنْهُ . وَذَلِكَ مِثْلُ أَنْ يَكْتُبَ عَظَمَتْ نِعْمَتًا
عَلَيْهِ وَتَظَاهَرَ إِحْسَانًا لَدَيْهِ فَيَكُونُ الْفَضْلُ الْآخِرُ دَاخِلًا فِي مَعْنَاهُ
فِي الْفَضْلِ الْأَوَّلِ وَهُوَ مُسْتَحْسَنٌ لَا يَعْيبُهُ أَحَدٌ . وَلَمَّا أُحِيطَ بِمُرْوَانٍ
قَالَ خَادِمُهُ بَاسِلٌ : مَنْ أَغْفَلَ الْقَلِيلَ حَتَّى يَكْثُرَ وَالصَّغِيرَ حَتَّى يَكْبُرَ
وَالْخَفِيَّ حَتَّى يَظْهَرَ أَعَابَهُ وَمِثْلُ هَذَا . وَهَذَا كَلَامٌ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ
وَإِنْ كَانَ مَعْنَى الْفَضْلَيْنِ الْآخِرَيْنِ دَاخِلًا فِي الْفَضْلِ الْأَوَّلِ .

وَهَكَذَا قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ :
 رَبِّ خَفْضٍ تَحْتَ الشَّرَى وَغَنَاءٍ مِنْ غَنَاءٍ وَنَضْرَةٍ مِنْ شُحُوبٍ
 وَالْغَنَاءُ دَاخِلٌ فِي الْخَفْضِ وَالْغَنَاءُ دَاخِلٌ فِي الشَّرَى . وَهَذَا يَدُلُّ
 عَلَى أَنَّ مُعْظَمَ الْمَدَارِ فِي الْبَلَاغَةِ عَلَى تَحْسِينِ اللَّفْظِ لِأَنَّ الْمَعَانِي إِذَا
 دَخَلَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ هَذَا الضَّرْبُ مِنَ الدُّخُولِ وَكَانَتْ الْأَلْفَاظُ
 مُخْتَارَةً حَسَنَ الْكَلَامِ . وَإِذَا كَانَتْ الْمَعَانِي مُرْتَبَةً حَسَنَةً وَالْمَعَارِضُ
 سَيِّئَةً كَانَ الْكَلَامُ مَرْدُودًا فَأَعْتَدَ عَلَى مَا مَثَلَتْهُ لَكَ وَقَسَّ عَلَيْهِ

المبحث الثامن

في مواقع الاطناب

(من المثل السائر لابن الاثير باختصار وتصرف)

هَذَا النَّوعُ مِنَ الْكَلَامِ أُنْعِمْتُ تَطَرِّي فِيهِ وَفِي التَّكْرِيرِ
 وَفِي التَّطْوِيلِ فَلَمْ أَكُنْ حَيْزَةً الشَّيْءِ بَيْنَهُمَا طَوِيلًا . ثُمَّ وَجَدْتُ أَنَّ
 ضَرْبَ مُفْرَدٍ بِرَأْسِهِ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ . لِأَنَّ مِنَ التَّأْكِيدِ مَا
 يَتَعَلَّقُ بِالتَّفْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ كَمَا مَرَّ وَهَذَا الضَّرْبُ الَّذِي هُوَ الْإِطْنَابُ
 لَيْسَ كَذَلِكَ . وَرَأَيْتُ عُلَمَاءَ أَلْبَيَانٍ قَدْ اخْتَلَفُوا فِيهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَحَقَّهُ
 بِالتَّطْوِيلِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْإِيجَازِ وَهُوَ عِنْدَهُ قِسْمٌ غَيْرُهُ فَآخِطًا مِنْ
 حَيْثُ لَا يَذَرِي كَأَيِّ هِلَالٍ الْعُسْكِرِي وَالْعَلَاغِي حَتَّى آتَاهُ قَالَ :
 إِنْ كُتِبَ الْفُتُوحُ وَمَا جَرَى تَجَرَّاهَا مِمَّا يُقْرَأُ عَلَى عَوَامِ النَّاسِ يَنْبَغِي
 أَنْ تَكُونَ مُطَوَّلَةً مُطْنَبًا فِيهَا . وَهَذَا الْقَوْلُ فَاسِدٌ لِأَنَّهُ إِنْ عَنَى

بذلك أنها تكون ذات معانٍ متعدّدة قد استقصي فيها شرح تلك
الحادثة من فتح أو غيره فذلك مسلم . وإن عني بذلك أنها
تكون مكررة المعاني مطوّلة الألفاظ قصداً لفهام العامة فهذا
غير مسلم . وهو إما لا يذهب إليه من عنده أدنى معرفة يعلم
الفصاحة والبلاغة . وعلى هذا فينبغي أن تكون الكتب جميعها إما
يُشرأ على عوام الناس وخواصهم ذات ألفاظ سهلة مفهومة . وكذلك
الأشعار والخطب ومن ذهب إلى غير ذلك فأنه بجوّة عن هذا
الفن . وعلى هذا فإن الأطناب لا يختص به عوام الناس وإنما هو
لخواص كما هو للعوام . وسأيت حقيقة وأحقّ القول فيه بحيث
تروى الشبهة التي خبط أرباب علم البيان من أجلها وقالوا أقوالاً
لا تغرب عن فائدة . والذي عندي فيه : أنه إذا رجعنا إلى الأسماء
واشتقاقها وجدنا هذا الاسم مناسباً لسماءه وهو في أصل اللغة
: أخوذ (من أظن في الشيء) إذا بالغ فيه . ويقال : أظنبت الريح
إذا اشتدت في هبوبها . وأظنبت في السير إذا اشتد فيه . وعلى
هذا فإن حملناه على مقتضى سماءه كان معناه المبالغة في إيراد
المعاني . وهذا لا يختص بسوء واحد من أنواع علم البيان وإنما
يوجد فيها جميعاً إذ ما من نوع منها إلا ويمكن المبالغة فيه . وإذا
كان الأمر كذلك فينبغي أن يفرد هذا النوع من بينها ولا يفتق
إفراده إلا بذكر حده الدال على حقيقته . والذي يحده به أن
يقال : هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة فهذا حده الذي يميزه

عَنِ التَّطْوِيلِ إِذِ التَّطْوِيلُ هُوَ زِيَادَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى لِغَيْرِ فَائِدَةٍ .
وَأَمَّا التَّكْرِيرُ فَإِنَّهُ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى مُرَدِّدًا كَقَوْلِكَ لَنْ
تَسْتَدْعِيهِ : أَسْرِعْ أَسْرِعْ . فَإِنَّ الْمَعْنَى مُرَدِّدٌ وَاللَّفْظُ وَاحِدٌ . وَالتَّكْرِيرُ
جُزْءٌ مِنَ الْإِطْنَابِ وَهُوَ أَحْصَى مِنْهُ قِيلَ حِينَئِذٍ : إِنْ كُلَّ تَكْرِيرٍ
يَأْتِي لِفَائِدَةٍ فَهُوَ إِطْنَابٌ وَلَيْسَ كُلُّ إِطْنَابٍ تَكْرِيرًا يَأْتِي لِفَائِدَةٍ .
وَأَمَّا الَّذِي يَأْتِي مِنَ التَّكْرِيرِ لِغَيْرِ فَائِدَةٍ فَهُوَ جُزْءٌ مِنَ التَّطْوِيلِ وَهُوَ
أَحْصَى مِنْهُ . قِيلَ حِينَئِذٍ : إِنْ كُلَّ تَكْرِيرٍ يَأْتِي لِغَيْرِ فَائِدَةٍ تَطْوِيلٌ
وَلَيْسَ كُلُّ تَطْوِيلٍ تَكْرِيرًا يَأْتِي لِغَيْرِ فَائِدَةٍ . وَكُنْتُ قَدَّمْتُ الْقَوْلَ
فِي بَابِ الْإِيحَازِ بِأَنَّ الْإِيحَازَ هُوَ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى مِنْ غَيْرِ
زِيَادَةٍ عَلَيْهِ . وَإِذَا تَقَرَّرَتْ هَذِهِ الْخُذُودُ الثَّلَاثَةُ الْمُشَارُ إِلَيْهَا فَإِنَّ
مِثَالَ الْإِيحَازِ وَالْإِطْنَابِ وَالتَّطْوِيلِ . مِثَالُ مَقْصِدِ يُسَلِّكُ إِلَيْهِ فِي
ثَلَاثَةِ طُرُقٍ : فَالْإِيحَازُ هُوَ أَقْرَبُ الطَّرِيقِ الثَّلَاثَةِ إِلَيْهِ وَالْإِطْنَابُ
وَالتَّطْوِيلُ هُمَا الطَّرِيقَانِ الْمُسَاوِيَانِ فِي الْبُعْدِ إِلَيْهِ . إِلَّا أَنَّ طَرِيقَ
الْإِطْنَابِ تَشْتَمِلُ عَلَى مَذْهَبٍ مِنَ الْمَسَازِهِ لَا يُوْجَدُ فِي طَرِيقِ التَّطْوِيلِ
وَالْإِطْنَابُ يُجَدُّ ثَلَاثَةً فِي الْجُمْلَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْكَلَامِ وَيُوْجَدُ ثَلَاثَةً
فِي الْجُمْلَةِ الْمُتَعَدِّدَةِ وَالَّذِي يُوْجَدُ فِي أَجْمَلِ الْمُتَعَدِّدَةِ أَبْلَغُ لِاتِّسَاعِ
الْجَمَالِ . وَعَلَى هَذَا فَإِنَّهُ بِجُمْلَتِهِ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : (الْقِسْمُ الْأَوَّلُ)
الَّذِي يُوْجَدُ فِي الْجُمْلَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْكَلَامِ وَهُوَ يَرِدُ حَقِيقَةً وَبَحْثًا .
أَمَّا (الْحَقِيقَةُ) فَيُثَلُّ قَوْلُهُمْ : رَأَيْتُهُ بَعِيْنِي وَمَبْصُتُهُ بِيَدِي وَطُطْتُهُ
بِقَدَمِي وَذُقْتُهُ بِفَمِي . وَكُلُّ هَذَا يَطْنُ الطَّنُ أَنَّهُ زِيَادَةٌ لَا حَاجَةَ

إِلَيْهَا وَيَقُولُ : إِنَّ الرُّؤْيَا لَا تَكُونُ إِلَّا بِالْعَيْنِ وَالتَّقْبِضُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْيَدِ وَالْوُطْءُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْقَدَمِ وَالذَّوْقُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْفَمِ .
وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ بَلْ هَذَا يُقَالُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَعْظُمُ مِثْلُهُ وَيَعِزُّ
أَلْوُضُولُ إِلَيْهِ فَيُؤَكِّدُ الْأَمْرَ فِيهِ عَلَى هَذَا أَلَوْجِهٍ دَلَالَةٌ عَلَى نَيْلِهِ
وَالْخُصُولِ عَلَيْهِ . وَأَمَّا مَا جَاءَ مِنْهُ (عَلَى سَبِيلِ الْحِجَازِ) فَقَوْلُهُ : فَإِنَّهَا
لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ . فَقَائِدَةٌ
ذِكْرِ الصُّدُورِ هُهَا أَنَّهُ قَدْ تُعْرَفُ وَعِلْمُ أَنَّ الْعَمَى عَلَى الْحَقِيقَةِ
مَكَانُهُ الْأَبْصَرُ وَهُوَ أَنْ تُصَابَ الْحَدَقَةُ بِمَا يَطْمِسُ نُورَهَا . وَاسْتِعْمَالُهُ
فِي الْقَلْبِ تَشْبِيهُ وَمَثَلٌ فَلَمَّا أُرِيدَ اثْبَاتُ مَا هُوَ خِلَافُ التَّعَرُّفِ
مِنْ نِسْبَةِ الْعَمَى إِلَى الْقُلُوبِ حَقِيقَةً وَتَقْيُّهُ عَنِ الْأَبْصَارِ أَحْتَاجَ هَذَا
الْأَمْرَ إِلَى زِيَادَةِ تَصْوِيرٍ وَتَعْرِيفٍ لِيَتَقَرَّرَ أَنَّ مَكَانَ الْعَمَى إِنَّمَا هُوَ
الْقُلُوبُ لَا الْأَبْصَارُ . وَهَذَا . وَضَعُ مِنْ عِلْمِ الْإِيمَانِ كَثِيرَةٌ مُحَاسِنَةٌ
وَأَفْرَدَةٌ لَطَائِفُهُ وَالْحِجَازُ فِيهِ أَحْسَنُ مِنَ الْحَقِيقَةِ لِمَكَانِ زِيَادَةِ التَّصْوِيرِ
فِي اثْبَاتِ وَضْفِ الْحَقِيقَةِ لِلْحِجَازِيِّ وَتَقْيُّهُ عَنِ الْحَقِيقَةِ . (وَهَذَا
الْقِسْمُ الثَّانِي) اَلْمُخْتَصُّ بِالْجَمَلِ فَإِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَى صُرُوبٍ أَرْبَعَةٍ :
(الْأَوَّلُ) مِنْهَا أَنْ يُذَكَّرَ الشَّيْءُ : فَيُرْتَقَى فِيهِ بِعَيْنِ مُتَدَاخِلَةٍ . إِلَّا
أَنَّ كُلَّ رَعْنَى يَخْتَصُّ بِجُصِيصَةٍ لَيْسَتْ لِلْآخِرِ . وَذَلِكَ كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :
قَطَعْتَ إِلَيَّ الزَّائِبِينَ هِبَانَهُ وَالثَّانِي مَأْمُورُ السَّحَابِ الْمُسَبَّلِ
مِنْ مَتْنِ مَشْهُورَةٍ وَصْنِيعَةٍ يَكْرُ وَاحْسَانٍ أَعْرَ مُحَجَّلِ
فَقَوْلُهُ : (وَتَنِي مَشْهُورَةٍ وَصْنِيعَةٍ يَكْرُ وَاحْسَانٍ أَعْرَ مُحَجَّلِ)

تَدَاخَلَتْ مَعَانِيهِ إِذِ الْمِنَّةُ وَالصَّنِيعَةُ وَالْإِحْسَانُ مُتَقَارِبٌ نَعَضُهُ مِنْ
بَعْضٍ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِتَكْرِيرٍ لِأَنَّهُ لَوْ اقْتَصَرَ عَلَى قَوْلِهِ : مِنَّةٌ وَصَنِيعَةٌ
وَرِاحِسَانٌ لَجَازَ أَنْ يَكُونَ تَكْرِيرًا . وَلَكِنَّهُ وَصَفَ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ
هَذِهِ الثَّلَاثِ بِصِفَةٍ أَخْرَجَتْهَا عَنْ حُكْمِ التَّكْرِيرِ فَقَالَ : (وَنَّةٌ
مَشْهُورَةٌ) فَوَصَفَهَا بِالْإِشْتِهَارِ لِعَظَمِ شَأْنِهَا . (وَصَنِيعَةٌ بِكُرٍ) فَوَصَفَهَا
بِالْبَكَارَةِ أَيْ أَنَّهُ لَمْ يُوْتِ بِمِثْلِهَا مِنْ قَبْلُ . (وَرِاحِسَانٌ أَغْرُ مُجْمَلٌ)
فَوَصَفَهُ بِالْعُرَّةِ وَالتَّجْمِيلِ أَيْ هُوَ ذُو مُحَاسِنٍ مُتَعَدِّدَةٍ . فَلَمَّا وَصَفَ
هَذِهِ الْمَعَانِيَ الَّتِي تَدَاخَلَتْ أَلَّتِي تَدُلُّ عَلَى تَبَيُّنٍ وَاحِدٍ بِأَوْصَافٍ مُتَبَايِنَةٍ
صَارَ ذَلِكَ إِظْهَارًا وَلَمْ يَكُنْ تَكْرِيرًا . وَلَمْ أَجِدْ فِي ضَرْبِ الْأَطْبَابِ
أَحْسَنَ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ وَلَا الْأَلْفِ . وَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ أَبُو نَعَامٍ فِي
شِعْرِهِ كَثِيرًا بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ كَقَوْلِهِ :

ذِكِّي سَجَايَاهُ تُضِيفُ ضِيُوفَهُ وَيُرْجِي مَرْجِيَهُ وَيُسَالُ سَائِلُهُ
فَإِنَّ غَرَضَهُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ إِنَّمَا هُوَ ذِكْرُ الْمَدْحِ بِالْكَرَمِ
وَكَثْرَةِ الْعَطَاءِ إِلَّا أَنَّهُ وَصَفَهُ بِصِفَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ فَجَعَلَ ضِيُوفَهُ تُضِيفُ
وَرَاجِيَهُ يُرْجِي وَسَائِلُهُ يُسَالُ . وَلَيْسَ هَذَا تَكْرِيرًا لِأَنَّهُ لَا يُلْزَمُ مَنْ
كَوَّنَ ضِيُوفَهُ تُضِيفُ أَنْ يَكُونَ رَاجِيَهُ مَرْجُوًّا وَلَا أَنْ يَكُونَ سَائِلُهُ
مَسْئُولًا لِأَنَّ ضَيْفَهُ يَسْتَضِجِبُ ضَيْفًا طَمَعًا فِي كَرَمِ مُضِيفِهِ وَسَائِلُهُ يُسَالُ
أَنْ يُعْطِيَ السَّائِلَ عَطَاءً كَثِيرًا يَصِيرُ بِهِ مُعْطِيًا . وَرَاجِيَهُ يُرْجِي أَيْ أَنَّهُ
إِذَا تَعَلَّقَ بِهِ رَجَاءً رَاجٍ فَقَدْ آيَقَنَ بِالْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ فَهُوَ حَقِيقٌ بِأَنْ
يُرْجَى لِمَكَانِ رَجَائِهِ إِيَّاهُ . وَهَذَا أَلْبَغُ الْأَوْصَافِ الثَّلَاثَةِ . (الصَّرْبُ

الثَّانِي (يُسَمَّى النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتَ وَهُوَ أَنْ يُذْكَرَ الشَّيْءُ عَلَى سَبِيلِ
النَّفْيِ ثُمَّ يُذْكَرَ عَلَى سَبِيلِ الْإِثْبَاتِ أَوْ بِالْعَكْسِ . وَلَا بُدَّ أَنْ
يَكُونَ فِي أَحَدِهِمَا زِيَادَةٌ لَيْسَتْ فِي الْآخَرِ وَالْإِثْبَاتُ كَانَ تَكْرِيرًا .
وَالْعَرَضُ بِهِ تَأْكِيدُ ذَلِكَ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ . فِيمَا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُهُ :
لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ . إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ . وَاعْلَمْ أَنَّ
لِهَذَا الضَّرْبِ مِنَ الْأَطْنَابِ فائدةً كَبِيرَةً وَهُوَ أَزْكَدُ وَجُوهٌ آلَا
تَرَى أَنَّهُ قَالَ : لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ
يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ . ثُمَّ قَالَ : إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . وَالْمَعْنَى فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ إِلَّا أَنَّهُ زَادَ فِي الثَّانِيَةِ
قَوْلُهُ : وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ . وَلَوْلَا هَذِهِ
الزِّيَادَةُ لَكَانَ حُكْمُ هَذَيْنِ الْقَوَائِنِ حُكْمَ التَّكْرِيرِ . وَهَذَا الْمَوْضِعُ
يَنْبَغِي أَنْ يُتَأَمَّلَ وَيُنْعَمَ النَّظَرُ فِيهِ . (الضَّرْبُ الثَّلَاثُ) هُوَ أَنْ
يُذْكَرَ الْمَعْنَى الْوَاحِدُ تَامًّا لَا يَحْتَاجُ إِلَى زِيَادَةٍ ثُمَّ يُضْرَبَ لَهُ مِثَالٌ
مِنَ الشَّيْءِ . كَقَوْلِ الْبُخَّارِيِّ :

تَرَدَّدَ فِي خُلُقِي سُوءِدِي سَلَامًا مُرْجِي وَبَأْسًا مَهِيَا
فَكَالسَيْفِ إِنْ جِئْتُهُ صَارِحًا وَكَالْبَجْرِ إِنْ جِئْتُهُ مُسْتَكْبِيَا
فَالْبَيْتُ الثَّانِي يَدُلُّ عَلَى الْأَوَّلِ لِأَنَّ الْبَجَرَ وَالسَيْفَ لِلْبَأْسِ
الْمُهَيَّبِ إِلَّا أَنَّ فِي الثَّانِي زِيَادَةَ الشَّيْءِ الَّتِي تُفِيدُ تَحْيِيلًا وَتَصْوِيرًا .

(الصَّرْبُ الرَّابِعُ) أَنْ يَسْتَوْفِي مَعَانِيَ الْفَرْصِ الْمَقْصُودِ مِنْ كِتَابٍ
 أَوْ خُطْبَةٍ أَوْ قَصِيدَةٍ . وَهَذَا أَصَبُ الصُّرُوبِ الْأَرْبَعَةِ طَرِيقًا أَوْ
 أَضْيَقَهَا بَابًا لِأَنَّهُ يَتَفَرَّغُ إِلَى أَسَالِيبَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْمَعَانِي وَآرَبَابِ
 النَّظْمِ وَالنَّثْرِ يَتَفَاوَتُونَ فِيهِ وَلَيْسَ الْخَاطِرُ الَّذِي يَقْذِفُ بِالذَّرْرِ فِي
 مِثْلِهِ إِلَّا مَعْدُومُ الْوُجُودِ وَمِثَالُهُ وَمِثَالُ الْإِيْجَازِ مِثَالُ مُجْمَلٍ وَمُقْصَلٍ .
 وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ بِأَنَّ الْإِيْجَازَ وَالْإِطْنَابَ وَالْتَّطْوِيلَ بِمِثَالِهِ مَقْصِدٌ
 يُسْلِكُ إِلَيْهِ بِثَلَاثَةِ طُرُقٍ : وَقَدْ أوردتُ ههنا مِثَالًا لِهَذِهِ الْأَسَالِيبِ
 الثَّلَاثَةِ وَجَعَلْتُهَا عَلَى هَيْئَةِ الْمَقْصِدِ الَّذِي تُسْلِكُ إِلَيْهِ الطُّرُقُ الثَّلَاثَةُ ...
 فَأَقُولُ : قَدْ وَرَدَ فِي بَابِ الْإِيْجَازِ كِتَابُ كُتُبَةِ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ
 إِلَى الْمَأْمُونِ يُخْبِرُهُ بِهَزِيمَةِ عَيْسَى بْنِ مَاهَانَ وَقَتْلِهِ إِيَّاهُ وَهُوَ : كِتَابِي
 إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَأْسُ عَيْسَى بْنِ مَاهَانَ بَيْنَ يَدَيَّ وَخَاتَمُهُ فِي يَدِي
 وَعَسْكَرُهُ مُصَرَّفٌ تَحْتَ أَمْرِي وَالسَّلَامُ . وَهَذَا كِتَابٌ جَامِعٌ لِلْمَعْنَى
 شَدِيدُ الْإِخْتِصَارِ . وَإِذَا كُتِبَ مَا هُوَ مَعْنَاهُ عَلَى وَجْهِ الْإِطْنَابِ قِيلَ
 فِيهِ مَا أَذْكُرُهُ وَهُوَ مَا أَنْشَأْتُهُ مِثَالًا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لِيُعْلَمَ بِهِ
 الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِيْجَازِ وَالْإِطْنَابِ وَهُوَ : أَصْدَرَ كِتَابَهُ هَذَا وَقَدْ نُصِرَ
 بِالْفَتْنَةِ الْقَلِيلَةِ عَلَى الْفَتْنَةِ الْكَثِيرَةِ وَأَنْقَلَبَ بِالْيَدِ الْأَمْلَى وَالْعَيْنِ
 الْقَرِيرَةِ وَكَانَ أَنْتِصَارُهُ بِجِدِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَا بِجِدِّ نَصْلِهِ وَاجْدُ اغْنَى
 مِنْ الْخَيْشِ . وَإِنْ كَثُرَتْ أَمْدَادُ خَيْلِهِ وَرَجُلِهِ وَجِيءَ بِرَأْسِ عَيْسَى بْنِ
 مَاهَانَ وَهُوَ عَلَى جَسَدٍ غَيْرِ جَسَدِهِ وَلَيْسَ لَهُ قَدَمٌ فَيَقَالُ إِنَّهُ يَسْعَى
 بِقَدَمِهِ . وَلَا يَدٌ فَيَقَالُ إِنَّهُ يَبْطِشُ بِيَدِهِ . وَلَقَدْ طَالَ وَطُولُهُ

مُؤَذَّنٌ يَقْصِرُ شَأْنَهُ وَحَسَدَتِ الصَّبَاغُ الطَّيْرَ عَلَى مَكَانِهَا مِنْهُ وَهُوَ غَيْرُ
مَحْشُودٍ عَلَى مَكَانِهِ . وَاحْضَرِ خَاتَمَهُ وَهُوَ الْخَاتَمُ الَّذِي كَانَ الْأَمْرُ يُجْرَى
عَلَى نَفْسِ أَسْطُرِهِ . وَكَانَ يَرْجُو أَنْ يُصَدِّرَ كِتَابَ الْفَتْحِ بِحُجَّتِهِ فَحَالَ وَرُودُ
الْأَنْبِيَاءِ دُونَ مَصْدَرِهِ . وَكَذَلِكَ الْبَغْيُ رَتْعُهُ وَيَيْلُ . وَهَضْرَعُهُ جَلِيلُ
وَسَيْفُهُ وَإِنْ مَضَى فَلَانُهُ عِنْدَ الصَّرْبِ كَلِيلُ . وَالْعَسَاكِرُ آتِي
كَانَتْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَرًّا صَارَتْ لَهُ سَلَامًا وَأَعْطَتْهُ الْبَيْعَةَ عِلْمًا
بِفَضْلِهِ وَلَيْسَ مَنْ تَابَعَ تَقْلِيدًا كَمَنْ هُوَ تَابِعٌ عِلْمًا . وَهُمْ الْآنَ مُصْرَفُونَ
تَحْتَ الْأَوَامِرِ مُنْجَحُونَ بِكُشْفِ السَّرَائِرِ مُطِيعُونَ بِالْإِوَاءِ الَّذِي خَصَّهُ اللَّهُ
بِالْمُنْتَفَاحِ الْقَائِلِ وَأَسْتَطَاءَ الْتَائِبِ وَعَلَى اللَّهِ ائْتَامُ الْبَيْعِ الَّتِي أَفْتَحَهَا وَاجَابَةُ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُقَرَّرَاتِهِ الَّتِي أَوْتَرَحَهَا وَالسَّلَامُ . وَهَذَا الْكِتَابُ
يَشْتَمِلُ عَلَى مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ كِتَابُ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ مِنَ الْغَنَى إِلَّا أَنَّهُ
فَصَّلَ ذَلِكَ الْإِجْمَالَ . وَلَوْ كَتَبْتُ عَلَى وَجْهِ التَّطْوِيلِ الَّذِي لَا فَائِدَةَ فِيهِ
أَقِيلُ : أَصْدَرَ كِتَابَهُ فِي يَوْمٍ كَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا وَأَلْتَقَى عَسْكَرَ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ وَعَسْكَرَ عَدُوِّ الْبَغْيِ . وَتَطَاعَنَ الْقَرِيقَانِ وَتَرَاحَفَ الْجَمْعَانِ .
وَحِمَى الْقِتَالُ وَاشْتَدَّ الْإِزَالُ . وَتَرَادَفَتِ الْكُتَابُ وَتَلَاخَقَتِ الْمَقَابِ .
وَقُتِلَ عَيْسَى بْنُ مَاهَانَ وَأَحْتَرَّ رَأْسُهُ وَثُرِعَ الْخَاتَمُ مِنْ يَدِهِ وَخُلِعَ وَثُرِكَ
جَسَدُهُ طَعَامًا لِلطُّيُورِ وَالسَّبَاعِ وَاللِّدْنَابِ وَالصَّبَاغِ . وَأَنْجَلَتْ الْوَقْعَةُ عَنْ
غَلَبِ الْحَلِيفَةِ وَصَرِهِ وَخَذْلَانِ عَدُوِّهِ وَقَهْرِهِ وَالسَّلَامُ . فَهَذَا الْكِتَابُ
يَشْتَمِلُ عَلَى تَطْوِيلٍ لَا فَائِدَةَ فِيهِ لِأَنَّهُ كَرَّرَ فِيهِ مَا بَيَّنَّ الْغَرَضُ بِدُونِهَا .
فَأَنْظُرْ إِلَى هَذِهِ الْكُتُبِ الثَّلَاثَةِ وَتَأَمَّلْهَا وَقَسِّمْ لَهَا مَا يَأْتِي مِنْهَا

الفصل السابع

في البديع

البحث الاول

في حقيقة علم البديع

(عن ابن حابر الاندلسي والحاج خلفا)

(راجع صفحة ٦٦ من علم الادب)

الْبَدِيعُ مَا أُخُوذُ مِنْ بَدَعِ الشَّيْءِ يَبْدَعُهُ بَدْعًا إِذَا أَنْشَأَهُ وَبَدَأَهُ .
وَيُقَالُ أَتَبَدَعَ الشَّيْءُ إِذَا اخْتَرَعَهُ مِنْ غَيْرِ مِثَالٍ . وَالْبَدِيعُ يُطْلَقُ
بِإِرَاءِ مَعَانٍ يُقَالُ هَذَا بَدِيعٌ أَيْ مُخَدَّثٌ غَيْبٌ فَيَكُونُ فِي صِغَةِ
الْمَفْعُولِ وَيَكُونُ أَيْضًا مِنْ صِغَةِ الْفَاعِلِ . وَمِنْهُ الْبَدِيعُ فِي أَنْمَاءِ اللَّهِ
تَعَالَى لِإِبْدَاعِهِ أَشْيَاءَ وَاحِدَاتٍ إِيَّاهَا مِنْ غَيْرِ مِثَالٍ . وَالْبَدِيعُ أَيْضًا
أَجْدِيدٌ يُقَالُ : سِقَاءُ بَدِيعٍ وَحَبْلٌ بَدِيعٌ أَيْ جَدِيدَانِ . وَيُقَالُ : أَبَدَعَ
الشَّاعِرُ إِذَا صَنَعَ الْبَدِيعَ فِي شِعْرِهِ . وَأَمَّا الْبَدِيعُ أَصْطِلَاحًا فَهُوَ عِلْمٌ
يُعْرَفُ بِهِ وُجُوهُ تَحْسِينِ الْكَلَامِ الْمُنَاطِقُ لِمُقْتَضَى الْحَالِ الْمَعْلُومَةِ
كَيْفِيَّةِ طَرَقِهِ فِي الدَّلَالَةِ وَضُوحًا وَخَفَاءً . وَقَوْلُهُ : (عِلْمٌ) جُنْسٌ دَخَلَ
تَحْتَهُ كُلُّ عِلْمٍ . وَقَوْلُهُ : (يُعْرَفُ بِهِ وَجُوهُ تَحْسِينِ الْكَلَامِ) فَضْلٌ
أَخْرَجَ بِهِ الْعُلُومَ كُلَّهَا مَا عَدَا عِلْمَ الْغَايَةِ وَالْيَقِينِ وَمَا تَرَكَّبَ مِنْهَا
لِأَنَّ غَيْرَهُمَا مِنَ الْعُلُومِ لَا يُعْرَفُ بِهِ وَجُوهُ تَحْسِينِ الْكَلَامِ . وَقَوْلُهُ :

(الطابقُ الْمُقْتَضَى الْحَالِ) فَضْلُ أَخْرَجَ بِهِ الْعِلْمَ بِوُجُوهٍ تَحْسِينِ
 الْكَلَامِ الَّذِي لَمْ يُطَابِقْ مُقْتَضَى الْحَالِ فَإِنَّ هَذَا لَا يُسَمَّى بَدِيعًا .
 وَقَوْلُهُ: (الْمَعْلُومَةُ كَيْفِيَّةٌ طَرَفُهُ إِلَى آخِرِهِ) فَضْلُ أَخْرَجَ بِهِ الْعِلْمَ بِوُجُوهٍ
 تَحْسِينِ الْكَلَامِ الَّذِي يُطَابِقُ مُقْتَضَى الْحَالِ وَلَمْ يَذْكُرْ كَيْفِيَّاتِ
 طَرَفٍ دَلَالَتِهِ فَإِنَّ هَذَا لَا يُسَمَّى بَدِيعًا . فَتَحْصَلُ مِنْ هَذَا الْحَدِّ أَنَّ
 الْعِلْمَ بِوُجُوهٍ تَحْسِينِ الْكَلَامِ لَا يُسَمَّى بَدِيعًا إِلَّا بِشَرَطَيْنِ : أَنْ
 يَكُونَ ذَلِكَ الْكَلَامُ مُطَابِقًا لِمُقْتَضَى الْحَالِ . وَأَنْ تَكُونَ كَيْفِيَّاتُ
 طَرَفٍ دَلَالَتِهِ مَعْنُومَةً الْوُضُوحِ وَالْخَفَاءِ . فَالشَّرْطُ الْأَوَّلُ هُوَ عِلْمُ أَلْمَعَانِي .
 وَالشَّرْطُ الثَّانِي هُوَ عِلْمُ أَلْيَكَانِ فَإِنْ عَدِمَ الشَّرْطَانِ أَوْ أَحَدَهُمَا مِنْ
 الْكَلَامِ لَمْ يَكُنِ الْعِلْمُ بِوُجُوهٍ تَحْسِينِ ذَلِكَ الْكَلَامِ بَدِيعًا . أَمَّا
 (مَرْتَبَةٌ) هَذَا الْعِلْمِ فَبَعْدَ مَرْتَبَةِ عِلْمِي أَلْمَعَانِي وَأَلْيَكَانِ حَتَّى إِنْ
 بَعْضُهُمْ لَمْ يَجْعَلْهُ عِلْمًا عَلَى حِدَةٍ فَتَأَمَّلْ . وَظَهَرَ مِنْ هَذَا وَضُوعُهُ
 وَغَرَضُهُ وَغَايَتُهُ . وَأَمَّا مَنْفَعَتُهُ فَلَا ظَهَرَ رَوِّقِ الْكَلَامِ حَتَّى يَلِجَ
 الْأَذْنَ بِغَيْرِ أَدَى وَيَتَعَاقَبَ بِالْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ كَدٍّ وَإِنَّمَا دَوَّنُوا هَذَا الْعِلْمَ
 لِأَنَّ الْأَصْلَ وَإِنْ كَانَ الْحُسْنُ الذَّائِقِيَّ وَكَانَ أَلْمَعَانِي وَأَلْيَكَانِ يَمَّا
 يَكُنِّي فِي تَحْصِيلِهِ لَكِنَّهُمْ ائْتَمَنُوا بِشَأْنِ الْحُسْنِ الْعَرَضِيِّ أَيْضًا لِأَنَّ
 الْحُسْنَ إِذَا عَرِيَ مِنَ الْمَزِينَاتِ رَبَّمَا يَذْهَلُ بَعْضُ الْقَاصِرِينَ عَنْ تَتَبُّعِ
 مَحَاسِنِهِ فَيَقُوتُ التَّمَتُّعُ بِهِ

البحث الثاني

في ان البديع احد علوم الادب الستة

(عن بديعية العميان)

وَذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا تَطَرَّتْ فِي الْكَلَامِ الْعَرَبِيَّ إِمَّا أَنْ تَبْتَغِ
عَنِ الْمَعْنَى الَّذِي وَضَعَ لَهُ اللَّفْظُ وَهُوَ عِلْمُ اللَّغَةِ . وَإِمَّا أَنْ تَبْتَغِ
عَنْ ذَاتِ اللَّفْظِ بِحَسَبِ مَا يَعْتَرِيهِ مِنَ الْحَذْفِ وَالْقَلْبِ وَالْبَدَلِ وَغَيْرِ
ذَلِكَ وَهُوَ عِلْمُ التَّصْرِيفِ . وَإِمَّا أَنْ تَبْتَغِ عَنِ الْمَعْنَى الَّذِي يُفْهَمُ
مِنَ الْكَلَامِ الْمُرَكَّبِ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ أَوَاخِرِ الْكَلِمِ وَهُوَ عِلْمُ
الْعَرَبِيَّةِ . وَإِمَّا أَنْ تَبْتَغِ عَنْ مُطَابَقَةِ الْكَلَامِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ بِحَسَبِ
الْوَضْعِ اللَّغَوِيِّ وَهُوَ عِلْمُ الْمَعَانِي . وَإِمَّا أَنْ تَبْتَغِ عَنْ طُرُقِ دَلَالَةِ
الْكَلَامِ أَيْضًا وَخَفَاءَ بِحَسَبِ الدَّلَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ وَهُوَ عِلْمُ الْبَيَانِ .
وَإِمَّا أَنْ تَبْتَغِ عَنْ وَجْهِ تَحْسِينِ الْكَلَامِ وَهُوَ عِلْمُ الْبَدِيعِ . فَالْعُلُومُ
الثَّلَاثَةُ الْأُولَى لَا يُسْتَشْهَدُ عَلَيْهَا إِلَّا بِكَلَامِ الْعَرَبِ نَظْمًا وَنَثْرًا .
لِأَنَّ الْمُعْتَبَرَ فِيهَا الْفَاعِلُ . وَالْعُلُومُ الثَّلَاثَةُ الْآخِرَةُ يُسْتَشْهَدُ عَلَيْهَا
بِكَلَامِ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُؤَلِّدِينَ لِأَنَّهَا رَاجِعَةٌ إِلَى الْمَعْنَى وَلَا
فَرْقَ فِيهَا فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْمُؤَلِّدِينَ إِذْ هُوَ أَمْرٌ رَاجِعٌ إِلَى
الْعَقْلِ وَلِذَلِكَ قِيلَ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْفَنِّ الْأَسْتِشْهَادُ بِكَلَامِ الْفُجَّارِ
وَأَيِّ تَمَامٍ وَأَيِّ الطَّيِّبِ وَأَيِّ الْعَلَاءِ وَهَلُمَّ جَرًّا . (وَهَذَا تَنْبِيْهُ)
وَهُوَ أَنَّ أَنْوَاعَ الْبَدِيعِ فِي الْكَلَامِ كَالْعِلْمِ فِي الطَّعَامِ وَالْحَالِ

فِي الْوَجَنَاتِ وَالْشِّيَةِ فِي الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَاتِ . وَإِذَا كَثُرَ الْحُجُ فِي
الطَّعَامِ وَالْخَيْلَانُ فِي الْحَدِّ وَالْشِّيَةِ فِي الْخَيْلِ قُبِحَ ذَلِكَ وَخَرَجَ عَنْ
بَابِ الْإِسْتِحْسَانِ فَكَذَلِكَ الْبَدِيعُ إِذَا كَثُرَ وَتُكَلِّفَ تَجَهُ الطَّبَاعُ
وَرَأَى يُسْتَحْسَنُ إِذَا وَقَعَ فِي الْكَلَامِ سَهْلًا عَلَى الطَّبَاعِ مُسْتَعْدَبًا
فِي الْإِتِّمَاعِ عَارِيًا مِنَ التَّكَلُّفِ الَّذِي يَذْهَبُ بِالْحُسْنِ وَأَقْعًا مَوْقِعَ
الزَّهْرِ مِنَ الْغَضَنِ فَإِذَا فَرَطَ فِي الزِّيَادَةِ خَاطَبَتْهُ الطَّبَاعُ :
لَوْ اخْتَصَرْتُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ ذُرِّيَّتَكُمْ وَالْعَذْبُ يُهْجَرُ لِلْفَرَاطِ فِي الْخَصْرِ

البحث الثالث

في نسبة علم البديع الى علمي المعاني والبيان

(من شرح بديعة المعاني ايضاً)

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ مَا قَرَّرْتَاهُ مِنْ أَنَّ عِلْمَ الْمَعَانِي وَالْبَيَانَ دَاخِلَانِ فِي حَدِّ
الْبَدِيعِ عَلِمْتَ أَنَّ نِسْبَتَهُ إِلَيْهَا نِسْبَةُ الْمَرْكَبِ إِلَى مُفْرَدَاتِهِ إِذْ لَا يَدْخُلُ
فِي الْحَدِّ إِلَّا مَا هُوَ مِنْ مُفْرَدَاتِ التَّحْدِيدِ الَّتِي تَرْكَبُ مِنْهَا . فَكَمَا أَنَّ
الْمَرْكَبَ لَا يَسْتَقِيمُ وُجُودُهُ إِلَّا بِوُجُودِ مُفْرَدَاتِهِ كَذَلِكَ الْبَدِيعُ لَا يَسْتَقِيمُ
إِلَّا بِوُجُودِ الْمَعَانِي وَالْبَيَانَ فَإِذَا عُدِمَ الْمَعَانِي وَالْبَيَانَ مِنْ الْكَلَامِ عُدِمَ
الْبَدِيعُ مِنْهُ لِأَنَّ الْمَرْكَبَ يُعَدُّ بِعَدَمِ مُفْرَدَاتِهِ فَلَوْ وَجِدَ كَلَامٌ خَالٍ مِنْ
سَابِقَةٍ مُقْتَضَى الْحَالِ الَّذِي هُوَ عِلْمُ الْمَعَانِي أَوْ مِنْ الْعِلْمِ بِكَيْفِيَّةِ طَرُقِ
الدَّلَالَةِ فِي الظُّهُورِ وَالْخَفَاءِ الَّذِي هُوَ عِلْمُ الْبَيَانَ لَمْ يَكُنْ الْعِلْمُ بِوُجُودِهِ
تَحْسِينِ الْكَلَامِ بَدِيعًا . وَاعْلَمْ أَنَّ أَعَمَّ هَذِهِ الْفَنُونِ الثَّلَاثَةِ عِلْمُ

الْعَالِي وَاصْحَهَا عِلْمُ الْبَدِيعِ لِأَنَّهُ مُتَرَكِّبٌ مِنَ الْفَتَنِ الْآخَرِينَ
وَزِيَادَةٍ وَالْقَاعِدَةُ أَنَّ الْأَخْصَّ يَتَرَكَّبُ مِنَ الْأَعْمِ وَزِيَادَةٍ . وَعِلْمُ
الْيَبَانِ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَهُمَا فَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْعَالِي مُنْدَرِجٌ تَحْتَ الْبَدِيعِ
وَكُلُّ بَدِيعٍ مُسْتَلَزِمٌ لِلْعَالِي وَالْيَبَانِ لِأَنَّهُمَا جُزْءَاهُ . وَكُلُّ يَبَانٍ مُسْتَلَزِمٌ
لِلْعَالِي لِأَنَّهُ جُزْؤُهُ وَآيَاتِ الْعَالِي مُسْتَلَزِمَةٌ لِلْيَبَانِ وَلَا لِلْبَدِيعِ إِذْ
يُوجَدُ بَدُونِهِمَا وَذَلِكَ مِنْ كَلَامٍ طَائِفٍ مُقْتَضَى الْحَالِ وَلَمْ تُعْلَمْ كَيْفِيَّةُ
طُرُقِ دَلَالَتِهِ وَلَا وُجُوهُ تَحْسِينِهِ . وَلَا الْيَبَانُ مُسْتَلَزِمٌ لِلْبَدِيعِ إِذْ يُوجَدُ
بَدُونَهُ فِي كَلَامٍ طَائِفٍ مُقْتَضَى الْحَالِ وَعُلِمَتْ كَيْفِيَّةُ طُرُقِ دَلَالَتِهِ
وَوُجُوهُ تَحْسِينِهِ . وَإِذَا عَلِمْتَ مَا قَرَّرْنَاهُ فَالْعَالِي وَالْيَبَانُ بِالنِّسْبَةِ
إِلَى الْبَدِيعِ كَالْحَيَوَانِ وَالنُّطْقِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْإِنْسَانِ فَلَا يُوجَدُ الْبَدِيعُ
بَدُونِهِمَا كَمَا لَا يُوجَدُ الْإِنْسَانُ بَدُونِ الْحَيَاةِ . وَالنُّطْقُ وَالْعَالِي بِالنِّسْبَةِ
إِلَى الْيَبَانِ كَالْحَيَوَانِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النُّطْقِ فَسُجِدَ الْعَالِي بِمَا يَبَانُ
كَمَا يُوجَدُ الْحَيَوَانُ بِمَا يُنْطَقُ . وَلَا يُوجَدُ الْيَبَانُ بِمَا مَعَانٍ كَمَا لَا يُوجَدُ
النُّطْقُ بَدُونِ الْحَيَوَانِ . وَهَذَا بَسْطُ مَا يُوجَدُ فِي بَيَانِ هَذِهِ الْفَنُونِ
الثَّلَاثَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَانْفَرَقَ بَيْنَ الْعَالِي وَالْيَبَانِ أَنَّ الْعَالِي رَاجِعٌ
إِلَى مُطَابَقَةِ مُقْتَضَى الْحَالِ فِي الدَّلَالَةِ الْوَضِيعَةِ وَالْيَبَانُ رَاجِعٌ إِلَى
مُقْتَضَى الْحَالِ فِي الدَّلَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ . فَكَمَا أَنَّ الْبَدِيعَ لَا بُدَّ لَهُ فِي
الْعَالِي مِنْ مُطَابَقَةِ مُقْتَضَى الْحَالِ بِاعْتِبَارِ الدَّلَالَةِ الْوَضِيعَةِ . كَذَلِكَ
فِي الْيَبَانِ لَا بُدَّ لَهُ أَيْضًا مِنْ مُطَابَقَةِ الْحَالِ بِاعْتِبَارِ الدَّلَالَةِ الْعَقْلِيَّةِ
فَلَوْ قَالَ فِي الْعَالِي : (زَيْدٌ قَائِمٌ) وَالْحَالُ تَقْتَضِي (إِنْ زَيْدًا قَائِمٌ) . أَوْ

قَالَ : (إِنَّ زَيْدًا قَائِمٌ) وَآخَالُ تَقْتَضِي (زَيْدٌ قَائِمٌ) كَانَ خَطَأً .
كَذَلِكَ أَلْيَاسُ لَوْ قَالَ : (زَيْدٌ جَوَادٌ) وَآخَالُ تَقْتَضِي (زَيْدٌ كَثِيرُ
الرَّمَادِ) أَوْ قَالَ : (زَيْدٌ كَثِيرُ الرَّمَادِ) وَآخَالُ تَقْتَضِي (زَيْدٌ جَوَادٌ)
كَانَ خَطَأً

البحث الرابع

في اقسام البديع

(عن شرح بدعية العبيان)

إِعْلَمَ أَنَّ الْبَدِيعِيَّينَ نَصَّوْا عَلَى أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ أَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِأَيِّنَ :
بَابُ الْبَلَاغَةِ وَبَابُ الْفَصَاحَةِ . فَمَا كَانَ مِنْهُمَا مُتَعَلِّقًا بِالْمَعْنَى أَوْ بِالْمَعْنَى
وَاللَّفْظِ مَعًا فَهُوَ مِنْ بَابِ الْبَلَاغَةِ . وَمَا كَانَ مِنْهُمَا مُتَعَلِّقًا بِاللَّفْظِ
فَقَطْ فَهُوَ مِنْ بَابِ الْفَصَاحَةِ . فَهِيَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ : قِسْمٌ يَتَعَلَّقُ
بِالْمَعْنَى فَقَطْ كَالْتَّوْرِيَّةِ وَتَجَاهُلِ الْعَارِفِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُمَا يَمَّا لَا تَعَلُّقَ
لَهُ بِاللَّفْظِ . وَقِسْمٌ بِاللَّفْظِ فَقَطْ كَالْتَّجْنِيسِ وَرَدِّ التَّجْرِزِ عَلَى الصَّدْرِ
وَتَحْوِيلِهِمَا يَمَّا لَا تَعَلُّقَ لَهُ بِالْمَعْنَى . وَقِسْمٌ يَتَعَلَّقُ بِاللَّفْظِ وَالْمَعْنَى كَالطُّبَاقَةِ
وَاللُّقَابَةِ وَمَا أَشْبَهَهُمَا يَمَّا لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى فِيهِ حَظٌّ .
وَأَسْقَطَ صَاحِبُ الْإِيضَاحِ هَذَا الْقِسْمَ وَجَعَلَ الْبَدِيعَ قِسْمَيْنِ : قِسْمٌ
يَتَعَلَّقُ بِاللَّفْظِ وَقِسْمٌ يَتَعَلَّقُ بِالْمَعْنَى وَهُوَ الْآيِنُ



المبحث الخامس

في تاريخ علم البديع وفي اصحاب البديعات

(عن كشف الظنون باختصار وتصرف)

إِعْلَمَنَّ أَنَّ قُدَمَاءَ الْمُصَنِّفِينَ كَانُوا يَذْكُرُونَ هَذَا الْقَنْ فِي آخِرِ
عِلْمِهِ أَلَيَّانَ . إِلَّا أَنَّ الْمُتَأَخِّرِينَ زَادُوا عَلَيْهِ شَيْئًا كَثِيرًا وَظَنُّوا فِيهِ
قَصَائِدَ وَأَلْفُوا كُتُبًا . وَمِنَ الْكُتُبِ الْخُصَّصَةِ بِعِلْمِ الْبَدِيعِ كِتَابُ لَا بِي
أَلْعَاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ الْعَلْبَلِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٩٦ هـ (٩٠٩ م)
وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ فِيهِ . وَكَانَ جُمْلَةُ مَا جَمَعَ مِنْهَا سَبْعَةَ عَشَرَ نَوْعًا
أَلْفَهُ سَنَةَ ٢٧٤ هـ (٨٨٧ م) . وَعَاصِرُهُ قُدَامَةُ بْنُ جَعْفَرٍ الْكَاتِبُ
لَجَمْعِ مِنْهَا عَشْرِينَ نَوْعًا تَوَارَدَ مَعَهُ عَلَى سَبْعَةِ مِنْهَا فَتَكَامَلَ لَهَا
ثَلَاثُونَ نَوْعًا وَيُعْرَفُ كِتَابُهُ بِتَقْدِ الشَّعْرِ . أَمَّا السَّكَكِيُّ فَلَمْ
يَذْكُرْ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ سِوَى تِسْعَةٍ وَعَشْرِينَ نَوْعًا ثُمَّ أَقْتَدَى النَّاسُ
بِقُدَامَةَ وَابْنَ الْمُعْتَزِّ فَكَانَ غَايَةُ مَا جَمَعَ مِنْهَا أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ
أَلْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٩٥ هـ (١٠٠٥ م) سَبْعَةَ وَثَلَاثِينَ نَوْعًا وَيُعْرَفُ
كِتَابُهُ بِكِتَابِ الصَّنَاعَتَيْنِ . ثُمَّ جَمَعَ فِيهَا ابْنُ الرَّشِيقِ الْقُتَيْبِيُّ أَلْمُتَوَفَّى
سَنَةَ ٤٥٦ هـ (١٠٦٣ م) فِي الْعُنْدَةِ مِثْلَهَا وَأَصَافَ إِلَيْهَا خَمْسَةَ
وَسِتِّينَ بَابًا فِي أَحْوَالِ الشَّعْرِ وَأَغْرَاضِهِ . وَتَلَاهُمَا شَرَفُ الدِّينِ
أَلْتَيْفَانِيُّ فَبَلَّغَ بِهَا السَّبْعِينَ ثُمَّ تَصَدَّى لَهَا أَلْسَنُجُ رَكِّي الدِّينِ بْنِ أَبِي
أَلْأَضْبَعِ فَأَوْصَلَهَا إِلَى أَلتِّسْعِينَ وَأَصَافَ إِلَيْهَا مِنْ مُسْتَحْجَرَاتِهِ ثَلَاثِينَ
سَلَّمَ لَهُ مِنْهَا عَشْرُونَ . وَآخَرَى تِلْكَ الْأَنْوَاعِ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ

وَسَمَاهُ التَّخْرِيرَ وَهُوَ أَصْحَحُ كِتَابٍ صُنِفَ فِيهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَّكِلْ عَلَى التَّنْقُلِ
 ذُونَ التَّقْدِيرِ . وَذَكَرَ أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى أَرْبَعِينَ كِتَابًا فِي هَذَا الْعِلْمِ
 وَالْبَدِيعِيَّاتُ الْمَشْتَهَرَةُ هِيَ بَدِيعِيَّةُ الشَّيْخِ الْأَدِيبِ صَبِيِّ الدِّينِ الْحَلِيِّ
 سَمَّاَهَا كَافِيَةَ الْبَدِيعِيَّةِ وَشَرَحَهَا شَرْحًا حَسَنًا . حَدَا حَدْوَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ
 الرَّحْمَنِ الْحَمِيدِيُّ . وَبَدِيعِيَّةُ أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ الرَّعْنِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ
 ٥٧٧٩ هـ (١٣٧٧ م) وَهَذِهِ الْبَدِيعِيَّةُ تُعْرَفُ بِبَدِيعِيَّةِ الْعِمَّانِ . وَبَدِيعِيَّةُ
 الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ جَابِرٍ الْأَنْدَلُسِيِّ الْمُتَوَفَّى
 سَنَةَ ٥٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م) وَبَدِيعِيَّةُ الشَّيْخِ عَزْرِ الدِّينِ الْمَوْصِلِيِّ وَجِيهِ
 الدِّينِ الْأَيْمَنِ الْمُتَوَفَّى فِي حُدُودِ سَنَةِ ٨٠٠ هـ (١٣٩٨ م) وَبَدِيعِيَّةُ
 الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ بْنِ حِجَّةِ الْحَمَوِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٨٣٧ هـ (١٤٣٣ م)
 وَسَمَّاَهَا التَّقْدِيمَ تَشْتِمِلُ عَلَى مِئَةِ وَسِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ نَوْعًا ثُمَّ شَرَحَهَا شَرْحًا
 مُفِيدًا وَهُوَ مَجْمُوعُ آدَبٍ قَلَّ أَنْ يُوجَدَ فِي غَيْرِهِ . وَبَدِيعِيَّةُ الشَّيْخِ جَلَّالِ
 الدِّينِ السُّيُوطِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٩١١ هـ (١٥٠٠ م) وَتُسَمَّى نَظْمُ
 الْبَدِيعِ ثُمَّ شَرَحَهَا . وَبَدِيعِيَّةُ الْفَاضِلَةِ عَائِشَةَ الْبَاغُوتِيَّةِ نَظَّمَتْهَا عَلَى
 مِثَالِ قَصِيدَةِ الْحَمَوِيِّ مَعَ عَدَمِ تَسْمِيَةِ النَّوعِ . وَآتَى بَعْدَهَا الشَّيْخُ
 عَبْدُ الْعَزِيزِ النَّابُلَسِيُّ وَنَظَّمَ قَصِيدَتَيْنِ أَلْزَمَ بِأَحَدَاهُمَا تَسْمِيَةَ النَّوعِ

بديعة الخوري الفاضل ارسانيوس الفاخوري

مدح بها السيد المسيح ورساله الاطهار

وهي مشتملة على مائة وثمانين نوعاً مع التزام تسمية النوع

براعة المطاع

بَرَاةُ الْمَدْحِ فِي نَجْمِ ضِيَاءِ سَيِّ تَهْدِي بِمَطْلَعِهَا مَنْ عَنْ سَنَاهُ عَمِي

الجناس المطلق والمركب

تَطْلِيقُ هَمِّي بِتَرْكِيبِ الْمَدِيحِ لَهُ رُخٌ لِي إِلَيْهِ بِهِ رُحِي كَذَا هَمَمِي

الجناس المذيل

سَنَاهُ فِي الْكَوْنِ بَاهٍ بِأَهْرُ عَجَبٌ وَذَيْلُ الْكَوْنِ نُورَاهُ أَحَقُّ أَظْلَمِ

الجناس اللاحق

دَرْبُ الْهُدَى مَنْ بِهِ قَدْ سَارَ الْحَقُّ كَمْ حَايِرٌ بِأَيِّ بِالرُّشْدِ مِنْهُ رُمِي

الجناس التام والمطرف

أَتَمَّ بَدْرَ السَّمَاءِ وَضَبَّاحُهُ وَسَمَاءٌ فَإِنْ هَوَيْتُ بِهِ التَّطْرِيفَ لَمْ أَلَمْ

الجناس المصحف والمحرّف

أَرَاكَ تَضْيِيفُهُ ذِهْنًا أَرَاكَ تَحْرِيفَ قَوْلِ غَدَا فِي الْحُكْمِ وَالْحِكْمِ

الافتنان

فَاقَ أَفْنَانِي وَمَدَحِي فِي مَحَاسِنِهِ يَأْتَعَسُ عُمْرُ مَضَى بِالْمَدْحِ لَمْ يَقَمْ

المطابقة

فَلَمْ أَطَاقِ عَلَى بُعْدِ الْأَجَبَةِ بَلْ أَيْ أَطَاقِ فِي قُرْبِي لِحَذَرِهِمْ

سلامة الاختراع

سَلَامَتِي فِي اخْتِرَاعِي نَظْمَ قَافِيَةٍ أَرْجُو بِهَا الظَّمَّ فِي أَجْزَاءِ سِلْكِهِمْ

الاستعارة

إِلَيَّ اسْتَعَرْتُ جِيَادَ الدَّمْعِ فِي سَفَرِي جَرِيًّا وَرَاءَ مَتَابِرٍ فِي سَبِيلِهِمْ

الحناس المعنوي

وَعُدْتُ بِأَسْمِ ابْنِ رَعْدٍ مُحَمَّدٍ بِأَسْمِ أَبِي اسْتَحَقَّ يَا مَعْنَوِي فِي الْهَوَى يَوْمَ

الاستطراد

مُسْتَطَرِدًا فِي هَوَاهُمْ خَيْلٌ مُنْعَطَفِي كَاذِمُعِي قَدْ جَرَتْ شَوْقًا لِقُرْبِهِمْ

الاستخدام

سَقَى إِلَاهُ الْحَيَا خَيْلًا رَعْنَةً قَدْ آسَتْ تَحْدَمُهَا قَصْدًا إِذْ رَأَى لَوْضَاهُمْ

التخيير

بَرَبِّهِمْ قَدْ تَحَيَّرْتُ الْعَنَاءَ وَلَا مَ الْبَقَاءَ فِي سَعَةٍ فِي غَيْرِ رَبِّهِمْ

التذليل

أَذُهُ تَذْيِيلَ عَذَلٍ طَالَ مِنْكَ كَفَى يَا عَاذِلِي الْعَذَلُ مَذْمُومٌ مِنَ الْأَمَمِ

الايذاء

وَعِنْدَ إِيدَاعِهِ سَمْعِي مَلَأَتْهُ مَزَجْتُ دَهْمًا جَرَى مِنْ مُقَلَّةٍ بَدَمِ

الحناس اللطفي وحاس القلب

قَدْ ضَلَّ رَأْيًا يَطْعَنُ ظِلًّا يَلْفُظُهُ فَأَلْقَبْتُ مَا حَالَ مِنْ لَاحٍ عَنِ الذَّمِّ

الامتصاص

لَمْ يَكْتَفِ الْعَاذِلُ النَّمَامَ مِنْ حَيْلٍ فَكَمْ لِدَاكَ خَبَا لِلْعَاشِقِينَ كَيْفِي

التفويف

إِرْحَمْ وَدَعْ وَاتَّبِدْ وَاشْفَقْ وَلَنْ وَارِخْ قَوِّفْ وَوَشِّ وَجُدْ وَأَنْظِمْ وَوَقِّ وَهَمِّ

الملفق

أَبَى نَوَالِي بِالْتَلْفِيقِ مِنْهُ كَمَا أَبَانَ وَالِي وَجَدِ عَنْ وَلَا تِهَمِّ

الاستدراك

فَقَالَ مَكْرًا يُسْقِمُ أَنْتَ بَلْ شَغُلٌ قَعَلْتُ مُسْتَدْرِكًا لَكِنْ يَعْشِقُهُمْ

المنافضة

إِنِّي أَنَا قَضُ عَهْدِي لِلْمُحِبِّ إِذَا مَا شَبْتُ أَوْ عُدْتُ طِفْلًا بَعْدَ مَا هَرَمْتُ

حسن الاتباع

حُسْنُ اتِّبَاعِهِمْ قَلْبِي أَصْطَفَاهُ هَوَى فَا لَقَلْبُ عِنْدِي لِغَيْرِ الْعِشْقِ لَمْ يَقُمْ

تشابه الاطراف

تَشْبِيهُ أَطْرَافِ أَقْوَالِي سَمَا بِهِمْ بِهِمْ مَدِيحِي غَدَا فِي أَنْبَلِ الْحَكَمِ

السهولة

سُهُولَةُ النَّظْمِ تَحْلُو فِي مَدِيحِهِمْ لَا فِي مَدِيحِ الطَّبَا وَالْعِيَدِ لِلْحَمْدِ

الجناس الحالي او المعجم

نَبَذْتُ تَفْنِينَ تَشْيِبُ بِذِي شَعَفٍ يَفْتَنُ فِي غُجْجِ جَفْنِ جُنَّ بِالْعَجَمِ

التحكم

بِهِمْ رَأَى عِزَّهُ تَيَّهَا فَذَلَّ بِهِمْ تَهَكُّمًا قُلْتُ يَا بُشْرَاكَ بِالْسَدَمِ

المصاع في معرض المدح

بِمَعْرِضِ الْمَدْحِ قَدْ يَهْجُوكَ قَائِلُهُ مَا مِثْلُكُمْ بِأَحْتِمَالِ الضَّرِّ وَالرَّغْمِ

الابهام

كَمْ زَادَ ابْهَامُ نَفْخِي ذَا الْعُذُولِ وَكَمْ يَأَلَيْتُ ابْهَامَهُ فِي حَيْزِ الْعَدَمِ

الزراعة

تَرَهْتُ سَمْعِي بِحَقِّ عَنْ نَصَائِحِهِ إِذْ لَمْ أَرَأِ الْحَقَّ فِي قَوْلٍ وَلَا كَلِمِ

المعايرة

أَغَايِرُ النَّاسِ فِي حَيِّ لِيذِي عَذَلٍ مُسْتَطَقًا فَمَهْ حُبًّا لِذِكْرِهِمْ

الجناس الموصل

تَقْسِي لَهُمْ عَشِقَتْ حُبَّاهُمْ شَعِفَتْ فَحُبُّهُمْ صِلَةٌ تُنْقَى بِهَا غُصْمِي
الاستثناء

أَهْوَى الْخُطُوبَ بِلاَ اسْتِشْأَلِهِمْ إِلَّا مَلَامَ عَذُوبِي لِي لِأَجْلِهِمْ

الجناس المهل

كَلَّا إِلَالَهُ أَمْرًا رَامَ الْوَدَادَ لَهُ وَأَهْمَلَ الْوَدَّ لِلْأَسْوَاءِ وَالْحَرَمِ

الجناس الاخيف

أَحَلَّهُ خَيْفَ سَعْدٍ فِي لَوْا نُحْبِ كَمَا شَيْبَةَ عُمَرُ جَبَّةَ السَّلَمِ

الانفاذ

مِنْ مَرَمَرِ الرُّشْدِ خُذْ شَطْرًا يَشْطُرْ مَعَيْنِ اللَّهِ مُحِيْمًا لِلْغَرِّ تَقْتَمِمْ

الجناس القطع

وَأِنْ أَرَدْتَ دَوَاءَ زُرْ ذُرَاهُ وَرُدَّ وَأِنْ أَرَدْتَ رَوِي دَعِ وَرَدَ ذِي زَامِ

الحاجة

وَأَسْتَشْفِهِ فِي التَّلَاجِي مُمَعِنًا نَظْرًا يَقُولُهُ قَالِيسَا مِلْكِي وَمِثْهُ رُمِ

الكلام الجامع

جَمْعُ الْكَلَامِ إِذْ لَمْ يَشْتَمِلْ حِكْمًا لَمْ يَلْفَ مِنْ ذَاقٍ فِيهِ لَذَّةُ الدَّسَمِ

الاقتباس

مِنْ جَمْعِ الشُّوْكِ هَلْ مِنْ يَحْتَيِي عِنَبًا لَمْ تُقْتَبَسْ لَذَّةٌ مِنْ عَاطِلِ الْكَلِمِ

التوجيه

وَجْهَهُ إِلَى الرَّبِّ نَعْتًا أَنْتَ تَابِعُهُ يَرْفَعُكَ مِنْ خَفَضِ رُبَاتٍ إِلَى الْعِظَمِ

عكس الإشارة

بِحَقِّ بَرٍّ قَمُّ لَّا فِي إِشَارَتِهِ فَإِنَّ عَكْسَ أَسْمِهِ عِنَاهُ كَأَلْعَلِّمْ

المطعم

قَدْ طَابَ لِلنَّفْسِ فِي الْأَسْوَءِ مَطْمَعُهَا بَلْ طَالَ فِيهَا وَلَمْ تَعْدِلْ إِلَى الْأَدَمِ

الرجوع

مَا لِي رُجُوعٌ إِلَى حَالِي لِأُضِلِّجَهَا بَلَى إِذَا مَعَ هُدَى رَبِّي سَعَى قَدَمِي

عتاب النفس

يَا نَفْسِ عِيْ وَأَرْعَوِي وَأَصْنَعِي لِي عَتَبِي حَتَّامٌ أَنْتِ بِجَهْلٍ غَيْرِ مُنْصَرِمِ

التسليم

هِيَ لِزَعْمِكَ قَدْ سَلَّمْتُ مُرْتَضِيًّا فَمَا يَكُونُ جَوَابِي يَوْمَ تُحْتَكَبِي

القسم

فَلَا أَيْلَتُ أَلْتَمَى إِنْ مَاتُ مُتَبِعًا هَوَاكَ فِي غَيْرِ مَا أَهْوَى وَدَا قَسَمِي

حسن التخلص

فَرُغْتِي وَآهْوَى حُسْنَ التَّخَلُّصِ مِنْ إِثْمِي بِمَدْحِ وَسِيطِ النَّاسِ كُلِّهِمْ

الآطراد

يَسُوعُ بِكَرِّ الْإِلَهِ ابْنُ الْبَشَرِ سَلَا لَهْ أَلْمُلُوكِ وَرَبُّ فِي أَطْرَادِهِمْ

حصر الجزئي والحاقه بالكلّي

قَرَدُهُ بِهِ يُخَصَّرُ الْأَنْصَارُ أَجْمَعُهُمْ فَالْجُزْءُ يُلْحَقُ بِالْكَلِّ لِلْعَظَمِ

العكس

نَفْسُ الْجَمَالِ جَمَالُ النَّفْسِ فِيهِ بَدَا يَاعَكْسُ مَنْ عَنْ سَنَا هَذَا الْجَمَالِ عَمِي

المماثلة

فَأَلَابُ مَا ثَلُهُ وَالرُّوحُ وَاقَقُهُ وَالْكُتْبَةُ شَارَكُهُ بِالْعَظَمِ وَالْقِدَمِ

التفسير

كُنْهٌ ثَلَاثِيٌّ أَقْنُومُ يُفَسِّرُهُ أَبٌ وَابْنٌ وَرُوحٌ فِي وَحِيدِهِمْ

المذهب الكلامي

فَذَهَبِي فِي كَلَامِي وَنَهْ مُنْقِذَنَا لَوْ لَمْ يَصِرْ بَشَرًا لَمْ تَنْجُ مِنْ ضَرَمِ

المناسبة

لَاهُوْتُهُ كَامِلٌ وَالطُّهُرُ نَاسَبُهُ نَاسُوْتُهُ فَاضِلٌ فِي الْخَلْقِ وَالشِّيمِ

ارسال المثل

فَالْحَسَنُ فِي الْخَلْقِ آذَنِي فِيهِ عَنْ مَثَلٍ وَالْفَضْلُ أَشْهَرُ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمِ

الترديد

فَهُوَ الْبَدِيعُ لَنَا هَذَا الْبَدِيعُ سَنَى بِهِ الْبَدِيعُ حَلَا تَرْدِيدُهُ بِقَبِي

التكرار

تَكَرَّرَ مَذْحِجِي مَاءً بِالْوَاهِبِ التَّعَمُّ م ابْنِ الْوَاهِبِ التَّعَمُّ ابْنِ الْوَاهِبِ التَّعَمُّ

الترتيب

لَهُ الْمَلَائِكُ وَالْإِنْسَانُ أَجْمَعُهُ وَمَا سِوَاهُمْ فِي التَّزْيِيبِ كَالْخَدَمِ

التشريع

لَمَّا أُنْحَى وَبِشَرِيعِ الْفِدَاءِ بَدَا نَلْنَا أَلْمَى فَجَبُونَا مِنْ رَدَى الْعَرَمِ

التكميل

أَوْفَى أَبَاهُ تَمَامًا دَيْنَ آدَمِ حَمْدًا لَهُ فَاقَ تَكْوِيلًا بِذَا الْكَرَمِ

الجناس المرفوع

هَيَّا مَدَارَ نَعِيمٍ قَدْ رَفَاهُ بِهِ وَطَمَّ دَارَ تَحِيْمٍ حَالِكِ الظُّلَمِ

الجناس المستق

هَدَى إِلَى الْمَسْجِدِ الْمَادِي بُعَاةَ هَدَى وَمِنْ هُدَاهُ الْخُلَاصُ أَشْتَقَى لِلْأَمَمِ

القل

تَمَّتْ نُقُولُ بُبَوَاتٍ بِهِ وَمَضَتْ فِي الْخَلِيلِ نَجَا مِنْ وَابِلِ الضَّرَمِ

تسبيه شيتين شيتين

شَتَانٍ قَدْ أَشْبَهَا شَيْئَيْنِ فِيهِ لَنَا تَعَطُّفٌ وَنَدَى كَالْبَجْرِ وَالذِّمِّ

التعطُّف

تَشْطِيرُ نِعْمَتِهِ مَا بَيْنَ أُمَّتِهِ كَاللَّحْمِ فِي عِظَمٍ قَدْ كَانَ فِي الْقِسْمِ

الطي والستر

فَالطِّي وَاللَّشْرُ وَالتَّبْدِيلُ نَكْرَمَ لِلْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْأَحْوَالِ وَالشِّيمِ

الايغال

فِي السَّغْيِ أَوْغَلَ فِي تَهْيِيدِهِ سُبُلًا إِلَى الْخُلَاصِ بِحُبِّ غَيْرِ مُنْكَمِ

الاشارة

وَمِنْ إِشَارَاتِهِ بِالْوَعْدِ كَهَبَّتْ لَهُمْ فُنُونٌ بِهَا زَادُوا بِرِّهِمْ

الايياز

وَقَوْلُهُ مُوجِزٌ فِي ضَمِّ نَغْمِرَةٍ إِنْ قَالَ أَشْفَى وَأَحْيَا بِأَيِّ الْيَوْمِ

التوسيع

نَوْشِعُ مَذْهَبِهِ فِي فَضْلِ سُنَّتِهِ مُثَنِّتُ الْأَمْجَدِينَ الْعَهْدِ وَالذِّمِّ

التورية

وَكَمْ عُقُودٍ لَهُمْ حَلَّتْ قَوَائِدُهُ بِمُحْسِنِ تَوْرِيَةٍ حَلَّتْ لِسَانِ قِي

النوادر

كَمْ مِنْ نَوَادِرٍ بَذَلِ مَارَسَتْ يَدُهُ حَتَّى جَرَى دُمَاهَا لِلْبَذْلِ كَالذِّمِّ

البسط

تَعَوَّدَ الْجُودَ مَعَ بَسْطِ رِاحَتِهِ لِلْعُودِ جَادَ بِهَا مَدًّا بِلَا سَقَمِ

الجمع مع التقسيم

خَمُّ تَقَسَّمَ يَوْمَ الصَّلْبِ فِي فُرْقٍ مِنْ قَاتِلٍ وَمُهَيْنٍ ثُمَّ مُنْتَقِمٍ

الجمع

فَأَجْلَدُوا وَالْمُزُوا وَاللَّشِيمُ مَعَ عَذْلٍ إِهَانَةٌ نَالَهَا مِنْ بَغْيِ حُمَيْهِمْ

حناس البعض

بَعْضٌ حَمَاقَتُهُمْ زَادَتْ حَمَاسَتَهُمْ جَوْرًا وَبَعْضٌ كَكَلْبٍ كَلْبُهُمْ

المتنوش

وَسَوَّشُوا الْقِرْعَ مِنْ خَدَشِ يَهَامَتِهِ وَالْقَدْعُ فِي الْجِسْمِ وَالْكَفَيْنِ وَالْقَدَمِ

التشبيه

وَالْجِسْمُ إِنْ جِثْتُ تَشْبِيهًُا لِجِلَّتِهِ قُلْ كَلَّا لَلْأَلْبَابِ لِحُولٍ مِنْ نَكَالِهِمْ

تجاهل العارف

تَجَاهَلَ النَّاسُ فِي عِرْقَانِ صُورَتِهِ قَالُوا أَسْقَمُ بِهِ أَمْ بِالنَّكَالِ رُمِي

المساواة

بِالْمَوْتِ سَاوَى الْمَلَا أَمَّا قِيَامَتُهُ فَأَوْضَحَتْ قُدْرَةَ اللَّأْهُوتِ كَالْعِلْمِ

التوهم

تَهْمِي قُلُوبَ جَلَتْ بُشْرَى قِيَامَتِهِ جَلَتْ بِنَصْرِ وَعَزَّتْ سَاعَةُ الْقَعَمِ

الحناس الكامل

وَبَعْدَمَا قَدْ قَضَى فِعْلَ الْجَمِيلِ إِلَى مِ الْعَلَا زَتَقَى ذَا الْجَمِيلِ الْكَامِلِ الشِّمِ

الانسحاب

وَمِنْ لَدُنْهُ الْمُعْزِي حَلٌّ مُنْجِمًا عَلَى تَلَاوِيذِهِ كَاللَّسَنِ مِنْ ضَرَمِ

التسميم

تَسَهَّوْا الْأَرْضَ لِلْبُشْرِ فَقَالَ لَهُمْ وَتَلِيدُوا عَمِدُوا كَلًّا مِنْ الْأَمِ

التمكين

جَالُوا بِتَمْكِينِ عَزَمٍ فِي بِشَارَتِهِمْ وَلَمْ يَبَالُوا بِتَغْيِيبِ وَسْفَكِ دَمِ

الجناس المركب المجموع

جَادُوا بِأَنفُسِهِمْ حُبًّا كَمَا لَهُمْ وَجَعُ تَرْكِيْبِ فَضْلِ فِي كَمَا لَهُمْ

الإرداف

وَأَرَدُوا الْعَزْمَ بَأْسًا أَسْكَنُوهُ تَحَلًّا مِ الْحُبِّ فِي السَّيْرِ لِلْبُشْرَى بِرَبِّهِمْ

الاتساع

بَيْضُ الْمَقَارِقِ بَلْ طَهَرُ النَّفُوسِ هُمْ وَبِاتِّسَاعِ الْحِجَى فَازُوا بِقَصْدِهِمْ

الاستساع

يَسْتَشْعُونَ نَجْصَ الشُّعْخِ فَعَلَّ هَدَى وَيَحْفَظُونَ تَقَاهُمْ حِفْظَ دِينِهِمْ

المرّد

وَمِنْ مُرَدِّدٍ إِذَا رَ حَكَوْهُ قَدُو مِ الْهُوَى هَوَى كَذَلِكَ أَلْعَابُ الْبُذِّ الصَّمِ

الترصيع

هُمْ رَصَعُوا أَدَبًا مِنْ دُرِّ لَفْظِهِمْ كَمْ أَبَدَعُوا خُطْبًا فِي سِرِّ وَعَظِهِمْ

إيتلاف اللفظ مع الوزن

تَأَلَّفَ اللَّفْظُ مَعَ وَزْنٍ بِمَدْحِهِمْ لِرَبِّهِمْ ضَمْنَ تَظْمٍ فِيهِ مُنْسَجِمٌ

إيتلاف اللفظ مع المعنى

الْلَفْظُ فِي الْمَدْحِ مَعَ مَعْنَاهُ مُؤْتَلَفٌ فَلِلْمَعْنَى تَرَى أَلَا لَفَاطَ كَالْحَدَمِ

الفرائد

وَكَمْ مِنْ فَرَائِدٍ دُرٍّ فِيهِ قَدْ تَظْمُوا عِقْدَ الشَّيْدِ فَأَعْجَبَ بِأَنْتِظَاهِهِمْ

إيتلاف المعنى مع الوزن

تَوَلَّفَ الْوَزْنَ وَالْمَعْنَى تَشَانِدُهُمْ صَحِيحَةَ عَذْبَةٍ فِي الْخَنِ وَالنَّعْمِ

التسبيط

تَسْبِطُهُمْ دُرًّا أَضْحَى بِهِ غُرًّا أَمْسَى لَنَا قُرًّا فِي لَيْلَةِ الْقَسَمِ

ايتلاف اللفظ مع اللفظ

وَالْلَّفْظُ لِلْحَمْدِ فِي الْأَفْوَاهِ يُؤْتَلَفُ مَعَ لَفْظٍ مَدْحٍ بَدَأَ مِنْ أَلْسِنِ الدِّمِ
الانداع

إِبْدَاعُ ظَنِّهِمْ دَمْعِي جَلًّا وَحَلًّا إِبْدَاعُ تَفْهِمِ سَنَعِي كَسْتَنْظِمِ
التفريع

كَأَنَّهُ حَمَلَتْ وَنَسَكَ لَطَائِفَهَا يَوْمًا بِأَطْيَبِ مِنْ تَفْرِيعِ فَضْلِهِمْ
المدح في معرض الذم

فِي مَعْرِضِ الذَّمِّ مَدْحًا قَدْ خَصَّصْتُ جِسْمَ لَا عَيْبَ فِيهِمْ سِوَى الْإِيْقَاءِ بِالذَّمِّ
الحناس المرفل

وَبِالْأَيْدِي أَيْادِيهِمْ سَتَّ كَرَمًا قَرَّاحَ يَرْفُلُ بِالْإِثْرَاءِ ذُو الْعَدَمِ
الكناية

تَرَّاحُمُ لِعَفَاةٍ يُسْرِعُونَ إِلَى فُرَاتِهِمْ ذَا يُكْتِي عَنْ سَخَائِهِمْ
التوزيع

عَلَى الْعَفَاةِ جَمِيعًا وَرَعُوا نَعَمًا فَعَادَ أَعْوَزُهُمْ بِالْعِزِّ وَالْعِظَمِ
الاستدراك

سَادُوا بِصَدْرِ غَدَا بِالْعِزِّ سُتْرَكَا صَدْرُ الْجُلُوسِ عَلَى كُرْسِيِّ قَضَائِهِمْ
الموازاة

مُؤَاوِزِينَ وَاتَيْنَ سُبُتْرَيْنِ حَسَنِ مُسْتَعْلِينَ قَاتِنِ مُسْتَعْلِينَ فَحِمِ
المؤتلف والمختلف

فَجَمْعُ يُؤْتَلَفُ فِيهِمْ وَتُخْتَلَفُ حُكْمًا وَفَضْلًا فَمِشْعَانُ بِذَلِكَ سَمِي
الايضاح

مَا بَيْنَهُمَا صَخْرَةٌ لِلْحَقِّ مُوَضَّحَةٌ بَنَى الْمَسِيحُ عَلَيْنَا بَيْتَ جَمْعِهِمْ

الطامة والعصيان

مَنْ يُطِيعْ حُكْمَهُ يُرْمَ لَدَى شَجَبٍ وَمَنْ عَصَى أَمْرَهُ يُجْرَمَ مِنَ النَّعَمِ

حس السق

تُؤْثِرِي يُنَاسِقُهُمْ شِعْرِي يُطَاقُهُمْ تَغْرِي يُؤَاقِقُهُمْ فِي مَدْحٍ رَيِّمٍ

التجربة

أَرَيْتُ فِي هَمِي جَزَاتُ فِي كِبَاي رَوَيْتُ فِي قَلْبِي أَرَوَيْتُ كُلَّ ظِي

المتوازن

تَوَازَنَتْ حِكْمِي حَمْدًا لِمُنْتَسِحٍ : لِأَزْمَا مَدْحُهُ ظَمًا بِمُنْتَحِمٍ

التسبيح

سَجْعِي وَمُنْتَظِّي مَدْحًا هَلَا بِقِي حَاكَيْتُ فِي رَغْبِي الشُّحُورَ بِالنَّعَمِ

الاتفاق

يُسُوعُ وَأَسْمُهُ فِي تَخْلِيصِنَا اتَّفَقَا فَهُوَ الْخَاصُّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ نَعَمِ

الاعتراض

فَلَا أَعْتَرِضَ عَلَيْنَا فِي عِبَادَتِهِ وَهُوَ أَلَا لَهُ وَنَ يَعْبُدُهُ يَعْتَصِمُ

العنوان

بِهِ السَّفِينَةُ نَجَتْ نُوحَ وَهِيَ غَدَتْ عُنْوَانُ يَبْعَثُهُ ثَوَقِي مِنَ الْعَرَمِ

الترشيح

فَحَلَّ مَرْكَبَ تِيهِ حِينَ رَكَّبَهَا فَكَمْ تَرَشَّحَ مِنْهَا الرُّشْدُ فِي الظُّلُمِ

التلميح

تَلْمِيحُ تَعْلِيمِهَا ذَاكَ التِّرَاجُ بِهِ يُهْدَى وَفِي الشَّرْحِ إِرْسَادٌ إِلَى اللَّعَمِ

التسيم

تَسِيمَ سِرِّ الْفِدَا وَالْحُبِّ سَلَمَهَا يَأْسَعِدُهَا وَأَضْحَلَّ الْبُوسُ بِالْيَعَمِ

التصريح

تَضَرِّعُ آبَايَهَا يُوقِي مِنْ أَحْصَمٍ قَالَتْ دَاخِلَهَا كَأَلَتْ فِي الْأَطْمِ

التجريد

يَنَالُ صَوْبَ الْحَيَا مِنْ بَسْطِ رَاحَتِهَا مَنْ قَدْ تَجَرَّدَ عَنْ كُفْرِ بَرِيئِهِ

المعنى

حَوَى أَرْيَحَ بَهَارِ قَلْبِهِ وَسَمَا مِنْ شَيْهِ يَهْتَدِي مَنْ عَنْ غِنَاهُ عَمِي

التعريض

تَطْوِيلُ تَعْرِيزِ هَاجِيهَا يُعْظِمُهَا وَالْبُغْضُ لِلْحَقِّ مَكْرُوهٌ كَذِيٍّ أَضْمَ

التنكيث

دَعِ الْمُنْكَتِ إِذْ فِي ذِي الْكَسْبَةِ وَهَ دَهَا حُجَاةً مِنَ الطُّوفَانِ وَالضَّرَمِ

التوشيح

فَالرَّبُّ وَشَحْمَا مِنْ عَضَّةٍ حُلَلَا أَوْقَتْ خُطَى حُكْمِهَا مِنْ رَذَلَةِ الْقَدَمِ

تسيق الصفات

فَأَسْجُدْ لَهُ عِنْدَ تَنْسِيقِ الصِّفَاتِ وَقُلْ رَبُّ إِلَهٌ قَدِيرٌ كَاوَلُ الشِّيمِ

التعطف

فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْأَصْفَا رَأْسًا وَقَالَ لِذَا الْخُتَارِ كُنْ رَاعِيًا وَأَعْطِفْ عَلَى الْغَمِّ

المقند

مَهْمَا تَحُلْ بِأَرْضٍ يَحِلُّ بِسَمَا وَمَا رَبَطْتَ بِعَقْدِ الرَّبِّ وَمَنْكَرِي

التعليل

لَوْ لَمْ يُجِثْنَا بِتَعْلِيلِ تَجْسُدِهِ مِنْ مَوْتٍ مَا شُفِينَا مِنْ ضَنْيِ السَّقَمِ

الجاز

هِيَ الْجَازُ لِإِدْرَاكِ الشِّقَاءِ هِيَ مِ الْعَرْشِ الرَّفِيعِ وَبَرَجِ الْبَارِي السَّمِ

المبالغة

بِهَا خَلَّاصُ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ أَرَدْتَ بَالِغَ وَقُلْ بَلْ سَائِرِ الْأَمَمِ

التوليد

لِكُلِّ هَوَلٍ طَرَا تُرْجَى شَفَاعَتُهَا نَالَ الْعِبَادُ بِهَا تَوَلِيدَ أَمْنِهِمْ

الاغراق

لَوْ تَابَ إِبْلِيسُ يُبْنِي سَاءَ نِعْمَتِهَا لَاغْرَقَتْهُ بَيَّارٌ مِنْ آلِ نَعَمٍ

الغلو

فَقَطْرَةٌ مِنْ نَدَاهَا لَا غُلُوَّ بِهَا تَكَادُ تُخَيِّرِمِيَا صَادَكَ الْعَدَمُ

التضمين

وَحَلَقَتْهَا فَاقَ فِي حُسْنٍ تَضَمَّنَتْهُ وَإِنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ

المدح المبالغ

يَسْمُو الْمَدِيحُ بِتَفْرِيعٍ لَطَّلَعَتْهَا سُمُو خَلْقِ حَوْتٍ بِالْجُلْمِ مُتَتِمِّمٌ

التعديد

تَعْدِيدُ أَفْضَالِهَا يُبْدِي لِسَامِعِهِ ظُهُرًا وَبَرًّا وَجِلْمًا مَعَ عَلَى الشِّيمِ

التنزيه والتأديب

تَهْنِئُ تَأْدِيبُهَا قَدْ زَادَنَا عَجَبًا بِصَوْنِهَا حِينَ تَعْدِيبِ أُنْبِيَائِهَا الْعَلَمِ

التعصيل

فِي شَرَحِ آيَاتِهِ التَّفْصِيلُ مُتَشَعُّعٌ يَكِلُ عَنْ شَرْحِهَا ذَوَا الْقَهْمِ وَالْجَمِّ

ابتلاف المعنى مع المعنى

وَضَلُّ وَفَضْلٌ لَهُ لِلْمَعْنَيْنِ غَدَا تَأَلَّفُ نَحْوُ صِدِّيقٍ وَنَجْدِ تَرَمِ

التوكيد

لَهُ الْقَضَاءُ بِتَوْكِيدِ يَدِينُ بِهِ أَمَّا تَعْيِ آتَهُ الدِّيَانُ لِلْأَمَمِ

صناعة التوزيع

تَسْوِيعُ سَطْرَتِهِ يَوْمًا يُجَاكِبُهُمْ كَأَلَيْثِ كَأَلْسَيْفِ كَأَلْجَبَّارِ كَأَلْضَرَمِ

المشاكلة

يَجْزِي إِسَاءَةً شَانِيَةً بِسَيِّئَتِهِ يُشَاكِلُ الْخَيْرَ خَيْرًا حُفًّا بِالْكَوَمِ

مخج القلب

مُذْنِ لَصَفْحِ جَنَاحِ الْقَلْبِ عَاطِفُهُ إِذَا رَأَى تَوْبَةً وَالْدَّمْعُ فِي نَدَمِ

الجمع مع التفريق

فِي وَجْهِهِ النُّورُ لِلْأَخْصَابِ يَشْمَلُهُمْ وَلِلْعِدَا أَلْنَارُ فِي تَفْرِيقِ جَمْعِهِمْ

مراعاة النظير

وَجْهَهُ السَّمَاءِ بِهِ كَأَلْبَرَقِ مُلْتَمِعٌ رَأَى الظُّلْمَ بِوَجْهِهِ لِلْطَّبَّاءِ سَمِي

التفريق

قَالُوا هُوَ أَلْمَلِكُ وَالتَّفْرِيقُ يُظْهِرُ لِي فَذَلِكَ فَإِنْ وَهَذَا غَيْرُ مُنْعَدِمِ

السب والایجاب

لَا يُوجِبُ السَّلْبُ فِي إِعْزَازِ عُصَابَتِهِ وَيُوجِبُ الذَّلُّ لِلْإِشْرَارِ فِي التَّقَمِّ

المقارن

أَرْجُوا التَّقَارُبَ مِنْ أَعْدَادِ زُمْرَتِهِ لَا مِنْ عَدِيدِ الْعِدَا فِي الْخَشْرِ وَالزَّحَمِ

حسن البيان

حُسْنُ الْبَيَانِ بِنُورٍ مِنْهُ أَرَشَدَنِي إِلَى التَّقَرُّبِ مِنْ أَوْلِيكَ الْخَدَمِ

المراوغة

إِذَا تَرَاوَجَ هَمِّي وَالتَّجَأْتُ لَهُ بِالْمَدْحِ فَزْتُ وَوَقَّيْتُ مِنَ النِّعَمِ

الاستعانة

مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضَيْمًا وَلَسْتَعْنْتُ بِهِ إِلَّا وَنَلْتُ جِوَادًا مِنْهُ لَمْ يُضْمِ

التقسيم

قَالَ كُونْ قَدْ عَمَّ تَقْسِيمُ أَفْعِيهِ جِنْسًا وَنَوْعًا وَقَدْ أَوْفَرَ فِي شَمِّهِ

التشثيل

تُرْبِي عَلَى السَّيْلِ فِي التَّشْيِيلِ نَعْمَتُهُ شَتَانِ مَا بَيْنَ طَلٍّ وَالْحَيَا أَلْعَرِمِ

نفي الشيء بإيجابه

لَا يَنْتَهِي الْجُودُ مِنْ إِيجَابِهِ أَبَدًا وَلَا يَسِينُ بَيْنَ رَوْقِ أَلْتَعَمِ

مختم الطرفين

مِنْ فَضْلِهِ أَرْنَحِي تَحْتِيسَهُ طَرْفِي قَضِيَّتِي فِي الْقَضَا بِالْحَجْدِ وَالْعِظَمِ

التضمين المزدوج

تَضْمِينُ حَمْدِي لَهُ لِلْفَضْلِ مُزْدَوِجًا عَقْلًا وَنَفْلًا جَنَانِي جَاءَهُ وَفِي

الموارد

تَوَارَدَ الْفِكْرُ فِي مَدْحِ الْأَلِزْمَةِ لَكِنْ غَدَا لِلْخَلَاصِي خَيْرَ مُلْتَرِمِ

التطريز

تَطْرِيزُ حَمْدِي بِمَدْحِي فِيهِ مُلْتَحِمٌ يَأْخُضْنَ مُلْتَحِمٌ يَأْخُضْنَ مُلْتَحِمٌ

الاحتراس

إِلَيْكَ جِثْتُ يَا مَوْلَايَ مُنْسَحِقًا قَلْبًا وَتُخْتَارَسَا خُذْنِي مِنَ الْخُدَمِ

المصغر

نُقِيسَتِي مِنْ زُلَيْلَاتِ جَنَّتْ صُغُرَتْ وَلِي عَزِيْمِي مَهْزِيْمًا وَلَمْ يَقُمْ

التدبيح

فَأَزْرَقَ أَبْيَضُ وَجْهِي حِينَ دَجَبَتْ سَوَادُ إِثْمِي بِصَنْغٍ فِيهِ مُلْسِمِ

المضارع

وَبِأَضْطِرَابِ جَنَانٍ وَأَضْطِرَامِ حَشَا صَارَعْتُ ذَا زَلَّةٍ فِي يَوْمٍ مُحْتَكَمِ

التصريف

فَأَلْقَبُ حَرْقَهُ التَّصْرِيفُ فِي عِلَالٍ وَأَلْجَفُ قَرْحَهُ التَّذْمِيعُ فِي نَدَمٍ

براعة الطلب

بِرَاعَتِي فِي مَدِيحِي مُتَّهَى طَلِي فَأَسْأَلُ سَخَاكَ قَلَمَ أَخْتِجُ إِلَى الْكَلِمِ

الادماج

أَدَجْتُ فِي مَدِيحِهِ تَكْوَايَ مِنْ زَكَايَ وَعَسَجِدُ الْخَدَيْنِ ذَا الدَّمْعِ كَالنِّعَمِ

الحذف

أَرُومُ مِنْهُ أَنْتِصَارًا حَازِفًا هَلَمَّا وَعَاضِدًا وَقْتَ هَوْلِ الْحَشْرِ وَالنِّقَمِ

التاريخ

بِهِ الْآثِمُ جَنَى بِرًّا فَقُلْتُ بِهِ مُذْ أَرَّخُوهُ لَنَا بِالْبَرِّ مُغْتَسِبِي *

حسن الختام

بِهِ غَدَا فِي عِلَاءِ حُسْنٍ مُبْتَدَايَ هَبْنِي بِهِ يَا إِلَهِي حُسْنَ مُحْتَاسِبِي

ختم الختام

وَأَخْتِمُ خِتَامِي بِأَنْ أَحْظَى بِمُطْلَعِكَ مِ الْبَاهِي بِجَذْرِ السَّنَى يَا مُرْشِدَ الْأُمَمِ



* قوله : (لنا بالبر مغتسبي) تاريخ بحساب الحُمل للسنة التي فيها ظمت

هذه البديعة وهي سنة ١٨٥٨

البحث السادس

في المطابقة

(من التل السائر لان الاثير باختصار وتصرف)

(راجع صفحة ٩٤ من علم الادب)

هَذَا النَّوعُ هُوَ فِي الْمَعَانِي ضِدُّ التَّجْنِيسِ فِي الْأَلْفَاظِ لِأَنَّ التَّجْنِيسَ هُوَ أَنْ يُجْعَلَ اللَّفْظُ مَعَ اخْتِلَافِ الْمَعْنَى وَهَذَا هُوَ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَيَانِ ضِدَّيْنِ . وَقَدْ أَجْمَعَ أَرْبَابُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ عَلَى أَنَّ الْمُطَابَقَةَ فِي الْكَلَامِ هِيَ التَّجْمُعُ بَيْنَ الشَّيْءِ وَضِدِّهِ كَالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . وَخَالَفَهُمْ فِي ذَلِكَ قَدَامَةُ بْنُ جَعْفَرٍ الْكَاتِبُ فَقَالَ الْمُطَابَقَةُ إِيرَادُ لَفْظَيْنِ مُتَسَاوَيْنَيْنِ فِي الْبِنَاءِ وَالصِّغَةِ مُخْتَلِفَيْنِ فِي الْمَعْنَى . وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ هُوَ التَّجْنِيسُ بِعَيْنِهِ . غَيْرَ أَنَّ الْأَسْمَاءَ لَا مِشَاحَةَ فِيهَا إِلَّا إِذَا كَانَتْ مُشْتَقَّةً . وَلِنَنْظُرْ نَحْنُ فِي ذَلِكَ وَهُوَ أَنْ نَكْشِفَ عَنْ أَصْلِ الْمُطَابَقَةِ فِي وَضْعِ اللَّغَةِ وَقَدْ وَجَدْنَا الطَّبَاقَ فِي اللَّغَةِ مِنْ طَابَقِ الْبَعِيرِ فِي سَيْرِهِ إِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ وَوَضَعَ يَدَهُ وَهَذَا يُؤَكِّدُ مَا ذَكَرَهُ قَدَامَةُ لِأَنَّ أَلِدَ غَيْرِ الرَّجْلِ لِاضْدِهَا وَالْمَوْضِعِ الَّذِي يَقَعَانِ فِيهِ وَاحِدٌ وَكَذَلِكَ الْمَعْنَيَانِ يَكُونَانِ مُخْتَلِفَيْنِ وَاللَّفْظُ الَّذِي يَجْمَعُهُمَا وَاحِدٌ . فَقَدَامَةُ سَمَّى هَذَا النَّوعَ مِنَ الْكَلَامِ مُطَابَقَةً حَيْثُ كَانَ الْأَنَامُ مُشْتَقًّا مِمَّا سُمِّيَ بِهِ وَذَلِكَ مُنَاسِبٌ وَوَاقِعٌ فِي مَوْقِعِهِ إِلَّا أَنَّهُ جَعَلَ لِلتَّجْنِيسِ أَمَّا آخَرَ وَهُوَ الْمُطَابَقَةُ وَلَا بَأْسَ بِهِ إِلَّا إِنْ كَانَ مِثْلَهُ بِالضِدَّيْنِ كَالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ خَالَفَ الْأَصْلَ الَّذِي

أَصْلُهُ بِالْمِثَالِ الَّذِي مَثَلُهُ . وَأَمَّا غَيْرُهُ مِنْ أَرْبَابِ هَذِهِ الصَّاعَةِ فَانْتَهَمُوا
سَمَوْا هَذَا الضَّرْبَ مِنَ الْكَلَامِ طَبَاقًا لِغَيْرِ اسْتِثْقَائِهِ وَلَا مُنَاسَبَةٍ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ مُسَمَّاهُ . هَذَا الظَّاهِرُ لَنَا مِنْ هَذَا الْقَوْلِ إِلَّا أَنْ يَكُونُوا عَلِمُوا
لِذَلِكَ مُنَاسَبَةً لَطِيفَةً لَمْ تَعْلَمْهَا نَحْنُ . وَانْتَرَجِعْ إِلَى ذِكْرِ هَذَا الْقِسْمِ
مِنَ التَّأْلِيفِ وَابْصُرْ حَقِيقَتَهُ فَقُولُ : أَلَا لَيْتُنِي مِنْ حَيْثُ أَلْمَعْنَى أَنْ
يُسَمَّى هَذَا التَّرْوَعُ الْمُقَابَلَةُ لِأَنَّهُ لَا يَخْلُو أَحَالُ فِيهِ مِنْ وَجْهَيْنِ : إِمَّا
أَنْ يُقَابَلَ الشَّيْءُ بِضِدِّهِ أَوْ يُقَابَلَ بِمَا لَيْسَ بِضِدِّهِ . وَلَيْسَ لَنَا وَجْهٌ
ثَالِثٌ . (فَأَمَّا الْأَوَّلُ) وَهُوَ مُقَابَلَةُ الشَّيْءِ بِضِدِّهِ كَالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ
وَمَا جَرَى نَحْوَهُمَا فَإِنَّهُ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : أَحَدُهُمَا مُقَابَلَةٌ فِي اللَّفْظِ
وَالْمَعْنَى وَالْآخَرُ مُقَابَلَةٌ فِي الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ . أَمَّا الْمُقَابَلَةُ فِي اللَّفْظِ
وَالْمَعْنَى فَكَقُولِهِ : فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا . فَقَابِلُ بَيْنَ
الضَّحِكِ وَالْبَكَاءِ وَالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : لِكَيْلَا تَأْسَوْا
عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ . وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا يَحْيِي
فِي هَذَا الْبَابِ . وَقَالَ أَيْضًا : خَيْرُ أَلْمَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنٍ نَائِمَةٍ .
وَمِنْ أَحْسَنِ الْمَطْبُوعِ الَّذِي لَيْسَ بِمُتَكَلِّفٍ قَوْلُ عَلِيِّ لِعُمَّانَ : إِنْ
أَلْحَقْتُ نَقِيلٌ بَرِيٌّ وَاللَّاطِلُ خَفِيفٌ وَبَرِيٌّ وَأَنْتَ رَجُلٌ إِنْ صُدِقْتَ
سَخِطْتُ وَإِنْ كُذِّبْتَ رَضِيتَ . فَقَابِلُ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ وَالْقَلِيلِ بِالْكَثِيرِ
بِالْخَفِيفِ الْوَبِيِّ وَالصِّدْقَ بِالْكَذِبِ وَالسُّخْطَ بِالرِّضَا وَهَذِهِ حَمْسُ
مُقَابَلَاتٍ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْقَصَارِ . وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ لَمَّا قَالَ
الْحَوَارِجُ : (لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى) : هَذِهِ كَلِمَةٌ حَقٌّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ .

وَقَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَقَدْ أَخْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ
لَيْقَتْلُهُ فَقَالَ لَهُ : مَا أَسْمُكَ . قَالَ : سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ . قَالَ بَلْ أَنْتَ
شَقِيٌّ بْنُ كُسَيْرٍ . وَقَدْ كَانَ الْحَجَّاجُ مِنَ الْفُصَحَاءِ الْمَعْدُودِينَ وَفِي
كَلَامِهِ هَذَا مُطَابَقَةٌ حَسَنَةٌ فَإِنَّهُ نَقَلَ الْأُسَيْنِ إِلَى ضِدِّهِمَا فَقَالَ :
فِي (سَعِيدٍ) شَقِيٌّ . وَفِي (جُبَيْرٍ) كُسَيْرٌ . وَهَذَا التَّنَوُّعُ مِنَ الْكَلَامِ
لَمْ يَخْتَصَّ بِهِ اللَّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ اللُّغَاتِ . وَبِمَا وَجَدْتُهُ فِي
لُغَةِ الْفَرَسِ أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ قُبَادُ أَحَدُ مُلُوكِهِمْ قَالَ وَزِيرٌ : حَرَّكَ
بِسُكُونِهِ . وَأَوَّلُ كِتَابِ الْفُضُولِ لِبُقْرَاطٍ فِي الطِّبِّ قَوْلُهُ : الْعُمُرُ
قَصِيرٌ وَالصَّاعَةُ طَوِيلَةٌ . (وَأَمَّا الْمُقَابَلَةُ فِي الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ فِي
الْأَضْدَادِ) فَمِمَّا جَاءَ مِنْهُ قَوْلُ الْمُفَنِّنِ الْكِنْدِيِّ مِنْ شُعْرَاءِ الْحِمَاسَةِ :
لَهُمْ جُلٌّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غَنَى وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أَكْفِفْهُمْ رِفْدًا
فَقَوْلُهُ : (تَتَابَعَ لِي غَنَى) . يَمَعْنَى قَوْلِهِ : كَثُرَ مَالِي فَهُوَ إِذَا مُقَابَلَةٌ
مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى لَا مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْأَضْدَادِ اللَّفْظِيَّةَ إِنَّمَا
هِيَ فِي الْمَفْرَدَاتِ مِنَ الْأَلْفَاظِ نَحْوُ : قَامَ وَقَعَدَ . وَحَلَّ وَعَقَدَ . وَقَلَّ
وَكَثُرَ . فَإِنَّ الْقِيَامَ ضِدُّ الْقُعُودِ . وَالْحَلَّ ضِدُّ الْعَقْدِ . وَالْقَلِيلَ ضِدُّ
الْكَثِيرِ . فَإِذَا تَرَكَ الْمَفْرُودَ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَتَوَصَّلَ إِلَى مُقَابَلَتِهِ بِلَفْظٍ
مُرَكَّبٍ كَانَ ذَلِكَ مُقَابَلَةً مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى لَا مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ كَقَوْلِ
هَذَا الشَّاعِرِ : (تَتَابَعَ لِي غَنَى) . فِي مَعْنَى (كَثُرَ مَالِي) وَهَذِهِ مُقَابَلَةٌ
مَعْنَوِيَّةٌ لَا لَفْظِيَّةٌ فَاعْرِفْ ذَلِكَ . (وَأَمَّا مُقَابَلَةُ الشَّيْءِ بِمَا لَيْسَ بِضِدِّهِ .
فَهِيَ ضَرْبَانِ : (أَحَدُهُمَا) أَنْ لَا يَكُونَ مِثْلًا . (وَالْآخَرُ) أَنْ

يَكُونُ مِثْلًا . فَالضَّرْبُ الْأَوَّلُ يَتَقَرَّعُ إِلَى فَرَعَيْنِ : (الْأَوَّلُ) مَا كَانَ بَيْنَ الْمُقَابِلِ بِهِ وَالْمُقَابِلِ نَوْعُ مُنَاسَبَةٍ وَتَقَارُبٍ . كَقَوْلِ قُرَيْطِ ابْنِ أُنَيْفٍ :

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا
فَقَابِلَ الظُّلْمِ بِالْمَغْفِرَةِ وَلَيْسَ هُوَ ضِدًّا لَهَا . إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الْمَغْفِرَةُ قَرِيبَةً مِنْ أَدْلَلِ حَسَنَةِ الْمُقَابَلَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الظُّلْمِ . (أَلْفَرَعُ الثَّانِي) مَا كَانَ بَيْنَ الْمُقَابِلِ وَالْمُقَابِلِ بِهِ بُعْدٌ وَذَلِكَ يَمَّا لَا يَحْسُنُ اسْتِعْمَالُهُ . كَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُنْتَبِي :

لَمَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يُرْزَ بِهَا سُرُورَ حُبٍّ أَوْ مَسَاءَةَ مُجْرِمٍ
فَإِنَّ الْمُقَابَلَةَ الصَّحِيحَةَ بَيْنَ الْحُبِّ وَالْبُغْضِ لَا بَيْنَ الْحُبِّ وَالْمُجْرِمِ
وَمِمَّا يَتَّصِلُ بِهَذَا الضَّرْبِ صَرْبٌ مِنَ الْكَلَامِ يُسَمَّى الْمَوْلَاةَ بَيْنَ
الْمُعَانِي وَالْمَوْلَاةَ بَيْنَ الْمُتَبَانِي وَكَانَ يَتَّبِعِي أَنْ تَعْقِدَ لَهُ أَبَا مُفْرَدًا
لَكِنْ إِذَا رَأَيْنَاهُ يَنْظُرُ إِلَى الْمُقَابِلِ مِنْ وَجْهِهِ وَصَلْنَاهُ بِهِ . أَمَّا الْمَوْلَاةُ
بَيْنَ الْمُعَانِي فَهِيَ أَنْ يُذَكَّرَ الْمُعْنَى مَعَ أَخِيهِ لَامَعَ الْأَجْبِي . مِثْلَهُ
أَنْ تُذَكَّرَ وَصْفًا مِنَ الْأَوْصَافِ وَتَقَرَّنَهُ بِمَا يَقْرُبُ مِنْهُ وَيَلْتَسِمُ بِهِ
فَإِنْ ذَكَرْتَهُ مَعَ مَا يَبْعُدُ مِنْهُ كَانَ ذَلِكَ قَدْحًا فِي الصَّنَاعَةِ وَإِنْ
كَانَ جَائِزًا . وَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا نُوَّاسٍ يَقَعُ فِي هَذَا الْغَلَطِ كَثِيرًا كَقَوْلِهِ
فِي وَصْفِ الدَّلِيكِ :

لَهُ أَعْتَدَالٌ وَأَنْتَصَابٌ قَدْ وَجَلَدَهُ يُشْبِهُ وَشْيَ الْبَرْدِ
كَأَنَّهَا الْهَدَابُ فِي الْفَرْنِ مُخَدَّوِبُ الظَّهْرِ كَرِيمُ الْجَدِ

فَإِنَّهُ ذَكَرَ الظَّهَرَ وَقَرَنَهُ بِذِكْرِ الْجَدِّ وَهَذَا لَا يُنَاسِبُ هَذَا لِأَنَّ
الظَّهَرَ فِي حُمْلَةِ الْخَلْقِ وَالْجَدُّ فِي السَّبَبِ . وَأَمَّا (الْمُواخَاةُ بَيْنَ الْبَنَانِي)
فَلأنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِبَنَانِي الْأَلْفَاظِ . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مُسْلِمٍ بْنِ أَوْلَيْدٍ :
فَإِذْ هَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ يُثْنِي عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ
وَالْأَحْسَنُ أَنْ : يُقَالَ السَّهْلُ وَالْوَعْرُ أَوْ السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ .
لِيَكُونَ الْبِنَاءُ الَّلَفْظِيُّ وَاحِدًا أَيْ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظَانِ وَارِدَيْنِ عَلَى
صِغَةِ الْجَمْعِ أَوْ الْأَفْرَادِ . وَإِذَا أَنْصَفْنَا هَذَا الْمَوْضِعَ وَجَدْنَا النَّاسَ مُطَالِبًا
بِهِ دُونَ النَّاسِ لِمَكَانٍ إِمَّا كَانَ مِنَ التَّصْرِيفِ . (الضَّرْبُ الثَّانِي)
هُوَ فِي مُقَابَلَةِ الشَّيْءِ بِمِثْلِهِ وَهُوَ يَتَفَرَّغُ إِلَى قَرَعَيْنِ : (أَحَدُهُمَا) مُقَابَلَةُ
الْمُفْرَدِ بِالْمُفْرَدِ . (وَالْآخَرُ) مُقَابَلَةُ الْجُمْلَةِ بِالْجُمْلَةِ . (الْفَرْعُ الْأَوَّلُ)
كَقَوْلِهِ : نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ . وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْمَوْضِعُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرًا
فَإِذَا وَرَدَ فِي صَدْرِ آيَةٍ مَا يَحْتَاجُ إِلَى جَوَابٍ كَانَ جَوَابُهُ بِمَاثِلًا كَقَوْلِهِ :
مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ . وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ غَيْرَ جَوَابٍ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِرُ
فِيهِ هَذِهِ الْأُرَاعَاةُ الَّلَفْظِيَّةُ . (الْفَرْعُ الثَّانِي فِي مُقَابَلَةِ الْجُمْلَةِ بِالْجُمْلَةِ)
إِعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا كَانَتِ الْجُمْلَةُ مِنَ الْكَلَامِ مُسْتَقْلِلَةً قُوِيَتْ بِمُسْتَقْلِلَةٍ .
وَإِنْ كَانَتْ مَاضِيَةً قُوِيَتْ بِمَاضِيَةٍ وَرَبَّمَا قُوِيَتْ بِالْمَاضِيَةِ بِمُسْتَقْلِلَةٍ
وَالْمُسْتَقْلِلَةُ بِالْمَاضِيَةِ إِذَا كَانَتْ أَحَدَاهُمَا بِمَعْنَى الْآخَرَى فَمِنْ ذَلِكَ
قَوْلُهُ : قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فَمَا
يُوجِي إِلَيَّ رَبِّي . فَإِنَّ هَذَا تَقَابُلٌ مِنْ جِهَةِ الَّلَفْظِ وَلَوْ كَانَ التَّقَابُلُ
مِنْ جِهَةِ الَّلَفْظِ أَقَالَ : وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فَإِنَّمَا أَهْتَدِي لَهَا

البحث السابع

في حقيقة التجنيس

(عن كتاب جنان الحناس للصفي وعن التريشي وابن الاثير)

(راجع صفحة ١٨ من علم الادب)

إِعْلَمَ أَنَّ التَّجْنِيسَ غَرَّةٌ شَادِحَةٌ فِي وَجْهِ الْكَلَامِ وَقَدْ تَصَرَّفَ
 الْعُلَمَاءُ مِنْ أَرْبَابِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فِيهِ قَرَّبُوا وَشَرَّفُوا لَأَسِيًّا الْمُحَدِّثِينَ
 مِنْهُمْ. وَصَنَّفَ النَّاسُ فِيهِ كُتُبًا كَثِيرَةً وَجَعَلُوا أَبْوَابًا مُتَعَدِّدَةً وَاخْتَلَفُوا
 فِي ذَلِكَ وَادْخَلُوا بَعْضُ تِلْكَ الْأَبْوَابِ فِي بَعْضٍ. وَأَمَّا سُجِّي هَذَا
 التَّنوعُ مِنَ الْكَلَامِ مُجَانِسًا لِأَنَّ حُرُوفَ الْفَاطِمَةِ يَكُونُ تَرْكِيبُهَا مِنْ
 جِنْسٍ وَاحِدٍ. أَمَّا حَقِيقَتُهُ فَأَعْلَمُ أَنَّ أَرْبَابَ الْبَلَاغَةِ عَرَفُوهُ مُحْدُوْدٍ
 اخْتَلَفَتْ أَقْوَالُهُمْ فِيهَا. فَقَالَ الرُّمَائِيُّ : هُوَ بَيَانُ الْعَالِيَانِ بِأَنْوَاعٍ مِنْ
 الْكَلَامِ يَجْمَعُهَا أَصْلٌ وَاحِدٌ مِنَ اللَّغَةِ. وَقَالَ قُدَامَةُ : هُوَ اسْتِزَالُ
 الْعَالِيَانِ فِي الْفَاطِمَةِ مُجَانِسَةً عَلَى جِهَةِ الْأَشْتِقَاقِ. وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ :
 هُوَ أَنْ تُجَيَّ بِكَلِمَةٍ مُجَانِسَةٍ أُخْتَهَا. وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ الْجَزْرِيُّ :
 الْجُنَاسُ هُوَ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ وَاحِدًا وَالْمَعْنَى مُخْتَلِفًا. وَقَالَ بَدْرُ الدِّينِ
 ابْنُ النَّحْوِيِّ فِي ضَوْءِ الْمَصْبَاحِ : هُوَ أَنْ يُؤْتَى بِمُتَمَثِّلَيْنِ فِي الْحُرُوفِ
 أَوْ بَعْضِهَا مُتَعَابِرَيْنِ فِي أَصْلِ الْمَعْنَى فِي غَيْرِ رَدِّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ .
 فَهَذَا حُمْلَةٌ مَا حَضَرَنِي مِنْ حُدُودِ الْقَوْمِ عِنْدَ تَغْلِيْقِ هَذَا الْقُضْلِ .
 (قُلْتُ) أَمَّا حَدُّ الرُّمَائِيِّ فَإِنَّهُ أَسْلَمَ مِمَّا بَعْدَهُ لِكِنَّهُ غَيْرُ جَامِعٍ

لَا أَنَّهُ يُخْرَجُ عَنْهُ جِنَاسُ التَّضْيِيفِ وَالتَّضْرِيفِ وَالتَّرَكُّبِ وَجِنَاسُ
 الْمَعْنَى وَالْجِنَاسُ الْمَطْمَعُ . وَأَمَّا حَدُّ قِدَامَةٍ فَلَا أَنَّهُ عَرَفَ الشَّيْءَ
 بِنَفْسِهِ وَهَذَا غَيْرُ جَائِزٍ لِأَنَّ قَوْلَهُ : (فِي أَلْفَاظٍ مُتَجَانِسَةٍ) يُفْضِي إِلَى
 الدَّوْرِ لِأَنَّنَا هَذَا لَا نَعْرِفُ الْمُتَجَانِسَ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَةِ الْجِنَاسِ وَلَا نَعْرِفُ
 الْجِنَاسَ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَةِ الْمُتَجَانِسِ فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى الدَّوْرِ وَهُوَ مُحَالٌ .
 وَيَكُنُ الْجَوَابُ عَنْهُ بِأَن يُقَالَ : إِنَّهُ مَا أَرَادَ الْمُتَجَانِسَ فِي الْأَصْطِلَاحِ
 بَلِ الْمُتَجَانِسَ فِي اللَّغَةِ أَيْ فِي الْأَلْفَاظِ الْمُتَشَابِهَةِ . وَعَلَى كُلِّ حَالٍ
 فَهُوَ حَدُّ مُضْطَرَبٌ إِذْ فِيهِ لَفْظٌ مُوَهِّمٌ وَالْحُدُودُ يُجْتَنَّبُ فِيهَا مِثْلُ
 ذَلِكَ . وَقَوْلُهُ : (عَلَى جِهَةِ الْأَشْتِقَاقِ) يُخْرِجُ عَنْهُ جَمِيعُ أَنْوَاعِ
 الْجِنَاسِ إِلَّا الْجِنَاسَ الْأَشْتَقَاقِيَّ . وَأَمَّا حَدُّ ابْنِ الْمُعْتَرِّ فَهُوَ أَيْضًا
 تَعْرِيفٌ دَوْرِيٌّ وَذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ فِي صِنَاعَةِ الْحُدُودِ وَالرُّسُومِ . وَأَمَّا
 حَدُّ ابْنِ الْأَثِيرِ فَهُوَ أَيْضًا غَيْرُ جَامِعٍ لِأَنَّهُ يُخْرِجُ عَنْهُ مِثْلَ الْجِنَاسِ
 الْمُزْدَوِجِ وَالْجِنَاسِ الْمَطْمَعِ وَالْجِنَاسِ الْحَطِييِّ وَالْجِنَاسِ الْمَعْنَوِيِّ
 عَلَى مَا سَيُظْهِرُ لَكَ عِنْدَ كَشْفِ كُلِّ مَا هِيَ مِنْ أَنْوَاعِهِ . وَأَمَّا حَدُّ
 بَدْرِ الدِّينِ ابْنِ التَّحَوِّيِّ فَإِنَّ قَوْلَهُ : (مُتَمَاتِلِينَ) جِنَاسٌ يَشْمَلُ
 الْمُمَاتِلَ مُطْلَقًا سِوَاهُ كَانَ لَفْظًا أَوْ مَعْنَى . وَقَوْلُهُ : (فِي الْحُرُوفِ)
 فَصْلٌ يُخْرِجُ بِهِ الْمُمَاتِلَ مَعْنَى . وَقَوْلُهُ : (أَوْ بَعْضُهَا) مُدْخِلٌ لِلْجِنَاسِ
 الْمَطْمَعِ وَالْمُخْتَلَفِ وَالْأَشْتِقَاقِ . وَقَوْلُهُ : (مُتَعَارِفِينَ فِي أَصْلِ الْمَعْنَى)
 لَا فَايِدَةَ فِيهِ لِأَنَّ هَذَا مَعْلُومٌ فِي قَوْلِهِ : (مُتَمَاتِلِينَ فِي الْحُرُوفِ) أَيْ
 دُونَ مَعْنَاهُمَا لَكِنْ فِيهِ زِيَادَةٌ بَيَانٍ . وَقَوْلُهُ : (فِي غَيْرِ رَدِّ الْقَبْزِ)

عَلَى الصَّدْرِ) هَذَا لِحَاجَةِ إِلَيْهِ وَلَا فَائِدَةَ فِي هَذَا الْإِحْتِرَازِ كَمَا
يُظْهِرُ فِي التَّشْيِيلِ وَلَوْ زَادَ قَوْلُهُ: بِمَثَلَيْنِ فِي الْحُرُوفِ أَوْ بَعْضِهَا أَوْ
صُورَتِهَا لَكَانَ أَحْوَدَ لِيَدْخُلَ فِيهِ الْجِنَاسُ الْخَطِيئُ . وَالَّذِي اخْتَارَهُ
أَنَا فِي رَسْمِ الْجِنَاسِ أَنْ أَقُولَ: هُوَ الْإِتْيَانُ بِمَثَلَيْنِ فِي الْحُرُوفِ
أَوْ بَعْضِهَا أَوْ فِي الصُّورَةِ أَوْ زِيَادَةٍ فِي أَحَدِهِمَا أَوْ بِمُخَالَفَتَيْنِ فِي
الترتيبِ نَظْمًا أَوْ أَحْرَكَاتٍ أَوْ بِمِثَالٍ يُرَادُفُ مَعْنَاهُ ثُمًّا إِلَّا آخَرَ .
وَلَعَلَّ هَذَا الرِّسْمَ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ بِمَا ذُكِرَ . وَقَوْلِي (مَثَلَيْنِ)
جِنْسٌ يَشْمَلُ الْمِثَالِ أَفْظًا وَمَعْنَى . وَقَوْلِي: (فِي الْحُرُوفِ) فَضْلٌ
أَخْرَجَ الْمِثَالِ مَعْنَى كَقَوْلِكَ: زَيْدٌ زَيْدٌ . وَأَدْخَلَ الْجِنَاسَ التَّامَّ
كَقَوْلِكَ يَحْيَى يَحْيَى . وَالْجِنَاسُ الْمُرَكَّبُ كَقَوْلِكَ: يَفِئْتُهُ ذَاهِبَةٌ . إِنْ
لَمْ يَكُنْ ذَاهِبَةٌ . وَقَوْلِي: (أَوْ بَعْضُهَا) أَدْخَلَ الْجِنَاسَ الْمُطْمَعِ
كَقَوْلِكَ: الْأَمْوَالُ وَالْأَمْوَالُ . وَالْجِنَاسُ الْمُقَارِبُ كَقَوْلِكَ: الْهُمُومُ
عَلَى قَدْرِ الْهُمَمِ . وَقَوْلِي: (أَوْ فِي الصُّورَةِ) أَدْخَلَ الْجِنَاسَ الْخَطِيئَ
كَقَوْلِكَ: لَا تُضِعْ يَوْمَكَ فِي نَوْمِكَ . وَقَوْلِي: (أَوْ زِيَادَةٍ) فِي
أَحَدِهِمَا أَدْخَلَ الْجِنَاسَ الْمُخَالَفَ كَقَوْلِكَ: أَلْمَاءٌ مِنَ الْأَنْجَارِ جَارٍ .
وَقَوْلِي: أَوْ بِمُخَالَفَتَيْنِ فِي التَّرْتِيبِ أَدْخَلَ الْجِنَاسَ الْمُخَالَفَ كَقَوْلِكَ:
بَيْضُ الصَّخَافِ وَالصَّفَاحِ . وَقَوْلِي (أَوْ أَحْرَكَاتٍ) أَدْخَلَ الْجِنَاسَ
الْمُعَايَرَ كَقَوْلِكَ: أَعْتَمَّ هُبَاتِ الْهَبَاتِ . وَقَوْلِي: (أَوْ بِمِثَالٍ)
يُرَادُفُ مَعْنَاهُ ثُمًّا إِلَّا آخَرَ نَظْمًا (أَدْخَلَ الْجِنَاسَ الْغَنَوِيَّ كَقَوْلِكَ:
أَمْرٌ عَظِيمٌ تَظْهَرُ أَلَوْتُهُ فِيهِ بِالْأَسَدِ . إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَقُولَ:

(بِاللَّيْلِ) ثُمَّ عَدَلَتْ إِلَى مَا يُرَادُفُهُ وَهُوَ الْأَسَدُ . وَقَوْلِي : (ظَنَّمَا)
إِعْلَامٌ بِأَنَّ هَذَا النَّوعَ مِنْ أَلْجَاسٍ إِنَّمَا يَجِيءُ فِي الْأَظْمِ دُونَ النَّشْرِ .
وَتَظْهَرُ عِلَّةُ هَذَا فِي مَكَانِهِ . فَتَدَبَّرْ هَذَا الرَّسْمَ تَجَدُّهُ مَا أَخْلَ بِنَوْعٍ
مِنْ أَنْوَاعِ أَلْجَاسٍ . وَقَدْ قَالَ عُلَمَاءُ الْبَدِيعِ : إِنَّ أَلْجَاسَ يَجْنُسُ إِذَا
قُلَّ وَاتَى فِي الْكَلَامِ عَفْوًا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ وَلَا اسْتِكْرَاهٍ وَلَا بُعْدٍ
وَلَا مِيلٍ إِلَى جَانِبٍ . وَلَمْ يَخْتِجْ إِلَيْهِ بِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ إِلَّا مَنْ
قَصُرَتْ هِمَّتُهُ عَنْ اخْتِرَاعِ أَلْمَعَانِي الَّتِي هِيَ كَالنَّجُومِ الزَّاهِرَةِ فِي أُنْفٍ
الْأَلْفَاطِ . وَإِذَا خَلَّتْ ثُبُوتُ الْأَلْفَاطِ مِنْ سُكَّانِ أَلْمَعَانِي تَذَلَّتْ
مَثَرَةَ الْأَظْلَالِ الْبَالِيَةِ

البحث الثامن

في ذكر أنواع التجنيس

إِعْلَمُ أَنَّ أَنْوَاعَ أَلْجَاسٍ كَثِيرَةٌ أَقْتَصَرْنَا عَلَى ذِكْرِ اخْتِصَافِهَا وَأَوَّلُهَا
أَلْجَاسُ (الْمُرَكَّبُ) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الرُّكْنَيْنِ كَلِمَةً مُفْرَدَةً
وَالْأُخْرَى مُرَكَّبَةً مِنْ كَلِمَتَيْنِ وَهُوَ عَلَى ضَرِيئَيْنِ : فَالْأَوَّلُ مَا تَشَابَهَ
لَفْظًا وَخَطًّا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

عَضْنَا الدَّهْرُ بِنَاهُ لَيْتَ مَا حَلَّ بِبَاهُ

وَالثَّانِي مَا هُوَ مُتَشَابَهُ لَفْظًا لَا خَطًّا وَيَسْمَى الْمَفْرُوقَ كَقَوْلِ
الشَّاعِرِ :

لَا تَعْرِضَنَّ عَلَى الرُّوَاةِ قَصِيدَةً مَا لَمْ تَكُنْ بِأَلْفَتِ فِي تَهْذِيبِهَا

وَرَادَ اعْرَضْتَ الشَّعْرَ غَيْرَ مَهْدَبٍ عَدُوهُ مِنْكَ وَسَاوِسًا تَهْذِي بِهَا
وَلِجُلَاسِ الْمَرْكَبِ نَوْعٌ يُسَمَّى (الْمَرْفُوءُ) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ
الرُّكْنَيْنِ جُزْءًا مُسْتَقِلًّا وَالْآخَرُ مُجْزَأً مِنْ كَلِمَةٍ أُخْرَى كَقَوْلِ
الْحَرِيرِيِّ :

وَالْمَرْكَبُ مَهْمَا اسْطَفَتْ لَا تَأْتِيهِ لِيَقْتَنِي السُّودَدَ وَالْمَكْرُمَةَ
وَقَوْلِهِ :

وَلَا تَلْهُ عَنْ تَذَكُّرِ ذَنْبِكَ وَأَبْكَهِ بِدَمْعٍ يُجَاكِي الْمُنْزَنَ حَالَ صَابِيهِ
وَمِثْلَ لِعَيْنَيْكَ الْحِمَامَ وَوَقْعَهُ وَرَوَعَهُ مَلَقَاهُ وَمَطْعَمَ صَابِيهِ
وَهَذَا النَّوْعُ لَا يَخْلُو مِنْ تَعَسُّفٍ وَتَعْقِيدٍ فِي التَّرْكِيبِ . وَمِنْ
أَنْوَاعِ الْجُلَاسِ (الْمُلْتَقَى) وَحَدُّهُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مِنَ الرُّكْنَيْنِ مُرَكَّبًا
مِنْ كَلِمَتَيْنِ وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَرْكَبِ وَقُلَّ مَنْ أَفْرَدَهُ عَنْهُ
كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَكَمْ حُبَّاهِ الرَّاعِيْنَ إِلَيْهِ مِنْ حِمَالٍ شُجُودٍ فِي مَجَالِسِ جُودٍ
وَمِنْ أَنْوَاعِ الْجُلَاسِ (الْمُذَيَّلُ وَاللَّاحِقُ) . فَالْمُذَيَّلُ هُوَ مَا زَادَ
أَحَدُ رُكْنَيْهِ عَلَى الْآخَرِ حَرْفًا فِي آخِرِهِ فَصَارَ لَهُ كَالْمُذَيَّلِ كَقَوْلِ
أَبِي تَمَّامٍ :

يُذُونُ فِي أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِي
وَقَالَ آخَرُ :

عَذِيرِي مِنْ دَهْرٍ مُوَارِبٍ مُوَارِبٍ لَهُ حَسَاتُ كُلُّهُنَّ ذُنُوبُ
وَقَدْ تَأْتِي الزِّيَادَةُ فِي آخِرِ الْمُذَيَّلِ بِحَرْفَيْنِ كَقَوْلِ النَّابِغَةِ فِي رِثَاءِ :

فِيَاكَ مِنْ حَزْمٍ وَعَزْمٍ طَوَّاهُمَا جَدِيدُ الرَّدَى تَحْتَ الصَّفَا وَالصَّفَاحِ
وَأَرْقُ مَا سَبِغْتُ فِي هَذَا أَلْبَابِ قَوْلِ الْقَائِلِ :
إِنَّ أَلْبَابَهُ هُوَ الشِّفَاءُ م مِنْ أَلْوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ
وَأَمَّا (الَلَّاحِقُ) فَهُوَ مَا أُبْدِلَ فِي أَحَدٍ دُكْنُهُ حَرْفٌ مِنْ غَيْرِ مَخْرَجِهِ
كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ فِي جَوَابِ رِسَالَةٍ : وَصَلَ كِتَابُكَ فَتَنَّاوَلْتَهُ بِأَلْيَمِينَ
وَوَضَعْتُهُ مَكَانَ الْعَقْدِ الثَّانِي . وَكَقَوْلِ الْآخَرِ : أَمَّا أَلَيْتِمَ فَلَا
تَقْهَرُ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرُ . وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْجَنَاسِ الْلَّاحِقِ وَالْجَنَاسِ
الْمُضَارِعِ أَنَّ حُرُوفَ الْلَّاحِقِ لَيْسَتْ مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ كَالثَّوْنِ وَالْقَافِ
فِي : (تَقْهَرُ وَتَنْهَرُ) . وَأَمَّا حُرُوفُ الْمُضَارِعِ فَلَنْهَا مُتَشَابِهَةٌ فِي الْمَخْرَجِ
كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ : إِنَّ الْخَيْلَ مَعْقُودَةٌ بِمَوَاصِيهَا الْخَيْرِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ
بَعْضِهِمْ : أَلْبَرَايَا أَهْدَافُ أَلْبَلَايَا . فَإِنَّ أَلْرَاءَ وَاللَّامَ مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ
وَمِنْ أَنْوَاعِ التَّجَنُّيسِ (التَّامُّ) . وَهُوَ مَا تَمَّائِلَ دُكْنَاهُ وَاتَّفَقَا لَفْظًا
وَأَخْتَلَفَا مَعْنَى مِنْ غَيْرِ تَفَاوُثٍ فِي تَضَحُّجِ تَرْكِيبِهِمَا وَأَخْتِلَافِ
حَرَكَتَيْهِمَا سِوَاهُ سَكَانًا مِنْ أَسَنَيْنِ أَوْ مِنْ فِعْلَيْنِ أَوْ مِنْ أَسْمٍ وَفِعْلٍ
فَلَنْهَمْ قَالُوا : إِذَا انْتَضَمَ دُكْنَاهُ مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ كَأَسْمَيْنِ أَوْ فِعْلَيْنِ
سُيِّيَ تَمَّائِلًا وَإِنْ انْتَضَمَا مِنْ نَوْعَيْنِ كَأَسْمٍ وَفِعْلٍ سُيِّيَ مُسْتَوْفَى .
وَجُلُّ الْقَصْدِ تَمَّائِلُ الرُّكْنَيْنِ فِي اللَّفْظِ وَالْحَرْكِ وَالْخِرَاطَةِ وَأَخْتِلَافُهُمَا
فِي الْمَعْنَى . فَهُوَ قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ : صَوْنَةُ أَلْبَاطِلِ سَاعَةٌ
وَصَوْنَةُ الْحَقِّ إِلَى السَّاعَةِ . وَمِنْ الشَّعْرِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ فِي رِثَاءِ صَغِيرٍ
أَسْمُهُ يَحْيَى :

وَسَمِيَّتُهُ نَحْيِي لِيَحْيَا وَلَمْ يَكُنْ إِلَى رَدِّ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ سَبِيلٌ
وَكَقَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ :

عَبَّاسُ عَبَّاسُ إِذَا اخْتَدَمَ الْوَعْيُ وَالْفَضْلُ فَضْلُ وَالرَّيْعُ رَيْعُ
وَمِنْهُ الْجِنَاسُ (الْمُطَرَفُ) وَهُوَ مَا زَادَ أَحَدُ رُكْنَيْهِ عَلَى الْآخَرِ
حَرْفًا فِي طَرَفِهِ الْأَوَّلِ . وَهَذَا هُوَ الْقَرْنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَذِيلِ . فَإِنَّ
الزِّيَادَةَ فِي الْمَذِيلِ تَكُونُ فِي آخِرِهِ . وَأَمَّا الْمُطَرَفُ فَكَوْنُ زِيَادَتِهِ
فِي أَوَّلِهِ لِتَصِيرَ لَهُ كَمَا لَطَرَفٍ وَيُسَمَّى أَيْضًا التَّاقِصَ وَالْمُرْدَفَ وَالْمُزْدَوِجَ
وَالْمُكْرَّرَ وَالْمُرْدُودَ وَالْمُجَنَّبَ وَفِي تَسْمِيَّتِهِ اخْتِلَافٌ . وَالزِّيَادَةُ تَكُونُ
ثَلَاثَةً فِي أَوَّلِ الرُّكْنِ الثَّلَاثِي وَثَلَاثَةً فِي أَوَّلِ الرُّكْنِ الْأَوَّلِ
كَقَوْلِهِمْ : لَمَّا مَلَأَ الصَّاعُ أَنْصَاعَ . وَكَقَوْلِ الْآخَرِ :

وَكَمْ سَبَقَتْ مِنْهُ إِلَيَّ عَوَارِفُ ثَنَائِي عَلَى تِلْكَ الْعَوَارِفِ وَارِفُ
وَكَمْ غَرَّ مِنْ بَرِّهِ وَأَطَائِفُ لُشْكْرِي عَلَى تِلْكَ اللَّطَائِفِ طَائِفُ
وَمِنْ أَنْوَاعِ الْجِنَاسِ (الْفُظْيُ) وَهُوَ أَنْ يَتِمَّ ثَلَاثُ رُكْنَانِ
وَيَتَجَانَسَا خَطًّا إِلَّا أَنَّ أَحَدَهُمَا يُخَالِفُ الْآخَرَ بِإِبْدَالِ حَرْفٍ مِنْهُ فِيهِ
مُنَاسَبَةٌ لَفْظِيَّةٌ كَمَا الَّذِي يَكْتَسِبُ بِالضَّادِ وَالظَّاءِ كَقَوْلِهِ : وَجْهُ
يُؤَسِّدُ نَاصِرَةً إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةً . وَكَقَوْلِ ابْنِ الْعَرِيفِ :

أَحْسَنُ خَلْقِ اللَّهِ وَجْهًا وَقَفَا إِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَقَّ بِالْمَدْحِ فَن
وَمِنْ أَنْوَاعِ الْجِنَاسِ (الْجِنَاسُ الْمُتَقَلُّوبُ) وَسَمَاءُ قَوْمٍ أَلْمَعُوسُ وَذَلِكَ
ضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا عَكْسُ الْأَلْفَاظِ وَالثَّلَاثِي عَكْسُ الْحُرُوفِ . قَالَ الْأَوَّلُ
كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ : عَادَاتُ السَّادَاتِ . سَادَاتُ الْعَادَاتِ وَكَقَوْلِ الْآخَرِ :

إِنَّ اللَّيَالِي لِلْأَنَامِ مَنَاهِلٌ تُطَوَّى وَتُنَشَرُ بَيْنَهَا الْأَعْمَارُ
فَقَصَادُهُنَّ مَعَ الْأَهْمُومِ طَوِيلَةٌ وَطَوَالُهُنَّ مَعَ الشُّرُورِ قَصَارُ
وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ الْخَنَيسِ لَهُ حِلَاوَةٌ وَعَلَيْهِ رَوْتٌ وَقَدْ سَمَّاهُ
قُدَّاسَةً بَنِي جَعْفَرٍ الْكَاتِبُ: (الْتَبْدِيلُ). وَذَلِكَ أَسْمٌ مُنَاسِبٌ لِسَمَاهُ
لِأَنَّ مُؤَلَّفَ الْكَلَامِ يَأْتِي بِمَا كَانَ مُقَدِّمًا فِي جُزْءِ كَلَامِهِ الْأَوَّلِ
مُؤَخَّرًا فِي الثَّانِي وَبِمَا كَانَ مُؤَخَّرًا فِي الْأَوَّلِ مُقَدِّمًا فِي الثَّانِي. وَأَمَّا
الضَّرْبُ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْقِسْمِ وَهُوَ عَكْسُ الْحُرُوفِ فَكَقَوْلِ
بَعْضِهِمْ :

أَهْدَيْتُ شَيْئًا يَقْلُ الْأَوْلَا أُحْدُوْتُهُ أَلْقَالِ وَالْتَبَرُّكُ
كَرْبِي تَفَالَتْ فِيهِ لَمَّا رَأَيْتُ مَقْلُوبُهُ يَسْرُكُ
وَرَبَّمَا كَانَ أَلْبَيْتُ كُلَّهُ مَعْكُوسًا يُفْرَأُ طَرْدًا وَعَكْسًا وَأَلْبَيْتُ
الثَّانِي مِنْهُ مَعْكُوسٌ كَقَوْلِ الْأَرَجَانِيِّ :

أَحِبُّ الْمَرْءَ ظَاهِرُهُ حَمِيلٌ لِصَاحِبِهِ وَبَاطِنُهُ سَلِيمٌ
مَوَدَّتُهُ تَدُومُ لِكُلِّ هَوَلٍ وَهَلْ كُلُّ مَوَدَّةٍ تَدُومُ

وَمِنْ أَنْوَاعِهِ (الْجُلَّاسُ الْقَرَابُ) وَبَيْنَهُمْ مَنْ يُسَمِّيهِ جِنَاسَ الْأَشْتِقَاقِ
وَجِنَاسَ الْإِقْتِضَابِ وَهُوَ يَنْقَسِمُ إِلَى أَنْوَاعٍ وَنَهَا أَنْ يَكُونَ الرُّكْنَانِ
أَسْنَيْنِ كَقَوْلِ الصَّاحِبِ: إِنَّ الْأَهْمُومِ بِقَدْرِ أَلْهَمَمِ. وَكَقَوْلِ الْقَائِلِ:
رَوْحٌ وَرَيْنَحَانٌ. وَرَمَنَهَا أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الرُّكْنَيْنِ أَسْمًا وَالْآخَرُ فِعْلًا
نَحْوُ: وَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَى اللَّهِ. وَرَمَنَهَا أَنْ يَكُونَ الرُّكْنَانِ فِعْلَيْنِ.
كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

إِنْ تَرِ الدُّنْيَا أَغَارَتْ وَنَجْمٌ السَّعْدِ غَارَتْ

قَصْرُوفُ الدَّهْرِ شَتَّى كُلَّمَا جَارَتْ لَجَارَتْ

وَمِنْ أَنْوَاعِ الْجِنَاسِ (الْمَعْنَوِي) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ رُكْنَيْ
الْجِنَاسِ دَالًّا عَلَى مَعْنَى الْآخَرِ فِي غَيْرِ اللَّفْظِ وَهَذَا النَّوعُ اسْتَدْرَكُهُ فَضْلًا
أَلْتَأَخَّرِينَ وَأَسْتَحْجِبُهُ وَبَعْضُهُمْ لَا يَعُدُّهُ جِنَاسًا لِأَنَّهُ قَلْبًا يُوجَدُ فِي
الْكَلَامِ اتِّوَاعًا مَسْلُوكًا. وَسَبَبُ وَرُودِ هَذَا النَّوعِ فِي الْكَلَامِ
أَنَّ الشَّاعِرَ يَتَّصِدُ الْمُجَانَسَةَ فِي كَلَامِهِ بَيْنَ لَفْظَتَيْنِ فَلَا يَوَاقِفُهُ الْوِزْنَ
عَلَى اثْبَاتِ أَحَدِ رُكْنَيْ الْجِنَاسِ فَيَعْدِلُ إِلَى مَا يَوَاقِفُهُ مَعْنَى وَيُجَالِغُهُ
لَفْظًا وَعَلَى هَذَا لَا وَرُودَ لِهَذَا النَّوعِ فِي الْكَلَامِ الْمُنْثَوِرِ إِذْ لَا وَزْنَ
يَضْطَرُّهُ إِلَى الْإِثْنَانِ بِذَلِكَ. وَمِنْ أَمَثَلِهِ أَرْبَابُ الْبَيْعِ فِي هَذَا
النَّوعِ قَوْلُ الشَّاعِرِ يَدْحُ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ وَيَذْكُرُ فَعَلَهُ
بِقَطْرِ بَيْنِ الْحِجَاءِ وَكَانَ قَطْرِي يُكْنَى أَبَا نَعَامَةَ :

حَدَا بِأَبِي أُمِّ الرِّثَالِ فَاجْتَلَتْ نَعَامَتُهُ مِنْ عَارِضٍ مُتَلَهِّبٍ
أَرَادَ أَنْ يَقُولَ : حَدَا بِأَبِي نَعَامَةَ فَاجْتَلَتْ نَعَامَتُهُ أَيَّ رُوحُهُ فَلَمْ
يُسَاعِدْهُ الْوِزْنُ فَقَالَ : بِأَبِي أُمِّ الرِّثَالِ لِأَنَّ الرِّثَالَ فِرَاحُ النَّعَامَةِ.
وَأَعْلَمَ أَنَّ الشُّعْرَاءَ عِنْدَ نَظْمِ هَذِهِ الْآيَاتِ مَا لَحِقُوا هَذِهِ الْقَاصِدَ
الْبُعِيدَ. وَلَا يَحْقِقُ مَا فِي هَذَا مِنَ التَّكَلُّفِ وَالْتَعَسُفِ

الفصل الثامن

في فنون الانشاء.

البحث الاول

في المثل وشرفه

(عن الميداني)

(راجع صفحة ١٢٦ من علم الادب)

قَالَ الْمُبَرَّدُ: أَمَثَلُ مَاخُودٍ مِنَ الْمَثَالِ وَهُوَ قَوْلُ سَائِرٍ يُشَبَّهِ بِهِ
حَالُ الثَّانِي بِالْأَوَّلِ وَالْأَصْلُ فِيهِ التَّشْبِيهُ . فَقَوْلُهُمْ : مَثَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ
إِذَا انْتَصَبَ مَعْنَاهُ : أَشَبَّ الصُّورَةَ الْمُنْتَصِبَةَ . وَقُلَانُ أَمَثَلُ مِنْ فُلَانٍ
أَيُّ أَشَبَّ بِمَا لَهُ الْفَضْلُ . وَالْمَثَالُ الْقِصَاصُ لِتَشْبِيهِ حَالِ الْمُقْتَصِرِ مِنْهُ
بِحَالِ الْأَوَّلِ فَحَقِيقَةُ أَمَثَلٍ مَا جُعِلَ كَمَا لَعَلَّ التَّشْبِيهِ بِحَالِ الْأَوَّلِ . كَقَوْلِ
كَتَبَ بْنَ ذُهَيْرٍ :

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ لَهَا مَثَلًا وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ
فَمَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ عِلْمٌ لِكُلِّ مَا لَا يَصِحُّ مِنَ الْمَوَاعِيدِ . وَقَالَ ابْنُ
السَّكَيْتِ : أَمَثَلُ لَفْظٌ يُخَالِفُ لَفْظَ الْمَضْرُوبِ لَهُ وَيُؤَافِقُ مَعْنَاهُ
مَعْنَى ذَلِكَ اللَّفْظِ . شَبَّهَهُ بِالْمَثَالِ الَّذِي يُعْمَلُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ . وَقَالَ غَيْرُهُمَا :
سُمِّيَتْ الْحِكْمُ الْقَائِمُ صِدْقُهَا فِي الْعُقُولِ أَمْثَالًا لِأَنَّهُ نَتِصَابُ صُورَهَا

فِي الْعُقُولِ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْكُلُولِ الَّذِي هُوَ الْإِنْتِصَابُ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ
النِّظَامُ : يَجْتَمِعُ فِي الْكُلُولِ أَرْبَعَةٌ لَا تَجْتَمِعُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْكَلَامِ
إِيجَاذُ اللَّفْظِ وَإِصَابَةُ الْمَعْنَى وَحُسْنُ التَّشْبِيهِ وَجُودَةُ الْكِفَايَةِ فَهُوَ
نِهَايَةُ الْبَلَاغَةِ . قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : إِذَا جُعِلَ الْكَلَامُ مِثْلًا كَانَ أَوْضَحَ
لِلنَّاطِقِ وَأَتَقَى لِلسَّمْعِ وَأَوْسَعَ لِشُعُوبِ الْحَدِيثِ . قَالَ آخَرُ : إِنْ
الْأَمْثَالُ هِيَ وَثِيْقُ الْكَلَامِ وَجَوْهَرُ اللَّفْظِ وَحُلَى الْمَعْنَى الَّتِي تُخَيِّرُهَا
الْعَرَبُ وَقَدَمَتُهَا الْحُجْمُ وَنَطَقَ بِهَا كُلُّ زَمَانٍ وَدَارَتْ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ .
فَهِيَ آيَةُ مِنَ الشَّعْرِ وَأَشْرَفُ مِنَ الْخُطَابَةِ . لَمْ يَسِرْ شَيْءٌ مِثْلَهَا
وَلَا عَمَّ عُمُومَهَا حَتَّى قِيلَ : أَسِيرٌ مِنْ مِثْلِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا أَنْتَ إِلَّا مِثْلُ سَائِرٍ يَعْرِفُهُ الْجَاهِلُ وَالْعَابِرُ

هَذَا وَإِنَّ الْأَمْثَالَ تَحْكُمُ بِفَرَائِدِهَا صُدُورَ الْحِكَايِلِ وَالْحَاظِرِ .
وَتَحْكُمُ بِفَرَائِدِهَا قُلُوبَ الْبَادِي وَالْحَاضِرِ . وَتُقَيِّدُ أَوَابِدَهَا فِي بُطُونِ
الدَّفَائِرِ وَالصَّخَائِفِ . وَتَطِيرُ نَوَاضِحَهَا فِي رُؤُوسِ الشَّوَاهِقِ وَظُهُورِ
الْتَّنَائِفِ . يَحْتَاجُ الْخُطِيبُ وَالشَّاعِرُ إِلَى إِدْمَاجِهَا وَإِدْرَاجِهَا لِأَشْتِمَالِهَا
عَلَى أَسَالِيِبِ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْحَاجَةَ إِلَى الْأَمْثَالِ شَدِيدَةٌ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ لَمْ
تَضَعْ الْأَمْثَالَ إِلَّا لِأَسْبَابٍ أَوْجَبَتْهَا وَحَادَثَ أَقْتَضَتْهَا . فَصَارَ الْكُلُولُ
الْمَضْرُوبُ لِأَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ عِنْدَهُمْ كَأَعْلَامَةِ الَّتِي يُعْرِفُ بِهَا الشَّيْءُ
وَلَيْسَ فِي كَلَامِهِمْ أَوْجُزٌ مِنْهَا وَلَا أَشَدُّ اخْتِصَارًا . وَسَبَبُ ذَلِكَ مَا
أَذْكُرُهُ لَكَ لِتَكُونَ مِنْ مَعْرِقَتِهِ عَلَى يَقِينٍ فَأَقُولُ : قَدْ جَاءَ عَنْ

أَعْرَبَ مِنْ جَمَلِهِمْ (إِنْ يَنْبَغُ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَنْبَغُ عَلَيْكَ الْقَمَرُ). وَهُوَ مِثْلُ يُضْرَبُ لِلْأَمْرِ الظَّاهِرِ الْمَشْهُورِ وَالْأَصْلُ فِيهِ كَمَا قَالَ الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ: أَنَّهُ بَلَعْنَا أَنَّ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ ضَبَّةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَرَاهُنُوا عَلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْلَةً أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِنَ الشَّهْرِ . فَقَالَتْ طَائِفَةٌ : تَطَاعُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُرَى . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ : يَغِيبُ الْقَمَرُ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَتَرَاضُوا بِرَجُلٍ جَعَلُوهُ حَكَمًا . فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ : إِنْ قَوْمِي يَنْغُونَنِي عَلَيَّ . فَقَالَ الْحَكَمُ : إِنْ يَنْبَغُ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَنْبَغُ عَلَيْكَ الْقَمَرُ . فَذَهَبَتْ مَثَلًا . وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ : (إِنْ يَنْبَغُ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَنْبَغُ عَلَيْكَ الْقَمَرُ) . إِذَا أُخِذَ عَلَى حَقِيقَتِهِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى الْقَرَأَنِ الْمُنَوَّطَةِ بِهِ وَالْأَسْبَابِ الَّتِي قِيلَ مِنْ أَجْلِهَا لَا يُعْطِي مِنَ الْمَعْنَى مَا قَدْ آعْطَاهُ الْمَثَلُ . وَذَلِكَ لِأَنَّ لَهُ مُقَدِّمَاتٍ وَأَسْبَابًا قَدْ عُرِفَتْ وَصَارَتْ مَشْهُورَةً بَيْنَ النَّاسِ مَعْلُومَةً عِنْدَهُمْ . وَحَيْثُ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ جَازَ إِبْرَادُ هَذِهِ اللَّفْظَاتِ فِي التَّعْيِيرِ عَنِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ وَلَوْلَا تِلْكَ الْمُقَدِّمَاتُ الْمَعْلُومَةُ وَالْأَسْبَابُ الْمَعْرُوفَةُ لَمَّا فُهِمَ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ : (إِنْ يَنْبَغُ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَنْبَغُ عَلَيْكَ الْقَمَرُ) مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ بَلْ مَا كَانَ يُفْهَمُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ مَعْنَى مُفِيدَةٍ . لِأَنَّ الْبَغْيَ هُوَ الظُّلْمُ وَالْقَمَرُ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَظْلِمَ أَحَدًا فَكَانَ يَصِيدُ مَعْنَى الْمَثَلِ : إِنْ كَانَ يَظْلِمُكَ قَوْمُكَ لَا يَظْلِمُكَ الْقَمَرُ . وَهَذَا كَلَامٌ مُحْتَلٌّ الْمَعْنَى لَيْسَ بِمُسْتَعِيمٍ . فَلَمَّا كَانَتْ الْأَمْثَالُ كَالرُّمُوزِ وَالْإِشَارَاتِ الَّتِي يُلَوِّحُ بِهَا عَلَى الْمَعَانِي

تَلَوِيحًا صَارَتْ مِنْ أَوْجَزِ الْكَلَامِ وَأَكْثَرِهِ اخْتِصَارًا . وَمِنْ أَجْلِ
ذَلِكَ قِيلَ فِي حَدِّ الْمَثَلِ : إِنَّهُ أَقْوَلُ الْوَجِيزِ الْمُرْسَلُ لِيُعْمَلَ عَلَيْهِ
وَحَيْثُ هِيَ هَذِهِ الْمَثَابَةُ فَلَا يَنْبَغِي الْإِخْلَالُ بِمَعْرِفَتِهَا

البحث الثاني

في آداب المثل وشروطه

(عن الماوردي ومقدمة كلبلة ودمنة)

(راجع صفحة ١٣٣ من علم الادب)

وَمِنْ آدَابِ الْحَكِيمِ أَنْ يَجْتَنِبَ امْتِثَالَ الْعَامَّةِ الْقَوَاعِدَ وَيَتَخَصَّصَ
بِامْتِثَالِ الْعُلَمَاءِ الْأَدَبَاءِ فَإِنَّ لِكُلِّ صِنْفٍ مِنَ النَّاسِ امْتِثَالًا تُشَابِهُهُمْ
فَلَا تُحْدِ لِسَاقِطٍ إِلَّا امْتِثَالًا سَاقِطًا وَتَشْبِيهًا مُسْتَقْبِحًا

وَلِذَلِكَ عِلَّتَانِ : إِحْدَاهُمَا أَنَّ الْأَمْتِثَالَ مِنْ هَوَاجِسِ أَهْلِهِمْ
وَخَطَرَاتِ النُّفُوسِ وَلَمْ يَكُنْ لِذِي الْهِمَّةِ السَّاقِطَةِ إِلَّا مَثَلٌ مَرْدُودٌ
وَتَشْبِيهٌ مَعُولٌ . وَالثَّانِيَةُ أَنَّ الْأَمْتِثَالَ مُسْتَحْرَجَةٌ مِنْ أَحْوَالِ الْمُتَمَثِّلِينَ
بِهَا فَجَسِبَ مَا هُمْ عَلَيْهِ تَكُونُ امْتِثَالُهُمْ . فَلِهَاتَيْنِ الْعِلَّتَيْنِ وَقَعَ الْفَرْقُ
بَيْنَ امْتِثَالِ الْخَاصَّةِ وَامْتِثَالِ الْعَامَّةِ وَرُبَّمَا أَلْفَ الْمُتَخَصِّصُ مَثَلًا عَامِيًّا
أَوْ تَشْبِيهًا رَكِيكًا لِكَثْرَةِ مَا يَطُوقُ سَمْعَهُ مِنْ مُحَاطَةِ الْأَرَادِئِ
فَيَسْتَرْسِلُ فِي ضَرْبِهِ مَثَلًا قَيْصِيرُهُ مَثَلًا كَأَلَّذِي حُكِيَ عَنِ الْأَصْبَعِيِّ :
إِنَّ الرَّشِيدَ سَأَلَهُ يَوْمًا عَنْ أَنْسَابِ بَعْضِ الْعَرَبِ . فَقَالَ : عَلَى الْخَيْرِ

سَقَطَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ بْنُ الرَّيِّعِ : أَسَقَطَ اللَّهُ
جَنَّتِيكَ أَخْطَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِغِلِّ هَذَا الْخَطَّابِ . فَكَانَ الْفَضْلُ
أَبْنُ الرَّيِّعِ مَعَ قَلْبِهِ عَلَيْهِ أَعْلَمَ بِمَا يُسْتَعْمَلُ مِنَ الْكَلَامِ فِي مُحَاوَرَةِ
الْخُلَفَاءِ مِنَ الْأَصْمَعِيِّ الَّذِي هُوَ وَاحِدُ عَصْرِهِ وَقَرِيبُ دَهْرِهِ . وَلِلْأَمْثَالِ
مِنْ الْكَلَامِ مَوْقِعٌ فِي الْأَسْمَاعِ وَتَأْثِيرٌ فِي الْقُلُوبِ لَا يَكَاذُ الْكَلَامُ
الْمُرْسَلُ يَبْلُغُ مَبْلَغَهَا وَلَا يُؤَثِّرُ تَأْثِيرَهَا لِأَنَّ الْمَعَانِيَ بِهَا لَا تَحْتَمِلُ وَالشُّوَاهِدُ
بِهَا وَاصِحَةٌ وَالنُّفُوسُ بِهَا وَامِئَةٌ وَالْقُلُوبُ بِهَا وَاثِقَةٌ وَالْعُقُولُ لَهَا
مُوَافَقَةٌ . وَلَهَا أَرْبَعَةُ شُرُوطٍ : أَحَدُهَا صِحَّةُ الشَّبِيهِ . وَالثَّانِي أَنْ
يَكُونَ أَعْلَمَ بِهَا سَابِقًا وَالْكُلُّ عَلَيْهَا مُوَافِقًا . وَالثَّالِثُ أَنْ يُسْرِعَ
وُضُوعُهَا لِلْفَهْمِ وَيَتَجَلَّ تَصَوُّرُهَا فِي أَلْوَهَمٍ مِنْ غَيْرِ ارْتِيَاءٍ فِي اسْتِخْرَاجِهَا
وَلَا كَدٍ فِي اسْتِنْبَاطِهَا . وَالرَّابِعُ أَنْ تُنَاسِبَ حَالَ السَّامِعِ لِتَكُونَ
أَبْلَغَ تَأْثِيرًا وَأَحْسَنَ مَوْقِعًا . فَإِذَا اجْتَمَعَتْ فِي الْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ
هَذِهِ الشُّرُوطُ الْأَرْبَعَةُ كَانَتْ زِينَةً لِلْكَلَامِ وَجَلَاءً لِلْمَعَانِي وَتَذَكُّرًا
لِلْأَفْهَامِ .

قَالَ صَاحِبُ كَلِيلَةِ وَدِئْمَةٍ : يَجِبُ عَلَى قَارِي الْأَمْثَالِ أَنْ يُدِيمَ
النَّظَرَ فِيهَا مِنْ غَيْرِ حَجَرٍ وَيَلْتَمِسَ جَوَاهِرَ مَعَانِيهَا وَلَا يَظُنَّ أَنَّ نَتِيجَتَهَا
إِنَّمَا هِيَ الْإِخْبَارُ عَنْ حِيلَةٍ بَيْمَتَيْنِ أَوْ مُحَاوَرَةٍ سَعِيَ لِشُورٍ فَيَنْصَرِفَ
بِذَلِكَ عَنْ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ وَيَكُونُ مَثَلُهُ مَثَلُ الصَّيَّادِ الَّذِي كَانَ فِي
بَعْضِ الْخِجَانِ يَصِيدُ فِيهِ السَّمَكَ فِي زُورَقٍ . فَرَأَى ذَاتَ بَوْمٍ فِي
عَقِيقِ الْمَاءِ صَدَقَةً تَتَلَا حُسْنًا فَتَوَهَّمَهَا جَوْهَرًا لَهُ قِيمَةٌ . وَكَانَ قَدْ أَلْقَى

شَبَكْتَهُ فِي الْخَجْرِ فَاشْتَلَتْ عَلَى سَكَةِ كَانَتْ قُوْت يَوْمِهِ . فَخَلَّاهَا
وَقَذَفَ نَفْسَهُ فِي أَمَاءٍ لِيَأْخُذَ الصَّدَقَةَ . فَلَمَّا أَخْرَجَهَا وَجَدَهَا فَارِغَةً
لَا شَيْءَ فِيهَا بِمَا ظَنَّ قَدِيمٌ عَلَى تَرْكِ مَا فِي يَدِهِ لِلطَّمَعِ وَتَأَسَّفَ عَلَى
مَا قَاتَهُ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّانِي تَخَيَّرَ عَنْ ذَلِكَ أَلَمَكَانَ وَالْتَمَى
شَبَكْتَهُ فَاصَابَ حُوتًا صَغِيرًا وَرَأَى أَيْضًا صَدَقَةً سَيِّئَةً فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا
وَسَاءَ ظَنُّهَا فَتَرَكَهَا . وَاجْتَارَ بِهَا بَعْضُ الصَّيَادِينَ فَاخْذَهَا فَوَجَدَ فِيهَا
دُرَّةً تُسَاوِي أَمْوَالًا . . . وَكَذَلِكَ الْجُهَالُ عَلَى إِغْفَالِ أَمْرِ التَّفَكُّرِ
فِي الْأَمْثَالِ وَالْإِعْتِرَارِ بِهَا وَتَرْكِ الْوُقُوفِ عَلَى أَسْرَارِ مَعَانِيهَا وَالْإِخْذِ
بِظَاهِرِهَا دُونَ الْإِخْذِ بِبَاطِنِهَا . وَمَنْ صَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَى النَّظَرِ فِي
أَبْوَابِ الْهَزْلِ مِنْهَا فَهُوَ كَرَجُلٍ آعَابَ أَرْضًا طَيِّبَةً حُرَّةً وَحَبًّا
صَحِيحًا فَرَزَعَهَا وَسَقَاهَا حَتَّى إِذَا قَرُبَ خَيْرُهَا تَشَاغَلَ عَنْهَا بِجَمْعِ مَا فِيهَا
مِنَ الزَّهْرِ وَقَطَعَ الشَّرْكَ فَاهْلَكَ بِتَشَاغُلِهِ مَا كَانَ أَحْسَنَ فَائِدَةٍ
وَأَجَلَ عَائِدَةٍ . وَيَتَّبِعِي لِلنَّاظِرِ فِي الْأَمْثَالِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهَا تَقْسِمُ
إِلَى أَرْبَعَةِ أَغْرَاضٍ : أَحَدُهَا مَا قُصِدَ فِيهِ إِلَى وَضْعِهَا عَلَى السَّنَةِ
الْبَهَائِمِ غَيْرِ النَّاطِقَةِ مِنْ مُسَارَعَةِ أَهْلِ الْهَزْلِ مِنَ الشَّبَّانِ إِلَى قِرَاءَتِهَا
قُسْتِمَالٍ بِهِ قُبُوبُهُمْ لِأَنَّ هَذَا هُوَ الْغَرَضُ بِالذُّوَادِرِ مِنْ حِيلِ الْحَيَوَانَاتِ .
وَالثَّانِي إِظْهَارُ خَيَالَاتِ الْحَيَوَانَاتِ بِصُوفِ الْأَصْبَاحِ وَالْأَلْوَانِ لِيَكُونَ
أُنْسًا لِقُلُوبِ الْمُلُوكِ وَيَكُونَ حِرْضُهُمْ عَلَيْهَا أَشَدَّ لِلزُّهْدَةِ فِي تِلْكَ
الصُّورِ . وَالثَّالِثُ أَنْ يَكُونَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ فَتُخْذَهَا الْمُلُوكُ وَالشُّرُقَةُ
فَيَكْثُرُ بِذَلِكَ اتِّسَاعُهَا وَلَا يَبْطُلُ فَيُخْلَقَ عَلَى مُرُورِ الْأَيَّامِ . وَلِيَنْتَفِعَ

بِذَلِكَ الْمَصَوِّرُ وَالنَّاسِخُ أَبَدًا. وَالْقَرَضُ الرَّابِعُ وَهُوَ الْأَقْصَى مَخْصُوصٌ
بِأَنْفِلَسُوفٍ خَاصَّةٍ لِتَكُونَ الْأَمْثَالُ رِيَاضَةً لِعَقْلِهِمْ إِذْ فِيهَا يَجِدُونَ مَا
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ سِيَاسَةِ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَخَاصَّتِهِ وَجَمِيعِ مَا
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ وَأَوَّلَاهُ وَيَحْضُهُ عَلَى حُسْنِ
طَاعَتِهِ لِلْمُلُوكِ وَيُجَنِّبُهُ مَا تَكُونُ مُجَابَّتُهُ خَيْرًا لَهُ *

البحث الثالث

في آداب المحادثة والرواية

(عن مروح الذهب للسعودي)

(راجع صفحة ١٦٩ من علم الادب)

قَدْ قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : لَا تَحْسُنُ التَّحَادِثَةَ إِلَّا بِحُسْنِ الْفَهْمِ .
وَقَالُوا : تَعَلَّمْ حُسْنَ الْأَسْتِمَاعِ كَمَا تَتَعَلَّمُ حُسْنَ الْكَلَامِ . وَحُسْنُ
الْأَسْتِمَاعِ هُوَ أَشْهَى إِلَى التَّحَدِّثِ حَتَّى يَقْضِيَ حَدِيثُهُ . وَمِنْ آدَبِ

* وقال بعضهم في وصف كيلة ودمنة :

إذا افتخر الرجال بفضل علم	ومدَّت فيه السنة طويلة
فعاخر ما استطعت بما حوته	بطون كتاب دمنة مع كيلة
كتاب يفرق اللعاه فيه	وآلآب الورى منه كيلة
وكم فيه عجائب كائنات	على دنيا وآخرة دليله
وكم حكم على أفواه طير	وآداب وامتآل مقولة
يراها الخاهل المأفون مرآة	وحسكها لعالمها فضيلة

الْحَدِيثِ وَوُجِبَتْ أَنْ لَا يُقْتَضَبَ اقْتِضَابًا وَلَا يُهْجَمَ عَلَيْهِ وَأَنْ
يُتَوَصَّلَ إِلَى إِجْرَائِهِ بِمَا يُشَاكِلُهُ . وَأَنْ يُسْتَنْسَبَ لَهُ مَا يُحْسُنُ أَنْ
يُجْرِيَ فِي غَرَضِهِ حَتَّى يَكُونَ بَعْضُ الْمَفَاوِضَةِ مُتَعَلِّقًا بِبَعْضِ عَلَى حَسَبِ
مَا قَالُوا فِي الْمَثَلِ : إِنْ أَحْدِيثَ ذُو سُجُونٍ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ تَشْعُبُهُ
وَتَفَرُّعُهُ عَنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ إِلَى وُجُوهِ مِنَ الْمَعَانِي كَثِيرَةٍ إِذَا كَانَ
أَعْيَشُ كُلُّهُ فِي الْخَلِيسِ الْمُنْتَمِعِ . وَقَالَ رَجُلٌ : إِنِّي مَا أَمَلْتُ أَحْدِيثَ .
فَقَالَ السَّامِعُ : إِنَّمَا يَمْلُ الْأَعْيَقُ لَا الْحَدِيثُ . وَقَدْ اكْتَثَرَتِ الشُّعْرَاءُ
مِنَ الْإِعْرَاقِ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ الْأَبَّاسِ
الرُّومِيِّ :

وَسَمِئْتُ كُلَّ مَارِي فَكَانَ أَطْيَمًا غَيْثُ
إِلَّا الْحَدِيثَ فَإِنَّهُ مِثْلُ أَسْبِهِ أَبَدًا حَدِيثُ

وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَبَّاسِ :
وَصَحِرْتُ إِلَّا مِنْ لِقَاءِ مُحَدِّثٍ حَسَنِ الْحَدِيثِ يَزِيدُنِي تَعْلِيمًا
وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ أَنَّ مِنَ الْأَدَبِ
عَدَمَ إِطَالَةِ الْحَدِيثِ مِنَ الدَّيْمِ وَأَنَّ أَحْلَى لِحْدِيثِهِ وَأَحْسَنَ لِمَوْقِعِهِ
أَنْ يَتَجَنَّبَ مِنْهُ الْأَحَادِيثَ الطُّوَالَ ذَاتَ الْمَعَانِي الْمَغْلَقَةِ وَالْأَلْفَازِ
الْحُشْرِيَّةِ الَّتِي أَفَنَّا بِاقْتِصَاصِهَا جَارُ الْعَجَالِ وَتَتَعَلَّقُ بِهَا النُّفُوسُ وَتُحْتَسَى
عَلَى أَوَاخِرِهَا الْكُؤُوسُ . فَإِنَّ ذَلِكَ يَجَالِسُ الْقُصَاصِ أَشْبَهُ مِنْهُ
يَجَالِسُ الْخَوَاصِ . وَقَدْ ذَكَرَ هَذَا الْمَعْنَى فَاجَادَ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
الْمُعْتَزِّ وَوَصَفَ ذَلِكَ مِنْ أَوْصَافِ الشَّرَابِ عَلَى الْمَعَاوِرَةِ فَقَالَ :

يَبَيِّنُ أَفْدَاحَهُمْ حَدِيثُ قَصِيرٍ هُوَ سِخْرٌ وَمَا سِوَاهُ حَرَامٌ
وَهَذِهِ طَرِيقَةٌ مَنِ ذَهَبَ فِي هَذَا الْمَعْنَى إِلَى اسْتِيعَارِ اللَّحْمِ

المبحث الرابع

في حقيقة التاريخ وموضوعه

(عن كشف الظنون للماج خلفا ومروج الذهب للسعدي)

(راجع صفحة ١٩٤ من علم الادب)

التَّارِيخُ فِي اللَّغَةِ تَعْرِيفُ الْوَقْتِ مُطْلَقًا . وَيُقَالُ : أَرَحْتُ
الْكِتَابَ تَارِيخًا وَوَرَّخْتُهُ تَوْرِيخًا كَمَا فِي الصِّحَاحِ وَهُوَ مُعَرَّبٌ . وَعُرْفًا
هُوَ تَعْيِينُ وَقْتٍ لِيُنْسَبَ إِلَيْهِ زَمَانٌ يَأْتِي عَلَيْهِ أَوْ مُطْلَقًا يَعْنِي سِوَاهُ
كَانَ مَاضِيًا أَوْ مُسْتَقْبَلًا . وَقِيلَ : تَعْرِيفُ الْوَقْتِ بِاسْتِدَادِهِ إِلَى أَوَّلِ
حُدُوثِ أَمْرٍ شَانِعٍ مِنْ ظُهُورِ مِلَّةٍ أَوْ دَوْلَةٍ أَوْ أَمْرٍ هَائِلٍ مِنَ الْأَثَارِ
الْعُلُويَّةِ وَالْحَوَادِثِ السُّفْلِيَّةِ بِمَا يَنْدُرُ وَقُوعُهُ جُعِلَ ذَلِكَ مَبْدَأَ لِعَرَفَةِ
مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَوْقَاتِ الْحَوَادِثِ وَالْأُمُورِ الَّتِي يَحِبُّ ضَبْطُ أَوْقَاتِهَا فِي
مُسْتَأَنَفِ السِّنِينَ . وَقِيلَ : عَدَدُ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي بِالنَّظَرِ إِلَى مَا مَضَى
مِنَ السَّنَةِ وَالشُّهُورِ إِلَى مَا بَقِيَ . وَعِلْمُ التَّارِيخِ هُوَ مَعْرِفَةُ أَحْوَالِ
الْطَّوَائِفِ وَبُلْدَانِهِمْ وَرُسُومِهِمْ وَصَنَائِعِ أَشْخَاصِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ وَوَقَايَتِهِمْ
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ . وَمَوْضُوعُهُ أَحْوَالُ الْأَشْخَاصِ الْمَاضِيَةِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ
وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَالْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ . وَالْفَرْصُ
رِمْتُهُ الْوُقُوفُ عَلَى الْأَحْوَالِ الْمَاضِيَةِ . وَقَادَتْهُ الْعَبْرَةُ بِتِلْكَ الْأَحْوَالِ

الْمَاضِيَةِ وَالْمُتَّصِحُّ بِهَا وَحُصُولُ مَلَكََةِ التَّجَارِبِ بِالْوُقُوفِ عَلَى تَقَلُّبَاتِ
الزَّمَنِ لِيُجْتَرَدَ عَنْ أَمْثَالِ مَا نُقِلَ مِنَ الْمَضَارِ وَيُسْتَجْلَبَ نَظَائِرُهَا مِنْ
الْمَنَافِعِ . وَهَذَا الْعِلْمُ كَمَا قِيلَ عُمَرُ آخَرُ لِلنَّاطِرِينَ وَانْتِفَاعُ (لِلْمُطَالِعِ)
فِي مُضَرِّهِ بِمَنَافِعِ تَحْصُلِ الْمُسَافِرِينَ

وَلَوْ لَا تَقْيِيدُ الْعُلَمَاءِ خَوَاطِرَهُمْ عَلَى النَّهْرِ لَبَطَلَ أَوَّلُ الْعِلْمِ
وَصَاحَ آخِرُهُ إِذْ كَانَ كُلُّ عِلْمٍ مِنَ الْأَخْبَارِ يُسْتَبْطُ وَالْفَيْضُ مِنْهَا
يُسْتَسَادُّ وَالْفَصَاحَةُ مِنْهَا تُسْتَفَادُّ وَأَصْحَابُ الْقِيَاسِ مِنْهَا يَنْبُونُ . وَأَهْلُ
الْمَقَالَاتِ بِهَا يَخْجُونَ وَمَعْرِفَةُ النَّاسِ مِنْهَا تُؤْخَذُ وَأَمْثَالُ الْحُكَمَاءِ فِيهَا
تُوجَدُ وَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِيهَا مِنْهَا تُقْتَبَسُ . وَآدَابُ سِيَاسَةِ الْمُلُوكِ
وَالْحُرُوبِ مِنْهَا تُلْتَمَسُ وَكُلُّ غَرِيبَةٍ مِنْهَا تُعْرَفُ وَكُلُّ أُعْجُوبَةٍ مِنْهَا
تُسْتَطَرَفُ . وَهُوَ عِلْمٌ يَسْتَنْبِغُ بِسَمَاعِهِ الْعَالِمُ وَالْجَاهِلُ وَيَسْتَعْذِبُ
مَوْقِعُهُ الْأَحَقُّ وَالْعَاقِلُ وَيَأْنَسُ بِمَكَانِهِ وَيَنْزِعُ إِلَيْهِ الْخَاصِيُّ وَالْعَامِيُّ
وَيَمِيلُ إِلَى رِوَايَتِهِ الْعَرَبِيُّ وَالْحَمِيَّ . وَبَعْدُ فَإِنَّهُ يُوصَلُ بِهِ كُلُّ كَلَامٍ
وَيُتَرَنَّ بِهِ فِي كُلِّ مَقَامٍ وَيُحْتَمَلُ بِهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ وَيُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي
كُلِّ مُحْفَلٍ . فَفَضِيلَةُ عِلْمِ الْأَخْبَارِ بَيِّنَةٌ عَلَى كُلِّ عِلْمٍ وَشَرَفُ مَثَرَتِهِ
صَحِيحَةٌ فِي كُلِّ فَهْمٍ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى عَلَيْهِ وَيَتَّقِنُ مَا فِيهِ وَإِرَادُهُ
وَإِضَادَرُهُ إِلَّا إِنْسَانٌ قَدْ تَجَرَّدَ لِلْعِلْمِ وَفَهُمَ مَعْنَاهُ وَذَاقَ ثَمَرَتَهُ
وَأَسْتَشْعَرَ مِنْ عِزِّهِ وَنَالَ مِنْ سُرُورِهِ

البحث الخامس

في شرف التاريخ

(عن ابن خلدون)

(راجع صفحة ١٩٤ من علم الادب)

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ تَارِيخَ مَنْ أَفْنُونِ أَلَّتِي تَسَدَّوْهُمَا أَلَامَ
وَالْأَجْيَالِ وَتُسَدُّ إِلَيْهَا الرُّكَّابُ وَالزَّحَالُ وَتَسْمُو إِلَى مَعْرِفَتِهَا السُّوْقَا
وَالْأَغْفَالُ . وَتَتَنَافَسُ فِيهَا الْمُلُوكُ وَالْأَقْيَالُ . وَتَتَسَاوَى فِي فَهْمِ
الْعُلَمَاءِ وَاجْتِهَالِ . إِذْ هُوَ فِي ظَاهِرِهِ لَا يَزِيدُ عَلَى أَخْبَارِ عَنِ الْآيَامِ
وَالدُّوَلِ . وَالسَّوَابِقِ مِنْ أَقْرُونِ الْأَوَّلِ . تَسُو فِيهَا الْأَقْوَالُ وَتُضْرَبُ
فِيهَا الْأَمْثَالُ . وَتُظَرَفُ بِهَا الْأَنْدِيَةُ إِذَا غَصَّهَا الْإِحْتِقَالُ . وَتُؤَدِّي لَه
شَانَ الْخَلِيقَةِ كَيْفَ تَقَلَّبَتْ بِهَا الْأَحْوَالُ . وَاتَّسَعَ لِلدُّوَلِ فِيهَا الْبَطَاقُ
وَالْحِجَالُ . وَعَمَرُوا الْأَرْضَ حَتَّى نَادَى بِهِمِ الْإِلَازِجَالُ . وَحَانَ مِنْهُمْ الزَّوَالُ
وَفِي بَاطِنِهِ نَظَرٌ وَتَحْقِيقٌ . وَتَعْلِيلٌ لِلْكَائِنَاتِ وَمَبَادِيهَا دَقِيقٌ . وَعِلْمٌ
بِكَيْفِيَّاتِ أَلْوَقَانِعِ وَأَسْبَابِهَا عَمِيقٌ . فَهُوَ لِذَلِكَ أَصِيلٌ فِي الْحُكْمِ
عَرِيقٌ . وَجَدِيرٌ بِأَنْ يُعَدَّ فِي عُلُومِهَا وَخَلِيقٌ . وَإِنَّ فُحُولَ الْمُؤَرِّخِينَ
فِي الْإِسْلَامِ قَدِ اسْتَوْعَبُوا أَخْبَارَ الْآيَامِ وَجَمَعُوهَا وَسَطَرُوهَا فِي صَفَحَاتِ
الدَّفَائِرِ وَأَوْدَعُوهَا . وَخَلَطُوهَا الْمَتَطَقِلُونَ بِدَسَائِسَ مِنْ أَلْبَاطِلِ وَهُمْ
فِيهَا وَابْتَدَعُوهَا . وَزَخَرَفَ مِنْ الرِّوَايَاتِ الْمَضْمَنَةَ لَفَقُوهَا وَوَضَعُوهَا .
وَأَقْتَفَى تِلْكَ أَلَا تَارَ الْكَثِيرُ يَمْنُ بَعْدَهُمْ وَاتَّبَعُوهَا . وَأَدَّوْهَا إِلَيْهِ

كَمَا سَمِعُوهَا . وَلَمْ يُلَاحِظُوا أَسْبَابَ الْوَقَائِعِ وَالْأَحْوَالِ وَلَمْ يُرَاعُوهَا .
وَلَا دَفَعُوا تُرَاهُتَ الْأَحَادِيثِ وَلَا دَفَعُوا . فَالْحَقِيقُ قَلِيلٌ . وَطَرَفُ التَّحْقِيقِ
فِي الْقَالِبِ كَلِيلٌ . وَالْقَلَطُ وَالْوَهْمُ نَسِيبٌ لِلْأَخْبَارِ وَخَلِيلٌ . وَالتَّقْلِيدُ
عَرِيقٌ فِي الْأَدَمِيَّتَيْنِ وَسَلِيلٌ . وَالتَّطَفُّلُ عَلَى الْفُنُونِ عَرِيضٌ طَوِيلٌ .
وَمَرَمَعَى الْجَهْلِ بَيْنَ الْأَنَامِ وَخِيمٌ وَيِلٌ . وَالْحَقُّ لَا يَقَاوِمُ سُلْطَانَهُ . وَالْبَاطِلُ
يُقَذَفُ بِشَبَابِ النَّظَرِ شَيْطَانَهُ . وَالنَّاقِلُ إِنَّمَا هُوَ عَلِيٌّ وَيَتَقَلُّ . وَالْبَصِيرَةُ
تَنْقُذُ الصَّحِيحَ إِذَا تَمَقَّلُ . وَالْعِلْمُ يَجْلُو لَهَا صَحْحَتِ الصَّوَابِ وَيَضْمَلُ .
هَذَا وَقَدْ دَوَّنَ النَّاسُ فِي الْأَخْبَارِ وَاسْتَكْبَرُوا . وَجَمَعُوا تَوَارِيخَ الْأُمَمِ
وَالدُّوَلِ فِي الْعِلْمِ وَسَطَرُوا . وَالَّذِينَ ذَهَبُوا بِفَضْلِ الشُّهُرَةِ وَالْأَمَانَةِ
الْمُعْتَبَرَةِ . وَاسْتَفْرَغُوا دَوَائِنَ مَنْ قَبْلَهُمْ فِي صُحُفِهِمْ التَّمَاخِرَةَ . هُمْ قَلِيلُونَ
لَا يَكَادُونَ يُجَاوِزُونَ عَدَدَ الْأَنْبِيَاءِ . وَلَا حَرَكَاتِ الْعَوَامِلِ . مِثْلُ ابْنِ
إِسْحَاقَ وَالطَّيْبِيِّ وَابْنِ الْكَلْبِيِّ وَمُحَمَّدَ بْنَ عُمَرَ الْوَاقِدِيِّ وَسَيْفَ
أَبْنِ عُمَرَ الْأَسَدِيِّ وَالْمُسْعُودِيِّ وَغَيْرِهِمْ . مِنَ الْمَشَاهِيرِ الْمُسْتَشِيرِينَ عَنْ
الْجَاهِلِيَةِ . وَإِنْ كَانَ فِي كُتُبِ الْمُسْعُودِيِّ وَالْوَاقِدِيِّ مِنَ الْمَطْمَعِ
وَالْمَغْمِزِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْأَثْبَاتِ . وَمَشْهُورٌ بَيْنَ الْحَفَظَةِ الثَّقَاتِ .
إِلَّا أَنَّ الْكَافَّةَ اخْتَصَّنَتْهُمْ بِقَبُولِ أَخْبَارِهِمْ . وَاقْتِفَاءِ سُنَنِهِمْ فِي
التَّصْنِيفِ وَاتِّبَاعِ آثَارِهِمْ . وَالنَّاقِذُ الْبَصِيرُ قَسَاسُ نَفْسِهِ فِي تَرْيِيفِهِمْ
فِيمَا يَتَقَاوَنُ أَوْ اعْتَبَارِهِمْ . فَلْيُعْرَضِ طَبَاعُ فِي أَحْوَالِهِ تَرْجِعُ إِلَيْهَا
الْأَخْبَارُ . وَتَحْمَلُ عَلَيْهَا الرِّوَايَاتُ وَالْآثَارُ . ثُمَّ إِنَّ اسْتِكْبَارَ التَّوَارِيخِ
لَهُؤُلَاءِ عَامَّةُ الْمُلَاحِظِ وَالْمَسَالِكِ . لِعُمُومِ الدَّوَلَتَيْنِ صَدَرَ الْإِسْلَامُ فِي

الآفاق والملك وتناولها ألبعيد من أغايات في المآخذ والمتاركة
ومن هؤلاء من استوعب ما قبل الملة من الدول والأمم. والأمر
العلم. كالمسعودي ومن تحا محاه. وجاء من بعدهم من عدل عن
الاطلاق إلى التقييد. ووقف في العموم والإحاطة عن الشأو ألبعيد
فتيد شوارد عصره. واستوعب أخبار أفعه وقطره. واقتصر على
أحاديث دولته ومصره. كما فعل أبوحيان مؤرخ الأندلس
والدولة الأموية بها. وابن الرقيق مؤرخ أفريقية والدولة التي كانت
بالقيروان. ثم لم يأت من بعد هؤلاء إلا مقلد. وليد الطبع والعقل
أو متبلد. يسبح على ذلك النوال. ويحتذي منه بالمثل. ويذهل
عما أحاطه الأيام من الأحوال. واستبدلت به من عوائد الأمم
والأجيال. فيجلبون الأخبار عن الدول. وحكايات الوقائع في العصور
الأول. صوراً قد تجردت عن موادها. وصفاً أنضيت من أغماها
ومعارف تستكر للجهل بطارفها وتلاذها. إنما هي حوادث لم تعلم
أصولها. وأنواع لم تعتبر أجناسها ولا تحققت فصولها. يكررون في
موضوعاتها الأخبار المتداولة بإعيانها. أتباعاً لمن غنى من المتقدمين
بشأنها. ويقضون أمر الأجيال الناشئة في ديوانها. بما أعوذ عليهم
من ترجماتها فتستعجم صحتهم عن بيانها. ثم إذا تعرضوا للذكر
الدولة تسفوا أخبارها نسفاً. محافظين على ثقلها وهما أوصداً.
لا يتعرضون لبدائيتها. ولا يذكرون السبب الذي رفع من رأيتها
وأظهر من آيتها. ولا علة الوقوف عند غايتها. فيبقى الناظر

تُطْلَعُ بَعْدُ إِلَى أَفْتَادِ أَحْوَالِ مَبَادِي الدُّوَلِ وَمَرَاتِبِهَا . مُقْتَسِمًا عَنْ
 سَبَابِ تَرَاثُمِهَا أَوْ تَعَاقُبِهَا . بِاحْتِجَابٍ عَنِ التَّفَضُّعِ فِي تَبَايُنِهَا أَوْ فِي تَنَاسُلِهَا .
 ثُمَّ جَاءَ آخَرُونَ بِإِفْرَاطِ الْإِخْتِصَارِ . وَذَهَبُوا إِلَى الْإِكْتِفَاءِ بِأَسْمَاءِ
 الدُّوَلِ وَالْإِخْتِصَارِ . مَقْطُوعَةً عَنِ الْأَنْسَابِ وَالْأَخْبَارِ . مَوْضُوعَةً عَلَيْهَا
 أَعْدَادُ أَيَّامِهِمْ بِحُرُوفِ الْعُبَارِ . كَمَا فَعَلَهُ ابْنُ رَشِيقٍ فِي مِيزَانِ الْعَمَلِ
 وَمَنْ أَقْتَمَى هَذَا الْأَثَرَ مِنَ الْعَمَلِ . وَلَيْسَ يُعْتَبَرُ لَهُوْلَاءُ مَقَالٌ . وَلَا
 يُعَدُّ لَهُمْ ثُبُوتٌ وَلَا انْتِقَالٌ . لَمَّا أَذْهَبُوا مِنَ الْقَوَائِدِ . وَأَخْلَوْا
 بِالْمَذَاهِبِ الْأَعْرُوقَةِ لِلْمُؤَرِّخِينَ وَالْعَوَائِدِ

وَقَدْ زَلَّتْ أَقْدَامُ كَثِيرٍ مِنَ الْأَثَبَاتِ وَالْمُؤَرِّخِينَ الْخَفَاطِ فِي
 مِثْلِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَالْآرَاءِ . وَعَلَقَتْ بِأَفْكَارِهِمْ وَنَقَلَتْ عَنْهُمْ
 الْكَافَّةَ مِنْ ضَعْفَةِ الظَّرِّ وَأَغْفَلَةَ تَنْ الْقِيَاسِ وَتَلَفُّوْهَاهُمْ أَيْضًا
 كَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ بَحْثٍ وَلَا رَوِيَّةٍ وَأَنْدَرَجَتْ فِي مَحْفُوظَاتِهِمْ حَتَّى صَارَ
 فَنُ التَّارِيخِ وَاهِيًا مُخْطِطًا . وَنَاطِرُهُ مُزْتَكًّا وَعَدُّ مِنْ مَنَاحِي الْعَامَّةِ .
 فَإِذَا يَحْتَاجُ صَاحِبُ هَذَا الْقَنْ إِلَى الْعِلْمِ بِقَوَاعِدِ السِّيَاسَةِ وَطَبَائِعِ
 الْمَوْجُودَاتِ وَاخْتِلَافِ الْأُمَمِ وَالْقَبَائِلِ وَالْأَعْصَارِ فِي السَّيْرِ وَالْأَخْلَاقِ
 وَالْعَوَائِدِ وَالْجُلِّ وَالْمَذَاهِبِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَالْإِحَاطَةِ بِالْحَاضِرِ مِنْ
 ذَلِكَ . وَتُمَازِجَةِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْغَائِبِ مِنَ الْوَفَاقِ أَوْ بَرْنِ مَا بَيْنَهُمَا
 مِنْ الْخِلَافِ وَتَغْيِيلِ الْمُنْتَفِقِ مِنْهَا وَالْخُتَافِ . وَالْقِيَامِ عَلَى أَصُولِ
 الدُّوَلِ وَالْمَلِكِ وَمَبَادِي ظُهُورِهَا وَأَسْبَابِ حُدُوثِهَا وَدَوَائِعِ كَوْنِهَا .
 وَأَحْوَالِ الْغَائِبِينَ بِهَا وَأَخْبَارِهِمْ حَتَّى يَكُونَ مُسْتَوْعِبًا لِأَسْبَابِ كُلِّ

حَادِثٍ وَاقِعًا عَلَى أُصُولِ كُلِّ خَبَرٍ وَجَيِّدٍ يَعْزُضُ الْخَبَرَ الْمَنْقُولَ عَلَى مَا
عِنْدَهُ مِنَ الْقَوَاعِدِ وَالْأُصُولِ . فَإِنْ وَافَقَهَا وَجَرَى عَلَى مُقْتَضَاهَا كَانَ
صَحِيحًا وَإِلَّا زَيَّفَهُ وَاسْتَغْنَى عَنْهُ . وَمَا اسْتَكْبَرَ الْقَدَمَاءُ عِلْمَ التَّأْرِيخِ
إِلَّا لِذَلِكَ حَتَّى اتَّخَذَهُ الطَّبَرِيُّ وَالْبُخَارِيُّ وَابْنُ إِسْحَاقَ مِنْ قَلِيلِهَا
وَأَمْثَلَهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ . وَقَدْ ذَهَلَ الْكَثِيرُ عَنْ هَذَا الْبَسْرِ فِيهِ
حَتَّى صَارَ اتِّخَاذُهُ مَجْهَلَةً وَاسْتَحْفَ الْعَوَامُ وَمَنْ لَا رُسُوحَ لَهُ فِي الْغَارِفِ
طَالَمَتْهُ وَحْمُهُ وَالْحَوْضَ فِيهِ وَالتَّطَطَّلَ عَلَيْهِ فَاخْتَلَطَ الْمَرْعِيُّ بِالْهَمَلِ
وَاللَّبَابُ بِالْقَشْرِ وَالصَّادِقُ بِالْكَاذِبِ وَإِنَّ لِلَّهِ عَاقِبَةَ الْأُمُورِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ قَنَ التَّأْرِيخِ قَنْ عَزِيزِ الْمَذْهَبِ جَمُّ الْقَائِدَةِ شَرِيفِ
الْعَائِدَةِ إِذْ هُوَ يَقِفُنَا عَلَى أَحْوَالِ الْمَاضِينَ مِنَ الْأُمَمِ فِي أَخْلَاقِهِمْ
وَالْأَنْبَاءِ فِي سَيَرِهِمْ وَالْمُلُوكِ فِي دَوْلِهِمْ وَسِيَاسَتِهِمْ حَتَّى تَتِمَّ فَائِدَةُ
الْإِقْتِدَاءِ فِي ذَلِكَ لِمَنْ يَرُومُهُ فِي أَحْوَالِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا فَهُوَ مُحْتَاجٌ
إِلَى مَا خِذَ تَعَدُّدَةٍ وَمَعَارِفَ مُتَوَعَّةٍ وَحُسْنَ نَظَرٍ وَتَثْبُتٍ يُفِيضَانِ
بِصَاحِبِهِمَا إِلَى الْحَقِّ وَيُسَكِّبَانِ بِهِ عَنِ الْمَرَلَاتِ وَالْمَغَالِطِ . لِأَنَّ
الْأَخْبَارَ إِذَا اعْتُمِدَ فِيهَا مُجَرَّدُ الثَّقَلِ وَلَمْ تُحْكَمْ أُصُولُ الْعَادَةِ وَقَوَاعِدُ
السِّيَاسَةِ وَطَبِيعَةُ الْعُمَرَانِ وَالْأَحْوَالِ فِي الْإِجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِيِّ وَلَا
قِيَاسَ الْغَائِبُ مِنْهَا بِالشَّاهِدِ وَالْحَاضِرِ بِالذَّاهِبِ فَرُبَّمَا لَمْ يُؤْمَنْ فِيهَا
مِنَ الْعُشُورِ وَمَزَلَّةِ الْقَدَمِ وَالْحَيْدِ عَنْ جَادَةِ الصِّدْقِ . وَكَثِيرًا مَا وَقَعَ
لِلْمُؤَرِّخِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ وَائِمَّةِ الثَّقَلِ الْمَغَالِطُ فِي حِكَايَاتِ الْوَقَائِعِ
لَاَعْتِمَادِهِمْ فِيهَا عَلَى مُجَرَّدِ الثَّقَلِ غَنًا أَوْ سَمِينًا . لَمْ يَعْزُضُوهَا عَلَى أُصُولِهَا

وَقَاسُوهَا بِأَشْبَاهِهَا وَلَا سَدُّوْهَا بِمِغْيَارِ الْحِكْمَةِ وَالْوُقُوفِ عَلَى طَبَائِعِ
الْكَاثِنَاتِ وَتَحْكِيمِ النَّظَرِ وَالْبَصِيرَةِ فِي الْأَحْبَارِ فَضَلُّوا عَنْ الْحَقِّ
وَتَاهُوا فِي بَيْدَاءِ الْوَهْمِ وَالْعَلَطِ سِيًّا فِي إِخْصَاءِ الْأَعْدَادِ وَالْأَمْوَالِ
وَالْعَسَاكِرِ إِذَا عَرَضَتْ فِي الْحِكَايَاتِ إِذْ هِيَ مَظْنَّةُ الْكَذِبِ
وَمَطِيَّةُ الْهَذَرِ وَلَا بُدَّ مِنْ رَدِّهَا إِلَى الْأَصُولِ وَعَرْضِهَا عَلَى الْقَوَاعِدِ

البحث السادس

في شروط التاريخ

(عن الفخري)

(راجع صفحة ١٩٧ من علم الادب)

وَأِنْ بَاشَرْتَ بِكِتَابَةِ تَارِيخٍ عَامٍ فَتَسَكَّلْ عَلَى دَوْلَةٍ دَوْلَةٍ يَجْمُوعُ
مَا حَصَلَ ذَهْنُكَ مِنَ الْهَيْئَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي أَفَادَتْكُمْهَا طَالَعَةُ السَّيْرِ
وَالْتَوَارِيخِ وَأَذْكُرْ كَيْفَ كَانَ أَيْدَاؤُهَا وَأَنْتِهَاوُهَا وَطَرَفًا مُتَبَعًا مِنْ
مَحَاسِنِ مُلُوكِهَا وَأَخْبَارِ سَلَاطِينِهَا . ثُمَّ إِذَا ذَكَرْتَ دَوْلَةً فَدَوْلَةً
تَكَلَّمْتَ عَلَى كَلِّيَّاتِ أُمُورِهَا ثُمَّ ذَكَرْتَ وَاحِدًا وَاحِدًا مِنْ مُلُوكِهَا
وَمَا جَرَى فِي أَيَّامِهِ مِنَ الْوَقَائِعِ الشَّهُورَةِ وَالْحَوَادِثِ الْمَأْثُورَةِ فَإِذَا
انْقَضَتْ أَيَّامُ ذَلِكَ الْمَلِكِ ذَكَرْتَ وَزَرَءَهُ وَاحِدًا وَاحِدًا وَطَرَائِقَ
مَا جَرَى لَهُمْ . فَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُ الْمَلِكِ وَوُزَرَءِهِ أَيْدَاؤُهُ الْيَدِ
بَعْدَهُ وَمَا جَرَى فِي أَيَّامِهِ وَيَسِيرِ وَزَرَءِهِ كَذَلِكَ إِلَى آخِرِ تِلْكَ
الدَّوْلَةِ وَالتَّرْتِيبِ فِيهِ أَمْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ لَا تَقِيلَ فِيهِ إِلَّا مَعَ الْحَقِّ

وَلَا تَنْطِقَ فِيهِ إِلَّا بِالْعَدْلِ . وَأَنْ تَنْزِلَ سُلْطَانَ أَهْوَى وَتَخْرُجَ مِنْ
حُكْمِ الْمُنْشَأِ وَالْمَرْبَى وَتَفْرُضَ نَفْسَكَ غَرِيبًا عَنْهُمْ وَأَجْنَبِيًا بَيْنَهُمْ .
وَتَايِبُهُمَا أَنْ تُعَيَّرَ عَنِ الْمَعَانِي بِعِبَارَاتٍ وَاضِحَةٍ تَقْرُبُ مِنَ الْإِفْهَامِ
لِتَنْفَعَ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ عَادِلًا عَنِ الْعِبَارَاتِ الْمُسْتَصْعَةِ الَّتِي يُقْصَدُ فِيهَا إِظْهَارُ
الْفَصَاحَةِ وَإِتْبَاتُ الْبَلَاغَةِ فَطَالَمَا رَأَيْتُ مُصَنِّفِي الْكُتُبِ قَدْ أَعْرَضَتْهُمْ
تَحَبُّهُ إِظْهَارَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ فَحَمِيَّتْ أَغْرَاضُهُمْ وَأَعْتَاصَتْ مَعَانِيَهُمْ فَقَلَّتْ
الْفَائِدَةُ بِمُصَنَّفَاتِهِمْ . هَذَا وَإِنْ كُتِبَ التَّوَارِيخُ إِنْ نُظِرَ بِعَيْنِ الْأَنْصَافِ
إِلَيْهَا رُئِيتُ أَنْفَعُ مِنَ الْحِمَاسَةِ الَّتِي لَهَجَ النَّاسُ بِهَا وَآخَذُوا أَوْلَادَهُمْ
بِحِفْظِهَا فَإِنَّ الْحِمَاسَةَ لَا يُسْتَفَادُ مِنْهَا أَكْثَرُ وَنَ الْإِغْيَابِ فِي الشَّجَاعَةِ
وَالْضِيَّاقَةِ وَتِيءُ يَسِيرٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ فِي أَلْبَابِ الْمُسَمَّى بِأَبِ الْأَدَبِ
وَالنَّاسِ بِالْمَذَاهِبِ الشِّعْرِيَّةِ . وَالتَّارِيخُ يُسْتَفَادُ مِنْهُ هَذِهِ الْخِصَالُ
الْمَذْكُورَةُ . وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ قَوَاعِدُ السِّيَاسَةِ وَأَدَوَاتُ الرِّئَاسَةِ . فَهَذَا
فِيهِ مَا فِي الْحِمَاسَةِ وَلَيْسَ فِي الْحِمَاسَةِ مَا فِيهِ وَإِنَّهُ يُفِيدُ الْعَقْلَ قُوَّةً
وَالذَّهْنَ حِدَّةً وَالبَصِيرَةَ نُورًا وَهُوَ لِلخَّاطِرِ الذَّكِيِّ بِمَنْزِلَةِ الْمَسْنِ لِلْقَوْلِ ذِ
الْحَيِّدِ وَهُوَ أَيْضًا أَنْفَعُ مِنَ الْقَلَمَاتِ الَّتِي النَّاسُ فِيهَا مُعْتَقِدُونَ وَفِي تَحْقِيقِهَا
رَاغِبُونَ إِذِ الْقَلَمَاتُ لَا يُسْتَفَادُ مِنْهَا سِوَى التَّمَرُّنِ عَلَى الْإِنْشَاءِ وَالْوُقُوفِ
عَلَى مَذَاهِبِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ . نَعَمْ وَفِيهَا حِكْمٌ وَجِيلٌ وَتَجَارِبُ إِلَّا أَنَّ
ذَلِكَ يَمَّا يُصَغِّرُ الْهِمَّةَ إِذْ هُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى السُّؤَالِ وَالِاسْتِجْدَاءِ وَالتَّحْمِيلِ الْقَبِيحِ
عَلَى تَحْقِيقِ النَّثْرِ الطَّعِيفِ فَإِنْ نَفَعَتْ مِنْ جَانِبٍ ضَرَّتْ مِنْ جَانِبٍ
وَبَعْضُ النَّاسِ تَنَبَّهُوا عَلَى هَذَا وَنَ الْقَلَمَاتِ الْحَرِيرِيَّةِ وَالْبَدِيعِيَّةِ فَعَدَلَ

نَاسٌ إِلَى نَجْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : فَإِنَّهُ الْكِتَابُ
الَّذِي يُتَعَلَّمُ مِنْهُ الْحُكْمُ وَالْمَوَاعِظُ وَالْخُطْبُ وَالشَّجَاعَةُ وَالزُّهْدُ وَعُلُوُّ
أَهْلِهِ وَأَدْنَى فَوَائِدِهِ الْقَصَاحَةُ وَالْبَلَاغَةُ . وَكَذَلِكَ كُتِبَ التَّوَارِيخُ
فَإِنَّ الْإِنْسَانَ رُبَّمَا أَضْجَرَّتْهُ أَلْهَامُ وَالْأَشْغَالُ فَإِذَا رَوَّحَ فِكْرُهُ بِالنَّظَرِ
فِيهَا دَفَعَ بِهَا أَلْمَلَالَ وَتَذَكَّرَ بِهَا مَا أَنْسَتْهُ الْأَشْغَالُ . .

البعث السابع

في الاصول العشرة التي يعتمدها الكاتب في المكاتبات

(من كتاب صبح الاعشى لابي العباس احمد القلقسدي)

(راجع صفحة ٢٠٧ من علم الادب)

(الْأَصْلُ الْأَوَّلُ حُسْنُ الْإِفْتِاحِ) الْمَطْلُوبُ فِي سَائِرِ أَنْوَاعِ
الْكَلَامِ مِنْ نَثَرٍ وَنَظْمٍ مِمَّا يُوجِبُ التَّحْسِينَ لِيَكُونَ دَاعِيَةً لِاسْتِمَاعِ
مَا بَعْدَهُ . وَيَرْجِعُ حُسْنُ الْإِفْتِاحِ فِي الْمَكَاتِبِ إِلَى مَعْنَيْنِ : (أَلْفَنَى
الْأَوَّلُ) أَنْ يَكُونَ الْحُسْنُ فِيهِ رَاجِعًا إِلَى الْمُبْتَدَأِ بِهِ إِمَّا بِالْإِفْتِاحِ
بِالْحَمْدِ لِلَّهِ كَمَا فِي بَعْضِ الْمَكَاتِبِ لِأَنَّ الثُّفُوسَ تَنْشَوُّقُ إِلَى
الْإِنِّاءِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى . أَوْ بِالسَّلَامِ الَّذِي جَعَلَهُ الشَّارِعُ مُفْتَتِحَ الْخُطَابِ
أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ . فَإِنَّ أَمْرَ الْمَكَاتِبِ مَبْنِيٌّ عَلَى التَّلَطُّفِ وَاسْتِجْلَابِ
الْخَوَاطِرِ وَتَأْلِيلِ الْقُلُوبِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَجْرِي هَذَا الْحِجْرَى عَلَى مَا
يَقْتَضِيهِ أَصْطِلَاحُ كُلِّ زَمَنٍ فِي الْأَبْتِدَاءِ . (أَلْفَنَى الثَّانِي) أَنْ
يَكُونَ الْحُسْنُ فِيهِ رَاجِعًا إِلَى مَا يُوجِبُ التَّحْسِينَ مِنْ سُهُولَةِ الَّلَفْظِ

وَصِحَّةُ السَّبَكِ وَوُضُوحُ الْمُغْنَى وَتَجَنُّبُ الْحَشْوِ وَغَيْرِ ذَلِكَ (الْأَصْلُ
الثَّانِي) بَرَاعَةُ الْإِسْتِهْلَالِ الْمَطْلُوبَةُ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الْكَلَامِ
بِأَن يَأْتِيَ فِي صَدْرِ الْمَكَاتِبَةِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى عَجْزِهَا فَإِنْ كَانَ الْكَاتِبُ
يَهْتَنِي أَتَى فِي أَوَّلِ كَلَامِهِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى التَّهَنُّتَةِ . أَوْ كَانَ الصَّدَدُ فِي
التَّعْزِيَةِ أَتَى فِي أَوَّلِهِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى التَّعْزِيَةِ أَوْ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي
أَتَى فِي أَوَّلِهِ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ لِيُعْلَمَ مِنْ مَبْدَأِ الْكَلَامِ مَا الْمَوَادُّ ...
ثُمَّ مِنَ الْمَكَاتِبَاتِ مَا يَعُسِّرُ مَعَهُ الْإِثْنَانُ بِبَرَاعَةِ الْإِسْتِهْلَالِ فَيَأْتِي بِهَا
فِيَا يَلِي ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ فِي مَقَدِّمَةِ الْمَكَاتِبَةِ قَبْلَ الْخَوْضِ فِي
الْمَقْصُودِ ... (الْأَصْلُ الثَّلَاثُ) الْمَقَدِّمَةُ الَّتِي يَلْزِمُ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا فِي
صَدْرِ الْكُتُبِ الْمُشْتَبِهَةِ عَلَى الْمَقَاصِدِ الْجَلِيلَةِ تَأْسِيسًا لِمَا يَأْتِي فِي
مُكَاتِبَةٍ . مِثْلُ أَنْ يَأْتِيَ فِي صَدْرِ كُتُبِ الْحَثِّ عَلَى الْجِهَادِ بِذِكْرِ
أَفْعَالِهِ عَلَى الْأُمَمَةِ وَمَا وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ نَصْرِ أَوْلِيَائِهِ وَخِذْلَانِ
أَعْدَائِهِ وَإِعْزَازِ الْمُؤَحِّدِينَ وَفَعْلِ الْمُخْلِدِينَ . وَفِي صُدُورِ كُتُبِ الْفَتْحِ
بِإِنْبَاجِ وَعِدِ اللَّهِ الَّذِي وَعَدَهُ أَهْلَ الطَّاعَةِ مِنَ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ وَإِظْهَارِ
دِينِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ . وَفِي صُدُورِ كُتُبِ حِبَايَةِ الْخِرَاجِ بِحَاجَةِ قِيَامِ
الْمُلْكِ إِلَى الْأَسْتِعَانَةِ بِمَا يُسْتَحْجَجُ مِنْ حُقُوقِ السُّلْطَانِ فِي عِمَارَةِ الثُّغُورِ
وَتَحْصِينِ الْأَعْمَالِ وَتَقْوِيَةِ الرِّجَالِ وَنَحْوِ ذَلِكَ بِمَا يَجْرِي عَلَى هَذَا النَّمطِ .
قَالَ فِي مَوَادِّ الْبَيَانِ : وَعَلَى هَذَا السَّبِيلِ جَرَتْ سُنَّةُ الْكُتَّابِ فِي
جَمِيعِ الْكُتُبِ مِنْ أَيْ تَوْعٍ مِنَ الْمَعَانِي كَالْفَتْحِ وَالتَّهَانِي وَالتَّعَازِي
وَالْتَّهَادِي وَالْإِسْتِحْبَارِ وَالْإِسْتِبْطَاءِ وَالْإِحْمَادِ وَالْإِدْمَامِ وَغَيْرِهَا لِيَكُونَ

ذَلِكَ بَسَاطَةً لِّمَا يُرِيدُ الْقَوْلَ فِيهِ وَحُجَّةٌ يَسْتَظْهِرُ بِهَا السُّلْطَانُ لِأَنَّ كُلَّ
كَلَامٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ قَوْسٍ يُفْرَشُ قَبْلَهُ لِيَكُونَ مِنْهُ بَعْدَرُ الْآسَاسِ
مِنَ الْبُيَّانِ . (قَالَ) : وَيَرْجِعُ فِي هَذِهِ الْمَقْدَمَاتِ إِلَى مَعْرِفَةِ
الْكَاتِبِ مَا يَسْتَحِقُّهُ كُلُّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَلَامِ مِنَ الْمَقْدَمَاتِ
الَّتِي تُشَاطِرُهَا . (ثُمَّ قَالَ) وَالطَّرِيقُ فِي إِصَابَةِ الْمَرْحَى فِي هَذِهِ
الْمَقْدَمَاتِ أَنْ تُجْعَلَ مُشْتَمِلَةً عَلَى مَا بَعْدَهَا مِنَ الْمَقَاصِدِ وَالْأَعْرَاضِ
وَأَنْ يُوَضَّعَ لِلْأَمْرِ الْخَاصِّ مُقَدِّمَةٌ خَاصَّةٌ وَلِلْأَمْرِ الْعَامِّ مُقَدِّمَةٌ عَامَّةٌ
وَلَا يُطَوَّلُ فِي مَوْضِعٍ إِلَّا قِصَارٍ وَلَا يُقْصَرُ فِي مَوْضِعٍ إِلَّا بِجَازٍ . وَلَا
تُجْعَلَ أَغْرَاضُهَا بَعِيدَةً لِمَا خِذَ مُعْتَصَصَةً عَلَى التَّصَفُّحِ وَذَلِكَ أَنَّ
الْكَاتِبَ رَبَّمَا قَصَدَ إِظْهَارَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْكَلَامِ وَالتَّصَرُّفِ فِي وَجْهِهِ
النُّطْقِ فَخَرَجَ إِلَى الْأَمْلَالِ وَالْإِخْبَارِ الَّذِي تَتَدَرَّمُ مِنْهُ النَّفُوسُ وَذَوْدُ
الْأَخْطَارِ الْخَلِيلَةِ . أَمَّا الْكُتُبُ الَّتِي لَا تَشْتَمِلُ عَلَى الْمَقَاصِدِ الْخَلِيلَةِ
كَرَقَاعِ الشُّخْرِ وَالْهَدَايَا وَنَحْوِهَا فَلَا تُجْعَلُ لَهَا مُقَدِّمَةٌ فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ
جَائِزٍ وَغَيْرُ وَاقِعٍ مَوْقِعُهُ . (الْأَصْلُ الرَّابِعُ) مَوَاقِعُ الْأَلْفَاظِ الدَّائِرَةُ
فِي الْكُتُبِ فَلِزَمَ أَنْ يُعَيَّنَ مَوْقِعُ كُلِّ لِيَضَعَهُ مَكَانَهُ . وَقَالَ فِي
ذَخِيرَةِ الْكُتُبِ : يُجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ الرَّئِيسِ أَنْ يَعْرِفَ مَوَاقِعَ
الْأَلْفَاظِ وَمَوَاقِعَهَا لِيُرَتَّبَهَا وَيَفْرُقَ بَيْنَهَا قَوْفًا يَقِفُهُ عَلَى الْأَوَاجِبِ وَيَنْتَهِي
بِهِ إِلَى الصَّوَابِ فَيُجَابِبُ كُلَّامًا فِي مَكَاتِبِهِ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ
الْخُطَابِ . . وَمَتَى اسْتَمَرَ الْكَاتِبُ عَلَى هَذِهِ الْخَالْفَةِ مِنَ الْأَلْفَاظِ
وَالْمَقَاصِدِ نَقَصَتْ أَلْعَانِي وَرَدَّتْ الْأَلْفَاظُ وَسَقَطَتِ الْمَقَاصِدُ وَكَانَ

الكتاب قد اُخِلَّ مِنَ الصَّنَاعَةِ مُنْظَمًا وَتَرَكَ مِنَ الْبَلَاغَةِ غَايَةً
مُحْكِمًا بَلَّ يَجِبُ أَنْ يَبْدَأَ بِخُطَابِ رَئِيسٍ أَوْ تَظْيِيرٍ أَوْ مَرُؤَسٍ أَنْ
يَكُونَ مَا يَتَحَلَّلُ مُكَاتَّبَتُهُ مِنَ الْأَلْفَاظِ عَلَى اتِّسَاقٍ إِلَى آخِرِهَا وَأَطْرَادٍ
مِنْ غَيْرِ مُحَالَفَةٍ بَيْنَهَا وَلَا مُضَادَّةٍ وَلَا مُنَاقَضَةٍ . نَعَمْ يَحْسُنُ ذَلِكَ فِي
مُعَاتَبَاتِ الْأَخْوَانِ وَالْمُدَاعَبَاتِ الْجَارِيَةِ بَيْنَ الْحُلَاةِ . . . (الْأَوَّلُ) أَنْ يَعْرِفَ
الْحَامِسُ (الْأَدْعِيَّةُ الَّتِي جَرَتْ عَادَةُ السَّلَفِ وَتَبِعَهُمُ الْخَلَفُ بِاسْتِعْمَالِهَا
فِي الْمَكَاتِبَاتِ . وَالنَّظَرُ فِيهَا مِنْ سِتَّةِ أَوْجُهٍ : (الْأَوَّلُ) أَنْ يَعْرِفَ
مَرَاتِبَ الدُّعَاءِ لِيُوقِعَهَا فِي مَوَاقِعِهَا وَيُورِدَهَا فِي مَوَاقِفِهَا . وَيَأْتِي ذَلِكَ
فِي عِدَّةِ أَدْعِيَةٍ مِنْهَا : الدُّعَاءُ بِطَالَةِ الْبَقَاءِ وَالدُّعَاءُ بِطَالَةِ الْعُمُرِ .
فَالدُّعَاءُ بِطَالَةِ الْبَقَاءِ أَرْفَعُ مِنَ الدُّعَاءِ بِطَالَةِ الْعُمُرِ . وَذَلِكَ أَنَّ
الْبَقَاءَ لَا يَدُلُّ عَلَى مُدَّةٍ تَنْقُضِي لِأَنَّهُ ضِدُّ الْفَنَاءِ وَالْعُمُرُ يَدُلُّ عَلَى
مُدَّةٍ تَنْقُضِي وَلِذَلِكَ يُوصَفُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْبَقَاءِ وَلَا يُوصَفُ بِالْعُمُرِ . .
(الثَّانِي) أَنْ يَعْرِفَ مَا يُنَاسِبُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ أَرْبَابِ الْمَنَاصِبِ
الْجَلِيلَةِ مِنَ الدُّعَاءِ فَيُخَصِّصُهُ بِهِ فَيَأْتِي بِالدُّعَاءِ فِي مُكَاتَّبَةِ الْمُلُوكِ بِدَوَامِ
السُّلْطَانِ وَخُلُودِ الْمُلْكِ . وَإِلَى الْأُمَرَاءِ بِالدُّعَاءِ بِعِزِّ النَّصْرِ وَمُدَاوِمَةِ
الْتِمَعَةِ . وَإِلَى الْوُزَرَاءِ مِنْ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ بِسُبُوغِ النِّعْمَاءِ وَتَحْلِيلِ
السَّعَادَةِ وَدَوَامِ الْحَبْدِ . وَإِلَى الْقَضَاةِ وَالْحُكَّامِ بِالدُّعَاءِ بِعِزِّ الْأَحْكَامِ .
وَإِلَى الْأَشْجَارِ بِالدُّعَاءِ بِزَيْدِ الْإِقْبَالِ وَشِبْهِ ذَلِكَ . (وَالثَّالِثُ) أَنْ
يَعْرِفَ مَا يُنَاسِبُ كُلَّ حَالَةٍ مِنْ حَالَاتِ الْمَكَاتِبَاتِ فَيَأْتِي كُلَّ حَالَةٍ
بِمَا يُنَاسِبُهَا مِنَ الدُّعَاءِ فَتَكُونُ الْأَدْعِيَّةُ دَالَّةً عَلَى مَقَاصِدِ الْكُتَّابِ

فَإِنْ كَانَ فِي الْهَتَاءِ وَالشُّكْرِ أَوْ التَّغْرِيزِ أَوْ كِلَايَا يُنَاسِبُهُ . (الرَّابِعُ)
 أَنْ يَعْرِفَ مَوَاضِعَ الدُّعَاءِ عَلَى الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ... (الْأَعْلَى السَّادِسُ)
 أَنْ يَعْرِفَ مَا يُنَاسِبُ الْمَكْتُوبَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَلْقَابِ فَيُعْطِيَهُ حَقَّهُ
 مِنْهَا . . . كَالْمَقَامِ وَالْمَقَرِّ وَالْجَنَابِ وَالنَّادِي وَالْجَلِيسِ فِي زَمَانِنَا . . .
 وَكَذَلِكَ الثُّغُوتِ . (الْأَعْلَى السَّابِعُ) أَنْ يُرَاعِيَ مَقَاصِدَ الْمَكَاتِبَاتِ
 فَيَأْتِي بِكُلِّ مَقْصِدٍ بِمَا يُنَاسِبُهُ وَمَدَارُ ذَلِكَ عَلَى أَمْرَيْنِ : (الْأَمْرُ الْأَوَّلُ)
 أَنْ يَأْتِيَ مَعَ كُلِّ كَلِمَةٍ بِمَا يَلِيْقُ بِهَا وَيَخْتَارَ لِكُلِّ لَفْظَةٍ مَا يُشَاءُ كُلِّهَا
 فَإِنَّ ذِكْرَ النِّعْمَةِ حَمْدُ اللَّهِ وَإِنْ ذَكَرَ الْبَلَاءَ شَفَعَهَا بِالْإِسْتِعَاثَةِ
 بِاللَّهِ وَالرُّجُوعَ إِلَيْهِ فِيهَا . وَيَلْحَقُ بِذَلِكَ أَيْضًا أَنَّهُ إِذَا ذَكَرَ الرَّئِيسَ
 فِي أَثْنَاءِ الْمَكَاتِبَةِ دَعَا لَهُ بِمِثْلِ أَنْ يَقُولَ عِنْدَ ذِكْرِ السُّلْطَانِ :
 خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ وَبِمَا يَجْرِي هَذَا الْحَوْرَى . (الْأَمْرُ الثَّانِي) أَنْ يَتَحَطَّى
 التَّضَرُّعُ إِلَى التَّلَوُّحِ وَالْإِشَارَةِ إِذَا آجَأَهُ أَحَالُ إِلَى الْمَكَاتِبَةِ بِمَا
 لَا يَجُوزُ كَشْفُهُ وَظَاهَرُهُ عَلَى صَرَاحَتِهِ بِمَا فِي ذِكْرِهِ أَطْرَاحَ مَهَابَةِ
 السُّلْطَانِ وَاسْمَاعُهُ مَا يَلْزَمُ مِنْهُ إِخْلَالُ الْأَدَبِ فِي حَقِّهِ كَمَا لَوْ أَطْلَقَ
 لِسَانَهُ فِيهِ بِلَفْظٍ قَبِيحٍ يَسُوءُهُ سَمَاعُهُ فَيَحْتَاجُ التَّمَشُّيَ إِلَى اسْتِعْمَالِ
 التَّوَرِيَةِ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ وَالتَّلَطُّفِ فِي الْعِبَارَةِ عَنْ هَذِهِ الْعُلَمَاءِ مِنْ
 غَيْرِ خِيَاةٍ فِي طَيِّ مَا لَا غَى بِهِ عَنْ عَلَيْهِ . وَهَذَا بِمَا لَا يَسْتَقِيلُ بِهِ
 إِلَّا الْمُبْتَزُّ فِي الصَّاعَةِ الْمُتَصَرِّفُ فِي تَأْلِيفِ الْكَلَامِ . . . (الْأَصْلُ
 الثَّامِنُ) أَنْ يَعْرِفَ مَقْدَارَ فَهْمِ كُلِّ طَبَقَةٍ مِنَ الْمُحَاطِبِينَ فِي
 الْمَكَاتِبَاتِ مِنَ اللِّسَانِ فَيُحَاطَبُ كُلُّ أَحَدٍ بِمَا يُنَاسِبُهُ مِنَ اللَّفْظِ وَمَا

يَصِلُ إِلَيْهِ فَهَهُ مِنْ الْخُطَابِ (اسْتِشْهَادٌ مِنْ كِتَابِ الصِّنَاعَتَيْنِ) .
 (الْأَصْلُ الثَّاسِعُ) أَنْ يُرَاعِيَ رُتَبَةَ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ وَالْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ
 فِي الْخُطَابِ فَيُعْتَبَرُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِمَا يَلِيْقُ بِهِ . وَيُخَاطَبُ
 الْمَكْتُوبَ إِلَيْهِ بِمَا يَلِيْقُ بِمَقَامِهِ . فَأَمَّا الْمَكْتُوبُ عَنْهُ فَيُخْتَلَفُ الْحَالُ
 فِيهِ بِاخْتِلَافِ مَنْصِبِهِ وَرُتَبَتِهِ فَيُعْتَبَرُ فِي الْكُتُبِ الصَّادِرَةِ عَنْ أَبْوَابِ
 الْخِلَافَةِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِثْلُ أَنْ يُقَالَ : تَجَرَّى أَمْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 فِي كَذَا عَلَى كَذَا . وَأَوْعَزَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى فُلَانٍ بِكَذَا وَاقْتَضَى
 رَأْيُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كَذَا وَهَلُمَّ جَرًّا . وَكَذَلِكَ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ الْمَكْتُوبِ
 إِلَيْهِ مِنَ الرُّوسَاءِ وَالنُّظَرَاءِ وَالْعُلَدَاءِ وَالْوُكَلَاءِ لِيَفْرُقَ بَيْنَ مَنْ
 يَكْتُبُ إِلَيْهِ .. أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ خَاطَبْتَ سُلْطَانًا أَوْ وَزِيرًا بِالْعَزِيَّةِ
 عَنْ الْمُصِيبَةِ مِنْ مَصَائِبِ الدُّنْيَا لَمَا حَازَ أَنْ تَبْنِي الْكَلَامَ عَلَى وَعْظِهِ
 وَتَبْصِيرِهِ وَإِشَادِهِ وَحُضِّهِ عَلَى الْإِخْذِ بِحُظْرٍ مِنَ الصَّبْرِ .. وَأَمَّا الصَّوَابُ
 أَنْ تَبْنِي الْخُطَابَ عَلَى أَنَّهُ أَعْلَى شَأْنًا وَأَرْفَعُ مَكَانًا مِنْ أَنْ يُعْزَى
 بِخِلَافِ الْإِتِّخَارِ فِي الرُّتَبَةِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يُعْزَى تَنْبِيْهَا وَتَذْكِيرًا وَتَضْيِيرًا
 وَتَعْرِيفًا لِلْوَاجِبِ فِي تَلَقِّي السَّرَاءِ بِالشُّكْرِ وَالضَّرَاءِ بِالصَّبْرِ ..
 (الْأَصْلُ الْعَاشِرُ) أَنْ يُرَاعِيَ مَوَاقِعَ الْآيَاتِ وَالسَّجْعِ فِي الْكُتُبِ
 وَذِكْرَ آيَاتِ الشَّعْرِ فِي الْكَاتِبَاتِ ...



الفصل التاسع

في حل الشعر والاحتذاء

المبحث الاول

في حسن الاخذ

(من كتاب الصاعتين للعسكري)

(راجع صفحة ٢٣٩ من علم الادب)

لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ أَصَافِ الْقَائِلِينَ غِنَى عَنْ تَنَاوُلِ أَلْعَانِي مَنْ
تَقَدَّمَهُ وَالصَّبُّ عَلَى قَوْلِ مَنْ سَبَقَهُ وَلَكِنْ عَلَيْهِ إِذَا أَخَذَهَا أَنْ
يَكْسُوَهَا أَلْفَافًا مِنْ عِنْدِهِ وَيُبْرِزَهَا فِي مَعَارِضَ مَنْ تَأْلَيْفِهِ وَرَضْفِهِ
وَيُؤَدِّيَهَا فِي غَيْرِ حَلِيَّتِهَا الْأُولَى وَيُرِيدَ فِي حُسْنِ تَأْلَيْفِهَا وَجُودَةِ
تَرْكِيبِهَا وَحَمَالِ حَلِيَّتِهَا وَمَعْرِضِهَا . فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ أَوْلَى بِهَا بِمَنْ
سَبَقَ إِلَيْهَا وَلَوْ لَا أَنَّ الْقَائِلَ يُؤَدِّي مَا سَمِعَ لَمَا كَانَ فِي طَاقَتِهِ أَنْ
يَقُولَ وَإِنَّمَا يَنْطِقُ الطِّفْلُ بَعْدَ اسْتِمَاعِهِ مِنَ الْبَالِغِينَ . وَقَالَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ : لَوْ لَا أَنَّ الْكَلَامَ يُعَادُ لَنَفَدَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : كُلُّ
شَيْءٍ ثَمَنِيَّةٌ قَصْرًا إِلَّا الْكَلَامَ فَإِنَّكَ إِذَا ثَمَنَيْتَهُ طَالَ . عَلَى أَنَّ أَلْعَانِي
مُشْتَرِكَةٌ بَيْنَ الْعُقَلَاءِ فَرُبَّمَا رَفَعَ أَلْمَعَى الْجَيِّدُ لِلشُّوقِي وَالنَّبَطِيُّ وَالزَّنْجِيُّ
وَإِنَّمَا يَتَفَاضَلُ النَّاسُ فِي الْأَلْفَافِ وَرَضْفِهَا وَتَأْلَيْفِهَا وَنَظْمِهَا . وَقَدْ
يَقَعُ لِلْمُتَأَخِّرِ مَعْنَى سَبَقَهُ إِلَيْهِ أَلْتَقَدَّمَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُلِمَّ بِهِ وَلَكِنْ

كَمَا وَقَعَ لِلأَوَّلِ وَقَعَ لِلآخِرِ . وَهَذَا أَمْرٌ عَرَفْتُهُ مِنْ نَفْسِي فَلَسْتُ
أَمْتَرِي فِيهِ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ مَنْ أَخَذَ مَعْنَى بِلَفْظِهِ كَانَ لَهُ سَلْجًا
وَمَنْ أَخَذَهُ فَكَسَاهُ لَفْظًا مِنْ عِنْدِهِ أَجَوَدَ مِنْ لَفْظِهِ كَانَ هُوَ
أَوَّلَى بِهِ مِنْ تَقَدُّمِهِ . وَقَالُوا : إِنَّ أَبَا عُدْرَةَ أَلْكَلامَ مِنْ سَبَكِ
أَفْظُهُ عَلَى مَعْنَاهُ . وَمَنْ أَخَذَ مَعْنَى بِلَفْظِهِ فَلَيْسَ لَهُ فِيهِ نَصِيبٌ . عَلَى أَنَّ
أَبْتِكَارَ أَلْمَعْنَى وَالسَّبْقَ إِلَيْهِ لَيْسَ هُوَ فَضِيلَةٌ تَرْجِعُ إِلَى أَلْمَعْنَى وَإِنَّمَا
هُوَ فَضِيلَةٌ تَرْجِعُ إِلَى الَّذِي أَبْتَكَرَهُ وَسَبَقَ إِلَيْهِ . فَأَلْمَعْنَى أَحْيَدُ جَيْدٍ
وَأَنَّ كَانَ مَسْبُوقًا إِلَيْهِ . وَالْوَسْطُ وَسَطٌ وَالرَّيُّ رَيٌّْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ
مَسْبُوقًا إِلَيْهِمَا . وَقَدْ أَطْبَقَ الْمُتَقَدِّمُونَ وَالْمُتَأَخِّرُونَ عَلَى تَدَاوُلِ أَلْمَعْنَى
بَيْنَهُمْ فَلَيْسَ عَلَى أَحَدٍ فِيهِ عَيْبٌ إِلَّا إِذَا أَخَذَهُ بِلَفْظِهِ كُلِّهِ وَأَخَذَهُ فَأَفْسَدَهُ
وَقَصَرَ فِيهِ عَمَّنْ تَقَدَّمَهُ وَرَبَّمَا أَخَذَ الشَّاعِرُ الْقَوْلَ الْمَشْهُورَ وَلَمْ يُبَالِ
كَمَا فَعَلَ النَّابِغَةُ فَإِنَّهُ أَخَذَ قَوْلَ وَهْبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ زُهَيْرٍ :

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ

وَقَالَ النَّابِغَةُ

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَا النُّورُ نُورٌ وَلَا الْإِظْلَامُ إِظْلَامٌ

وَأَخَذَ قَوْلَ رَجُلٍ مِنْ كِنْدَةَ فِي عَمْرِو بْنِ هِنْدٍ :

هُوَ الشَّمْسُ وَافَتْ يَوْمَ دَجْنٍ فَأَفْضَلَتْ

عَلَى كُلِّ ضَوْءٍ وَالْمُلُوكِ كَوَاكِبُ

فَقَالَ :

فَلَيْتَكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَاكِبُ

وَسَتَّبِعُ الْقَوْلَ فِي هَذَا الْبَابِ وَالْحَاقِقُ يُخْفِي دَيْبَهُ إِلَى الْغَتَى
يَأْخُذُهُ فِي سُدَّةٍ فَيَحْكُمُ لَهُ بِالسَّبْقِ إِلَيْهِ . وَذَلِكَ أَنْ يَأْخُذَ مَعْنَى
مِنْ ظَلَمَ فَيُورِدُهُ فِي نَثَرٍ . أَوْ مِنْ نَثَرٍ فَيُورِدُهُ فِي ظَلَمٍ أَوْ يَنْقُلُ
الْغَتَى الْمُسْتَعْمَلَ فِي صِفَةِ حَرِّ فَيَجْعَلُهُ فِي مَدِيحٍ أَوْ فِي مَدِيحٍ فَيَنْقُلُهُ إِلَى
وَضَفٍ . إِلَّا إِنَّهُ لَا يَكْدُلُ بِهَذَا إِلَّا الْمُبْدِرُ وَالْكَامِلُ الْمُقَدَّمُ فَمَنْ
أَخْفَى دَيْبَهُ إِلَى الْغَتَى وَسَدَّهُ غَايَةَ السَّرِّ أَبُو تَمَّامٍ فِي قَوْلِهِ :

جَمَعْتُ عَرَى أَعْمَالَهَا بَعْدَ فُرْقَةٍ إِلَيْكَ كَمَا ضَمَّ الْأَنْبِيَاءُ عَامِلُ

قَالُوا هُوَ مِنْ قَوْلِ الْجَبَالِ الرَّبْعِيِّ :

أَوَّلِكَ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ رُزْنَتُهُمْ قَمَا الْكَفُّ إِلَّا إِضْبَعُ ثُمَّ إِضْبَعُ

وَهَكَذَا قَوْلُهُ وَقَدْ نَقَلَهُ مِنْ مَعْنَى إِلَى آخَرٍ :

مَكَارِمُ لَجَّتْ فِي غُلُوٍّ كَأَنَّمَا تُحَاوِلُ ثَارًا عِنْدَ بَعْضِ الْكُؤَاكِبِ

قَالُوا هُوَ مِنْ قَوْلِ الْأَخْطَلِ :

عَرُوفٌ لِحَقِّي السَّائِلِينَ سَكَانُهُ بَعَثَ الْتَالِي طَالِبٌ بِذُنُوبِ

وَيْمًا أَخَذَهُ وَزَادَ فِيهِ عَلَى الْأَوَّلِ قَوْلُهُ :

أَفَنَاهُمْ الصَّبْرُ إِذَا أَبْقَاكُمْ الْجَمْعُ

مِنْ قَوْلِ السَّمَوِيِّ :

يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ أَجَالَتَنَا لَنَا وَتَكَرُّهُ أَجَاهُمْ قَطُّوْلُ

أَوْرَدَهُ أَبُو تَمَّامٍ فِي نَضَفٍ بَيْتٍ وَأَسْتَوْفَى التَّطْيِيقَ وَمِنْ هَذَا

الضَّرْبِ قَوْلُهُ :

عَلَمَنِي جُودُكَ السَّمَّاحَ قَمَا أَبْقَيْتُ شَيْئًا أَدِيَّ مِنْ صِلَتِكَ

مَنْ قَوْلِ ابْنِ الْحَيَّاطِ :
لَسْتُ بِكُنْفِي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغَنَى
وَلَمْ أَذِرْ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْذِي
فَلَا أَنَامُهُ مَا أَقَادَ دَوْرُ الْغِنَى
أَفَدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَتَلَقْتُ مَا عِنْدِي
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مُسْلِمٍ :

أُحِبُّ الرِّيحَ مَا هَبَّتْ شَمَالًا
وَأَحْسُدُهَا إِذَا هَبَّتْ جَنُوبًا
فَقَسَمَ تَقْسِيمًا حَسَنًا وَمَعْنَاهُ :
أَنَّ الشَّمَالَ تَحِيُّ مِنْ نَاحِيَةِ صَدِيقِهِ
إِلَيْهِ فَاحْبَبَهَا وَالْجَنُوبَ تَهَبُّ إِلَى الْحَلِيبِ
فَحَسَدَهَا لِبَشَرَتِهَا جِسْمُهُ وَهُوَ
مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِ جِرَانِ الْعُودِ :

إِذَا هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ مِنْ نُحُورِ أَرْضِكُمْ
وَجَدْتُ لِرِيَّاهَا عَلَى كَيْدِي بَرْدًا
وَرَادَ مُسْلِمٌ فِي قَوْلِهِ أَيْضًا :

وَيُعِيدُ السَّيْفَ بَيْنَ النَّحْرِ وَالْجِدِّ
عَلَى السَّابِقِ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى وَهُوَ بَعْضُ الْفُرْسَانِ إِذْ يَقُولُ :
جَعَلْتُ السَّيْفَ بَيْنَ اللَّيْثِ وَمَنْهُ
وَبَيْنَ سَوَادِ لَحْيِهِ عِذَارًا
لِأَنَّ الْإِعْمَادَ فِيهِ أَشَدُّ تَأْثِيرًا مِنْ وَضْعِ الْعِدَارِ عَلَيْهِ . وَقَدْ رَادَ
أَبُو نُوَّاسٍ عَلَى جَرِيرٍ فِي قَوْلِهِ :
وَقَدْ أَطُولُ بِجَادِ السَّيْفِ مُحْتَبَا
مِثْلُ الرَّدِّيْنِي هَزَّتُهُ الْأَنَابِيْبُ
فَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ :

سَبَطَ الْبَلْبَانَ إِذَا اخْتَبَى بِنَجَادِهِ
غَمْرُ الْجَمَاجِمِ وَالْتِمَاطُ قِيَامُ
قَوْلُهُ : غَمْرُ الْجَمَاجِمِ أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ جَرِيرٍ مِثْلُ الرَّدِّيْنِي .
وَهَكَذَا قَوْلُهُ :

اسْمُ طَوَالُ السَّاعِدَيْنِ كَأَمَّا يُلَاثُ بِحَادَا سَيْفِهِ يِلَوَاءِ
 أَحْسَنُ لَفْظًا وَسَبْكًَا مِنْ قَوْلِ عُنْدَرَةَ :
 بَطْلٌ كَانَ شِبَابَهُ فِي سَرَحَةٍ يُحْذِي نَعَالُ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ
 وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي أَنِّي عُيَيْدُ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ :
 لَهْفِي عَلَى تِلْكَ أَنَحْبَايِلٍ فِيهَا لَوْ أَهْلَتْ حَتَّى تَكُونَ شَمَائِلًا
 لَوْ يُنْسَبَانِ لَكَانَ هَذَا غَارِبًا لِلْمَكُومَاتِ وَكَانَ هَذَا كَاهِلًا
 إِنْ أَهْلَلَ إِذَا رَأَيْتُ مُوَهُ أَتَقَنَّتْ أَنْ سَيَكُونُ بَذْرًا كَامِلًا
 أَحْسَنُ وَأَجُودُ مِمَّا أَخَذَ مِنْهُ هَذِهِ الْعَلَايِي وَهُوَ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :
 وَفِي جَوْفِهِ مِنْ دَارِمٍ ذُو حَفِظَةٍ لَوْ أَنَّ أَلْمَايَا أَنْسَأَتْهُ لِيَالِيَا
 لَا يَقَعُ بَيْتُ الْفَرَزْدَقِ مَعَ آيَاتِ أَبِي تَمَامٍ مَوْعَا . وَأَخَذَ قَوْلُ
 الْفَرَزْدَقِ :
 وَمَا وَامَرْتَنِي النَّفْسُ فِي رِحْلَةٍ لَهَا إِلَى أَحَدٍ إِلَّا إِلَيْكَ ضَمِيرُهَا
 فَشَرَحَهُ وَقَالَ :
 وَمَا طَوَّفْتُ فِي أَلْفَاتِي إِلَّا وَمِنْ جَدْوَالِكَ رَاحَاتِي وَزَادِي
 مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي وَإِنْ قَلَّتْ رِكَائِي فِي أَلْبِلَادِ
 وَإِلَى بَيْتِ الْفَرَزْدَقِ يُشِيرُ الْقَائِلُ :
 مَدَحْتُكَ جَهْدِي بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
 فَقَصَّرَ عَمَّا فِيكَ مِنْ صَالِحِ جَهْدِي
 فَمَا كُلُّ مَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ قُلْتُهُ
 وَلَا كُلُّ مَا فِيهِ يَقُولُ الَّذِي نَعْدِي

وَكُنْتُ إِذَا هَيَّأْتُ مَذْحًا لِأَجَدٍ
آتَانِي الَّذِي فِيهِ بِأَدْنَى الَّذِي عِنْدِي

وَمِنْ مَا هُمَا أَخَذَ أَبُو نُؤَاسٍ قَوْلَهُ :

إِذَا نَحْنُ أَتَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ
وَأَنْ جَرَتْ أَلَا لَظُيُومًا بِمِدْحَةٍ
فَأَنْتَ كَمَا تُشْنِي وَفَوْقَ الَّذِي تُشْنِي
إِغْيِرَكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي
وَيُشِيرُ إِلَى قَوْلِ الْخَنَسَاءِ :

وَمَا بَلَغَ الْمُهْذُونَ فِي الْقَوْلِ وَمِدْحَةٍ
وَهَكَذَا قَوْلُهُ :

قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الدَّرُوعَ يَلْقَوْنَ
أَنْتُمْ وَأَجُودُ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

لَبَسُوا الْقُلُوبَ عَلَى الدَّرُوعِ
وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : إِنْ أَلْتَدَى حَيْثُ تَرَى الصِّغَاظَ . فَأَخَذَهُ بِشَارٍ
وَقَدْ شَرَحَهُ وَيَبَيَّنَهُ فَقَالَ :

تَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يَتَشِيرُ الْحُبُّ م وَتُغْشَى مَنَازِلُ الْكِرْمَاءِ
وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

يَزِدُّهُمْ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ
وَسَمِعَ أَبُو تَمَّامٍ قَوْلَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِلشَّعْثِ بْنِ قَيْسٍ :
إِنَّكَ إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ قَضَاءُ اللَّهِ وَأَنْتَ مَوْزُورٌ . وَإِنَّكَ إِنْ
لَمْ تَسْلُ أَحْتِسَابًا سَاوَتْ كَمَا تَسْلُو أَلْبَاهِمَ فَحِكَاةُ حِكَايَةِ حَسَنَةٍ فِي
قَوْلِهِ :

وَقَالَ عَلِيٌّ فِي التَّعَاذِي لَا شَعَثَ وَخَافَ عَلَيْهِ بَعْضُ تِلْكَ الْمَآخِمْ
أَتَصْبِرُ لِلْبَلَوِّ حَيَاءً وَحِسْبَةً فَتَوَجَّرُ أَمْ تَسْلُسُ سُلُوًّا إِلَهَاسِيْمَ
خُلِقْنَا رِجَالًا لِلتَّجَلُّدِ وَالْأَسَى وَتِلْكَ الْغَوَايِي لِلْبُكَاءِ وَالْمَآخِمْ
وَأَلَيْتُ الْآخِرُ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ لَمَّا قُتِلَ مُضْعَبٌ .

وَأَمَّا التَّسْلِيمُ وَالسَّلَوةُ لِحِزْمَاءِ الرِّجَالِ . وَإِنَّ أَهْلَكُمْ وَالْجُرْعَ لِرَبَاتِ الْحِجَالِ
وَسَمِعَ قَوْلَ زِيَادٍ لِأَبِي الْأَسْوَدِ . لَوْ أَنَّكَ ضَعِيفٌ لَأَسْتَعْمَلْتُكَ . فَقَالَ
أَبُو الْأَسْوَدِ : إِنْ كُنْتُ تُرِيدُنِي لِلصَّرَاعِ فَلَرْنِي لَا أَضْلِحُ لَهُ وَإِلَّا فَقَدِرُ
شَدِيدٍ أَنْ أَمُرَّ وَأَنْهَى فَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

تَحَبَّبُ أَنْ رَأَتْ جَنْسِي نَحِيفًا كَانَ الْخَجْدُ يُدْرِكُ بِالصَّرَاعِ
وَلَمَّا قَالَ بَشَّارٌ :

مَنْ رَأَى النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكُ اللَّهُمَّ
تَبِعَهُ سَلَمُ الْخَاسِرِ فَقَالَ :

مَنْ رَأَى النَّاسَ مَاتَ عَمَّا وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ

فَلَمَّا سَمِعَ بَشَّارٌ هَذَا أَلَيْتُ قَالَ : ذَهَبَ الْحَيْثُ بَيْتِي . وَمِنْ
حُسْنِ الْإِتِّبَاعِ أَيْضًا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَلْبَاسٍ حَيْثُ كَتَبَ : إِذَا
كَانَ لِلْخَيْرِ مِنْ أَثْوَابٍ مَا يُفْنِعُهُ وَلِلْمُسِيءِ مِنْ أَلْعَابٍ مَا يَفْنَعُهُ
أَزْدَادُ الْخَيْرِ فِي الْإِحْسَانِ رَغْبَةٌ وَأَنْقَادُ الْمُسِيءِ لِلْحَقِّ رَهْبَةٌ . أَخَذَهُ
مِنْ قَوْلِ عَلِيٍّ : يَحِبُّ عَلَى الْوَالِي أَنْ يَتَعَهَّدَ أُمُورَهُ وَيَتَفَقَّدَ أَعْوَانَهُ
حَتَّى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ إِحْسَانُ مُخْسِنٍ وَلَا إِسَاءَةُ مُسِيءٍ ثُمَّ لَا يَتْرَكَ وَاحِدًا
مِنْهُمَا بِغَيْرِ جَزَاءٍ فَإِنْ تَرَكَ ذَلِكَ تَهَاوَنَ الْخَيْرُ وَأَجْتَرَأَ الْمُسِيءُ وَفَسَدَ

الْأَمْرُ وَضَاعَ الْعَمَلُ . وَسَمِعَ بَعْضُ الْكُتَّابِ قَوْلَ نُصَيْبٍ :

وَلَوْ سَكَتُوا أَثَبْتُ عَلَيْكَ الْحَقَّابُ

فَكَتَبَ وَلَوْ أَمْسِكَ لِسَانِي عَنْ شُكْرِكَ لَنَطَقَ أَثْرُكَ عَلَيَّ .
وَرَفِي فَضْلٍ آخَرَ : وَلَوْ جَمَعْتُكَ إِحْسَانَكَ لَأَكْذَبْتَنِي آثَارُهُ وَتَمَتَّ
عَلَيَّ شَوَاهِدُهُ . وَقَرِيبُ مِنْهُ قَوْلُهُمْ : شَاهِدَاتُ الْأَخْوَالِ أَعْدَلُ مِنْ
شَهَادَاتِ الرِّجَالِ . أَخَذَهُ ابْنُ الْأَرَوِّحِيِّ فَشَرَحَهُ فِي قَوْلِهِ :

حَالُ السِّدَادِ فِي عَمَّا يُرِيكُمْ لَكِنْ قَمُ الْحَالِ وَتِي غَيْرُ مَسْدُودٍ

حَالُ تَصِيحُ بِنَا أَوْلَيْتَ مُعَلَّنَةً وَكُلُّ مَا تَدْعِيهِ غَيْرُ مَرْدُودٍ

كُلِّي هِجَاءَ وَقَتْلِي لَا يَحِلُّ لَكُمْ فَمَا يُدَاوِيكُمْ وَتِي سِوَى الْجُودِ

وَمِنْ أَحْسَنِ الْإِتِّبَاعِ أَيْضًا أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ وَقَدْ سَمِعَ قَوْلَ
عَلِيٍّ : لَا تَكُونَنَّ كَمَنْ يَفْخَرُ عَنْ شُكْرِ مَا أُتِيَ وَيَلْتَمِسُ الزِّيَادَةَ
فِيمَا بَقِيَ . فَكَتَبَ : أَحَقُّ مَنْ أَثَبْتُ لَكَ الْعُذْرَ فِي حَالِ شُغْلِكَ
مَنْ لَمْ يَخْلُ سَاعَةً مِنْ بَرِّكَ فِي وَقْتِ فَرَاغِكَ . وَأَخَذَهُ أَخَذًا ظَاهِرًا
أَحْمَدُ بْنُ صُبَيْحٍ فَقَالَ : فِي شُكْرٍ مَا تَقَدَّمَ مِنْ إِحْسَانِ الْأَمِيرِ شَاغِلٌ
عَنْ اسْتِطَاءِ مَا تَأَخَّرَ مِنْهُ . وَأَخَذَهُ سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ فَقَالَ : كُنْتُ
مُسْتَقْبِلًا لِشُكْرٍ مَا مَضَى مِنْ بِلَائِكَ فَاسْتَبَطَيْتُ دَرَكَ مَا أُوَقِّلُ مِنْ
مَزِيدِكَ . وَمِنْ هَذَا أَيْضًا قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ :

لَا تُسَدِّدَنَّ إِلَيَّ عَارِقَةً حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا

وَأَخْبَرَ الْأَخْفَشُ قَالَ : قَالَ أَبُو تَمَّامٍ لِابْنِ أَبِي رُوَادٍ لَمَّا غَضِبَ

عَلَيْهِ : أَنْتَ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَلَا طَاقَةَ لِي بِعِصَابِ جَمِيعِ النَّاسِ . فَقَالَ

أَبْنُ أَبِي رُوَادٍ : مَا أَحْسَنَ هَذَا مِنْ آيِنَ أَخَذْتَهُ . قَالَ : مِنْ قَوْلِ
أَبِي نُوَّاسٍ وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَكْرٍ . أَنْ يَجْمَعَ أَلْعَلَّامُ فِي وَاحِدٍ
وَمَنْ سَمِعَ هَذَا الْكَلَامَ يَظُنُّهُ مَسْرُوقًا مِنْ قَوْلِ جَرِيرٍ :
إِذَا غَضِبْتَ عَلَيَّ بَنُو تَمِيمٍ رَأَيْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا
وَسَمِعَ قَلِيبُ الْمُعْتَرِي أَيْبَانًا لِلْعُنَيِّ وَهِيَ :

أَفَلْتُ بَطَالَتُهُ وَرَاجَعُهُ حِلْمٌ وَأَعَقَبَهُ أَهْوَى نَدَمًا
أَلْقَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ كَلْكَلَهُ وَأَعَارَهُ الْإِفْتَارَ وَالْعَدَمَا
فَإِذَا أَلَمَ بِهِ أَخُو ثِقَةٍ غَضَّ الْجُنُونُ وَمَجَّحَ الْكَلِمَا

فَقَالَ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ يَسْتَغْفِرُهُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِهِ : جَعَلَنِي اللَّهُ
فِدَاكَ . لَيْسَ هُوَ الْيَوْمَ كَمَا كَانَ أَمْسٍ إِنَّهُ وَحْيَاكَ أَفَلْتُ بَطَالَتُهُ
إِنِّي وَاللَّهِ وَرَاجَعُهُ حِلْمُهُ وَأَعَقَبَهُ وَحَقِّكَ أَهْوَى نَدَمًا أَلْقَى الدَّهْرُ عَلَيْهِ
كَلْكَلَهُ فَهُوَ الْيَوْمَ إِذَا رَأَى أَخَا ثِقَةٍ غَضَّ بَصَرَهُ وَمَجَّحَ كَلَامَهُ .
وَهَذَا يُعْرَفُ أَنَّ حَلَّ الْمَنْظُومِ وَنَظْمَ الْحَمُولِ أَسْهَلُ مِنْ ابْتِدَائِهِمَا
لِأَنَّ أَلْمَاعِي إِذَا حَلَّتْ مَنْظُومًا أَوْ نُظِمَتْ مَثُورًا حَاضِرَةٌ بَيْنَ يَدَيْكَ
تَرِيدُ فِيهَا مِثْنًا فَتَحُلُّ أَوْ تَنْقُصُ مِنْهَا شَيْئًا فَتَنْظُمُ . وَإِذَا أَرَدْتَ
أَبْتِدَاءَ كَلَامٍ وَجَدْتَ أَلْمَاعِي غَائِبَةً عَنْكَ فَتَحْتَاجُ إِلَى فِكْرِ يُحْضِرُكَهَا
وَالْحَمُولُ مِنَ الشَّعْرِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَضْرُبٍ : ضَرْبٌ مِنْهَا يَكُونُ
بِإِذْخَالِ لَفْظَةٍ بَيْنَ أَلْفَاظِهِ . وَضَرْبٌ يَحُلُّ بِتَأْخِيرِ لَفْظَةٍ مِنْهُ وَتَقْدِيمِ
أُخْرَى فَيَحْسُنُ مَحْمُولُهُ وَيَسْتَقِيمُ . وَضَرْبٌ مِنْهُ يَحُلُّ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ
وَلَا يَحْسُنُ وَلَا يَسْتَقِيمُ . فَأَمَّا الْأَضْرَبُ الْأَوَّلُ فَمِثَالُهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ

صَدَرَ كَلَامِ قُلَيْبِ الْمُعْتَرِي . وَأَمَّا الصَّرْبُ الثَّانِي فَمِثَالُهُ مَا ذَكَرَ
بَعْضُ الْكُتَّابِ مِنْ قَوْلِ الْجُبُرِيِّ :

تَطْلُبُ الْأَكْثَرُ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ تُبْلَغُ الْحَاجَةُ فِيهَا بِالْأَقْلِ
ثُمَّ قَالَ : فَإِذَا نَزَّتْ ذَلِكَ وَلَمْ تَرُدِّ فِي الْفَاطَةِ شَيْئًا قُلْتَ :
تَطْلُبُ فِي الدُّنْيَا الْأَكْثَرُ وَتَبْلَغُ مِنْهَا الْحَاجَةَ بِالْأَقْلِ . فَأَمَّا
الصَّرْبُ الثَّلَاثُ فَهُوَ أَنْ تُوَضَعَ الْفَاطَةُ أَلَيْتَ فِي مَوَاضِعَ لَا يَحْسُنُ
وَضْعُهَا فِي غَيْرِهَا فَيُجَلُّ إِذَا نَزَّ بِتَأْخِيرِ لَفْظٍ وَتَقْدِيمِ آخَرٍ فَيَحْتَاجُ
نَزْهُهُ إِلَى التَّقْصَانِ مِنْهُ وَالزِّيَادَةَ فِيهِ . كَقَوْلِ الْجُبُرِيِّ أَيْضًا :

يُسِرُّ بِعُمَرَانَ الدِّيَارِ مُضَلَّلٌ وَعُمَرَانُهَا مُسْتَأْنَفٌ مِنْ خَوَابِهَا
وَلَمْ أَرْتَضِ الدُّنْيَا أَوَانَ مَحِيئِهَا فَكَيْفَ أَرْتَضَاهَا أَوَانَ ذَهَابِهَا
فَإِذَا نَزَّ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ قِيلَ : يُسِرُّ مُضَلَّلٌ بِعُمَرَانَ الدُّنْيَا وَمِنْ
خَوَابِهَا عُمَرَانُهَا مُسْتَأْنَفٌ وَلَمْ أَرْتَضِ أَوَانَ مَحِيئِهَا الدُّنْيَا فَكَيْفَ أَوَانَ
ذَهَابِهَا أَرْتَضَاهَا . فَهَذَا نَزْرٌ قَاسِدٌ فَإِذَا غَيَّرْتَ بَعْضَ الْفَاطَةِ حَسَنَ
وَهُوَ أَنْ تَقُولَ : يُسِرُّ الْمُضَلَّلُ بِعُمَرَانَ الدِّيَارِ وَإِنَّمَا يُسْتَأْنَفُ عُمَرَانُهَا
مِنْ خَوَابِهَا . وَمَا أَرْتَضَيْتِ الدُّنْيَا أَوَانَ مَحِيئِهَا فَكَيْفَ أَرْتَضِيهَا أَوَانَ
ذَهَابِهَا . وَنَحْنُ نَقُولُ إِنَّ مِنَ الظُّمِّ مَا لَا يُمْكِنُ حَلُّهُ أَصْلًا بِتَأْخِيرِ
لَفْظَةٍ وَتَقْدِيمِ أُخْرَى مِنْهُ حَتَّى يُلْتَقِيَ بِهِ التَّغْيِيرُ وَالزِّيَادَةُ وَالتَّقْصَانُ .
مِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

لِسَانَ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فَوَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَاللِّدْمِ
فَالْمَصْرَاعُ الْأَوَّلُ يُمْكِنُ أَنْ تُؤَخَّرَ الْفَاطَةُ وَتُقَدَّمَ فَيَصِيرُ نَزْرًا

سُنْتَقِيماً وَهُوَ أَنْ تَقُولَ : فَوَإِذَا أَلْفَقَى نِصْفُهِ وَلِسَانُهُ نِصْفٌ . وَلَا
يُمْكِنُ فِي الْمِضْرَاعِ الثَّانِي ذَلِكَ حَتَّى تَرِيدَ فِيهِ أَوْ تَنْقُصَ مِنْهُ لِأَنَّ
الْمِضْرَاعَ الثَّانِي إِنْمَا هُوَ تَذْيِيلٌ لِلْمِضْرَاعِ الْأَوَّلِ فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُحَلِّهَ
حَلًّا مُقْتَصَرًا بِغَيْرِ لَفْظِهِ قُلْتَ : أَلَا نَسَانُ شَطْرَانِ لِسَانٌ وَجَنَانٌ . وَمِمَّا
لَا يُمْكِنُ حَلُّهُ بِتَقْدِيمِ لَفْظِهِ مِنْهُ وَتَأْخِيرِ أُخْرَى أَيْضًا قَوْلُ أَبِي
نُوَاسٍ :

أَلَا يَا أَبْنَ الْأَذِينَ قُمُوا وَبَادُوا أَمَا وَاللَّهِ مَا ذَهَبُوا لِيَتَّبَعِي
فَتَحْتَاجُ فِي نَثَرِهِ إِلَى تَغْيِيرِهِ وَإِبْدَالِ الْفَظِ فَتَقُولُ : أَلَا يَا أَبْنَ
الَّذِينَ مَاثُوا وَمَضُوا وَطَعْنُوا فَنَآؤًا قَوْلَ اللَّهِ مَا طَعْنُوا لِيُتَّقِمَ وَمَا رَأَمُوا إِلَّا
لِيُرِيمَ . وَلَا أَتَاوُ لِيَحْيَا وَلَا قَتَلُوا لِيَتَّبَعِي . وَفِي هَذِهِ الْأَلْفَاظِ طَوْلٌ وَلَيْسَ
بِصَافِرٍ عَلَى مَا خَبَرْتُكَ فَإِنْ أَرَدْتَ اخْتِصَادَهُ قُلْتَ : أَمَا وَاللَّهِ إِنْ
أَلَمْتُ لَمْ يُصَبِّكَ فِي آيِكَ إِلَّا لِيُصِيبَكَ فِيكَ . وَالضَّرْبُ الرَّابِعُ
أَنْ تَكْشُوَ مَا تَحْلُهُ مِنَ الْمَنْظُومِ الْفَظَاطِ مِنْ عِنْدِكَ . وَهَذَا أَرْفَعُ
دَرَجَاتِكَ . وَمِنْهُ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ لِلرَّبِّيعِ بْنِ خَنِيمٍ وَقَدْ رَأَى اجْتِهَادَهُ
فِي الْعِبَادَةِ : قَتَلْتَ نَفْسَكَ . فَقَالَ : رَاحَتَهَا أَطَابُ . فَقَالَ الشَّاعِرُ :
سَاطِبُ بَعْدَ الدَّارِ مِنْكُمْ لِيُتَقَرَّبُوا وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِيَجْعِدَا
وَمِنْهُ مَا جَاءَ عَنِ الْحَسَنِ الْبُصْرِيِّ فَقَالَ نَثَرًا : إِنْ أَمْرًا لَمْ يَعُدَّ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ آدَمَ إِلَّا أَبَا مَيْتَةٍ مُلْعَقٌ لَهُ فِي أَلَمْتِ فَاحْذَرَهُ أَبُو نُوَاسٍ فَقَالَ :
وَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَأَبْنُ هَالِكٍ وَذُو نَسَبٍ فِي أَهْلِكَيْنِ عَرِيقُ
وَسَمِعَ بَعْضُ الْكُتَّابِ قَوْلَ أَبِي تَمَّامٍ :

فَإِنْ نَحْذِ عِلَّةً نَعْمُ بِهَا حَتَّى تَرَانَا نُعَادُ مِنْ مَرَضَةٍ
فَكَتَبَ مَنْ تَوَلَّى مَرْثِيَّيَ مِنْ طَاعَتِكَ وَمُسَارَكَتِكَ كَانَ حَقِيقًا
أَنْ يَهْنَأَ بِالتَّغَمُّةِ تُحَدِّثُ عِنْدَكَ وَيَعْرِى عَلَى النَّابِثَةِ تُلْمُ بِكَ . فَتَقْلَ
الْعِيَادَةَ إِلَى الْمَصِيبَةِ وَالتَّغْرِيبَةِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْكِتَابَةُ تَقْضِي الشَّعْرَ .
وَقِيلَ لِلْعِتَابِيِّ : بِمِ قَدَرْتَ عَلَى الْبَلَاغَةِ . فَقَالَ : بِحُلِّ مَعْقُودِ الْكَلَامِ
وَأَحْسَنَ أَبُو تَمَّامٍ فِي قَوْلِهِ :

إِلَيْكَ هَتَكْنَا جَمِيعَ لَيْلٍ كَأَنَّمَا قَدْ أَكْتَحَلْتُ مِنْهُ أَلْبَلَاذَ بِأَعْيُنِي
وَزَادَ فِيهِ عَلَى أَبِي نُوَّاسٍ وَمِنْهُ أَخَذَ . وَهُوَ قَوْلُهُ :

وَجِئْتُ لَيْلٍ مُسْتَحِيلٍ بِقَارِ
لِأَنَّ الْأَكْتِحَالَ يَكُونُ بِالْإِعْمَادِ وَلَا يَكُونُ بِالْقَارِ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ
أَبْنُ الْعَبَّاسِ :

لِفَضْلِ نَبِيٍّ سَهْلٍ يَدُ تَقَاصَرَ عَنْهَا أَلْتَلَّ
فَبَسَطْتُهَا لِنَفْسِي وَسَطَوْتُهَا لِلْأَجَلِ
وَبَاطِنُهَا لِلنَّدَى وَظَاهَرُهَا لِلْقَبْلِ

وَأَخَذَ أَلْعَنَى الْأَمِيرُ أَبُو عَزِيزٍ قِتَادَةَ أَمِيرٍ مَكَّةَ فَقَالَ مُشِيرًا إِلَى
يَدِهِ مِنْ آيَاتِهِ :

تَقْلُ مُلُوكَ الْأَرْضِ تَأْتِمُ ظَهْرَهَا وَفِي بَطْنِهَا لِلْجُدِيِّينَ رَيْعُ
فَاتَّبَعَهُ أَبْنُ الرُّومِيِّ فَأَحْسَنَ الْإِتِّبَاعَ فَقَالَ :

أَصْبَحْتُ بَيْنَ خِصَاصَةٍ وَتَجْمُلٍ وَأَخْرُتُ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلًا
فَأَمْدُدْ إِلَيَّ يَدًا تَعُودُ بَطْنَهَا نَذْلُ النُّوَالِ وَظَهْرُهَا التَّشْيِيلُ

وَمَا أَلْطَفَ قَوْلَ مَنْ قَالَ :

وَمَا اللَّهُرُّ فِي حَالِ السُّكُونِ بِسَاكِنٍ
سِوَى أَنَّهُ مُسْتَجِيعٌ لِيُثُوبِ

وَأَمَّا أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ :

وَقُلْتُ يَا قَوْمُ إِنَّ أَلَيْثَ مُنْقِضٌ
عَلَى بَرَائِثِهِ لِيُثْبِتَ الضَّارِي
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ :

كَانَ أَبَاهُ حِينَ سَمَاهُ صَاعِدًا
رَأَى كَيْفَ يَرْقَى فِي الْمَعَالِي وَيَصْعَدُ
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْبُحَيْرِيِّ :

سَمَاهُ أَسْرَتُهُ أَلْعَلَاءُ وَأَمَّا
وَزَادَ أَبُو نَمَامٍ عَلَى الْآفَوَةِ وَالنَّابِغَةِ وَآبِي نُؤَاسٍ وَمُسْلِمٍ فِي مَعْنَى
تَدَاوُلُوهُ وَهُوَ قَوْلُ الْآفَوَةِ :

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى أَرْمَاحِنَا
رَأَى عَيْنِ ثِقَّةٍ أَنْ سَتَارَ
وَقَالَ النَّابِغَةُ :

إِذَا مَا غَزَوْا بِالْخَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ
عَصَابُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ
جَوَانِحُ قَدْ آيَقْنَ أَنْ قَبِيلَهُ
إِذَا مَا أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ
وَقَوْلُ آبِي نُؤَاسٍ :

تَتَايَا الطَّيْرُ غَزْوَتَهُ
ثِقَّةٌ بِالسَّبْعِ مِنْ جَزَرِهِ

وَقَوْلُ مُسْلِمٍ :

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتِهِ وَثَنَ بِهَا
فَهُنَّ يَلْبَعُهُ فِي كُلِّ مُرْتَحِلٍ
فَقَالَ أَبُو نَمَامٍ :

أَقَامَتْ مَعَ الرِّايَاتِ حَتَّى كَانَتْهَا مِنْ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَا تُقَاتِلُ
وَقَوْلُهُ : (أَقَامَتْ مَعَ الرِّايَاتِ زِيَادَةً) وَزَادَ عَلَيْهِمْ بَعْضُ
الْمُحَدِّثِينَ فَقَالَ :

حَتَّى تَكَادَ عَلَى آخِيَانِهِمْ تَقَعُ

وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :
هَمَّةٌ تَنْطَحُ الْجُيُومَ وَجِدُّ أَلْفٍ لِلْحَضِيضِ فَهُوَ حَضِيضُ
أَخَذَهُ الْبُخْرِيُّ فَحَسَّهُ وَهُوَ قَوْلُهُ :

مُتَحَيِّرٌ يَغْدُو بِعِزِّهِ قَائِمٌ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ وَجِدٌّ قَائِدٌ
وَيْمًا أَخَذَهُ مِنْ أَبِي تَمَّامٍ فَحَسَّهُ تَقْسِيمًا حَسَنًا قَوْلُهُ :
مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيمَةٌ إِفْدَامٌ غَيْرٌ وَأَعْيَازٌ مُجَرَّبٌ
هُوَ مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :
وَمُجَرَّبُونَ سَقَاهُمْ مِنْ بَأْسِهِ فَإِذَا لُقُوا فَكَانَتْهُمْ أَعْمَادُ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

كَمْ نِعْمَةً لَا يُسْتَقَلُّ بِشُكْرِهَا لِلَّهِ فِي طَيِّ الْمَكَارِدِ كَلَامُهُ
أَخَذَهُ أَبُو تَمَّامٍ فَقَالَ :

قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِالْبُلُوَى رَانَ عَظُمَتُ وَيَتَلَيَّ اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنِّعَمِ
فَزَادَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ أَتَى بِعَكْسِ أَلْفَعَى وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :
رَأَيْتُ رَجَائِي فِيكَ وَهَذَا هَمَّةٌ وَلَكِنَّهُ فِي سَائِرِ النَّاسِ مَطْمَعُ
فَأَخَذَهُ الْبُخْرِيُّ فَأَخْتَصَرَهُ فَقَالَ :

ثَنَى أَمَلِي فَأَخْتَارَهُ عَنْ مَعَايِرِ يَسْتُونُ وَالْأَمَالِ فِيهِمْ مَطَامِعُ

فَاخَذَهُ ابْنُ الرُّومِيِّ فَقَالَ :
 بِهِ صَدَقَ اللَّهُ الْأَمَانِي حَدِيثَهَا
 وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ :
 أَنْصَرْتَ أَيَكْتِي عَطَايَاكَ حَتَّى
 عَادَ غُضْبِي سَاقًا وَكَانَ قَضِيصَا
 فَقَالَ الْبُخَيْرِيُّ وَزَادَ :
 حَتَّى يَعُودَ اللَّزْبُ لِنِثَاصَيْغَمَا
 وَالْأُغْضُ سَاقًا وَالْقَرَادَةُ نِيغَا
 وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ وَفِيهَا أوردتُ كِفَايَةً

البحث الثاني

في قبح الاخذ

(من كتاب الصناعتين للمسكري)

(راجع صفحة ٢٤٣ من علم الادب)

وَقَبْحُ الْأَخْذِ أَنْ تَعِيدَ إِلَى الْمَعْنَى فَتَتَنَاوَلَهُ بِلَفْظِهِ كُفْلُهُ أَوْ
 أَكْثَرُهُ أَوْ تُخْرِجَهُ فِي مَعْرُضٍ مُسْتَهْجِنٍ . وَالْمَعْنَى إِنَّمَا يُحْسَنُ بِالْكُسُوفِ .
 أَخْبَرَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا قَالَ قِيلَ لِلشَّعْبِيِّ : إِنَّا إِذَا سَمِعْنَا الْحَدِيثَ مِنْكَ
 نَسَمِعُهُ بِخِلَافٍ مَا نَسَمِعُهُ مِنْ غَيْرِكَ . قَالَ : إِنِّي أَجِدُهُ عَارِيًا
 فَأَكْسُوهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَزِيدَ فِيهِ حَرْفًا . أَيْ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَزِيدَ فِي
 مَعْنَاهُ شَيْئًا فِيمَا أُخِذَ بِلَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ وَادَّعَى أَخْذَهُ أَنَّهُ لَمْ يَأْخُذْهُ
 وَلَكِنْ وَقَعَ كَمَا وَقَعَ لِلأَوَّلِ كَمَا سُئِلَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ عَنْ
 الشَّاعِرِينَ يَتَّفِقَانِ عَلَى لَفْظٍ وَاحِدٍ وَمَعْنَى . فَقَالَ : عُشُولُ الرِّجَالِ

تَوَافَتْ عَلَى السِّتِّهَا وَذَلِكَ قَوْلُ طَرَفَةٍ :
 وَتُوقَفَا بِهَا صَحْفِي عَلَى مَطْيِهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَجَلَّ
 وَهُوَ قَوْلُ أَمْرِى الْقَيْسِ :
 وَتُوقَفَا بِهَا صَحْفِي عَلَى مَطْيِهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَجَلَّ
 فَعَبَّرَ طَرَفَةُ الْقَافِيَةَ . وَقَالَ الْبُعَيْثُ :
 أَرْجُو كَلِيبَ أَنْ يَجِيَّ حَدِيثُهَا بِجَيْرٍ وَقَدْ آتَا كَلْبُنَا قَدِيمُهَا
 وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

أَرْجُو رَبِيعَ أَنْ تَحِيَّ صَعَارُهَا بِجَيْرٍ وَقَدْ آتَا رَبِيعًا كِبَارُهَا
 وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِهِمْ جِدًّا وَالْأَخَذُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ
 كَانَ مَعِيًّا وَإِنْ ادَّعَى الْآخِرُ أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ الْأَوَّلِ بَلْ وَقَعَ
 لَهُ كَمَا وَقَعَ لِذَلِكَ فَإِنَّ صِحَّةَ ذَلِكَ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
 وَالْعَيْبُ لَا زِمَ لِلْآخِرِ . وَإِذَا كَانَ الْقَوْمُ فِي قَيْسَةٍ وَاحِدَةٍ فَإِنَّ
 خَوَاطِرَهُمْ تَقَعُ مُتَقَارِبَةً كَمَا أَنَّ أَخْلَاقَهُمْ وَشَمَائِلَهُمْ تَكُونُ مُتَضَارِعَةً
 وَأَنْشَدْتُ الصَّاحِبَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبَّادٍ :

كَانَتْ سَرَاةُ النَّاسِ تَحْتَ أَظْلَةٍ

فَسَبَقَنِي وَقَالَ :

فَقَدَّتْ سَرَاةُ النَّاسِ فَوْقَ سَرَاتِهِ

وَكَذَلِكَ كُنْتُ قُلْتُ : فَعَلَى هَذَا جَائِزٌ مَا يُدْعَى لَهُمْ وَالظَّاهِرُ
 مَا قُلْنَاهُ فَهَذَا ضَرْبٌ . وَالضَّرْبُ الْآخِرُ مِنَ الْأَخْذِ الْمُسْتَحْجَنِ أَنْ
 يَأْخُذَ الْمَعْنَى فَيُفْسِدَهُ أَوْ يُعْرِضَهُ أَوْ يُخْرِجُهُ فِي مَعْرُضٍ قَبِيحٍ وَكُسُوفَةٍ

مُسْتَرْدَلَةٌ . وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ أَبِي كَرِيمَةَ :
 قَفَاهُ وَجْهُهُ ثُمَّ وَجْهَ الَّذِي قَفَا هُ وَجْهَهُ يُشْبِهُ الْبَدْرَا
 وَإِنَّمَا أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي نُؤَاسَ :
 بَرَّ حُسْنَ الْوُجُوهِ حُسْنُ قَفَانَا

وَأَخَذَهُ أَبُو نُؤَاسٍ مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ بِقَوْلِهِ لِلثُّغَمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ :
 أَيَفَاخِرُكَ ابْنُ جَنْمَةٍ وَالْكَاتِ لَأَمْسُكَ خَيْرٌ مِنْ يَوْمِهِ وَلَقَدْ ذَاكَ أَحْسَنُ
 مِنْ وَجْهِهِ وَلَيْسَ ذَاكَ أَسْمَحُ مِنْ عَيْنِهِ . وَلَعِيدُكَ أَكْثَرُ مِنْ قَوْمِهِ
 وَلَتَنْفُسُكَ أَكْبَرُ مِنْ جُنْدِهِ وَلَيَوْمُكَ أَشْرَفُ مِنْ دَهْرِهِ . وَلَوْ عَدُّكَ
 الْحُجْرُ مِنْ رِفْدِهِ . وَلَهْزَلُكَ أَضَوْبُ مِنْ جِدِّهِ . وَلَكَرْيُوكُ أَزْفَعُ مِنْ
 سَرِيرِهِ . وَلَقَتَرُكَ أَبْطُ مِنْ شِيرِهِ . وَلَأَمْتُكَ خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ . وَسَمِعَ
 بَعْضُهُمْ قَوْلَ مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقِ :

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةً اللَّهِ نِعْمَةً عَلَيَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَحِبُّ الشُّكْرُ
 فَكَيْفَ بُلُوعُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ وَإِنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ وَأَتَّصَلَ الْعُمْرُ
 إِذَا مَسَّ بِالسَّرَّاءِ عَمَّ سُورُهَا وَإِنْ سَسَّ بِالضَّرَّاءِ أَعْقَبَهَا الْأَجْرُ
 وَمَا مِنْهَا إِلَّا لَهُ فِيهِ نِعْمَةٌ تَضِيقُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَالْأَبْرُ وَالْحَجْرُ
 فَقَالَ وَاسَاءَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ ذُو نِعَمٍ لَمْ يُخْصِهَا عَدَدًا بِالشُّكْرِ مَنْ حَمَدَا
 شُكْرِي لَهُ عَمَلٌ فِيهِ عَلَيَّ لَهُ شُكْرٌ يَكُونُ لِشُكْرِ قَبْلَهُ مَدَدًا
 فَهَذَا مِثَالُ قَفْحِ الْأَخْذِ فَأَعْلَمُهُ . وَأَخَذَ ابْنُ طَبَاتِبَا قَوْلَ عَلِيٍّ
 قِيَسَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُحْسِنُهُ . فَقَالَ :

فَيَا لَأَنبِيَّ دَعْنِي أَعَالِي بَقِيَّتِي • قَسِيمةُ كُلِّ النَّاسِ مَا يُحْسِنُونَهُ
فَأَخَذَهُ بِلَفْظِهِ وَأَخْرَجَهُ بَعْضًا مُتَكَلِّفًا • وَأَلْبَسَهُ قَوْلَ الْآخِرِ :
(قَسِيمةُ كُلِّ أَمْرِي عِلْمُهُ) فَهَذَا وَإِنْ كَانَ أَخَذَهُ بِبَعْضِ لَفْظِهِ فَإِنَّ
يَلْبِسُهُ أَحْسَنُ مَوْقَعًا مِنْهُ مِنْ يَلْبِسِ ابْنَ طَبَاطِبَا • وَمِمَّا قَصَّرَ فِيهِ الْحَجَرِيُّ
قَوْلُهُ :

قَوْمٌ تَرَى أَرْمَاحَهُمْ يَوْمَ الْوَعَى مَشْفُوفَةً بِمَوَاطِنِ الْكَيْتَانِ
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ عَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرَبَ :

وَالضَّارِبِينَ بِكُلِّ آيِضٍ مُرْهَفٍ وَالطَّاعِنِينَ بِجَمَاعِ الْأَضْعَانِ
فَإِنَّ قَوْلَهُ (بِجَمَاعِ الْأَضْعَانِ) أَجْوَدُ مِنْ قَوْلِهِ : مَوَاطِنِ الْكَيْتَانِ
لَا نَهْمُ إِنَّمَا يُطَاعُونَ الْأَعْدَاءَ مِنْ أَجْلِ أَضْعَانِهِمْ فَإِذَا وَقَعَ الطَّعْنُ
فِي مَوْضِعِ الْأَضْعَانِ فَذَلِكَ غَايَةُ الْمُرَادِ • وَأَنْشَدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمِّهِ :
حَرَامٌ عَلَى أَرْمَاحِنَا طَعْنُ مُدِيرٍ وَتَنْدَقُ قِدَمًا فِي الصُّدُورِ صُدُورُهَا
مُسَلَّمَةٌ أَنْجَازَ خَيْلِي فِي الْوَعَى مُكَلِّمَةٌ لَبَاتَهَا وَنَحْوُهَا
أَخَذَهُ أَبُو نَوَامٍ فَقَالَ :

أَنَاسٌ إِذَا مَا اسْتَحْكَمَ الرُّوْعُ كَسَرُوا

صُدُورَ الْعَوَالِي فِي صُدُورِ الْكُتَابِ

فَأَحْسَنًا جَمِيعًا وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخِرِ :

يَلْقَى السُّيُوفَ بِخِرِّهِ وَبِوَجْهِهِ وَيَقِيمُ هَامَتَهُ مَقَامَ الْمَغْفَرِ
وَيَقُولُ لِلطَّرَفِ أَصْطَبِرْ لِسْبَا الْقَتَا فَهَدَمْتُ رُكْنَ الْحَجَرِ إِنْ لَمْ يُغْفَرِ
وَمِثْلُهُ قَوْلُ بَكْرِ بْنِ النَّطَّاحِ :

يَتَلَقَّى أَلَدَى بَوْبِهِ حَيٍّ وَصُدُورَ أَلَمَّا بَوْبِهِ وَقَاحٍ
وَهَذَا كُلُّهُ مَا أُخِذَ مِنْ قَوْلِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ :
لَا يَقَعُ الطَّنُّ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ لَيْسَ لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ أَلَمَاتٍ تَهْلِيلُ
وَهُوَ ذُوْنَ جَمِيعٍ مَا تَقَدَّمَ . وَقَدْ أَتَيْتُ فِي هَذَا أَلْبَابٍ عَلَى
الْكِفَايَةِ . فَمَنْ بَمَا أَوْرَدْتُهُ عَلَى مَا تَرَكْتُهُ فَإِنِّي لَوْ اسْتَنْصَيْتُهُ خَرَجَ
هَذَا الْكِتَابُ عَنِ الْمُرَادِ وَزَاغَ عَنِ الْإِثَارِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ

البحث الثالث

في حل الشعر

(عن المثل السائر والوني المرقوم لابن الاثير)

(راجع صفحة ٢٤٤ من علم الادب)

حُلُّ الْأَنْبِيَاتِ الشِّعْرِيَّةِ يَقْسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : (الْأَوَّلُ)
مِنْهَا وَهُوَ أَذْنَاهَا مَرْتَبَةً أَنْ يَأْخُذَ النَّائِرُ بَيْتًا مِنَ الشِّعْرِ فَيَنْزِعُهُ بِلَفْظِهِ
مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَهَذَا عَيْبٌ فَاحِشٌ . وَمِثَالُهُ كَنْ أَخَذَ عِشْدًا قَدْ
أَتَقِنَ نَظْمَهُ وَأَحْسَنَ تَأْلِيْفَهُ فَأَوْهَاهُ وَبَدَّدَهُ وَكَانَ يَتَوَمَّنُ عُذْرَهُ فِي
ذَلِكَ أَنْ لَوْ تَقَلَّ عَنْ كَوْنِهِ عِشْدًا إِلَى صُورَةٍ أُخْرَى مِثْلِهِ أَوْ أَحْسَنَ
مِنْهُ . وَآيْضًا فَإِنَّهُ إِذَا نَزَلَ الشِّعْرُ بِلَفْظِهِ كَانَ صَاحِبُهُ مَشْهُورَ السَّرِقَةِ
فَيُقَالُ : هَذَا شِعْرُ فُلَانٍ بِعَيْنِهِ لَكُنِ الْقَاطِظُ بَاقِيَةً لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْهَا شَيْءٌ
وَقَدْ سَأَلَ هَذَا الْمَسْلُوكُ بَعْضُ الْعِرَاقِيِّينَ فُجَاءَ مُسْتَهْجِنًا لَا مُسْتَحْسَنًا .

نَقُولُهُ فِي بَعْضِ آيَاتِ الْحِمَاسَةِ :

وَالدَّ ذِي حَقِّي عَلَيَّ كَأَنَّمَا تَغْلِي عَدَاوَةُ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ
أَرْجِيئْتُهُ عَنِّي فَأَبْصَرَ قُضْدَهُ وَكَوَيْتُهُ فَوْقَ النَّوَاطِرِ مِنْ عَلِ

(فَيُقَالُ) فِي نَثْرِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ : فَكَمْ لَقِيَ الدَّ ذَا حَقِّ

كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْكَوَاصِبِ مِنْ عَلٍ وَتَغْلِي عَدَاوَةُ صَدْرِهِ فَكَوَاهُ
فَوْقَ نَاطِرِيهِ وَأَكْبَهُ لَقِيهِ وَيَدِيهِ . فَلَمْ يَرِدْ هَذَا النَّاثِرُ عَلَى أَنَّ
أَدَالَ رَوْنَقَ أَلْوَزِنِ وَطُلَاوَةَ النَّظْمِ لَاغِيْزُ . وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ ضَرْبٌ
مَحْمُودٌ لَا عَيْبَ فِيهِ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْبَيْتُ مِنَ الشِّعْرِ قَدْ تَخَسَّنَ شَيْئًا
لَا يُمْكِنُ تَغْيِيرُ لَفْظِهِ فَحِينَئِذٍ يُعَدُّ نَاثِرُهُ إِذَا أَتَى بِذَلِكَ اللَّفْظِ .

وَكَذَلِكَ الْأَمْتَالُ السَّائِرَةُ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ ذِكْرِهَا عَلَى مَا جَاءَتْ فِي
الشِّعْرِ . (وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي) فَهُوَ وَسْطُ بَيْنَ الْأَوَّلِ وَالثَّلَاثِ فِي
الْمُرْتَبَةِ وَهُوَ أَنْ يَنْثُرَ الْمَعْنَى الْمَنْظُومَ بِبَعْضِ الْفَاقِطِ وَيُعَبَّرَ عَنِ الْبَعْضِ
بِالْفَاقِطِ أُخَرَ وَسَمَّاكَ تَظْهَرُ الصَّنْعَةُ فِي الْمُمَاثَلَةِ وَالْمُسَابَهَةِ وَمُوَاجَاةِ
الْأَلْفَاظِ الْبَاقِيَةِ بِالْأَلْفَاظِ الْمُرْتَجَلَةِ فَإِنَّهُ إِذَا أَخَذَ أَفْظَا لِسَاعِرٍ مُجِيدٍ
قَدْ نَقَحَهُ وَصَحَّحَهُ فَقَرَنَهُ بِمَا لَا يَلَابِسُهُ كَانَ كَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ لَوْزَوَةٍ وَحَصَاةٍ .

وَلَا خَفَاءَ بِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ الْإِتِّصَابِ لِلْقَدَحِ وَالِاسْتِمْدَافِ لِلطَّغْنِ
وَالطَّرِيقِ الْمَسْلُوكِ إِلَى هَذَا الْقِسْمِ أَنْ تَأْخُذَ بَعْضُ بَيْتٍ مِنْ
الْأَبْيَاتِ الشِّعْرِيَّةِ هُوَ أَحْسَنُ مَا فِيهِ ثُمَّ تُمَاثِلُهُ . وَسَاوِرِدُ هَهُنَا مِثَالًا
وَاحِدًا لِيَكُونَ قُدْوَةً لِلْمُتَعَلِّمِ (فَاقُولُ) : قَدْ وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ مِنْ

شِعْرِ أَبِي تَمَّامٍ فِي وَصْفِ قَصِيدَةٍ لَهُ :

وَحَدَاهُ تَمْلَأُ كُلُّ أُذُنٍ حِكْمَةً وَبَلَاغَةً وَتُدِيرُ كُلَّ وَرِيدٍ
 قَوْلُهُ (تَمْلَأُ كُلُّ أُذُنٍ حِكْمَةً) مِنَ الْكَلَامِ الْحَسَنِ وَهُوَ أَحْسَنُ
 مَا فِي الْبَيْتِ فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَتَنَبَّهَ هَذَا أَلْفَعَى فَلَا بُدَّ مِنْ اسْتِعْمَالِ
 لَفْظِهِ بِعَيْنِهِ لِأَنَّهُ فِي الْغَايَةِ الْقُضْوَى مِنَ الْقَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ . فَعَلَيْكَ
 أَنْ تَوَاحِيَهُ بِمِثْلِهِ وَهَذَا عَسِرٌ جِدًّا وَهُوَ أَضْعَفُ مِثَالًا مِنْ نَثْرِ الشَّعْرِ
 بِغَيْرِ لَفْظِهِ لِأَنَّهُ مَسْلُكٌ ضَيِّقٌ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّعَرُّضِ لِمِثَالِهِ مَا هُوَ فِي
 غَايَةِ الْحُسْنِ وَالْجُودَةِ . وَأَمَّا نَثْرُ الشَّعْرِ بِغَيْرِ لَفْظِهِ فَذَلِكَ يَتَصَرَّفُ
 فِيهِ نَازِرُهُ عَلَى حَسَبِ مَا يَرَاهُ وَلَا يَكُونُ مُقَيَّدًا فِيهِ بِمِثَالٍ يُضْطَرُّ إِلَى
 مُوَاحَاتِهِ . وَقَدْ نَثَرْتُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْمَشَارِ إِلَيْهَا وَآتَيْتُ بِهَا فِي
 جُمْلَةِ كِتَابِ قَوْلْتُ : وَكَلَامِي قَدْ عُرِفَ بَيْنَ النَّاسِ وَأَشْهَرَ . وَفَاتَى
 مَسِيرَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ . وَإِذَا عُرِفَ الْكَلَامُ صَارَتْ الْمَعْرِفَةُ لَهُ
 عَلَامَةً . وَأَمِنْ مَنْ بَرَقَتْهُ إِذْ لَوْ سَرِقَ لَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَلَوْسَامَةُ . وَمِنْ
 خَصَائِصِ بَيِّنَاتِهِ أَنْ يَمْلَأَ كُلُّ أُذُنٍ حِكْمَةً . وَيَجْعَلَ فَصَاحَةً كُلِّ لِسَانٍ
 عَجْمَةً . وَإِذَا جَرَتْ نَفَثَاتُهُ فِي الْأَفْهَامِ قَالَتْ : أَهْذِهِ بِنْتُ فِكْرَةٍ
 أَمْ بِنْتُ كَرَمَةٍ . فَانْظُرْ كَيْفَ فَعَلْتُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَإِنِّي لَمَّا
 أَخَذْتُ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ مِنَ الْبَيْتِ الشَّعْرِيِّ التَّزَمْتُ بِأَنْ أُوَاحِيَهَا
 بِمَا هُوَ مِثَالُهَا أَوْ أَحْسَنُ مِنْهَا فَحِثْتُ بِهَذَا الْفَصْلِ كَمَا تَرَاهُ . وَكَذَلِكَ
 يَنْبَغِي أَنْ يُفْعَلَ فِيمَا هَذَا سَبِيلُهُ . (وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّلَاثُ) وَهُوَ أَعْلَى
 مِنَ الْقِسْمَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ فَهُوَ أَنْ يُؤْخَذَ أَلْفَعَى فَيُصَاغَ بِالْفَاطِظِ غَيْرِ
 الْفَاطِظِ . وَثُمَّ يَتَّبَعُ حَذْقُ الصَّائِغِ فِي صِبَاغَتِهِ وَيَعْلَمُ مِقْدَارُ تَصَرُّفِهِ

فِي صِنَاعَتِهِ فَإِنْ اسْتَطَاعَ الزِّيَادَةَ عَلَى الْمَغْنَى فَبَلَغَ الدَّرَجَةَ الْعَالِيَةَ
وَأَلَّا أَحْسَنَ التَّصَرُّفَ وَاتَّقَنَ التَّأْلِيفَ لِيَكُونَ أَوَّلَى بِذَلِكَ الْمَغْنَى
مِنْ صَاحِبِهِ الْأَوَّلِ . وَأَعْلَمَ أَنَّ مِنْ آيَاتِ الشِّعْرِ مَا يَتَّسِعُ الْحِجَالُ
لِأَثَرِهِ فَيُورِدُهُ بِضُرُوبٍ مِنَ الْعِبَارَاتِ . وَذَلِكَ عِنْدِي شَبِيهُ بِالْمَسَائِلِ
السَّيِّئَةِ فِي الْحِسَابِ الَّتِي يُجَابُ عَنْهَا بِعِدَّةِ أَجَوِبَةٍ . وَمِنْ الْأَيَّاتِ مَا
يَضِيقُ فِيهِ الْحِجَالُ حَتَّى يَكَادُ الْمَاهِرُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَنْ لَا يَخْرُجَ
عَنْ ذَلِكَ اللَّغْظِ وَإِنَّمَا يَكُونُ هَذَا لِعَدَمِ التَّنْظِيرِ وَإِذَا انْتَهَى بِنَا
الْكَلَامِ إِلَى هَاهُنَا فِي التَّنْبِيهِ عَلَى نَثْرِ الشِّعْرِ وَكَيْفِيَّةِ نَثْرِهِ وَذِكْرِ
مَا يَنْسَهُ مِنْهُ وَمَا يَنْسَرُ . فَلْتَنْتِمْ ذَلِكَ بِقَوْلِ كُلِّي فِي هَذَا الْبَابِ
فَنَقُولُ : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ كَاتِبًا أَوْ كَانَ عَنْدهُ طَبْعٌ مُجِيبٌ
فَعَلَيْهِ يَحْفَظُ الدَّوَائِينَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ وَلَا يَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ مِنْ ذَلِكَ .
ثُمَّ يَأْخُذُ فِي نَثْرِ الشِّعْرِ مِنْ مَحْفُوظَاتِهِ . وَطَرِيقُهُ أَنْ يَبْتَدِئَ فَيَأْخُذُ
قَصِيدًا مِنَ الْقَصَائِدِ فَيَنْثُرُهُ بَيْنَا بَيْنًا عَلَى التَّوَالِي . وَلَا يَسْتَنَكِفُ فِي
الْإِبْتِدَاءِ أَنْ يَنْثُرَ الشِّعْرَ بِالْفَاطِطِ أَوْ بِأَكْثَرِهَا فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ إِلَّا
ذَلِكَ وَإِذَا مَرَّتْ نَفْسُهُ وَتَدَرَّبَ خَاطِرُهُ ارْتَفَعَ عَنْ هَذِهِ الدَّرَجَةِ
وَصَارَ يَأْخُذُ الْمَغْنَى وَيَكْسُوهُ عِبَارَةً مِنْ عِنْدِهِ . ثُمَّ يَرْتَفِعُ عَنْ ذَلِكَ
فَيَكْسُوهُ ضُرُوبًا مِنَ الْعِبَارَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ وَحِينَئِذٍ يَنْحَصِلُ لِحَاجَتِهِ بِمُجَازَةٍ
الْمَعَانِي لِقَاحٍ فَيَسْتَنْتِجُ مِنْهَا مَعَانِي غَيْرَ تِلْكَ الْمَعَانِي وَسَبِيلُهُ أَنْ
يَكْثُرَ الْأَدْمَانُ لَيْلًا وَنَهَارًا وَلَا يَزَالُ عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً طَوِيلَةً حَتَّى يَصِيرَ
لَهُ مَلَكَ . فَإِذَا كَتَبَ كِتَابًا أَوْ خَطَبَ خُطْبَةً تَدَقَّقْتَ الْمَعَانِي فِي

أَتَيْنَا، كَلَامِهِ وَجَاءَتْ أَلْفَاظُهُ مَعْسُولَةٌ مَعْسُولَةٌ وَكَانَ عَلَيْهَا حِدَّةٌ
حَتَّى تَكَادَ تَرْفُصُ رَفْصًا . وَهَذَا شَيْءٌ خَيْرُهُ بِالْتَّجَرِبَةِ وَلَا يُنْثَلُ مِنْهُ
خَيْرٌ

بِسْمِ بَعُونَهُ تَعَالَى



فهرس

المقالات

وجه	وجه
١٨ البحث السابع في الحافظة	٣ توطئة
٢٠ البحث الثامن في تفسير الذوق في مصطلح اهل البيان	٣ البحث الاول في حد علم الادب
٢٤ البحث التاسع في المطالعة	٣ البحث الثاني في تقسيم الادب وانواع العلوم الادبية
٢٥ البحث العاشر في الارتياض والممارسة	٤ البحث الثالث في موضوع علم الادب واركانه
٢٦ البحث الحادي عشر في طرائق مختلفة من الممارسة والتدريب	٥ البحث الرابع في سرف الادب ومنافعه
فصل في صفة الكتاب وما يحتاج اليه من المعارف	٦ فصل في قوى العقل العريضة
٢٨ البحث الاول في صفة الكتاب الطاهرة	٩ البحث الاول في العقل وترفيه واصل تسميته وتقسيمه
٢٨ البحث الثاني في ادوات علم الكتابة	٩ البحث الثاني في تقسيم العقل الى غريزي ومكتسب
٣٠ البحث الثالث فيما يجب على الكاتب معرفته	١٠ البحث الثالث في العقل الغريزي وتعريفه
٣٧ الجزء الاول في علم الانشاء	١١ البحث الرابع في العقل المكتسب
٣٧ بحث في تعريف الانشاء	١٦ البحث الخامس في التصور والتمثيل
٣٩ الفصل الاول في لفصاحة	١٧ البحث السادس في الخيال والخيالي

وجه

البحث الخامس في الترجيح بين

٧٩

المعاني

البحث السادس في الفصل

٨٢

والوصل

البحث السابع في تأكيد الكلام

٨٧

وقصره وتغزيره بان وانما

البحث الثامن في التقديم والتأخير

٩٠

البحث التاسع في الحذف والاضاف

٩٦

البحث العاشر في جوامع الكلام

٧٩

البحث الحادي عشر في الانسياب

١٠٢

البحث الثاني عشر في القول في

١٠٣

النظم

الفصل الرابع في البيان

١٠٥

البحث الاول في تحديد البيان على

١٠٥

وجه الاجمال

البحث الثاني في تعريف علم

١٠٦

البيان

البحث الثالث في الحقيقة والمجاز

١٠٨

البحث الرابع في الاستعارة

١١٣

البحث الخامس فيما تدخله الاستعارة

١١٧

وما لا تدخله

البحث السادس في اقسام

١١٧

الاستعارة

وجه

البحث الاول في تحديد الفصاحة

٣٩

البحث الثاني في الفرق بين الفصاحة

٣٩

وبلاغة وموضوعها

٤٢

البحث الثالث في حقيقة الفصاحة

٤٦

البحث الرابع في احكام الفصاحة

٤٦

وتروطها

٤٦

البحث الخامس في الالفاظ المترادفة

٥٢

والاسماء المستتركة

٥٢

البحث السادس في فصاحة المفرد

٥٤

وفصاحه المركب

٥٩

الفصل الثاني في البلاغة

٥٩

البحث الاول في الابانة عن حد

٥٩

البلاغة

٥٩

البحث الثاني اقوال في تحديد

٦١

البلاغة

٦١

البحث الثالث في اوصاف البلاغات

٦٥

على السنة اقوام من اهل البلاغات

٦٨

الفصل الثالث في المعاني

٦٨

البحث الاول في حقيقة المعاني

٧٠

البحث الثاني في صحة المعاني

٧٢

البحث الثالث في انواع المعاني

٧٤

البحث الرابع في الحكم على المعاني

وجه

البحث الحادي والعشرون في
المذهب الكلامي ١٨٤

الفصل الخامس في محاسن الانشاء
ومعانيه ١٨٧

البحث الاول في تمييز الكلام جيد
من رديته ونادروه من بارده ١٨٧

البحث الثاني في التنبيه على خطأ
المعاني وصوابها ١٩٥

البحث الثالث في كيفية نظم الكلام
وما ينبغي استعماله في تأليفه ٢١٠

البحث الرابع في خواص الكلام
الحر ٢١٣

البحث الخامس في تذيب الكلام
وتنقيحه ٢١٥

البحث السادس في شروط
الكلام ٢١٩

البحث السابع في عيوب الكلام ٢٢٥

البحث الثامن في الالتباس والاسباب
المانعة من فهم المعاني ٢٢٨

البحث التاسع في المعاطلة ٢٣٦

البحث العاشر في المنافرة بين
الالفاظ في السبك ٢٤٣

الفصل السادس في وجوه

وجه

البحث السابع في جيد الاستعارة
ورديتها ومتوسطها ١٢٢

البحث الثامن في ما جاء من
الاستعارات في كلام العرب ١٢٥

البحث التاسع في مراعاة النظير ١٣١

البحث العاشر في المجاز المرسل ١٣٤

البحث الحادي عشر في القول عن
الكناية ١٣٩

البحث الثاني عشر في التعريض ١٤٢

البحث الثالث عشر في ما ورد من
الكنايات عن العرب ١٤٤

البحث الرابع عشر في المبالغة ١٤٩

البحث الخامس عشر في التكرير ١٥٦

البحث السادس عشر في حقيقة
التشبيه وتحديدده ١٦٤

البحث السابع عشر في اركان
التشبيه ومحاسنه وفوائده ١٦٦

البحث الثامن عشر في اقسام
التشبيه ١٧٠

البحث التاسع عشر في التنايبه
المستعملة عند العرب ١٢٦

البحث العشرون في معايير
التشبيه ١٨١

وجه

٢٩٥

الفاخوري

البحث السادس في المطابقة ٣١٢

البحث السابع في حقيقة التجنيس ٣١٧

البحث الثامن في ذكر انواع

٣٢٠

التجنيس

الفصل الثامن في فنون الاشياء ٣٢٦

البحث الاول في المثل وشرفه ٣٢٦

البحث الثاني في آداب المثل

٣٢٩

وشروطه

البحث الثالث في آداب المحادثة

٣٣٢

والرواية

البحث الرابع في حقيقة التاريخ

٣٣٤

وموضوعه

البحث الخامس في شرف التاريخ ٣٣٦

البحث السادس في شروط التاريخ ٣٤١

البحث السابع في الاصول العشرة التي

٣٤٣

يعتمدها الكاتب في الكتابات

الفصل التاسع في حل الشعر

٣٤٩

والاختذاء

البحث الاول في حسن الاخذ ٣٤٩

البحث الثاني في قبح الاخذ ٣٦٣

البحث الثالث في حل الشعر ٣٦٧

وجه

٢٤٧

الكلام

البحث الاول في وجوه البلاغة

٢٤٧

وطبقات الكلام

البحث الثاني في بيان المطبوع من

٢٥٤

الكلام والمصنوع

البحث الثالث في السجع وانواعه ٢٥٨

البحث الرابع في اقسام السجع

٢٦١

وضروبه

البحث الخامس في الایجاز ٢٦٥

البحث السادس في المساواة ٢٧٣

البحث السابع في الاطناب ٢٧٥

البحث الثامن في مواقع الاطناب ٢٧٩

الفصل السابع في البديع ٢٨٧

البحث الاول في حقيقة علم البديع ٢٨٧

البحث الثاني في ان البديع احد

٢٨٩

علوم الادب الستة

البحث الثالث في نسبة علم البديع

٢٩٠

الى علمي المعاني والبيان

البحث الرابع في اقسام البديع ٢٩٢

البحث الخامس في تاريخ علم البديع

٢٩٣

وفي اصحاب البديعات

بديعية الحوري الفاضل ارسانيوس